

مناقشات

حول

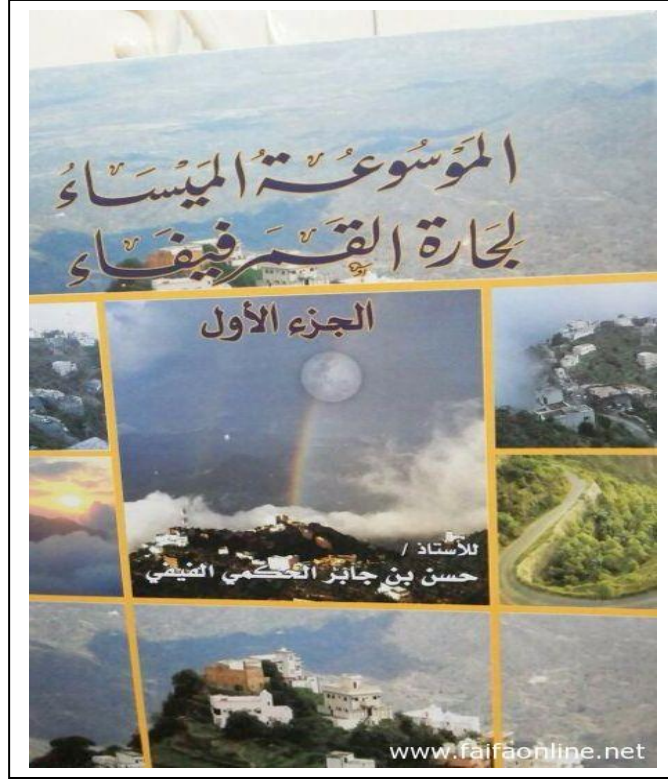
الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء

جمعتها

عيسى بن سليمان الفيافي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
١٤٣٧هـ

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



موسوعتي

موسوعتي تاريخها فيفاء
يهفو إليها العلم والعلماء
مجداً تليداً شاده القدماء
فغذب به من حسناتها حسناء
حتى سمت من فوقهم علياء
كالبدر عالية المكان سماء
قد أشرت من نوره الأنحاء
موسوعة تاريخها فيفاء

موسوعتي موسوعة ميساء
العلم والإبداع في صفحاتها
هذا كتابي سوف يحفظ مجدنا
بل إنه مجدٌ تسامى بديرتي
وغدت تنافس كل من طلبوا العلا
وتربعت فوق السحاب مكانها
هذا كتابي هذا تألّفي الذي
فادعوا لكاآبه، وقولوا دائماً

قيل عنها :

- الشاعر حسين بن يحيى العبدلي الفيفي:
فيفا وهاليها على الجهد يثنون
وانا اشهد انك يا حسن ابنها البار
أبدعت في الميساء شكل ومضمون
سفر عظيم توج جهد جبار
استاذ فيفا أنت والكل ممنون
رسمت للأجيال تاريخ واخبار
- الشاعر نبيل بن علي قاسم الفيفي:
يا منتهى نسب الكرام وأصله
يا غاية الأدب الجميل ونبعه
يا مبدعاً دوماً يسير وهمه
رد الجميل لأرضه ولأهله
يا من نقشت على الزمان رواية
في (جارة القمر) الرفيع بقدره
وجعلت من أخبارها أنشودة
عذراء تشكر للكريم بجوده
- الأستاذ والمؤلف عيسى بن سليمان الفيفي:
لقد وضعت تاريخ فيفاء بين أيدي الأجيال وحققت لهم مرجعاً تاريخياً ونقشتَ
اسمك في تاريخ فيفاء وسيبقى ذكرك بموسوعتك التاريخية ما بقيت جبال
فيفاء تُذكر عبر العصور والأزمان.

مُتَكَلِّمَةٌ

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأكرم، المؤيد بكتابه المبين، المتمسك بحبله المتين.

وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد:

للتاريخ دور كبير في بناء الحضارات، وتدوينه وكتابته، لأن أعظم هبة يمكن أن تقدّم للمجتمع وللأجيال؛ هي كتابة التاريخ، وتعليمه للأبناء، لأن التاريخ هو العامل الأساسي في حفظ التراث وتاريخ الأمم والمجتمعات.

فالتاريخ يجب علينا أن نتعلمه وندون ما تعلمنا منه، لنطور أنفسنا بما نطلع عليه ويرجع علينا بالنفع والفائدة.

ومن ذلك المنطلق قمت بجمع وترتيب هذه الحلقات والمناقشات التاريخية والمعلومات المهمة التي كنت جمعتها بداية لأستفيد منها وتكون خاصة بي، ولكن لعلها تنفع من أراد الاستفادة منها.

وأسميتها: (مناقشات حول الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء).

محبتكم

عيسى بن سليمان الفيافي

Eisa850@hotmail.com

تويتر Eisa850

انطلاقة ..

الأستاذ والباحث القدير في تاريخ جبال فيفاء قام بتأليف موسوعة تاريخية عظيمة حوت علماً كثيراً في تاريخ فيفاء، كانت في مجلدين من القطع الكبير وعنون لها باسم (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء). ولما انتشرت بين الناس وتلقاها الناس بالقبول وبكل شوق وفرح، إذا بنا نفاجاً بكل الانتقادات سواء المفيدة الجميلة وغيرها اللاذعة والمحركة موجهة لشخص المؤلف ذاته أو لموسوعته من أناس مثقفين وباحثين وغيرهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وأنا هنا في هذه الوريقات أجمع كما هائلاً وعلماً جميلاً آخر في مجموعة من الحلقات التي تنتقد الموسوعة من ناقد بصير وباحث علمي وموسوعة تاريخية عملاقة بما يقارب العشر حلقات. فيما جاء بعدها دور المؤلف القدير والباحث العبقري ليرد ويفند ما قيل عنه في حلقات الناقد، ويثبت صدق كتابته في الموسوعة بالأدلة والمخطوطات المراجع ذات الصلة في ما يقارب ثلاثون مقالة متسلسلة مجزأة على عشر حلقات .. وهنا نجمع بين حلقات يكتبها لنا (مؤلف قدير وناقد بصير).

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ..

حول الموسوعة الميساء:

قال المؤلف - وفقه الله - عن موسوعته:
إن جميع ما ذكر في هذه الموسوعة من نسب وتاريخ وما إلى ذلك من معلومات
جمّة، هو من توفيق الله عزوجل ثم بحثي واجتهادي لمدة تربو عن العشرين عاماً
إلى أن وصلت إلى ما سوف تقرأونه في كتابي هذا الموسوم: ب (الموسوعة الميساء
لجارة القمر فيفاء).

فإن وفقت في ذلك فإنما بنور من الله وفضل والله الحمد، وإن سهوت أو قصرت أو
أخطأت في معلومة ما، فإنني من أتحمل مسؤوليتها أمام القراء جميعاً، وليس هناك
أي أحد يتحمل مسؤولية ذلك الزلل إن وجد، لا على المستوى الرسمي ولا على
المستوى الشخصي.

فقد بدأها قبل ما يقارب عشرين عاماً، وأصدر منها أول طبعة بعنوان جارة القمر
فيفاء من القطع الصغير.

ثم أضاف عليها إضافات كثيرة وصدرت بطبعتها الثانية في كتاب واحد جميل جداً.
وبعد سنوات من البحث والتنقيب والمراجعة والسفر يفاجئنا بهذه الموسوعة الضخمة
بعنوان (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) في مجلدين من القطع الكبير، وها
هي الآن بين أيدينا نتصفحها كل يوم ولحظة، جمع فيها تاريخ فيفاء بين القديم
والحديث والماضي والحاضر بكل تفاصيله.

وقد جعلها مراجعاً لكل باحث في تاريخ جبال فيفاء، وواجه مؤلفها الباحث القدير
الأستاذ حسن جابر الفيافي نقداً لاذعاً لموسوعته من بعض المثقفين وغيرهم، حتى
وجه النقد لذاته شخصياً ووصف بأقبح الأوصاف.

أبو سامر وموسوعة التاريخة^(١)



التاريخ بحر عظيم لا ساحل له، ولن يغوص في أعماقه ومحيطاته إلا القليل النادر، ولا يشبع الصياد من درره وجواهره، ولكل فن من الفنون أصحابه ورجاله، ولا ريب أن علم التاريخ بدأ مع بداية وجود المجتمع الإنساني نفسه منذ بدأ الإنسان يسجل مظاهر حياته بشكل أو بآخر، مبتكراً بذلك مجاًلاً جديداً لمعرفة الإنسان بذاته، ولكل زمان علماءه ومؤرخوه ومتفقوه ولكل حدث توثيق ولكل زمان كتابه ومبدعوه ولكل عصر من العصور تصانيفه وموسوعاته ومخطوطاته التاريخية ومؤلفاته العظيمة التي بها يحفظ العلم ويصان، وبها يعرف ماضي الأمم وتاريخ الأجيال، وبها يُتعلّم ويورث تاريخ الأجداد، وبها يستفاد من تجارب الماضين، ولن يتعلم القارئ ما لم يطلع على التاريخ وخوافيه، ويستفيد من قصصه وماضيه، وعبره على مرّ عصوره وقرونه، فمن لم يقرأ التاريخ يعتبر قد فاتته نوع مهم من أنواع العلوم، لأنه لا يعرف شيئاً من أخبار القرون الماضية.

إقرأ التاريخ إذ فيه العبر * * * ظل قومٌ ليس يدرون الخبر

يقول ابن خلدون: " فإن فنَّ التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشدُّ إليه الركائب والرحال، وتُسَمُّوْ إلى معرفته السُّوقَةُ والأغفال وتتنافس فيه الملوك والأقوال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى تنمو فيها الأقوال ".

(١)- نشرتْ هذا المقال بصحيفة فيفاء أون لاین؛ يوم الأربعاء بتاريخ: ١ / ١ / ١٤٣٧ هـ.

والكل يعلم أن هناك أناس فطاحلة سخرهم الله تعالى لحفظ التاريخ وقد اهتموا به وبتدوينه ولهم باع طويل ونفس منقطع النظير في التنقيب عن تاريخ القبائل والأنساب (فقد كان أبو بكر رضي الله عنه عالماً بقبائل العرب وأنسابها؛ وأقره عليها رسول الله ﷺ)، ونعلم أن هذا التاريخ ليس له نهاية، وقد دون فيه علماء ومؤرخوه أمثال: ابن اسحاق وابن هشام وابن حزم والخطيب البغدادي وابن كثير والذهبي والمسعودي والطبري وغيرهم الكثير من علماء التاريخ وفطاحلته وموسوعات التاريخ العظام رحمة الله عليهم.

وفياء عروس الجنوب وجارة القمر ومعانقة السحاب لها تاريخ مجيد منذ سنوات موهلة في القدم، عرفه من عرفه وجهله من جهله؛ ولها تاريخ يضرب في عمق التاريخ ونحن نفخر به، ونتعلمه ونعلمه للأجيال ليعرفوا قدر وطنهم وحقوقه وحسبهم ونسبهم وقبائلهم وأصولها وفروعها.

فلنحمد الله تعالى ونفتخر كل الفخر أن سخر الله تعالى عبداً من عباده المخلصين يحفظ لجبال فيفاء تاريخها للأبناء وللأجيال وللأمم القادمة، كرسّ جلّ وقته من أجل تاريخ فيفاء وتراثها العريض، حيث قضى عقدين من عمره في موسوعته العظيمة الموسومة (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) فجعلها في جزئين عظيمين ما يقارب (١٢٩٥ صفحة) ورأت النور في حلة جديدة قشبية في طبعتها الثالثة، فهذا والله ليس بالسهل أن يبقى عشرون عاماً يكتب التاريخ وينقب عن الأنساب والقبائل ويوثق من المخطوطات التاريخية القديمة والمراجع المهمة والنادرة ذات الصلة، ويسافر من بلد لبلد ويتصل ليسأل، ويقرأ ويكتب ويراجع المعلومات تصحيحاً وتدقيقاً، ويلتقط بعض الصور التي زين بها موسوعته بعدسته الخاصة، واستفادته من أهل الخبرة ممن قدم له المساعدة والإهداءات من مراجع ومخطوطات نادرة، حتى أتى على العشرين عاماً ليخرج لنا هذه الموسوعة القيمة على طبق من ذهب مطبوعة طباعة فاخرة، ويخسر الكثير من ماله ووقته وصحته لخدمة المجتمع، فمنّا من أنته هدية ومنا من دفع ثمنها الذي لا يساوي تعب مشواراً واحداً (٢٠٠ ريال) فقط، وهي والله تساوي أكثر من ذلك، وعلى الرغم من أنه قد خسر من أجل إخراجها الكثير والكثير، وكما أخبرني أنه لا يريد من ورائها جمع المال، وإنما كان همه حفظ التاريخ للأجيال ولتعم الفائدة للجميع، وإلا كان باستطاعته بيعها بأعلى الأثمان ليستفيد ربحاً ومكسباً، ولكن مكسبه منها رد الجميل لتلك الجبال التي ترعرع فيها آباؤه وأجداده، وإن دلّ على شيء فإنه يدل على حبه لهذه الجبال رغم بعده عنها وقلة سفره إليها إلا للضرورة.

حيث نوه في بدايتها بقوله (إن جميع ما ذكر في هذه الموسوعة من نسب وتاريخ وما إلى ذلك من معلومات جمة، هو توفيق من الله عزوجل ثم بحثي واجتهادي لمدة

تربو عن عشرين عاماً إلى أن وصلت إلى ما سوف تقرأونه في كتابي هذا الموسوم بالموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء، فإن وفقت في ذلك، فإنما بنور من الله وفضل والله الحمد، وإن سهوت أو قصرت أو أخطأت في معلومة ما، فإنني اتحمل مسئوليتها أمام القراء جميعاً).

فتعتبر هذه (الموسوعة الميساء) أول موسوعة تاريخية عن جبال فيفاء، أفنى عمره ووقته الثمين لخدمة وطنه ومجتمعه الفيفي وما جاورهم من قبائل، ولحفظ التراث للأجيال القادمة، وقد سهل بفضل الله الطريق لكل باحث في تاريخها وعلومها وأخبارها وشتى المجالات التي تستدعي الكتابة عنها، فقد أتى على تاريخ فيفاء قديماً وحديثاً بوثائق معتمدة ومخطوطات نادرة، وعن القبائل وأصولها وتاريخها وعصور الأجداد الماضية، ولن يستغني عن هذه الموسوعة أي باحث وقارئ مهما بلغ من العلم، فهي تعتبر بحق مرجعاً تاريخياً ثميناً لكل باحث وقارئ يهتم بتاريخ فيفاء؛ وأنا منهم، ولن أتحدث عن تفاصيلها أو موضوعاتها لأنني لست أهلاً لذلك العلم والجهد المبذول، فيكفينا أننا تلامذة له.

ولا أخفيكم أنني مكثت أقرأ في هذه الموسوعة التاريخية ما يقارب ستة أشهر متتالية؛ ولم أزل أرجع إليها بين الفينة والأخرى، موسوعة بهذا القدر حريّ بنا أن نعزز بها ونفرح ونوليها حقها وقدرها وبمؤلفها.

فهنيئاً لك أبا سامر هذا الجهد والاجتهاد، هنيئاً لك أبا سامر دخولك التاريخ من أوسع أبوابه، وهنيئاً لك الذكر الحسن والثناء الجميل بإذن الله ما بقيت جبال فيفاء (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)، هنيئاً لك هذا العلم الذي خلفته للأجيال (أو علماء ورثه)، والله إننا نغبطك على ما قدمت وما خلفت من تراث عظيم، ونغبطك على سعة بالك ونظرتك للمستقبل بهذه النظرة الثاقبة وتطلعاتك له، عشرون عاماً ليست بالعدد القليل واليسير رغم المشاغل.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (من لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكبر حيث يحب).

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائباً * * * تغني النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * * * إلا حسوداً ليس يُعجبه العجب

فالسؤال الذي يتبادر إلى ذهني وإلى ذهن كل منصف لهذه الموسوعة وصاحبها هو:

هل يعقل أن ننكر هذا الجميل، أو نتجاهله، وهل يصدق عاقل أن بعض من أبناء فيفاء ممن ليسوا من المتخصصين في هذا المجال؟ أو ممن لم يقدموا لفيفا شيئاً ولو

شبيهاً بهذا العمل الجبار؛ أو أقلّ منه، أن يعترضوا عليه فيما يخص جزئية منها بحجة أنها غير صحيحة؟ وليس لديهم معلومات تفند اعتراضهم ذلك؟

هل تنسى هذه الخدمة الجليّة المقدّمة لنا وللأجيال القادمة على طبق من ذهب؟

هل يعقل أن يحاول بعض من أولئك الذين ألمحت إليهم آنفاً أن يتنقصون من مثل هذا الرجل الباحث الفاضل الثقة فضلاً عن كونه باحثاً تاريخياً مشتهر بين الناس ومعروف لدى الكثير بصدقه وأمانته وإخلاصه؟

وفقنا الله وإياه لكل خير . . وجعلنا من السعداء في الدارين.

أولاً : نبذة تعريفية :

الأستاذ / محمد بن مسعود بن يحيى العبدلي الفيبي^(١)
(الناقد والمفكر الكبير)
حفظه الله



(١) - هذه النبذة التعريفية (لِلناقد الكبير) كتبها ونشرها الأستاذ عبدالله بن علي قاسم آل طارش الفيبي بصحيفة فيفاء أون لاين؛ بتاريخ: ٢ / ٨ / ١٤٣٣ هـ .

العلم متاح للجميع، وليس حكراً لأناس دون آخرين، وبقدر ما تعطيه يعطيك، ومن سمعته أو قرأت له ووجدته متمكناً في علم من العلوم، قدرته وحكمت عليه بأنه عالم دون حاجة للسؤال عن شهادته، فليس هناك ما يدعو لك لذلك، ولن يسأل عن الشهادات إلا من وجد لديه قصور في علم ادعاه، فهو الذي يعوزه إثبات هذه الدعوة، والتدليل على صحتها، فالإثبات والدليل إنما هو للأمر الملتبس وغير الواضح:

وليس يصح في الأذهان شيء * * * إذا احتاج النهار إلى دليل

يقول شيخنا الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (الشهادات الدراسية وإلى ما فوق الدكتوراه إنما هي تربية تعليمية، ولا تعني العلم، ولكنها تمنحك أدواته، فإن استخدمتها في تنمية ملكة العلم لديك وإلا ضمرت، فالعلم في بطون الكتب، لا يأتي إلا بالاجتهاد والكدح في تحصيله، ويوهب بتوفيق الله لمن أجهد نفسه في ذلك، وليس شرطاً أن يكون طالبه من أصحاب الشهادات، ولكن صاحب الشهادات يسهل عليه إدراكه، لا امتلاكه أدواته ومفاتيحه، وكلما زاد الاطلاع وتنوعت الروافد، اتسعت المدارك واستنار العقل ونضج الفكر) فالشهادات إنما هي: (للمركز، والمكانة الاجتماعية، وللوظيفة الحكومية، وللراتب) ولكنها لا تعني أن حاملها عالم، ولكنها تؤهله لأن يكون كذلك، وتمنحه أدوات العلم، ومفاتيح البحث الصحيحة. ففي الحديث وإن كان ضعيفاً (إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه) فالعلم مشروط بالتعلم، وبقدر اطلاعك يزيد علمك، ويرتفع قدرك، فكم من حامل شهادة ليس بعالم، وكم من عالم لا يحمل شهادة.

والشهادات وضعت عندما فشا التعليم وانتشرت مدارسها، وأصبحت الدراسة إلزامية في أكثر المجتمعات الحديثة الناهضة، ولا يوجد وسيلة أفضل منها في معرفة التمايز بين الطلاب، وقياس القدر الذي بلغه كل منهم في المراحل التعليمية، ولكنها لا تقيس حقيقة المحصلة العلمية لديه.

والشهادة تمنح الثقة لحاملها، وتثبت في الغالب أنه قد تأسس على طريقة صحيحة ومنظمة، تمكنه من أن يكون مؤهلاً لأن يتحمل مزيداً من العلوم، فهي مفاتيح يحملها بين يديه ليدخل بثقة إلى أبواب العلم، فيكتسب بها القدرة والثقة والجراءة.

فليس علماً ما حوى القمطر * * * ما العلم إلا ما حواه الصدر

إذا فمهما كان الشخص حاملاً لأعلى الشهادات، ثم وقف بنفسه عند هذه الحد، ولم ينمي قدراته ويصقل مواهبه، ويزيد من حصيلته العلمية بالاطلاع والقراءة والبحث فستجد ما علمه قد تسرب من بين يديه مع الوقت ونسي معظمه، وفاته الكثير من المعارف الضرورية، فالعلم متجدد لا يقبل التوقف والاكتفاء، فكما نشاهد في كثير من الجامعات العريقة أنها تلزم منسوبيها من أعضاء هيئة التدريس بإعداد بحوث دورية محكمة، يتم تقييمهم وتدرجهم في درجاتها العلمية من خلالها، بل وتوصي بعد فترة باستبعاد من لا يقوم بإعداد هذه البحوث، فهو ليس جدير بالانتساب إليها. لم تتح له الفرصة بأن يحصل الشهادات لعدة أسباب، منها الظروف الأسرية، وقلة ذات اليد، وعدم توفر المدارس كما ينبغي أثناء صغره، ثم قلة وعي المجتمع بأهمية الشهادات، ولكن بما جبل عليه من التعلق بالعلم، وطلب المعرفة وحب الاطلاع، والسعي إلى تغيير واقعه، وما وهبه الله إياه من قدرات ذهنية وعقلية، وشغف بالقراءة الحرة، وما هيئه له سبحانه وتعالى من أن أوجد له في حياته من دله على الكتب المناسبة التي أسست لديه القواعد المهمة التي انطلق منها، وبني عليها معارفه، ثم بمخالطته لأهل العلم والأدب والثقافة، كل هذه العوامل نمت قدراته، وصقلت مواهبه، فكان يقتبس منهم ثم يعرض عليهم ما لديه، ومن تعود على ارتقاء المنابر، وارتياح الأندية الأدبية والمحافل، واقتحامه عالم الصحافة مهنة المتاعب والمناكفات، واحتكاكه بأهل الاختصاص، ودخوله في كثير من المحاورات والمباحثات، واضطراره للدفاع عن ما يطرحه من أفكار، ودحض الحجة بالحجة، كلها عوامل صنعت منه وصقلت لديه الكثير من المواهب والقدرات وجعلت منه ناقدًا ومثقفًا طور نفسه بنفسه، حتى بلغ بها درجة عالية، وإن كان ينقصها الكثير ولكن لمن يكون الكمال.

أحاط به جبابرة البرايا * * * وما زالوا به حتى تجبر
إذا راض النمر أخو ميول * * * فلا تعجب إذا هو قد تنمر

كاتب وناقد وشاعر وأديب ومؤرخ وقاص وصحفي وممثل رياضي.
هو مجموعة من كل ذلك، أبدع وبيدع، يخطئ ويصيب، يحرك ويحاور، ينقد ويصوب، قبلناه أو لم نقبله، فالمنصف يعترف بعلمه وأدبه وسعة اطلاعه وثقافته وفهمه، إنه ولا شك:

محمد بن مسعود بن يحيى بن جابر بن علي بن علي (المحرّق) وهو [علي امجميلة] بن سلمان بن سليمان بن علي بن حسن بن زيدان بن الحجار بن مهطل العبدلي ثم اليهنوي الخولاني نسباً الفيفي مولداً ونشأة . (هكذا عرّف بنسبه).

والده هو مسعود بن يحيى بن جابر المولود سنة ١٣٤٨ هـ حفظه الله. وأمه هي الفاضلة/ عافية بنت سلمان بن جبران بن حسن العبدلي حفظها الله المولودة سنة ١٣٥٧ هـ.

ولد لهما ظهيرة يوم الثلاثاء الأول من ذي الحجة؛ سنة ١٣٨٢ هـ في بيت اللفجة في بقعة اللفجة غربي جبل آل عبدل.

أسرة مكافحة وفقيرة كمعظم الأسر من حولهم في تلك الفترة، الأب يكافح بجلد وصبر طوال الوقت، يعمل بالأجر اليومي الزهيد معظم أيام السنة، والأم تساعد وتقف بجانبه، في توفير الحياة الضرورية لأبنائهم، ومن يعولون من كبار السن بينهم، فهي تنقل العلف (الجذاب) والماء والحطب إلى بعض النساء الموسرات في قرى اللعثة أعلى جبل آل عبدل، وقد تصل إلى قرب النفيعة، لتعود بعد يوم شاق لأبنائها بالخبز، والزهد من الحنطة وقشر البن، وهو الأجر الذي تتقاضاه لقاء رحلتها الشاقة.

فهي أسرة قد عايشت الفاقة، وتعودت عليها، فالأب عاش يتيماً، توفي والده يحيى بن جابر (رحمه الله) ولم يبلغ بعد السادسة من العمر، فعاش اليتيم الحقيقي، عاش في ظروف شديدة التطرف وضنك العيش، عاش مع أمه وأخوته حياة تكاد تنعدم فيها لقمة العيش، فدرج وهو دون العاشرة إلى السعي والتنقيب عما يسد الرمق ولا يكاد، وكابدوا مع غيرهم سنة الجوع عام ١٣٥٨ هـ ، ولم يكن غذاءهم الرئيس إلا ما تيسر من النبات كالغلف والفُغَاء [ثمر الجميز] والضبر وغيره، ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة إلا وهو يقف سنداً وعوناً لوالدته في مواجهة متطلبات الحياة التي تركز أساساً على توفير لقمة العيش، ولم تتح له الفرصة ليتعلم ولكنه كان متفتحاً شاعراً بالفطرة، ينظم الشعر الملحون ويميل فيه إلى الفكاهة والسخرية.

ومع كده وتعبه فقد استوعب الحياة، وفهمها فكان قريباً جداً من أبنائه، شقيقاً عليهم يحاول تعويضهم عند عودته في المساء (مهما كان مرهقاً) بعض ما فقدوه لغيابه طول النهار، فيكون المساء حافلاً بالأقاصيص التي يرويها لهم، وهم يتحلقون حوله في لهفة، على ضوء باهت يتسرب من قنديل الزيت المحشور داخل نقرة في الجدار (قنطرة) فيخلق بهم في فضاءات سحر الفتازيا والأسطورة والملحمة، فكانت القصة هي الغذاء اليومي لهم، يرويها بأسلوب تمثيلي بديع، فيندمجون مع أبطالها ويحلمون بهم، فتشكلت الذاكرة على الخيال القصصي المبدع، وأما إذا كانوا في زيارة جدهم لأهمهم (سلمان بن جبران رحمه الله) فيختلف هناك نمط القصص، ففيها تنتشط الحروب، وتهب الأبطال لمنازلة الأعداء، ويحتشد التاريخ، لذلك اعتجن وتشكل خياله بالكثير من الإبداع، وسعى إلى الاستزادة عندما خرج من هذا العالم

الحالم، بعدما عرف فك الخط، وتعلم القراءة التي وجد من خلالها في الكتب عالم واسع من الخيال والتاريخ والعلم. فتشكّلت شخصيته الأدبية والشعرية والقصصية من سن الطفولة المبكرة.

تعليمه:

لما بلغ السابعة من عمره، ألحقه والده وأخاه حسن، بمعلمة عبد الله بن شريف حسن العبدلي، وكان لجدته لأبيه (حالية - الخولية) الدور الأكبر في ذلك، فقد كانت حريصة على إلحاقهما بالمعلمة، وكان ذلك في صيف سنة ١٣٨٧هـ، وكان مقر المعلمة فناء [ناعم] في ذراع القديم، غرب جبل آل عبدل، ولكن لم تستمر المعلمة سوى شهرين، حيث أقفل المعلم المدرسة وانتقل إلى بني مالك. ولم يمضي طويل وقت، حتى افتتح المعلم موسى القيسي (يماني) معلمة أخرى قريبة من دارهم تقع في [جورة ظاهر المرقوع] غرب جبل آل عبدل، فالحقهما والدهما بها.

وفي هذه المدرسة تعلم كثيراً من سور القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، فكان معلمه جاداً نشيطاً، واختزنت ذاكرته كثيراً من مشاهد هذه المدرسة، ومن هذه المشاهد تتلمذه لمدة يوم واحد لم ينسأه على يد السيد عبد الرحمن (يماني الجنسية - كانت لديه تصرفات غير سوية، يجمع بين الحمق والذكاء، والعلم والجنون، متقلب غير مفهوم) ولكنها حكاية علقت بمخيلة الصغير على قصر وقتها، وتركت صورة ما زالت شاخصة في خياله، لنعش معه فصولها حيث يقول: (و حين عهد إليه الفقيه موسى القيسي بتلاميذه، قطعة من نهار ربيع ١٣٨٧هـ، كنت واحداً من تلك (المعلمة) فحضر مكفهاً عابساً يابساً، يكاد يتميز من الغيظ، يحمل (مخباطاً) أطول من قامته، واتخذ من (دكة) الفقيه مقعداً وقاعدة!! فساد صمت رهيب وسكون موحش . . . وكأننا تماثيل من حجارة باردة لا حياة فيها . . . ومرت اللحظات بطيئة كالدهر . . . ثقيلة كالذنب بغیضة كالقفر!! وانسلخ أول النهار وأدبرت ساعاته الأولى ونحن على هذه الوتيرة . . . وجوم وترقب فيما ظل السيد عبد الرحمن صامتاً لا يتكلم كالجندي في نوبة حراسة مشددة . . . يرمقنا بعينين جاحظتين، في وجه مستدير ذو بشرة قمحية داكنة، تؤطره لحية كثة خشنة خالطها شيء من البياض، وقد ترك عليه (العنقر) أثراً واضحاً يفوق الأثر الذي خلفته سنّيه الأربعين خيال خصب حفر في أعماقه صورة لم تمحها السنين مع محدودية وقتها.

لم تستمر معلمة الفقيه موسى القيسي طويلاً، ولكنه عاد المعلم الأول عبد الله ابن شريف حسن العبدلي فافتتح معلمته تحت [تالقة اللثة] في أعلى جبل آل عبدل، فألتحق بها، رغم مشقة الوصول إليها، واستمر في هذه المدرسة ما يقارب الخمسة أشهر، أتقن خلالها قراءة ثمانية أجزاء من القرآن الكريم، مبتدئاً تنازلياً من قصار السور إلى سورة سبأ.

وفي عام ١٣٨٩هـ اصطحبه والده إلى مدرسة نيد أبار الابتدائية، عندما افتتحت ليسجله ضمن طلابها، دعونا نعش معه، في أسلوبه الأدبي البديع، وهو يلتقط لنا تلك الصورة الرائعة، التي اختزنتها ذاكرته، فيقول: (لعلها المرة الأولى التي ألبس فيها حوكاً جديداً، وشميراً يعبق برائحة الصباغ، وكوفية كالتاج يرصع حوافها خيط ذهبي لامع في دوائر تسلب الألباب، لكن أحد المعنيين بتدوين الأسماء تفحص هندامي، وأعلن عدم ملاءمته، وعليّ أن أستبدله بثوب كالذي يرتديه، فتناقص مني خط الزهو الذي كان قد بلغ الأوج، وبعد أن أجبت على أسئلة بسيطة وكتبت اسمي على ورقة نظر إليها، ثم قام بتسجيلي ضمن طلاب الصف الثاني الابتدائي).
إذاً فقد تم قبوله بناء على مستوى تحصيله العلمي، من دراسته السابقة لدى المعلمين عبد الله بن شريف وموسى القيسي، في الصف الثاني الابتدائي، فمع بداية العام الدراسي ١٣٩٠/١٣٩١هـ انتظم في مدرسة نيد أبار الابتدائية في الصف الثاني الابتدائي، وانسجم مع المدرسة ومع دروسه وزملائه، رغم بعد الشقة والمسافة الطويلة الشاقة التي يقطعها كل يوم ذهاباً وإياباً، من بيتهم في بقعة اللفجة (الواقعة بين بقعتي المنهم والمقبعي) إلى مقر المدرسة في نيد أبار.

وكان في العطلات الصيفية إذا أتيحت له الفرصة لا يتوان عن الدراسة وطلب العلم متى ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ومن ذلك أنه في صيف عام ١٣٩٣هـ التحق بمعلمة السيد إبراهيم بن عبد الله آل مشكاع رحمه الله، التي افتتحتها في [دارة العقبة] بجوار جامع الغمر، أسفل غرب جبل آل عبدل، وكان هذا المعلم يحرص على تعليم طلابه مع القرآن الكريم والقراءة والكتابة، أمور الدين والمحافظة على الصلاة جماعة، فكانوا يؤدون الصلاة جماعة في جامع الغمر خلف معلمهم، وقد أكمل أثناء هذه العطلة تلاوة جزء كامل ونسخه، وكان المعلم رحمه الله يمتدح خطه وفي مدرسة نيد أبار، وقد اجتاز الصف الثاني والثالث والرابع الابتدائي، وهو يدرس الصف الخامس، حدث أمام عينيه أمر جلل كطفل، جعله يكره المدرسة ولا يطيق البقاء فيها، بل بسببه خرج منها نهائياً ولم يعد إليها أبداً، يحكي ذلك بقوله:

(ذات صباح دراسي من عام ١٣٩٤هـ وعند انتهاء الحصة الثالثة، وخروجنا للفسحة طلب منا الاحتشاد في ساحة المدرسة، لنشهد عقاباً قررت الإدارة إنزاله على أحد التلاميذ، لسوء ألفاظ وجهها لأحد المدرسين، أثناء تلقيه الضرب على يديه، ألقى المدير كلمة مقتضبة عن أهمية احترام المدرسة والمعلمين، وعدم التذمر من أي عقاب قد يصدر بحق طالب مهمل لدروسه، لا يلقي اهتماماً للواجبات المدرسية التي يكلف بها من قبل أساتذته، ثم أوماً لاثنيين من موظفي المدرسة، فتقدما إلى الطالب المسكين، الذي أمر أن يستلقي على الأرضية الترابية لفناء المدرسة، ثم لفا على ساقيه غترة كانت على كتفه، وأمسكا بها من الطرفين كل يشدها إلى ناحيته، ورفعاً قدميه عالياً، وتقدم المدير إلى قدمين معروقتين، وأهوى بعصاته الغليظة، فيما ظل

الطالب متماسكاً، ومبدياً شجاعة وتحملاً تمليه الثقافة القبلية الموروثة، فاكتفى بتحريك قدميه تحت انهيار الضرب العنيف خمسة عشرة عصاة تركت لونا كحلياً على قدميه، وتركت في نفسي أثراً أعمق ولا أظن إلا أن كافة الطلبة قد تركت في نفوسهم أثراً كهذا . . كرهت المدرسة، والمدير، والمعلمين، والدروس، والحصص، وكرهت الطريق المؤدي للمدرسة، ولم تنجح كافة النصائح والتفريعات والتهديد والوعيد في إعادتي إلى صفوف المدرسة . . كان ترتيبني الثاني على الصف لعامين متتاليين الثالث والرابع بعد زميل مثالي مجتهد هو إبراهيم حسن جبران الثويجي، وبانصرافي خلال الشهر الأول من الصف الخامس الابتدائي يكون مجموع سنوات دراستي المنتظمة في وزارة المعارف (حينها) ثلاث سنوات تلك كانت بعض الأساليب الموجودة في معظم المدارس، في تلك الفترة وما قبلها، وما تتركه من أثر سلبي في نفسية معظم الطلاب، مما حدا بوزارة التربية والتعليم إلى منع الضرب من مدارسها.

لما ترك الدراسة وهو في الصف الخامس الابتدائي بمدرسة نيد أبار، بعد المشهد الفظيع (في هذه السن) الذي شهده، وما خلفه في نفسه من انطباع سيء عن المدرسة، جعله يتركها دون رجعة، لم تجدي معه بعدها كل الرجاءات من والديه، والمحاولات التشجيعية والتهديدية، في تغيير قراره والعودة للمدرسة، إلا أنه في عام ١٤٠٥هـ تقريباً، وبعد إحدى عشرة سنة، وقد تجاوز العشرين من عمره بعدما استقر به المقام في مدينة الطائف، قرر الالتحاق بمدرسة الملك عبد العزيز الليلية، بعد إلحاح وإصرار من بعض المقربين له، وأكمل فيها عاماً دراسياً واحداً، حصل في نهايته على شهادة أولى متابعة بتفوق! ولكونها دون رغبة حقيقية صادقة، وإنما من باب المجاملة، لذلك لم يواصل، بل اعتبر الدراسة النظامية في تلك السن، قياساً بما لديه من حصيلة علمية جيدة، قد اكتسبها من مداومته على القراءة الحرة الجادة، مما فاق فيه كثيراً مما يدرسه في هذه المرحلة، وإن في حبسه لنفسه هذه الساعات الطوال في المدرسة، هدر لوقته وطاقاته، التي يرى أن الأجدى له فيها صرفها فيما هو مفيد.

إن عشقه لطلب العلم والاستزادة منه، لم يجده في المدارس النظامية، وهو في هذه السن، فقد كبر عليها، ولا يشعر أنه بحاجة إلى الحصول على شهادة، إنما حاجته إلى العلم لا غير، والعلم قد عثر عليه ميسوراً ماثوئاً في بطون الكتب، التي أحبها وعشقها وتعلق بها ولا يكاد يشبع منها، فكان يقرأ دون كلل أو ملل، فلا يقع تحت يده كتاباً إلا استوعبه (وهذا هو العلم الحقيقي الذي ينفع صاحبه ويرتفع به)، فإذا قرأت برغبة ذاتية، ودافع شخصي، تتشدد العلم والفائدة، فأنت تبني المعارف في صدرك، وتشحذ فكرك وتنير بصيرتك، فإذا ما جالست العلماء، وعرضت حصيلتك عليهم، وأخذت بتوجيهاتهم ونصائحهم، زاد علمك، واكتمل فكرك، واستنار عقلك، وهو ما كان عليه في تلك الفترة التكوينية في حياته.

كانت تلك المرحلة من عمره في مدينة الطائف، من أخصب مراحل حياته، كان لها أثر عظيم على علمه وثقافته، وكانت حجر الزاوية، والمنعطف المهم والخطير في حياته العلمية والأدبية، التي شكلت حياته ورسمت مستقبله الثقافي الذي هو عليه اليوم، لقد وجد في الطائف الفرص الحقيقية التي غيرته، وشكلت وصنعت فكره ونفسيته إلى الأفضل، فجعلت له هدفاً وأملاً يعيش له، فيها تلقى العلم الحقيقي المؤسس، قابل أشخاصاً أثروا في تكوينه، وأحسنوا توجيهه وصقله، وأبرزوا كثيراً من كوامن نفسه الحقيقية، زودوه بالقواعد الثابتة والصحيحة التي سار عليها وزودوه بالكتب المناسبة التي ارتقى من خلالها إلى مصاف المتعلمين، مما أهله ليستكمل البنیان فيما بعد بنفسه، بطريقة علمية صحيحة وناجحة، أخرجت لنا فيه عالماً ومتقناً وناقداً وكاتباً المعياً.

قابل في الطائف ولازم الشيخ العلامة والأديب محمد سعيد حسن كمال (رحمه الله) وهو شخصية فذة، وعلم من أعلام الفكر والمعرفة، تردد على مكتبته العامة والخاصة، وفتح لي مخازن كتبه الضخمة، وأتاح له فرصة التزود بكثير من الكتب المهمة بأسعار زهيدة، وأهداه كثيراً منها، فجمع العديد من العناوين الموسوعية، مثل (الأغاني) و(لسان العرب) و(معجم البلدان) و(فتح الباري) و(أرواء الغليل) و(النحو الوافي) و(معجم الشعراء) ومن الكتب الحديثة (الإرتسامات اللطاف - لشكيب أرسلان) و(ديوان الشاعر الصوفي اليميني عبدالرحيم البرعي) من تحقيق الشيخ، ونسخة من كتاب (مارأيت وما سمعت - لخير الدين الزركلي).

وفي الطائف أيضاً التحق بحلقة الشيخ محمد العيافي (رحمه الله)، عندما كان يأتي للاستطيا في مدينة الطائف، فيمنح الراغبين في المعرفة وطلاب العلم بعض من وقته، فكان له دروس في أحد مساجد حي العقيق جوار سكنه، كل ليلة ما بين العشائين، تكون في الحديث وشرحه من رياض الصالحين، أو الفقه والفرائض من متن الرحبية، وفي النحو من ألفية ابن مالك، مع دروس حرة في مادة الأدب، يتناولون أحد القصائد الشهيرة حفظاً وشرحاً، إلى جانب التلاوة والحفظ من كتاب الله الكريم، فانتفع كثيراً من دروسه وجلساته.

في تلك الأثناء من عام ١٤٠٦هـ، وهو يبحث عن عشقه المتمثل في المكتبات، دخل مصادفة مقر النادي الأدبي في الطائف، فاكتشف عالماً مختلفاً طالما حلم به، دخله ولم يعد يطيق الخروج منه، لأنه تعرف فيه على رجال الأدب والثقافة والصحافة، وكان في مقدمتهم رئيس النادي آنذاك الأستاذ الفاضل علي بن حسن العبادي، الذي عندما أطلعه على بعض كتاباته، أبدى إعجاباً صادقاً بما وجدته فيها وشجعه بل ونشر له شيء منها، ولا تسلم عن مردود ذلك على نفسه، وتعرف أيضاً على سكرتير النادي، الكاتب القاص محمد بن منصور الشقحاء، الذي أخذ بيده إلى

القراءات المعاصرة والحداثيّة، إضافة إلى الكلاسيكية التراثيّة، وعن طريقه عرف أسماء الأدباء البارزين، على امتداد الوطن العربي، الذين اقتنى العديد من كتبهم، وكان أيضاً يدلّه على الكتب التي تناسب حصيلته الثقافيّة في الأدب والنقد، بل ويعيره بعضها من مكتبته الخاصّة، وقد نشر له كذلك نصّاً قصصياً بعنوان (وادي القنبلة) يوم كان مشرفاً على الزاوية الثقافيّة لمجلة الطائف، التي تصدر عن الغرفة التجاريّة، ثم فيما بعد توالى نشر إنتاجه، فقد نشر له الأستاذ القاص عبده خال، في صفحة الثقافة من صحيفة عكاظ، نصّاً آخر بعنوان (لحظة انكسار) ومن يومها سجل لنفسه حضوراً إيجابياً، وأصبح عضواً عاملاً في النادي، ومواظباً على حضور فعاليّاته وأنشطته، وتعرف على معظم أدباء مدينة الطائف، من أعضاء النادي ومن خارجه، كل ذلك كان له ولاشك تأثيره الإيجابي الكبير على شخصيته، أضافت إليه علماً وثقافة وأدباً، واكتسب منها ثقة بنفسه وبما لديه، وصقل من خلالها مواهبه ونمى قدراته، فالاحتكاك بالأدباء والعلماء وأهل الاختصاص مدرسة حقيقية ومقياساً واقعياً لما يملكه، حرّكت كوامن نفسه، وأطلقت العنان لمواهبه وقدراته.

إضافة إلى ما يكسبه كل يوم من علوم عن طريق القراءة الجادة، التي خصص لها منه ورداً وحصّة كبيرة كل يوم، فالقراءة الجادة التي نماها حتى أصبحت عشقه الذي لا يسلبوا عنه، حيث تولع بالقراءة وعشق الكتاب من سن مبكرة، يروى عن ذلك بقوله: في عام ١٣٩٤هـ كنت شغوفاً بالقراءة فيما لا علاقة له بالمقررات المدرسيّة، فقرأت الكتاب الوحيد، الذي استعاره عمي أحمد، من الراحل متعب بن يحيى يزيد، بعنوان (تنبيه الغافلين).

وكان من دليل ولعه بالقراءة والاطلاع، أنه لما لم يجد ما يقرأه فقد كان يسطو على الأحرار والتمائم التي كان يعلقها بعض من الناس في أعناق أطفالهم وأبقارهم (جهلاً منهم أنها من الشرك) فيجمعها في غفلة منهم، ثم يسارع إلى تمزيق أغلفتها الجلديّة المحكّمة، لكي يقرأ محتواها، والتي تحوي بعض الآيات والأدعية، وبعض الكلمات المفهومة وغير المفهومة.

ثم تطور ولعه هذا إلى حلم بأن يملك مكتبة خاصّة به، وكان ذلك بعدما شاهد لأول مرة مكتبة من هذا النوع، يحكي عن ذلك بقوله:

(تهيأت لي فرصة عندما ذهبت بصبحة زميلي محمد بن يحيى أسعد الثويّعي، إلى دار القاضي في النفيّة، وبعد تناولنا العشاء، انصرف الشيخ فلم أمهله كثيراً حتى تبعته بدافع من حب الاستطلاع والفضول، فصعدت السلالم لاكتشاف بقية هذا الحصن العظيم، الذي لا يدانيه مبنى في فيفا تلك الحقبة المتقدمة، كنت أرغب إلقاء نظرة على السفوح من شرفته العاليّة وإذا هناك إلى يساري قنديلاً يضيء عتمة المكان، فيممت شطره، ولعلي من القلائل جداً الذين ولجوا المكتبة المنزليّة لفضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيّفي قاضي فيفا حينها، وتقع في الطابق العلوي في القسم الجنوبي منه، وهناك عثرت على الشيخ، لقد شاهدته لابساً مصنفّاً ناصعاً وفنيلة

بيضاء، وربما كنت الوحيد من خارج العائلة الذي يقف جوار الكرسي المخصص للقراءة إلى يمين الداخل للمكتبة، كان منظر الكتب المرتبة في رفوفها ساحراً، وشدنتني كثيراً تلك الألوان الزاهية لأغلفتها الجلدية، وهذا الحشد الكبير من الكتب، كان فانوس الكاز ينتصب على منضدة [تخته] خشبية بجانب الكرسي الملاصق للجدار الغربي، والذي جُعِلَتْ أريكته على طرفه الأدنى لباب المكتبة، بحيث لا تشكل الحركة في الخارج أي تشتيت ذهني أو إزعاج لجو الاستغراق في القراءة، ولعل الشيخ توقع خطوتي التالية باتجاه الرف، فطلب مني الانصراف إلى مرقدتي، فانصرفت فوراً . . . وفي صبيحة اليوم التالي انطلقت في اكتشاف الأدوار السفلية، وهناك عثرت على الكنز كانت حجرة خصصها الشيخ مستودعاً للصحف اليومية التي لا شك أنها كانت تصله متأخرة جداً عن صدورها، أكادس هائلة من صحيفة أم القرى، في أربطة من الكتان، ولا أدري عما كنت أفتش، لكنني نثرتها أجمع، وفتحتها أقرأ أي شيء، حتى الإعلانات المبوبة . . . وقد أقرأ من هذه أسطراً، ثم أنتقل للأخرى حتى انتصف النهار، فغادرت المكان نهياً للفوضى).

وفي عام ١٣٩٨هـ كان قد اجتمع له مبلغ من المال، فنزل إلى مدينتي صيبا وجيزان واشترى كلما كان يحلم به ويتمناه، ومن أهمها مجموعة (دواوين) من المكتبة العقلية في جيزان، وهي كما يقول أول المقتنيات الشخصية في حياته.

عندما التحق شقيقه حسن بالعسكرية، في مدينة خميس مشيط عام ١٣٩٨هـ، ولمعرفته بهواية أخيه، فقد أرسل له مجموعة من الكتب، كان أهمها لديه كتاب (ألف ليلة وليلة) وكتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (روبنسن كروزو) مع مجموعة من أعداد مجلة (ميكي جيب).

ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره عام ١٣٩٩هـ سارع إلى استخراج حفيظة نفوس (تابعية) وسافر مباشرة إلى مدينة تبوك، والتحق فيها موظفاً في الشرطة الجوية، ومن أول مرتب يستلمه أنفق في شراء مجموعة من الكتب منها: (أساس البلاغة) للزمخشري (في اللغة)، و(يتيمة الدهر) للثعالبي (أدب)، و(مروج الذهب) للمسعودي (تاريخ) مع مجموعة عناوين أخرى، فكان المال كما يقول حافزاً له على المزيد من القراءة والاطلاع.

بقي في تبوك إلى جمادى الأولى من عام ١٤٠٢هـ، ثم انتقل إلى الطائف، وهناك تحققت أحلامه أكثر وأكثر، ففيها وجد ما لم يجده في تبوك من وفرة الكتب والمكتبات، وتيسر أبواب الثقافة والمعرفة، فهو يقول: لم يمض كثير وقت حتى عرفت الطريق إلى مكتبة جامع العباس، ومكتبة الجامعة بحي شهار، والمكتبة العامة بحي الربوة، أما المكتبات التجارية فقد كانت أشهرها مكتبة المعارف، ومكتبة المؤيد، ومنهما بدأت أجمع مكتبتي الخاصة، ولما دعاه الشيخ محمد سعيد حسن كمال رحمه الله، بعد أن عرف فيه ولعه بالكتب والاطلاع، إلى زيارته في بيته،

وفتح له كما يقول مخازن كتبه الملحقة بمنزله، جمع كثيراً من تلك العناوين الموسوعية.

وإلى جانب الكتاب كانت هناك مصادر أخرى للثقافة بالنسبة له كالمطبوعات الدورية كمجلة (المختار) من (ريدز دايجست) الشهرية و(المجلة العربية) ومجلة (العربي) التي تصدر في الكويت، وكان شديد الحرص على اقتناء هذه المطبوعات أمضى كما يقول خمس سنوات كان خلالها منهمكا في القراءة الحرّة، يقول عندما يتذكرها اليوم، يمكنه وصفها بالقراءة الجادة.

أعماله الوظيفية:

كما أسلفنا بعدما بلغ السن التي تؤهله لأن يحمل حفيظة نفوس لبلوغه (١٨) سنة عام ١٣٩٩هـ، سافر مباشرة إلى مدينة تبوك، والتحق بالعمل جندياً في سلاح الشرطة الجوية.

مكث في الوظيفة العسكرية ما يقارب (١٤) عاماً، منتقلاً بين تبوك والطائف وشرورة، وشارك خلالها في حرب تحرير الكويت ضمن مجموعة الإسناد الهندسي.

وبعد أن استقال من الجيش في عام ١٤١٣هـ، عاد مجدداً إلى مدينة الطائف، بعد غياب عنها لأكثر من أربع سنوات، عاد لها وهو بشوق شديد ولهفة كبيرة إلى مراتع العلم، وحدائق الأدب ومجانيه، لا يشغل باله شيء غير ذلك، ينتقل هنا وهناك ويبقى الساعات الطويلة في ربوع النادي، يلتقي الأصحاب ويجدد العهد بهم، ويعرض ما قد تجمع لديه من الكتابات والمشاريع الأدبية والصحفية، وفي هذه الأثناء تواصل وتعاون مع الكثير من الصحف والمجلات، وتعرف على كثيرين من مراسلي الصحف وكتابها في مدينة الطائف، وقد عرض عليه حينها الاستاذ خالد ابن محمد الخضري مدير مكتب صحيفة المدينة بالطائف، العمل صحفياً متفرغاً وموظفاً في المكتب معه، فراقته له الفكرة، ووجدتها تحقق له الجانبين الفكري والمادي، فليس لديه حينها مصدر رزق يعتمد عليه، فوافق من فوره دون تردد.

تم تعيينه موظفاً في مكتب صحيفة المدينة بالطائف، وبقي فيها ما يقارب السنة تعلم فيها الكثير وحقق الكثير له وللصحيفة، ثم انتقل إلى مركز الصحيفة الرئيسي في جدة، وطاب له هناك المقام وأحس بالاستقرار، عاش فيها تجربة جديدة ورائعة، فكان عمله في الصحافة شيء مبهر ومشوق، لم يكن ليخطر له على بال، فهي عالم جديد وعمل متجدد، وتجارب يومية ناجحة، وعلاقات متعددة مختلفة، تعرّف من خلاله على ألع الأسماء، في دنيا الثقافة والعلم والأدب، على مستوى المجتمع الحجازي وعلى مستوى المملكة، وتعرّف على أساليب الصحافة ودهاليزها، وما أسرع ما أتقن واستوعب وأبدع، وقدم العديد من الموضوعات الصحفية المميزة، والاستطلاعات الرائعة، ووجد الكثير من الدعم والتشجيع، مما حفزه وزاده نجاحاً

وتميزاً، ونال كثيراً من التقدير والدعم، وتسلم العديد من الشهادات والدروع، من عدة مؤسسات أهمها أمانة مدينة جدة، في عهد معالي الدكتور خالد عبدالغني. ورغبة منه في التغيير وحب التجديد، بعد أن أمضى في جدة ما يقارب العامين، طلب النقل ليعمل في مكتب الصحيفة في جازان، بعد أن اكتسب الخبرة اللازمة، والمعرفة والثقة بالنفس المطلوبة، واكتشف مواهب نفسه وقدراتها الكامنة، فرغب في أن يختبرها على الطبيعة، دون اعتماد على الآخرين، فكانت له فرصة ليثبت نجاحه وتميزه، وليعزز ثقته بنفسه، فكان له ما أراد، حيث مارس عمله فيها بكل جدارة واقتدار، ومن خلاله تعرف على محيطية الجديد، واختلط بالمجتمع الجيزاني والتقى بكوكبة من شعرائه ومثقفيه، وانغمس في تاريخه وجغرافيته، فقام بالعديد من الجولات في مدنها وقراها، في سهلها وجبلها، وأبرز الكثير من تميزها، من خلال العديد من استطلاعاته الجريئة الناجحة والمتنوعة، وقام باستكتاب العديد من أدبائها وعلمائها والمفكرين فيها.

ولما كلف الأستاذ قينان الغامدي برئاسة تحرير صحيفة البلاد، وبما يعرفه عنه من خلال تعارفهما السابق في مدينة الطائف، رغب إليه الانتقال إلى صحيفته، مديراً لتحريرها في منطقة جازان، حيث تم انتقاله، وفيها واصل نجاحاته وتفوقه على نفسه.

وبما أنه عضو عامل في نادي جازان الأدبي، فقد تم اختياره ضمن فريق التحرير من أعضاء النادي، وهم الدكتور حسن بن حجاب الحازمي، والدكتور محمد حمود حبيبي، والأستاذ الشاعر أيمن عبد الحق، فكان له الدور والمشاركة في تحرير أول عدد من مجلة النادي (مرافئ).

بقي يعمل في الصحافة في مدينة جيزان إلى عام ١٤٢١هـ، حتى تشبع من الصحافة، وأرهقه العمل المتواصل الدؤوب، ولطبيعة نفسه المتحررة التي تميل إلى الحرية والانطلاق، ولا تحب أن تقيد بها الرسميات والروتين، وقد أحس أنه حقق معظم ما كان يصبوا إليه ويطمح، لذلك قرر وبكل شجاعة ترك كل ذلك، حيث ترك الشهرة والنجاح، واستبدلها بالراحة والطمأنينة والهدوء، وانسحب من هذا العالم المتحرك الصاخب، إلى عالم السكينة والوحدة والعزلة، يتحرك في حرية تامة، لا رقيب ولا حسيب، يتمتع بوقته كيفما يشاء وعلى ما يريد، في عالم الكتب والفكر والأدب، فاعتكف في صومعة عشقه وأنسه، لا جليس له إلا كتابه ومحبرته وقرطاسه، وقد هيئها في جنبات بيته، ثم هاهو يواصل عطائه وتواصله عن طريق جهازه الحاسوبي عن طريق الشبكة العنكبوتية.

وكما أشرنا فله نجاحات وإبداعات متعددة في الرياضة وفي الفن (التمثيل): فالرياضة عندما كان في العسكرية، انتسب إلى الفريق الرياضي، الذي يمثل قاعدة الملك فيصل الجوية، وتأهل من خلاله إلى التصنيفات، التي أقيمت في مدينة الخرج في فريق اللعاب القوى (الوثب العالي) وحقق فيها المركز الثالث.

وفي التمثيل بعدما تعرف في عام ١٤٠٨هـ على الأستاذ المسرحي فهد بن ردة الحارثي، عضو جمعية الثقافة والفنون في الطائف، انضم عضواً في هذه الجمعية وشارك من خلال أنشطتها في التمثيل، وأدى لوحة طارق بن زياد على المسرح، أمام الجمهور، وهي من تأليف الكاتب المسرحي محفوظ عبد الرحمن، وإخراج الفنان السوداني عثمان أحمد حمد . . وفقه الله وسدده وعفا عنه وغفر له وختم له بالصالحات.

إنه ولا شك يحمل العديد من الصفات والميزات الرائعة، صنع لنفسه مكاناً ومكانة، فهو كاتب مبدع، وأديب لامع، وشاعر ممتع، ومؤرخ مقنع، وناقد مسموع، من عرفه شخصياً وجده أديباً قريباً حبيباً، يحسن الاستماع ويحسن العرض، يأسرك إن تحدث إليك، ويجذبك إن قرأت له، لديه علم غزير، وثقافة ثرة، وفهم قوي، وأسلوب متمكن يعطي الموضوع حقه، لا يتركه حتى يستوفي معانيه، وإن كان في نقده قسوة، فلأنه صريح لا يجامل ولا يحابي، وفقه الله وسدده وزاده علماً وفهماً.

له العديد من الأنشطة، وله العضوية في كثير من مجالات الأدب والثقافة، نلخصها في التالي:

- عضو نادي الطائف الأدبي عام ١٤٠٦هـ.
- عضو جمعية الثقافة والفنون بالطائف عام ١٤٠٩هـ.
- عضو نادي جازان الأدبي ١٤١٥هـ.
- عضو مؤسس في مركز فيفاء الثقافي عام ١٤٢٩هـ.
- عضوية اللجنة الإعلامية بإمارة منطقة جازان خلال الفترة ١٤١٧ - ١٤١٩هـ.
- عضوية تحرير العدد الأول من مجلة مرافئ الصادرة عن نادي جازان الأدبي عام ١٤١٩هـ.

- وله مشاركات في بعض المؤتمرات والتظاهرات الثقافية ومنها:
- مؤتمر تعز (نحو إخراج موسوعة المدن اليمنية) مايو ٢٠٠٩م - تنظيم جامعة تعز.
 - معرض الكتاب الدولي ٢٠١٠م - الرياض - تنظيم: وزارة الثقافة والإعلام.

- وله من المحاضرات والندوات:
- الكشف عن قواعد التعريف في اللهجات العربية القديمة - نادي جازان الأدبي ١٤٣٠هـ.
 - الرواية السعودية النسخة العربية لجائزة البوكر للروائي عبده خال - القناة الثقافية بالتلفزيون السعودي (ندوة) ١٤٣١هـ.

ومن البحوث العلمية:

- عثر في التاريخ.
- الكشف عن القواعد اللغوية في اللهجات العربية القديمة.
- إشكالات اللغة.
- أداتي التعريف أم وأل - قواعدها الغائبة.

وله عناوين منجزة ولم تطبع:

- فيفاء لمحة تاريخية أدبية شاملة.
- من أعلام النساء في جبال فيفا.
- ملامح الاستقلال في البيئة اللسانية (فيفا نموذجاً).
- أناشيد الرعاة (سيرة ذاتية في عمل سردي).
- في صالة المغادرة (مقالة).
- ثقافة الماء في فيفاء (بحث).
- وادي القنبلة (قصة).
- امرأة من ندى (شعر).
- أوتوبيس جازان (رواية).
- تغطية شاملة (رواية).
- مقاربات نقدية (مجموعة مقالات نقدية).
- رسائل قصيرة (نثر فني).
- أيام في الطائف (أدب المذكرات).

مناقشات نقدية:

- مع كتاب (الكنعانيون معينون من جازان) لمؤلفه الأستاذ عبد الرحمن بن محمد الرفاعي.
- مع بحث على الشبكة بعنوان (الذين جابوا الصخر بالواد) لمؤلفه الأستاذ هادي بن أحمد أبو عامرية.
- مع كتاب (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء) لمؤلفه الأستاذ حسن بن جابر شريف الثويحي الفيفي.
- مع كتاب (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) لمؤلفه الأستاذ حسن بن جابر قاسم الحكمي الفيفي.

الحالة الاجتماعية:

زوجته هي الفاضلة/ سعيدة بنت ساري محمد الفيحي.
ولهما من الأبناء:

١. طلال يعمل في المجال العسكري تخصص إشارة.
٢. عادل يعمل فني مختبر جيولوجي في شركة بناء سعودية.
٣. عبد الرحمن يعمل في القاعدة الحربية في الخارج.
٤. أحمد خريج الثانوية وطالب في المعهد المهني.
٥. عمر خريج ثانوية طالب في المعهد المهني.
٦. عبد القادر طالب بالصف الأول الثانوي.

ومن البنات:

٧. مريم طالبة بكلية الطب جامعة جازان، لها إسهامات قصصية إبداعية.
٨. حنان طالبة المتوسطة.
٩. منى طالبة بالأول متوسط.
١٠. جميلة بالصف الخامس ابتدائي.

بارك الله فيه وفي أسرته، وننتظر منه الكثير من الإبداعات، وهو الآن في سن النضج والاكتمال الأدبي والفكري والمعرفي، ليخرج لنا الكثير من البحوث فيما يخدم بلده ووطنه.

وفقه الله وسدده، نقف عند هذا الحد، وإلا فهو بحر لا ساحل له، حاولت أن الملم أوراقي، بعد أن عرّفت بشيء بسيط من شخصيته العصامية القوية، التي لا تتحني ولا تعرف الانهزام، ولا تززعها العواصف مهما اشتدت، بل تزيد قوة وصلابة، لأنه واثق من قدراته وإمكانياته، ولأنه هكذا . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثانياً:
حلقات كتبها (الناقد الكبير)

بعنوان:
مراجعات نقدية في الموسوعة الميساء
(عشر حلقات)

(الحلقة الأولى)

أسعد كثيراً باستعراض عمل كبير بحجم الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء لباحث مجتهد هو الأستاذ حسن بن جابر الحكمي الفيافي حفظه الله حيث بذل ما في وسعه لأخراج الطبعة الثالثة في ثوب قشيب وورق صقيل بتوسع واضح شمل جميع أبوابها وفصولها مزودة بالصور الملونة ومعززة بالوثائق الخطية والمشجرات فجاءت في جزئين مقاس A4 واستهلكت ٢٢٩٣ صفحة يزدان غلافها الأول بلقطات معبرة من جبل فيفا تظهر طبيعته الخلابة ومروجه الخضراء، كما ازدان غلافه الخلفي بمقطوعة من نظم المؤلف يمتدح فيها الموسوعة ويثني على المحتوى الذي ستزدان به فيفا وتزيد حسناً ورونقاً إنما خاتله الوزن في بعض أبياتها كما لحقتها ركافة غير مقصودة بالتأكيد والموقف ليس للشعر وجيد النظم.

أما تقسيم الكتاب فقد اشتمل على إهداء ومقدمة وأربعة أبواب مقسمة على عدد من الفصول وخاتمة، وبرغم الحسنات الجمة لهذا العمل إلا أنه يؤسفني ذلك الحشد مما يصح وما لا يصح من الأخبار والتقارير التي زجها المؤلف في موسوعته وفشت فيها الأخطاء الإملائية واللغوية والأسلوبية بما جعلها تبدو غير ميساء، كما انكشفت قدراته المتواضعة في التأليف والتصنيف فخلط التاريخ بالأساطير والجغرافيا بالخيال القصصي (الفتنازيا).

ويبدو أن المطبعة قد خذلتها فاضطر إلى إعادة طباعة مجموعة من الصور ظهرت معتمة أو مهزوزة في صفحات الموسوعة وتم إرفاقها كاستدراك لهذا الضعف في الإخراج.

والحق أنني تصفحت الموسوعة فور وصولها مهداة من أخي الفاضل مؤلفها وعزمت على عدم الانشغال بها ليس لأنها لا تستحق المراجعة والنقد بل لأنني أردت أن أتيح الفرصة للمهتمين من الشباب للكتابة عن الموسوعة الميساء وتتبع الباحث في بعض آرائه واستنتاجاته التي تحتمل النقاش وتستوعب أكثر من رؤية.

لقد تلقيت العديد من الاتصالات ورسائل الواتساب تتساءل عن رأيي في بعض الموضوعات التي ناقشها المؤلف بعض من تلك الرسائل جاءت متوترة ناقمة على هيئة بيان شديد اللهجة يحتج على الطرح الذي يراه قد نهض يتعلق بأهداب التهكمات و(المزارمات) التي أماتها الدهر.

ولأن الأمر قد جاء بحسن نية من كاتبٍ محبٍ لفيفا وقبائلها له مكانته واحترامه وحفظ حقه وعليه أن يتقبل عتب أهله وعشيرته حين يعتبرون.

من هنا آثرت تناول هذا العمل بالنقد والتقريب ليس من أجل هذه الحادثة التي أرجو أن تكون من تفاصيل الماضي.

ومنهجي في هذه السلسلة بمشيئة الله سيكون تناول الموضوع الواحد في مقال مستقل ينشر في حلقة واحدة دون النظر لطول المقال أو قصره بحيث تشمل القراءة كل مفاصل الموسوعة التي تستدعي النقد والمراجعة.

وقد توزعت المقالات على تلك العناوين المفصلية كجغرافية فيفا وقبائلها وأنسابها مع تناول الوثائق في ملف مستقل لنتعرف من خلاله على مدى نجاح الباحث في استغلالها وتوظيفها لصالح البحث.

كما أنني من خلال هذه السلسلة سأطرح رؤية يتم بموجبها تشكيل فريق يأخذ على عاتقه تدوين ما علم من الأنساب وما صح في التاريخ والتراجم لأعلام فيفا ليكون مرجعاً لمن رغب الاطلاع والبحث لتجنب العيب والعبث والرؤى المتضاربة حول قضية لا تحتمل الأخذ والعطاء والمراجعة.

(الحلقة الثانية)

لكي يخرج علينا المؤلف بجغرافية مختلفة وحقائق تتعارض مع مافي أذهاننا فكان لابد أن يضع عنواناً مستقلاً ضمن الفصل الأول تحت عنوان: {فيما القديمة أكبر} ويقتضي ذلك ابتكار تسمية جديدة كانت هي (بلاد فيفا) ثم يحشد أدلته التي نعرض لها فيما يلي:

الدليل الأول: (ص ٤٩) ينقل من الجوهرة المنيرة للجرموزي قوله (وبلاذ فيفا وهي الأراضي المتصلة ببلاذ قحطان في السراة وتهامة إلى قرب ضمد وبوصان) وينقل قوله (وبلاذ فيفا من مغارب نجران بلاذ واسعة) ثم ينقل ما قد يتوهمه القارئ نصاً ثالثاً للجرموزي دون تنقيص: وأما بنو مالك (يقصد بني مالك) من أهل فيفا... إلخ ثم يذكر (يعني الجرموزي) بأن أهل فيفا قبائل متعددة من بني مالك وأهل حبس وآل كثير!!، ثم لا يقلل اقتباسه المتوهم بعلامة تنقيص ولا يحيلك لورقة المخطوط ولا شيء من ذلك.

وأقول: الجرموزي لا علاقة له بجغرافية اليمن ولا الجزيرة العربية ولا يرجع له في البلدانيات أو التقسيمات الإدارية ولا يعتد به في ذلك البتة. ومؤلف الموسوعة لم يذكر أن الجرموزي يكتبها مرة بلاد فيفا ومرة يطلق عليها جبل فيفا هكذا دون ضابط مضطرب بل تعمد (أعني صاحب الميساء) إلى إيهام القارئ بأنه اقتبس هذا من صعيد واحد فحشده مع التصرف بالنص ودون أن يعزو كل اقتباس إلى الورقة المعنية به من المصدر الذي حقق منه أجزاء عدة كرسائل علمية، وعلى هذا فقد خلا نص الموسوعة من أي إشارة مرجعية أو أقواس مع استباحة النص والتصرف فيه ويمكننا الحكم على الدليل الأول بالسقوط وعدم الأهلية للقوادح المذكورة.

الدليل الثاني: (ص ٤٩) عن الشرفي في اللآلئ المضية (المضيفة) قوله: إنه كان لأهالي فيفا أسواق وبلاد تتصل بتهامة. وهو لا ينقل نصاً ولا يحيلك إلى الورقة من المخطوط ولا شيء من ذلك. وأقول: ليس في هذه العبارة ما يفيد وجود جغرافية تمتد من تهامة قحطان إلى ضمد يطلق عليها بلاد فيفا الواسعة!! بل يعلم بالبدية أن جبل فيفا هو الأقرب جغرافياً للحزون بل وتهامة وهو الجبل الذي ذكره الأمير نصر بن مأكولا أنه يرى من ضمد.

ومن البديهي أيضاً أن كلمة (الاتصال) لا تعني امتداداً لفيفا إلى تهامة أو تماساً أو ملاصقة أو مجارة بمقدار ما نفهم أن فيفا وسفوحها مأهولة بالعمران ذات تواصل تجاري مع تهامة يتم فيها تبادل السلع، والنص أعلاه أثار عليه التصرف من قبل

الباحث فأصبح خارج الاحتجاج خلواً من أي تقسيم إداري ينص على وجود جبل يعرف بفيفا إلى جانب مجموعة جبال تعرف بفيفا ولكنه تحميل للنص لما لا يحتمله وتكلف بين جلي وكان أجدر بالكاتب سيما وهو أعلم بجغرافية فيفا وهو أحد أبنائها تعديل وتصحيح ما خلط فيه الجرموزي أو غيره وهذا ماننتظره ونتوقعه من باحث نعه من أهل فيفاء ومن باحثيها فكان على خلاف ذلك حيث جاء يعزز أخطاء الواهمين ويدعمها.

الدليل الثالث: (ص ٤٩) عن الكبسي محمد بن إسماعيل قوله (وبلاد فيفا وهي أرض نازحة متصلة ببلاد قحطان وفي التهائم إلى قرب وادي ضمد . . ثم في السطر الثالث يكتفي الباحث بوضع نقطة متناسياً إغلاق القوس أو وضع حاشية يحدد الورقة التي اقتبس منها).

وأقول: هذا النص الذي فتح الباحث له قوساً في مستهله ولم يغلقه هو كلام الجرموزي أعلاه رغم التصرف الطفيف الذي طرأ عليه (أعني نص الجرموزي) وبلاد فيفا وهي الأراضي . . نجد العبارة هنا أصبحت (وبلاد فيفا وهي أرض نازحة) بدل (الأراضي) . . ثم نقرأ نفس النص دون أن تتغير بقية ألفاظه.

وسواء كان بفعل تصرف الباحث أو الناسخ فليس هناك فرق بين النص المصدر للجرموزي وبين من نقل عنه كما سنرى والباحث تعمد إغفال المرجع الذي نقل عنه أو اقتبس منه للكبسي إذا ما علمنا أن تراثه في التاريخ خمسة عناوين أشهرها اللطائف الذي ذكره الباحث في قائمة المصادر نهاية الجزء الثاني.

وعليه فهذا التعريف آفته الجرموزي لم يحضر ولم ينظر بل كان معوله في هذا التخليط على بعض المكاتبات وخطابات الحملة التي تصل لشهارة معقل الإمام محمد ابن القاسم فلا يعتد بنص الجرموزي هذا لا في جغرافية ولا تاريخ ولا أنساب.

الدليل الرابع: (ص ٤٩) عن الجرافي قوله: وبلاد فيفا أرض نازحة متصلة ببلاد قحطان في السراة وفي تهامة إلى قرب ضمد . . وفي السطر الثالث يضع نقطة ولا يحيلك لشيء.

وأقول: هي محاولة يائسة بائسة من الباحث للاستكثار والتقوي فكرر الشاهد نفسه لمجموعة نقلوا عن الجرموزي وإلا قد علمت الإنس والجن أن لا شيء بين أيدينا غير ما ذكره الجرموزي وحسب.

وقد أشرنا سابقاً أن لا دليل فيه لعدم الاضطراد . . والحدود المذكورة في النص إنما هي المنطقة التي استهدفها حملة الإمام وجرى اجتيازها من قبل الجند وبموجب هذا النص للجرموزي وقع الغلط التاريخي في وصف سكان فيفا بتلك الأوصاف الباطلة التي ذكرتها البسام في كتابها (الإمام محمد ابن القاسم في اليمن) فلا تصح أبداً.

وربك أعلم أي ديرة كانوا يقصدون وفي أي أرض صادفوا مثل تلك الحكايات المشينة التي لا تصدق في فيفا وأهلها العرب الكرام. فالجرموزي ومثله الشرفي عندي غير ثقتين فيما روياه عن فيفا ولا أثق بهما في غير ذلك . . ولو وثقهما مؤلف الموسوعة الميساء ولا أظنه سيفعل فإن التوثيق سيجر عليه الولايات والطوام التي تقتضي مسبة الدهر . . فاسألوه عما حكياه في حق أهل فيفا هل يصح؟ وسترون جوابه!!.

الدليل الخامس: (ص ٤٩) عن موسوعة المدن والقبائل اليمنية للحجري قوله (حاشية) فيفاء: بلد واسع من بلاد خولان بن عمرو بن الحاف ا.هـ . ثم يحيل للنص ص ٦٣٦ من المجلد الثاني. وأقول: بلد واسع؟؟ أين حدوده؟؟ . . هذا كلام مرسل دون قيود وليس فيه ما يعتمد عليه كي نتصور هذا الاتساع واليمن بلد 'والسعودية بلد' وسوريا بلد والقول يحتاج إلى ضبط وعند البلدانبيين الكلاسيكين بلاد البحرين وبلاد السودان رغم الفرق الشاسع في المساحة كما تكون عند المعاصرين مصر بلد وقطر بلد.

الدليل السادس: (ص ٤٩ و ص ٥٠) يقول الباحث نفس الصفحة: (وذكر الويسي صاحب كتاب اليمن الكبرى: أن فيفا وبني مالك وثيران من مآتي وادي بيش من الجهة الغربية).

كل هذا دون أن يشير لنص مقتبس أو أي إحالة . . ثم يدافع عما اعتقده اقتباساً فيقول (ص ٥٠) (ونحن نعلم أن مآتي وادي بيش وروافده كثيرة جداً ومنها جبال الريث كجبل القهر (وادي لجب) الجبل الأسود جبل العزيين. وحتماً أن الويسي لا يقصد هنا أن من مآتي وادي بيش جبل فيفا المعروف حالياً بل يقصد أحد جبال (بلاد فيفا الواسعة) التي ربما اشتهرت في زمن الهمداني بأنافية. وأقول: نحتاج هنا لجرعة يسيرة من التشريح فلقد عطف فيفا على بني مالك فقال (فيفا وبني مالك وثيران) من مآتي بيش . . فإن صح النقل فهذا دليل يدحض كل ما دندن حوله صاحب الموسوعة من وجود شيء له الاسم والصفة: (بلاد فيفا الواسعة) طالما عطف إليها بني مالك إلا أن تكون خارج هذه المنظومة التي اخترعها صاحب الموسوعة؛ فلو قال . . اعني الويسي: ومن مآتي بيش مجموعة من الجبال الواقعة أواسط بلاد فيفا؛ حينها يمكن اعتباره شاهداً على وجود شكل جغرافي يعرف بهذا الاسم لكن الحقيقة يبقى شكلاً سورياً لا وجود له إلا في رأس مؤلف الموسوعة الذي تجاهل العطف والمعطوف عليه ولم يصحح الخطأ الجغرافي الذي وقع فيه الويسي وكان حق القارئ على المؤلف أن يبين أن هذا قول من لا يعرف المكان لا أن يفسر هذه السقطة بما رأينا بحيث جاء هذا الاقتباس مقوضاً لكل ما أسس له.

ويضيف: (كل هذه التعاريف القديمة ومنذ قرون عديدة وكذلك الحديثة تدل دلالة واضحة وتجمع بأن فيفا كانت في الماضي أكبر مساحة من وقتنا الحاضر بكثير) ص ٥٠ .

وأقول: لا إجماع ولا ما يحزنون وإنما هو نص واحد لمظهر الجرموزي ولا سواء تناقله القوم حرفياً وعلى غير بصيرة أو هدى حتى أراد الباحث توظيفه لدعم فكرة آمن بها وتعصب لها وسعى هرولة باتجاهها دون أن تفرض نفسها عليه وتبقى (بلاد فيفا الواسعة) شيء لا دليل عليه.

ثم يقرر باطمئنان قائلاً (ولذلك فبلاد فيفا الواسعة قديماً لم يكن يقصد بها جبل فيفا الحالي بمساحته الحالية بل كانت تشمل جبل فيفا الحالي وجبال بني مالك وحريص الحشر وهذا أمر مؤكد كما شاهدنا في المراجع والمخطوطات أنفة الذكر، بل ربما شملت بعض المجاورين كهروب ومنجد بل وربما الريث لأن حدودها كما رأينا إلى سراة وتهامة قحطان وإلى القرب من ضمد) نفس الصفحة من الجزء الأول.

وأقول: هذا ما يبحث عنه ولو لم يجد ما يتعلق به لابتكر أدلة توصله لما في ذهنه فهذا المط والتمدد الجغرافي سيوفر له أساساً عريضاً للبناء فهل سيستغله؟ سنرى!!.

ثم تأتي مرحلة التأصيل واعتماد المصطلح فيضع لها تعريفاً بقوله (إذا قلنا بلاد فيفا فالمقصود بها مساحة كبيرة يدخل فيها مجموعة جبال وسهول وفيافي وقفار وأودية ومنها) (ركز على قوله منها) ومنها جبال فيفا ومن فيها وجبال بني مالك ومن فيها وحريص الحشر وربما بعض القبائل القريبة؛ أما إذا قلنا جبال أو جبل فيفا فنقصد به جبال فيفا الحالية بما فيها . . وإذا قلنا جبال بني مالك فإنما نقصد جبال بني مالك الحالية بما تحمله من قبائل . . أما قديماً فكانت هذه الجبال وهذه القبائل بمجموعها تعرف ببلاد فيفا الواسعة) نفس الصفحة.

وأقول: بلاد فيفا، وجبال فيفا؛ وفيافي، وجبل فيفا، اسم واحد للجبل المعروف عينه ولم يرد في التراث المنقول كتابة أو مشافهة تقسيماً جغرافياً كهذا أو يقترب منه ومؤلف الموسوعة الميساء هو المسؤول عن اختراعه وإخراجه للناس فلوى لأجل ذلك أعناق الأدلة وتكلف التأويل والتصرف في النصوص كي يظهر بعلم جديد.

والمعروف أن جغرافية الدول والممالك والكيانات السياسية وحدها من قد تصاب حدودها ورقعتها الإدارية بالانكماش أو التتمدد وفقاً لنفوذها وانحساره . . أما الأمكنة والشواخص الجغرافية كفيفا فتظل على حالها دون زيادة أو نقصان.

لكن الباحث يضيف بهدوء ودون ضجيج قوله (ويذكر كبار السن في وقتنا الحاضر أن مساحة فيفا تمتد لأكثر من مساحتها الحالية ولا زال البعض منهم يذكر بعض الأماكن في القبائل المجاورة كانت تحت ملك فيفا حتى وقت قريب) ص ٥٠ .

قلت: لا يتحدثون عن مقاطعات اخترمت من فيفا على أن الجميع وليس كبار السن يعلمون منازعات حول مراعي القدة وبعض الأطراف لجورى والمشرق وليست قديمة بل معاصرة ومعاصرة جداً وتلك المنازعات يتم الفصل فيها من قبل شيوخ الحدود من الجهتين . . أما عدى ذلك فمحض أوهام.

ولنتساءل: ما الذي يترتب على ابتكار مسمى (بلاد فيفا الواسعة) مع وجود اسم (جبل فيفا) كعلم مستقل لا يقصد به الأول؟ ولأقترح بعض المهمات التي يوفرها هذا الاختراع فيما يلي:

- ١- البحث في نقطة أرحب وأراض واسعة والخروج بغلة وفيرة تستحق النظر.
- ٢- المحافظة على سلامة العنوان ليظل (فيفا) ويبقى مطابقاً لما يتم نشره فلا يتعارض العنوان مع المضمون.
- ٣- استعداد هذا الحيز الجغرافي الرحب لاستيعاب ما يصل لأيدهم مما يستحق التدوين والخوض في الأنساب وخلافه كما رأينا في إصداري الحسنيين: (الاستقصاء والميساء).

(الحلقة الثالثة)

فيما يخص جغرافية فيفا التي اعتقد المؤلف أنها كانت مختلفة زمن حملة الإمام محمد بن القاسم فنقل عن الجرموزي كل النصوص التي نُقلت بدورها عنه ليستدل بها فبينتُ في الحلقة السابقة الخطأ الذي وقع فيه الجرموزي ومن تابعه وأشارت إلى أنه عندي غير ثقة فيما دونه عن تلك الحملة وكلامه لا يعتد به في جغرافية فيفا وتاريخها وأنسابها ولا أحسب المؤلف حسن بن جابر الحكمي إلا سيتنبه لذلك ويزهد عن تخطيطات الجرموزي وي طرحها جانباً عن قناعة تامة بهزالتها ومخالفتها للواقع التاريخي.

وقد يقول قائل: إن مؤلف الموسوعة الميساء قد وثقه بالجملة عندما نقل عنه . . . وسكت عن حاله في روايته.

وأقول: الرجل باحث اجتهد ولم يكن يتصور سلفاً مغبة الأخذ من المؤرخين الضعفاء المدلسين الكذابين أمثال الجرموزي صاحب الطوام المهلكات الصيالم فلا لوم عليه لعذر كالجهل بحاله . . . أما تاريخ فيفا وجغرافيتها وأمجاد قبائلها فلا يرجع لها عند الجرموزي الكذاب وأمثاله الهالكين.

وعلى هذا فليس صدقاً القول أن هناك فيفا قديمة كانت تتمدد من تهامة قحطان حتى مشارف ضمد!! وإنما الصدق حين يقولون: (فيفا من الحلقة للميثة) ومن قال خلاف ذلك فقد جانب الصواب . . . ومن أراد أن يكتب ويؤرخ ويؤلف عن فيفا فليسأل الأدنى من أهلها ينبيه عن حدودها فلا يخرج علينا بجرموزي لا يعتد به في أي شأن يتعلق بفيفا فهو سيكون به أجهل وأبلغ جهلاً.

ونعود لاستنتاج الباحث الأخ حسن جابر الحكمي الذي يجد بأن هذه البلاد الواسعة قد اختارت أن تكون وسطاً بين شعوب الأرض المحيطة.

فقال: (ولذلك فهذه البلاد الواسعة كانت ذات موقع محايد بين مواقع قبائل مذحج وقبائل خولان وقبائل الأزدي وبعض القبائل العدنانية) ص ٥٠ وقد يكرر نفس الذي ذكره.

فيقول: (وقد اتضح لي بعد دراسة موقع بلاد فيفا وبعد التدقيق والتمحيص لحدودها المبينة على الخريطة بأنها أرض واسعة تقع بين مواقع مشهورة حيث يحادها أجزاء من بلاد خولان . . . وتجاورها بلاد مذحج . . . وقبائل جنب . . . وبعض القبائل العدنانية . . . ولأزدية) ص ٥٢ .

فهنا الباحث قد تعجل كثيراً في الاستنتاج ولم يتأمل منطقياً ما قرره بأن فيفا الواسعة تقع في فج أفيح على ملتقى الأعراق فلا هي إلى أمة دون سواها أي ليست إلى خولان صرفاً ولا إلى مذحج صرفاً ولا إلى الأزدي صرفاً ولا إلى عك صرفاً وإنما ستكون بقدرة قادر خليطاً من كل ذلك.

والمعنى: أن بلاد فيفا أصبحت خارج المنظومة الخولانية بحيث أصبحت خولان من حدودها وتلك مجازفة في غاية الجراءة، ومهما كانت هذه المغامرة ستفتح أمامه نافذة (واسعة) على الأعراق المختلفة وتوفر له بيئة مثالية لاقتراح مزيج غير محدود من الأصول والسلالات العربية والانتماءات المتعددة إلا أن ثمن ذلك سيكون باهضاً! .
فهذا التشكيل الجغرافي الجديد من شأنه التأثير على واقع الأنساب في فيفا وذلك ما صرح به الباحث.

قائلاً: (وإلا لو كانت تعود إلى جد واحد كخولان مثلاً أو مذحج لما عرفت ببلاد فيفا بل ستكون امتداداً لبلاد خولان المجاورة) ص ٥٣ .

قلت: مهما تعددت المسميات فلا تعني إلا فيفا المعروفة ولا عبرة في ذلك الحشد فهو باطل مهما توقعه الباحث معالجة مثالية قد تخرج فيفا من بلاد خولان التي يعتبرها الشاعر يحيى بن محمد العبدلي مرتع بازله حيث يقول:
شبات في ساق الغراب ازول واستدير
وانشد من الدير

بلاد خولان ابن عامر ملك بازلي.

وفيفا تعرف ذلك شعراً ونثراً تاريخاً ونسباً فلم الافتئات والتجني؟ .
وفيفا امتداد لديار خولان بن عامر وفيفا رأس حربة اليهانية، كما هو معروف منذ الأزل تماماً كما أن منبه رأس حربة فرود، وما زال القيل للكتلتين اليهنوية والفرودية في قبيلة آل سعيد من بني مالك منذ الجاهلية أي من قبل البعثة . . وهو اليوم صاحب عثوان.

ولأن فيفا تحيطها قبائل يهنوية وفرودية تنتسب لخولان بن عامر . . من الجنوب والجنوب الغربي حريص يهانية من خولان . . ومن الغرب والشمال الغربي قبائل بلغازي فرود من خولان . . ومن الشرق والشمال الشرقي قبائل بني مالك يهنوية من خولان.

هل هذه حدود فيفا الثابتة أم لا؟ وهل هذه القبائل هي لخولان بن عامر أم لا؟ .
فكيف ستكون ردود الفعل من القارئ الذي يعرف هذه الحقائق فيجد الباحث قد ساق له معلومات مغايرة تتشبت بالواهي من الدلائل التي لا تصح؟ .
الم يقل الباحث إن فيفا تحاد خولان . . أي ليست منها وإنما تقع على حدودها . . فهل صدق أم لم يصدق في ذلك؟ .

من ناحيتي أجده مجانِباً للصواب.

ثم الم يقل الباحث: لو كانت فيفا من خولان لما سميت فيفا؟ .

من ناحيتي فلم أجده مصيباً فيما قاله.

وتلك بعض الخسائر التي تكبدها الباحث لقاء جنايته في هذه التقارير غير المحسوبة.

والحسن بن أحمد الهمداني في صفة جزيرة العرب يخالف الباحث في جغرافية بلاد خولان عندما سردها في نص طويل ختمه قائلاً:
(فهذه بلد خولان على حد الاختصار وأغوارها داخلة في تهامة أبران وأم جحدم وفي أعلا السراة إلى سراة جنب) الصفة ص ٧٩ .
أنظر الصورة المرفقة.

وقال أيضاً (ومخلاف عثر ساحل جليل ومدينة بيش ورحبة أبراق وفيه من الأودية الأمان ووادي بيش ووادي عتود ووادي بيض وريم وزنيف ووادي العمود وهو لخولان وكنانة والأزد) الصفة . . يقصد أعلاه لخولان.

جاء الإصرار على أن فيفا الواسعة التي استتبطها الباحث ليست من بلاد خولان وإنما تقع في حدودها ليقرر أنها خليط من أصول متباينة شملت كل العرب تقريباً فجاء التكريس لهذه المعلومة الجديدة في سلسلة متصلة متواترة من العبارات المتكررة على ثلاث صفحات ٥١ و ٥٢ و ٥٣ . . إنها (الأحلاف) حيث جاء التكريس في عملية طرق متواصلة.

فقال:

- ١- (فهذه البلاد . . سكنها مجموعة من القبائل المتحالفة) (ص ٥٠) .
- ٢- (بحيث أصبحت كل تلك القبائل المتحالفة . . لا تعرف إلا بقبائل خولان بن عامر) (ص ٥٠) .
- ٣- (وهي ليست كذلك إنما هي عبارة عن مجموعة أحلاف تجمعها بلاد فيفا) (ص ٥١) .
- ٤- (وتحمل تلك الجبال . . العديد من القبائل الخولانية والمذحجية والأزدية والعدنانية المتحالفة) (ص ٥١) .
- ٥- (بينما هي في الواقع مجموعة قبائل متحالفة) (حاشية ص ٥١) .
- ٦- (ولذلك فبلاد فيفا خليط متحالف من بعض خولان وكندة ومذحج والأزد والعدنانية) (ص ٥٢) .
- ٧- (فكل تلك القبائل المتحالفة . . قد جمعتهم عدة أحلاف) (ص ٥٢) .
- ٨- (وقد ظهر أثر تلك الأحلاف في شخصياتهم المختلفة عن شخصيات البلدان المجاورة) (ص ٥٢) .
- ٩- (فخرجوا بعد تلك الأحلاف والاتحاد والمصاهرة واختلاط الدماء والأخوة) (ص ٥٢) .
- ١٠- (بثقافة وبلهجة شبه موحدة لأحلاف قبائل فيفا الواسعة) (ص ٥٢) .
- ١١- (لأنها عبارة عن بلاد متوسطة بين تلك البلدان المجاورة تحمل خليط واسع (خليطاً واسعاً) من القبائل الخولانية والمذحجية والأزدية والعدنانية) (ص ٥٣) .
- ١٢- (لأنها وكما ألمعنا بلاد بها العديد من القبائل المتحالفة والتي تعود لأكثر من جد) (ص ٥٣) .

١٣- (إن مساحة هائلة كهذه . . التي يطلق عليها بلاد فيفا الواسعة وما تحمله من قبائل متحالفة لا يمكن أن تعود لجذ واحد) (ص ٥٣) .
١٤- (بل إن التفسير المنطقي أنها بلاد واسعة تحمل العديد من القبائل المتحالفة التي تعود لأكثر من جذ كخولان ومذحج وأسد وعدنان وغيرهم ربما!!) (ص ٥٣) .
١٥- (ولكن لأن قبائل بلاد فيفا ومنها قبائل جبال فيفا تجمع العديد من القبائل المتحالفة المختلفة الأجداد ويلفها الغموض) (ص ٥٣) .
قلتُ: هذا الضغط والإصرار المحموم لا يبرره الواقع ولا يكاد طالما كانت قبائل فيفا تعرف جيداً لمن تنتسب ولم يفقدوا نسبهم ولم يختصموا لأي جذ يذهبون ولم يسمعوا بتلك الأنساب من قبل . . والله أن بعضهم سألني ماهو مذحج المذكور؟ أهو أمر جيد أم لا؟! .

من زمان نقلتُ لكم عبارة مشهورة لدى العرب وهي (الناس مؤتمنون على أنسابهم) فلماذا كلما ألف مؤلف عن فيفا أقتحم أنسابها يقص ويفصل وينسب من تلقاء نفسه إلى فلان وعلان زوراً وبهتاناً . . فأما فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيفي وهو أول من ألف عن فيفا فینسبها لخولان بن عامر وقد وافق روايتهم وأصاب . . وأما صاحب الاستقصاء فینسبها لمذحج وقد خالفهم ونسبهم إلى غير أبيهم . . وأخيراً صاحب الميساء ينسبها إلى سبعة أجداد متفرقة وقد خالفهم ونسبهم لغير من ينتسبون إليه.

فما هذا التخليط والعك في أنساب فيفا وقد انتسبوا لخولان خلا الأسرة التي تنتسب للأشراف؟ .

والأنساب قضية لا تحتل الأخذ والرد والاجتهادات من كل عابر . . وأهل فيفا قد يتجاوزون عن أبنائهم بدافع الشفقة والحدب وإلا فهذا الخلط والعك غير مقبول وليجرب المجربون وهواة التأليف في أي حقل معرفي آخر غير أنساب قبائل فيفا طالما ليس فيها التباس ويسعهم ما ذكروه ونقل من ينتسبون إليه دون تغيير ولا يجتهدون فيما لا يجوز فيه الاجتهاد.

يقول المؤلف حفظه الله:

(وسنرى . . أن البعض ممن أرخ لتلك الفترة الزمنية (مستهل القرن الحادي عشر) لم يصنفوها كقبائل خولانية أو أي تصنيف آخر مع أنهم قد صنفوا بكل وضوح قبائل خولان وغيرها) (ص ٥٣) .

قلتُ: فمنهم الجرُموزي الذي نقل عنه الشرفي والجرافي والكبسي؛ وعلى سقم عبارته وتخليطاته فإن الباحث قد عده مصدراً ونقل عنه دون أن يلتفت لعبارته التالية التي نقلها الكبسي في لطائفه ص ٣٢٤ قائلاً: (ووقع بعد ذلك خلاف بعض خولان الشام . . فأرسل الإمام المؤيد أخاه الحسن بن القاسم في عسكر كثير . .).

ثم يسرد تحركاته وغزواته في خولان إلى أن توجه لبلاد فيفا؛ ألم يقرر بأن خولان الشام وقع منها خلاف؟ من ناحيتي لا أجد الباحث ملزماً بالنقل عن الجرهموزي أو غيره ممن نقلوا عنه . . لكن وقد اقتبس منه وتخذق في صفه فلماذا تجاهل عبارته تلك ونفى أن يكون أياً من المؤرخين بعد الألف قد عد فيفا من خولان؟ . هل من مجيب؟ الأمر متروك للقارئ المنصف.

وفي موضوع اللسان نجد الباحث . . يقول:

(ولعل وجود بعض القبائل العدنانية . . كان له صلة كبيرة بوجود الكثير من الكلمات العربية الفصحى وانتشارها في بلاد فيفا) (ص ٥٢) . قلت: فهذا استدلال عجيب غريب . . ومبحث في غاية التعقيد وكيف يمكن معالجته؟ ولا سبيل إلى الإحاطة بحدوده فاللسان نعتقه عربي فالأمة عربية . . وكيف يمكننا فرز الأعجمي ثم ننسبه لخولان ونميز الفصيح وننسبه لعدنان . . والمسألة تبدو عويصة جداً . . ولنفترض أننا طلبنا من الباحث أن يحل لنا هذا اللغز فيسوق لنا أمثلة الفصيح من ألفاظ العدنانيين الداخلين في فيفا . . وفي المقابل يسوق لنا أمثلة من غير الفصيح الذي يدور على السنة قبائل فيفا من غير العدنانيين . . ثم ما مدى حدود العجمة التي أصابت اللسان العدناني لقاء اختلاطهم بقبائل فيفا ذات الألسنة غير الفصيحة؟! .

شخصياً أجد هذا نتيجة حتمية لما بني على باطل . . وليس هذا فحسب فالباحث لديه رؤية شاملة لمسمى (خولان) فما هو يا ترى؟! تأمله حين عثر على الخول يقول (ولذلك أقر العلامة المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري صاحب كتاب مجموع بلدان اليمن وقبائلها ما ذكره ياقوت الحموي عند تعريفه لخولان حيث قال بعد أن عرف خولان بن عمر بن الحاف قضاة . .

قال: ويجوز أن يكون فعالان من الخول وهم الأتباع؛ إذن فهناك حلفان عظيمان (!!)) قسم (!!)) قبائل خولان إلى قسمين يهنوي (يهانية) وفرود (فرودي) وليس بالضرورة أن تكون كل تلك القبائل من صلب النسب ففيها من الأتباع أيضاً كما رأينا) ص ٧٧ ج ١ .

قلت: هكذا إذن الخول هم الأتباع وقبائل خولان ماهي إلا مجموعة من الأتباع التي لا يجمعها نسب بل أحلاف . . لاتعليق!! .

ويند ومنها سوق عظام والعرقه بلاعة وهي لمن يخالفن جبل مسور ومن في جبل تيس الجراي، الجريب هي سوق لأهل قحاة ومكة وعتر وجميع بلد همدان، السحيلة سوق لحجور يتسوقه أهل قحاة وأهل الجبال.

مخلاف صعدة من حولان قضاة

أما حفل صعدة فإنه يحتفل من بلد همدان ولذلك حير في كتاب الأيام ومدينة حولان العظمى صعدة وأحدثت قرية العيل من قرب صعدة، وصعدة بلد الدباغ في الجاهلية الجهلاء وهي في موطن بلد القرط ربما وقع فيها القرط من ألف رطل إلى خمسة بدينار مطوق على وزن الدرهم الثقيلة وأما ظاهر حولان فهو أسل وفيه قرى وزروع وأصناف، وأقنقن وحبل أبلر مثل حبل وأبلر مثل حبل ذخار من الجبال التي في رؤوسها الماء والمرعى والزروع والقرى والوقر، وفروة وهي أرض سيل وآبار ولا نهر فيها إلا بالعدة والبطنة ففيها غيول وأودية صعدة دماج وعليه أعشاب والخائق وريحان والهاويات وقضان والعيل وبسلك في البطنة في أسفل العشة ويلقاء من أوديتهم وادي عكوان ويمدّها من المغرب وادي ربيع ونسرين، ويتصل بها سبل الصحن ووادي علاف وعلاف حير أودية حولان أكرمها كرمًا وأكثرها حيرًا وزرعًا وأغنياء ومباشية وهو لبني كليب والصعديين وتجتمع مياه هذه الأودية بالفقارة من أسفل البطنة ثم إلى بلد سابقة من همدان ثم إلى نجران صعدة ساكنها الأكليون من آل ربيعة بن سعد الأكبر بن حولان ويرسم جماع قبائل من الكلاع ومن همدان ومن سعد بن سعد ومن باقي بطون حولان وغيرها وفيها بيت من الأبناء، البطنة والعيل والعشة لبني سعد بن سعد سرور حولان وحضير والأخيار لبني سعد، الخاضنة وصبر لوادعة، الخيت لمسلم ومباقي من بني سعد، قراط ويسم لبني سعد رغافة، ويوصال لبني جماعة من حولان ولبن رشوان بن حولان سراقا إلى دغا لبني تور والأبقور ورزاح ودغا لبني صحرار بن حولان، قيوان وأنافية لهم ولبن حذيفة والأبقور، غيلان لرازح من حولان، عراق لبني نجر من آل ربيعة، قرية وسخة لبني بشر وبين يعق وهم الأكم من حولان، ساقين لبني سعد بن سعد وبين شهاب، عقارة وحيدان لبني شهاب بن العافل من كتدة أحلاف آل ربيعة، تضراع لبني حمرة، موطك لبني حمرة، من سعد، العيلاء وكهلان لبني حمرة كما لبني سعد، العرض لبني تور من سعد، القفاعة سوق معدن حمرة، السرو وحرب لبني حي من حولان، غنم وبدر لبني حي، المذرى وعرو وعمر للمعا، فهذه بلد حولان على حد الاحتصار وأغوارها داخلية في قحاة ايران وأم حخدم وفي أعلا السرة إلى سرة حنب وفي تحتها يتصل بلد وادعة.

بلد وادعة السحلية بقعة وعوذان والتوبة وغيل علي، ووادي غرد وأعلى وادي نجران فإلى جبل شوك فقاضي دين فالزبران فإلى مهجرة فالمنطج فعمل علي فالحاويات فأرييب فالحاحل والذي تشام في هذه

(الحلقة الرابعة)

إن مبحث الأحلاف لدى قبائل خولان الذي تناوله الباحث يعد جديداً في بابهِ حسب اطلاعي إذ هو الأول عند كافة المؤرخين الذين تناولوا نفس الموضوع . . وأملّي أن يتطور هذا المبحث الطريف مستقبلاً على يد الباحث نفسه أو على يد المؤرخ الذي يليه ممن ينتمون للأجيال القادمة فربما كانت مرحلة مستنيرة تتاح فيها الوثائق التاريخية لكل باحث وتصبح أقرب للتناول.

إن موضوع الأحلاف في الموسوعة الميساء – جاء سابقاً فكان النواة – ولهذا لا غرابة أن يعتوره النقص ويظهر ببعض الهنات وهذا لا ينفي الجهد المبذول من قبل الأستاذ حسن جابر الحكمي وفقه الله . . الهنات التي يمكن تجاوزها مستقبلاً كالقلق والتضارب . . فالباحث أراد توظيف مبحثه في الأحلاف – بالدرجة الأولى – لإثبات تعدد انتماءات قبائل فيفا وتوزعهم على أصول متباينة ولو وفقه على الكتلتين اليهودية والفرودية لأصاب لكنه أراد التعاطي مع ما يعتبره أحلافاً داخل العمائر والفخوذ في القبائل الفيفية فاستهله . .

قائلاً: (ويهمنا في هذا البحث من أولاد خولان هاني بن خولان حيث إن له عدداً من الأولاد كزنامة ومن أشهر أحفاد هاني قبيلة جماعة وإلى هاني هذا تنتسب معظم قبائل فيفا وبني مالك وبني حريص الحشر وحريص الحميرة وآل تليد وقيس وجماعة وآل طارق الذين يعودون من جبل ظهران موطناً ومن صحار بن خولان نسبا) (ص ٧٥) .

قلتُ: هنا نظرية واسعة يتم تطبيقها في نطاق ضيق دون حذر . . ولهذا لم يذكر هلالاً وإنما قال من أحفاد هاني جماعة رغم معرفته أن هلال بن هاني أشهر من زنامة الذي ذكره . . وقد يتساءل البعض مدافعاً . . فيقول: ولم يذكره تصريحاً وقد أشار إليه تلميحاً عند إيراده لبني جماعة؟ وفي ذلك غنى !! .

قلتُ: سيذكره في مكان آخر على استحياء والسبب في هذا التحاشي أن هذا الهلال الخولاني لن يكون له نصيب من الانتساب عندما يرد في سياق الجدود وسيحل مكانه الهلال العامري كما سنرى عند تناول الأنساب لقبيلة آل عبدل في تطبيق غير صحيح لنظرية الأحلاف.

والباحث يجد صعوبة في تصور نشوء الكتلتين اليهودية والفرودية على مسرح التكتلات للمجتمع الخولاني صاحب الانتماءات المتعددة بحيث تغيب الأصول العالية الأشهر وتبرز الفروع النازلة كما سيعبر عن ذلك في . . قوله:

(رأينا أن من أبناء خولان رازح بن خولان – صاحب جبل رازح – القريب من جبال فيفا الذين كانوا في زمن قديم يمثلون خمسا خولان وأزيد فقد أصبحوا حالياً

يعرفون بفروود مع أن رازح بن خولان هو أحد أجداد فروود بن الربيعة لأنه أخ لسعد بن خولان جد فروود فحق لنا أن نتساءل كيف أصبح الجد الأعلى ينتسب إلى الحفيد إذا لم يكن ذلك حلفاً . (ص ٧٦) .

قلتُ: تسأول ذكي . . ولكن برغم أن عبارته السابقة قد مزجت بكلام الهمداني في الإكليل إلا أنه لم يلتفت لبقية ما ذكره الهمداني وإلا لكان أطبق على المفتاح الذي سيكشف له الإجابة . . ففي معرض سرده أي الهمداني لأبناء سعد بن خولان قال: (وفروود بن الربيعة ويغتم بن الربيعة بن سعد بن خولان وهم سادات في بني رازح) ج ١ اكليل ص ٣٠٦ .

فقله (سادات في بني رازح) يعني الكثرة والغلبة وإلا لما كانت فيهم السيادة . . وحل اللغز يكمن في الكثرة فقد طفت الكتلة الفرودية بسبب طغيان قوتها العددية لتقف ندأً للكتلة اليهنوية التي سبقتها تشكيلاً وسيطرة . . وإذا بنا في النهاية أمام حلفين عظيمين قسماً خولان كما قرر الباحث . . ولكن الذي لم يقترب منه هو تحليل النشوء لهذين الحلفين وكيف تشكلا ابتداءً.

ولن يجد سبباً آخر أكثر تناولاً خلاف الغلبة والقوة العددية القبلية للفريقين في السلالتين من أبناء هاني بن خولان وحفيد أخيه سعداً: فروود بن الربيعة . . ولا غرابة فالله يضع بركته فيمن يشاء . . فكان أصل الكتلتين نابعاً عن رابطة النسب ليتحول لاحقاً إلى حلفين كما أشار الباحث وفقه الله.

وإذا سلمنا لمؤلف الموسوعة الميساء بتفوقه ونجاحه ثم أسبقيته في هذا البحث فإنما يكون ذلك بشكل جزئي إذ قد نتفاجأ بل نصدم بمثل . . قوله:

(وكيف لقبيلة كقبيلة عبس العدنانية التي تقع بالقرب من ديار بلغازي والتي أصبحت لا تعرف نفسها إلا بفروود أن تكون نسبة إلى فروود وهي عدنانية الأصل كما تطرق النمازي في مخطوطته السلاف وكما يرى بعض أبنائها مع عدم استبعادنا لوجود نقائل معها ليست من أساس القبيلة وحتى لو فرضنا جدلاً بأنها خولانية الأصل أو على الأقل وجود جزءا(!!!) منها يعود لخولان فكيف ساغ لنا أن ننسبها إلى فروود ما لم يكن ذلك حلفاً حيث أن عبساً كما نعلم يعود مباشرة إلى خولان أي أحد أجداد فروود) (ص ٧٧) .

قلتُ: لقد استهل عبارته بأن عبساً عدنانية ثم سلم بوجود نقائل تمازجها ليست لعدنان ثم انتهى إلى أنها تنتسب لعبس بن خولان!! فبأي قول نأخذ؟ وما هذا التضارب الشديد والقلق؟ .

لا بأس فالمعالجة كانت تنحو إلى نفي الفرودية عنها وإثبات صحة الأحلاف ولهذا وقع في هذا التخليط العجيب . . وقد لا أختلف معه في صحة استنتاجه حول هذه المسألة أقصد الأحلاف وإنما سيكون خلافي معه في التطبيق لنظرية الحلف عند وصولي لأنساب قبائل فيفا.

وإذا كانت تصدق الأحلاف فيما يخص كتلتي فرود واليهانية فإن تطبيقه على الأفراد والعمائر والفخوذ سيكون مرهقاً مهما أوتي الباحث من علم وتمكن في الأنساب ورغم ذلك نجده يصر على التطبيق في هذا الميدان الضيق دون أن يفطن لأساس الحلف الكبير الذي هو النسب ورابطة الدم ممهداً لذلك . . بالقول:

(ولذلك فمن المتعارف عليه لدينا في المنطقة وخصوصاً قبائل فيفا وقبائل بني مالك وبلغازي وحريص وغيرها من القبائل أنفة الذكر بأنها قبائل خولانية النسب نسبة إلى خولان بن عامر مع عدم إدراك بعضهم لمسألة الأحلاف التي بينها سابقاً وسنبينها لاحقاً فليست كل تلك القبائل تنسب إلى خولان هذا نسباً). (ص ٧٨).

قلت: كان يجب أن يضع المؤلف (المتعارف عليه) من نسب القبائل ضمن القضايا الحساسة التي يفترض عدم المساس بها . . سيما وقد أدرك ذلك . . فقال:
(وبما أنه من الصعوبة بمكان أن يتمكن الباحث من الوقوف على أصول جميع القبائل الموجودة في الوقت الحاضر في جبال فيفا بسبب ضياع أو إهمال أو تجاهل قسم لا يستهان به). (ص ٩٣).

قلت: فهذه المرونة التي يبديها الباحث ليست سوى شعارات فقط لن نراها في الجانب التطبيقي فلا يلبث أن يقول:

(بل إن غالبية قبائل فيفا الحالية إن لم يكن جميعها لا تعود بعض عمائر كل قبيلة منها إلى أصل القبيلة بل هناك بعض العمائر أو الفخوذ أو الأسر قد دخلت مع أساس القبيلة بأحلاف فأصبحت لا تعرف إلا بتلك القبيلة على سبيل المثال لا الحصر: قبيلة آل عبدل الفيفية الخولانية التي بها أكثر من عمارة لا تعود إلى أساس القبيلة العبدلية الخولانية بل تعود إحداها إلى بني هلال العامرية وأخرى إلى أصول الأشراف). (ص ٩٦) .

بعد هذا الاقتباس الطويل تتضح لنا الوظيفة الأساسية لمبحث الأحلاف . . وبالعودة لقوله (قد دخلت في أساس القبيلة بأحلاف) نجده يمثل لذلك ببني هلال العامرية ولا أدري لماذا تكون العامرية تحديداً وليست بني هلال الخولانية . . وسنعرف صحة ذلك من عدمه بالتفصيل أثناء نقاشنا الأنساب في الحلقات المقبلة ويهمننا هنا أن نأخذ فكرة عن أرضية التطبيق للأحلاف بحيث أصبحت القبيلة وعمائرها وهو خطأ سيؤدي لنتائج بعيدة عن الواقع.

فاصلة:

مهما اشتط المؤلف في تطبيق الأحلاف فإنه قد سجل سبقاً في هذا العنوان فكان لزاماً أن نعرض له من باب الإشادة والتقريب الذي نتوخى أن يكون مفيداً فيما لو أعاد الطبع في قادم الأيام.

(الحلقة الخامسة)

لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في الجانب التاريخي لقبائل فيفا مدعماً بالوثائق الخطية والمشجرات ليضع القارئ في مسار لم يعهده في كل المصنفات السابقة التي بحثت ذات الموضوع.

فكان تفوقه جلياً في حشد المصادر وجلب المستندات . . بل هو أول مؤرخ في المنطقة يكشف النقاب عن هذا الكم الوفير من الوثائق الهامة في تاريخ جبل فيفا وقبائله، وقبل أن نلج إلى الوثائق دعوني أعرج على نقطة قد تهم الباحث بالدرجة الأولى، فبعد توزيع قبائل فيفا إلى أصولها الحالية وهي ولد عطا وآل عبيد وآل شراحيل ينقل المؤلف (ص ٨٤ و ٨٥) عن كبار السن قولهم: بأن قبائل فيفا تعود إلى ثلاثة جدود إخوة وهم عطا بن أحمد وعبيد بن أحمد ومالك بن أحمد الذي استقر في جبال بني مالك . . والحقيقة إن كبار السن الذين نقل عنهم هذا القول خلطوا في الأمر وإنما هو خالد بن أحمد من بني مالك الذي قالوا بأنه الأخ الثالث لعبيد وعطا ولم يقل ممن يعول عليهم النقل الصحيح من الجانبين غير ذلك . . فليتنبه الباحث لهذه النقطة.

ولأبدأ ما ألمحت إليه بشأن الوثائق الخطية التي زخرت بها صفحات المجلد الأول من الميساء، وقبل الاستطراد يجب أن لا أغفل ما ذكره الباحث في صفحة ١٢٨ حيث يقول: (وهناك أمور في هذه المخطوطات لا زالت بحاجة إلى دراسة عميقة كي تتضح جميع جوانبها وبإذن الله نوفق مستقبلاً في قراءتها بدقة أكبر).

قلت: لن ينال من جهد المؤلف ما قد يظهر للناقد من أخطاء تتفاوت في الوزن سيتلافها الباحث في الطباعات القادمة بإذن الله كما وعد بذلك.

○ وفيما يلي سرد للملاحظات ونقاط التقصير التي يؤاخذ عليها:

الملاحظة الأولى:

•• التعريف بالوثائق . . ولم أقل التوثيق لأن ذلك سيكون عنوان حلقة مستقلة ولكن نجد كل القصاصات الخطية التي نشرها بوصفها وثائق لم يذكر مضانها سوى قصاصة واحدة ذكر في المتن أنها موجودة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة والباقي جميعها مجهولة المصدر وبلا هوامش أو إحالات تبين أماكن وجودها وهذا لا يخدم العلم والمعرفة الإنسانية بأي حال، والمتعارف عليه بين أرباب الصنعة العزو لأماكن تواجد الوثائق الخطية خصوصاً بعد أن فشى تزوير المخطوطات تبعاً لقيمتها المادية العالية وذلك من شأنه أن يسد دون الباحث (أي باحث) أبواب الاتهام

في الصدق والأمانة . . . والباحث بهذا قد نقض عهداً وتجاهل أهم أدبيات البحث العلمي وضرب به عرض الحائط .

الملاحظة الثانية:

•• عدم تفريغ النص . . . فترك القصاصات الخطية على حالها دون أن ينقل المحتوى المخطوط للنص الطباعي بل ترك هذه المهمة العويصة للقارئ يتكهن ويفك رموزها حسب اجتهاده . . . وربما أضاف خطأ تحت العبارة التي يعدها شاهداً وسبباً دعاه للنشر وذلك وحده لا يكفي.

الملاحظة الثالثة:

•• عدم التثبت . . . بحيث خرج على القارئ بتكهنات خاطئة ونتائج لا تتوافق مع مضامين القصاصات الخطية كما سنلاحظ في قراءته لاسم العلم (شاهر) الذي اعتقده خطأ (شاهر) ومثله (الشيخ محمد بن الحنبي) فكتبه (الجنبي) وقد لا يعلم المتابع أن هذه الجيم هي إحدى لوازم التذحيح التي يسعى إليها المؤلف كما سنرى ولو ركز قليلاً في أسلوب الناسخ وطريقته في الإعجام والإهمال لما قال بذلك فالقصاصة ترد بها قبل الحنبي ست كلمات بها حرف الجيم معجماً (أي منقوطة) وغير مهمل.

الملاحظة الرابعة:

•• الاستخفاف بالقارئ . . . وهذا مزعج جداً بحيث يقرر شيئاً وهو متيقن بعدم صحته كما فعل (ص ١٢٢ و ١٢٣) فقد نشر قصاصة خطية في (ص ١٢٢) من سبعة أسطر ورد فيها اسم علم كان والياً على فيفا وبني مالك وأطلق عليها الجزء الأول ثم ينشر في الصفحة التالية (١٢٣) قصاصة هي تكملة للأولى كما يقول . . . وهو يعلم إن القصاصة الأولى لا علاقة لها بالقصاصة الثانية بل كتبتا في زمنين مختلفين ومن قبل كاتبين مختلفين أيضاً فالإعلال في القصاصة الأولى الأقرب عهداً لكلمة (تجديد) هو الياء (تجديد) بينما الإعلال لنفس الكلمة في القصاصة الخطية الثانية الأبعد عهداً هو الواو (تجدود) وهذا الإيهام يعد من التدليس ولا محالة . . . كذلك القبائل الواردة فيها أقصد القصاصة في (١٢٣) لا علاقة لها بفيفا أو بني مالك وسنعرف ذلك عند طباعة النص في حلقات قادمة . . . والاستخفاف بالقارئ لا يمكن تصنيفه في الوهم والنسيان فالرجل قصد ذلك وأصر عليه كما سنلاحظ في الصور المرفقة وفي الحلقات المقبلة بإذن الله.

الملاحظة الخامسة:

•• الاجتزاء . . بحيث عمد المؤلف إلى تقطيع أوصال الوثائق الخطية فيظهر لك سطر في صفحة (١٢٠) وثلاثة أسطر من نفس الوثيقة في صفحة بعيدة فلا تمسك منه شيئاً وتجد نفسك في عالم زئبقي لا يكاد يستقر.

الملاحظة السادسة:

•• التجاهل التام للحقائق الجلية . . فقد أدرك الباحث – من خلال تلك الوثائق – بما لا يدع مجالاً للشك أن قبائل فيفا من (الحلفة للميثة) يطلق عليها مجتمعة (بني زنامة) في كل الوثائق التي نشرها لأول مرة وقد يستغرب القارئ كيف تجاهل ذلك ولم يسجل الأسبقية بهذه المعلومة لكنها حمى التذحيج أعادنا الله منها هي من أعمت بصيرته عن ذلك.

والآن أقول أنا يا مؤلف هذا المقال^(١): لكي يبقى هذا الباحث البائس على ما قرره من تذحيج مبالغت لقبائل آل الصلت اليهنوية الخولانية لكي يدافع عن ذلك فيتحتّم عليه أن يطعن في صحة تلك الوثائق ويثبت للملأ أنها مجرد أوراق مزورة لا أساس لها من الصحة طالما هي تثبت قطعاً وبلا أدنى شك ودون أي التباس انتساب جميع قبائل فيفا لزنامة بن هلال بن خولان.

نعم يلزم كل عشاق التذحيج أن يطعنوا في صحة هذه الوثائق التي تعد صفقة يظل طنينها في إذن كل تذحيجي بئس.

بعد هذا لنعرج قليلاً على بعض القصاصات الخطية المنقولة وفق تسلسلها في الصفحات مع بعض التعليقات التي يقتضيها المقام فأول صورة كانت من صفحة مجهولة من مخطوط الشرفي اللألي التي سيقروها لاحقاً ولكن بطريقته الخاصة!! سأطلعكم عليها بالتأكيد ولكن في موضوع الأنساب نص القصاصة الخطية:

(تنقسم لقبائل متعددة هذه بلاد بني مالك' وأما قبائل فيفا فهم آل شراحيل' وآل مغامر ' وآل ظلمة' وآل علي بن عمر الجبل' والأيتام الجبل' والأيتام السهل' وآل الحرب السهل؛ وفيها سوق القرعة' وآل الحرب الجبل' ومدر' وهؤلاء تنقسم كل قبيلة منهم إلى قبائل متعددة' وإما أهل حجر الذين عابوا في أجناد الحق فهم آل عبدل بمعنى آل عبدالله وآل الثويح وآل مشنية وآل أبي الحكم). (ص ٨٧) .

(١) - لفظ مستعار من الموسوعة !!.

قلت: يعلق الباحث قائلاً (جزء من مخطوط الشرفي).

والحق أنها قصاصة من ورقة ضمن مخطوط كبير ' مرقم الصفحات ومحفوظ في مكتبة ضمن مخطوطات أخرى في قسم يعرف بالتاريخ يحمل الرقم ٩٠٠ بحسب ترقيم ديوي العشري ولكن الباحث لا يوثق شيئاً ولا يكلف نفسه بتسمية شيء حسب الواقع فتتداخل لديه المسميات وتطير من بين يديه الدقة والمهارة فيشدخ هكذا شدخاً كيفما اتفق.

والشرفي الكذاب الأرقط يقسم كل قبيلة شطرين وأكذب شيء يمتاز به هذا الباحث الجاهل سيأتي من الجرموزي والشرفي كما رأيتم فلا يرد عليه في خرفعاته وتقسيماته البعيدة عن الواقع ولا شيء من ذلك بل يعتكش النص كما تقيأه الشرفي أكرمكم الله ثم ينضحنا به ولا يجرؤ على قراءة النص المخطوط كما هو بل يدلس عندما قرأه مبتوراً؛ من جملة (وهم من عابوا في أجناد الإمام) . . ولو كان يعتقد خلافها لما صور النص وبه هذه العبارة المجحفة في قومه منذ الشرفي الأكذب إلى اليوم.

ثم تأمل قوله هنا:

(وفي المخطوط أدناه (سيرد في الحلقة المقبلة) والمؤرخ ما قبل الألف الهجري نرى كل من عطا والحجر والصلت كل على حدة أي لم يكونوا قد تحالفوا تحت حلف ولد عطا الذي سنتطرق إليه لاحقاً فقد كانت قبيلة عطا في تلك الفترة الخاصة بالمعاهدة لا زالت من قبائل بني مالك كما يظهر في جزء من المخطوط أدناه (((((وأمأ قبائل فيفا الرئيسية في تلك الفترة فهم بنو زنامة وآل الصلت وآل حجر وآل عبيد وآل شراحيل))))(ص ٨٧) .

قلت: وجد آل المغامر في بني مالك وأحضرهم ووجد آل عطا واقتبسهم وهي أسماء مشابهة وما زالوا حيث هم ولا دليل على انتقالهم فيفا ولا برهان له على ذلك حتى تبحر سفينة نوح مرة أخرى . . من أين لك أيها الباحث أن مغامر الذي بفيفا هو قسم من مغامر بني مالك؟ ولا دليل . . والحكاية تشابه أسماء وآل عطا في بني مالك غير ولد عطا في فيفا فرق بين (آل) و (ولد) . . متى حدث هذا الانتقال؟ ما أسبابه ودواعيه؟ كيف تحول الاسم من آل عطا إلى ولد عطا؟ ولا جواب!! لا دليل ثم تأمل بتركيز شديد لما بين الأقواس الأربعة عاليه وهو قوله (وأمأ قبائل فيفا الرئيسية في تلك الفترة فهم بنو زنامة . . وآل الصلت وآل حجر وآل عبيد وآل شراحيل).

مرة أخرى لو سمحتم ركزوا:

- (١) - بنو زنامة
- (٢) - آل الصلت
- (٣) - آل حجر
- (٤) - آل عبيد
- (٥) - آل شراحيل

كمان مرة تركيز أشد!!!

قبائل فيفا الرئيسية في تلك الفترة بحسب الباحث هم:

أولاً: بنو زنامة ؟؟؟ (؟؟؟).

ثانياً: آل الصلت: حربي - مدري - يتيمي - آل محمد ثم أصبحت حربي ومدري.

ثالثاً: آل حجر: ثويحي - حكي - عبدلي - مشنوي.

رابعاً: آل عبيد: مغامري (قبائل عدة) - ظلمي - عمري - دفري.

خامساً: آل شراحيل.

فهل تعرفون في فيفا قبائل رئيسية غير هذه؟

إنما هل لاحظتم أن بني زنامة ليس لها فروع بينما الباحث يعدها من قبائل فيفا الرئيسية . . والآن تأملوا القصاصة التالية التي تحمل التفاصيل لما أسماها الباحث قبائل فيفا الرئيسية بعد أن نقلته طباعياً . . اقرؤا وتأملوا ولكن تذكروا بأنني سأطالِبكم بذكر أسماء مشايخ بني زنامة الضامنين على التزام رعاياهم ويسمون (القبلا).

طالما وقد زعم المؤلف أنها من قبائل فيفا الرئيسية فإذا لم تعثروا عليهم فاعلموا أن الوثيقة تطلق على كل قبائل فيفا (بني زنامة)، إليكم النص الكامل من (ص ٨٨).

(وجبهان؛ وعشبان؛ والمفرح؛ وجميل بن علي بن جلعان: هذا ما جدده المشايخ الكملا أهل المجد والسياسة، الكافة من بني زنامة للسلادة الفضلا آل يحيى بن يحيى وشيعتهم وجيرانهم بأن أموالهم وما يشوفهم وصاحبهم وضيئفهم آمن وما راح عليهم أنه مربع إن كان عمداً وإن كان خطأ ففيه السد يبحث والقبلا على ما ذكر من آل الصلت: محمد بن الحنبي وأسعد بن سليمان وحسين بن العبسي وعلي بن الزيلعي

وحسين بن المحيل والكوشم وحسن بن سلمان وأسعد بن الشريف وسلمان بن علي (ودفان)، ومن آل حجر: سلمان بن علي والدبش وسلمان بن الشيخ وعلي بن آل الشعمة والحريري وعلي بن حسين ومحمد بن جبر والحرث وأحمد بن البادي ومحمد بن آل الزفان وشاهر، ومن آل عبيد: الحبيني وأحمد بن علي وسلمان والحموش وعلي بن الكرية ومحمد بن علي بن القعبي وعلي العتافي وسلمان بن محمد وعلي بن حسين وصلاح بن أحمد ومحمد بن الجبر وعلي بن الحسين وحسين بن الحبيني وحسن بن علي، ومن آل شراحيل: حسن بن علي ويزيد بن مثير (كتبه الناسخ الثيب - خطأ) وحسين بن وهطان وعلي بن الحنين والكعمم والمجمل بن أحمد وعلي بن سليمان وقاسم بن السويد وسليمان بن علي ويحيى بن العوفي. ومن فتق هذا الشروط من بني زنامة فإنه مسحوت ولا بارك الله له. والقبلا متكافلون متضامنون الحي بالميت والحاضر بالغائب). انتهى

هل رأيت عبارة صادمة لجوقة التذحيج كهذه (ومن فتق هذه الشروط من بني زنامة) ولم يقل من آل الصلت أو آل شراحيل أو آل حجر أو آل عبيد.

بل قال من بني زنامة !! وحظا أوفر للحسنين!!.

تحذير:

يتكرر هذا النص في أكثر من ١١ مناسبة على صفحات الموسوعة فمن رغب مناقشته فلا يأتي إلا مليئاً متشبعاً به مستمخاً ولا يأتي خرشاية فارغة ينوح على التذحيج الذي فات أوانه وأهيل عليه التراب.

(الحلقة السادسة)

هذه الحلقة ستكون مخصصة لاستعراض منهج الباحث في التذحيح الذي أقل ما أصفه به أنه السهل غير الممتنع ولننطلق حسب عرضه على صفحات الموسوعة. أولاً: آل المثيب (الأمراء) خصص لهم مبحثاً مستقلاً من (ص ١٠٨ - ١١١) ينسبهم فيه لمذحج!! فكيف تم له ذلك؟ وماهي البراهين؟ للنظر:

- ١- يلتقط من أخبار عمارة الحكمي اسم علم هو المثيب.
- ٢- يلتقط منه تقريراً إن المثيب هذا كان أميراً وزعيماً كبيراً.
- ٣- يربط بين زعامة آل المثيب في قبائل فيفا المعاصرة وبين زعامة المثيب التي حكاها عمارة القرن الخامس الهجري.

بعد ذلك يقول الباحث (وهناك قبيلة خولانية من قبائل آل عبيد وبالأخص من آل امغامر تسمى آل مثيب (المثيبي) وهي قبيلة كبيرة ذات سيادة ورئاسة، فلعل أساس تلك القبيلة هم أحوال ذلك القاضي الفقيه والأديب المؤرخ الشاعر عمارة بن الحسن الحكمي). (ص ١١٠).

قلتُ: هو يقول (فلعل) !! وهذا الـ (لعل) حرف مشبه بالفعل يفيد التوقع والترجي والإشفاق ولا يغني من الأمر شيئاً في نقل أمة من خولان بن عامر إلى مذحج!! رغم حشد الألقاب أمير . . زعيم . . قاضي . . فقيه . . أديب . . مؤرخ . . شاعر هل ترونها ثمناً كافياً لهذا الاعتساف؟! .

بعد لعل التي رأيتموها يمضي منطلقاً لا يلتفت معتقداً أنه قدم برهاناً نافعاً . . فيقول الباحث: (وهناك نقطة جدية بالاهتمام حول زمن الجد مثيب حيث أكد لنا الشيخ حسن بن جبران السنحاني المثيبي في نسبه الذي أثبت فيه أن زمن جدهم المثيب كان قريب جداً من نفس الفترة الزمنية التي تطرق فيها عمارة الحكمي لزمن جده المثيب). (ص ١١١).

قلتُ: لقد نقلت لكم هنا كلام الباحث ليس لأنه ذريعة أو حجة وإنما لترون بأعينكم مدى عبثه واستهتاره بقومه الذين يفترض أن يصدقهم القول وفلا يستخف بعقولهم ويدلس عليهم . . فلم يكلف نفسه بجلب السلسلة التي ساقها القاضي الراحل حسن بن جبران لنسبه طالما وقد عدها قرينة قوية . . بل تركها حيث هي في (هامش صفحة ٩٨) حيث ذكر أن المتفق عليه بين المؤرخين والنساب أن يعطى لكل ثلاثة جود (١٠٠) سنة .

ولنتأكد من دقته فيما اقتبسناه أعلاه من (ص ١١١) فإننا نجد (المثيب) المذكور عند عمارة الحكمي ولد سنة ٤٦٠ هـ تقريباً لأن الخال محمد بن المثيب كانت وفاته سنة ٥٢٨ هـ بحسب ما نقله الباحث في (حاشية ص ١١٠) ويكون ميلاده حوالي ٤٩٠ هـ على سبيل الجدول وتكون ولادة المثيب ٤٦٠ هـ أيضاً على سبيل الجدول.

أما (المثيب) المذكور في سلسلة نسب القاضي حسن بن جبران فقد ولد على نحو تقريبي سنة ٧٦٤هـ، فهذا المثيب هو الجد الثامن عشر وإذا استخدمنا ذات الميزان وهو وضع ثلاثة جود لكل مئة سنة فإن الناتج سيكون ٦٠٠ عام فنطرحه من ١٣٦٤ الذي هو تاريخ وفاة القاضي وعندها يكون الناتج ٧٦٤ وهو الرقم التقريبي الذي ولد فيه (المثيب) جد القاضي ثم نطرح منها ٤٦٠ الذي هو تاريخ ولادة المثيب صاحب عمارة الحكمي فيكون الناتج ٣٠٤ سنوات وهو فرق بمقدار تسعة أجيال وبضع سنين.

هل رأيت دقة الباحث وهو يقول: (أكد لنا الشيخ حسن بن جبران المثيب في نسبه الذي أثبت فيه أن زمن جدهم المثيب كان قريب جداً من نفس الفترة الزمنية التي تطرق فيها عمارة الحكمي لزمن جده المثيب). (ص ١١١).

قلتُ: أي تأكيد وأي إثبات عناه الباحث؟ ولم نعر على ذلك عند الفحص والاختبار إذن نحن أمام منهج حسابي متضعع غير دقيق فلا يصلح لقياس شيء أبداً. وعلى سبيل المثال ماذا ستحكمون على من قال:

(عاشا في فترة متقاربة جداً يفصل بينهما ٣٠٤ سنوات فقط!!)؟
أو قال: (لقد سكنا في دارين شبه متجاورين يفصل بينهما حوالي ٣٠٤ كيلو مترات فقط!!)؟

أو قال: (حطم صخرتين شبه متساويتين في الوزن إنما بفارق زهيد جداً قدره ٣٠٤ أطنان!!)؟ ماذا سيكون حكم العقلاء على من قال بهذا؟؟!! .
وبناء على ما تقدم فالباحث بلا أدنى أدلة قد تحمله على مجرد الشك في وجود علاقة بين الاسمين: (المثيب الخولاني والمثيب المذحجي).

ولن يخفى دورانه وركضه المحموم خلف أسماء الأعلام التي يصادفها ضمن المجال الجغرافي المتاح من أجل التذحيح يمناً ويسرة بل يوظف أسماء الأمكنة وتطابقها مع غيرها في أي نقطة في جزيرة العرب من أجل رسالته الغريبة. فذبح كل شيء من القل والشعاب والأودية والقبائل فنقل عامر أسفل طريق ١٢ تم تذحية بسهولة ودون عناء على هذا الباحث العجيب وتأمل قوله:

(وقد رأينا (في السابق) ذكر لرجل عظيم كاد أن يتفوق ذكراً ومنزلة على المثيب بن سليمان وزيدان بن أحمد وهو عم عمارة (علي بن زيدان) ولدنا في بني مالك المجاورة قبيلة كبيرة يقال لهم (آل علين) لا يستبعد أبداً أن جزء منهم من ذرية ذلك الرجل العظيم وإن كانوا لا يعرفون أنفسهم إلا أنهم جزء من قبائل بنو مالك الخولانية . . والأمر بحاجة إلى دراسة من المهتمين من تلك القبائل . . فربما ثبت لديهم صحة استنتاجي هذا). (ص ١١١) .

قلتُ: ماهذا؟؟ وما الداعي لما قرأنا ؟ لا يستبعد؟؟ وهل أنسابنا إلا تستوعبنا قسراً؟ أم نحن من يختارها على روج واستعراض لقوائم المشاهير؟؟ .

وكلي رجاء من المقربين ومحبي هذا الباحث أن يقرعوه بالله يثوب من بعض التأليف التي تكاد تذهب بتاريخه الكتابي السامق وهذا رجاء محب صادق فتوفر العظمة والمجد والتميز بالمواهب الفذة والقيم الرفيعة في أحد الأعلام؛ لم تكن في يوم من الأيام مدعاة لعربي أصيل أن ينتسب إليه وينبذ أباه . . ثم ماذا بعد؟ لننتقل إلى:

ثانياً: آل الصلت (أبناء الملك) لنرى منهجه في تذهيجه هل كان قوياً صلباً أم غير ذلك؟ والعنوان الأكثر جذباً تراه في (ص ٢٤٨) هو (أولاد الملك معاوية بن الحارث المذحجي) ولم يجعل العنوان آل الصلت أو قبائل آل الصلت . . والحقيقة إن العنوان مغر جداً فأولاد الملك هم الأمراء فأى ترف ورخاء ومجد هذا الذي حازوه آل الصلت على آخر عمر!! ولو كنت سأحسدكم هذه الرتبة الرفيعة والمكانة المرموقة لاحتلت بأي وسيلة للطعن في أدلة الباحث مهما كلفني الأمر . . لكني رأيت أن التقرب من الأمراء ومداهنتهم خير من الطعن في صحة القرائن التي جلبت لهم المكانة الرفيعة والنسب المرموق . . أولاد الملك معاوية الخير وصاحب لواء مذحج وأهمهم هي صاحبة السمو الأميرة عبيدة بنت الزير سالم والطعن في صحة مجد كهذا يعد من الحسد والنفاسة . . فالصلت أمراء أبناء ملك . . خالهم الفارس الشهير الزير سالم أخو . . أخو مين؟ شفت مسلسل الزير من زمان الظاهر نسيت اسمه اعتقد كليب . . بل هو كليب فعلاً . . لا بأس مبارك عليكم أيها الأمراء ما نالكم من رفعة ومجد . . وكنت قد قصصت ونسخت عدة طعون وتراجعت عنها وبدأت في نظم قصيدة أمدح فيها أصحاب السمو الأمراء أبناء الملك معاوية الخير وإذا ما صدقتموني راجعوا (صفحة ٢٦٧) .

ولننتقل لشأن آخر غير الملك وأبنائه الأمراء وهو القصاصات الخطية ففي (صفحة ٢٦٧) نشر الباحث أربعة أسطر من ورقة مجهولة لم يشر لرقمها من مخطوط الشرفي تحمل النص التالي:

(ثم توجه السيد عماد الدين يحيى بن لطف الباري إلى قبيلتين أحدها تسمى الأيتام وهم زهاء ثلاث مئة والأخرى تسمى آل الجرب بالجيم (١) هناك معروفة . . وهم زهاء ثلاث مئة أيضاً وتوجه السيد عبدالرحمن إلى قبيلة تسمى أهل مدر وهؤلاء الثلاث القبائل لها اسم جمعها يقال لهم آل الصلت يقال أن أصلهم آل الصلت من نجران من يام والله أعلم وبقي السيد في رأس جبل حجر في موضع) . انتهى
ثم يعلق الباحث تحت صورة القصاصة الخطية بقوله (جزء من أول مخطوطة تطرقت لآل الصلت وأنهم من منطقة نجران). نفس الصفحة .

(١) - فراغ لكلمة من ثلاثة أحرف لم استطع قراءتها.

قلتُ: معاذ الله أن يكون إيرادى لهذا النص هو التشكيك في صحة انتساب الأمراء من آل الصلت إلى أبيهم الملك معاوية الخير وإنما لسبب آخر يهمني حقاً فالمؤرخ الدقيق البحر الزخار الحبر النحرير صاحب الصدق والأمانة مرجع صاحبنا مؤلف الموسوعة الميساء ذكر في النص أعلاه قبيلة تسمى آل الجرب وحتى لا يلتبس علينا الأمر ذكر أنها بالجيم ثم ذكر أنها زهاء ثلاثمائة رجل فأين اختفت تلك القبيلة العظيمة؟ والرجل يصدق دوماً فيما كتبه عن فيفاء ولا يمكن التشكيك في صحة رواياته واسألوا الباحث الذي قال معلقاً (وكما تلاحظون بأن الشرفي قال: ويقال أن آل الصلت من يام، وبالتأكيد فقد استقى هذه المعلومة من أهالي فيفاء حينها) (ص ٢٦٧).

قلتُ: لا فض فوك من باحث فطن . . نعم لقد استقى معلوماته من أهالي فيفاء حينها وقد صدق في أن آل الصلت من نجران هذا لا أحد ينكر نسبهم وقد حفظته إنهم أبناء الملك معاوية وأمههم صاحبة السمو الأميرة عبيدة وخالهم الزير سالم المشهور بالمهل . . هذا كله محفوظ عن ظهر قلب ولا نزاع فيه ولكن قبيلة آل الجرب بالجيم ضاعت بامحشي وقد ذكرها هذا المؤرخ الصادق وضبط أحرفها حتى يمنع عنها التصحيف فلا يقرؤها أحد الحربي بالحاء مثلاً . . أو الخربي بالحاء فقال (الجربي بالجيم) لشدة نزاهته وتحزره عن الكذب والطلسة والتدليس فأين ذهبت قبيلة آل الجرب يا ترى؟!

هذا السؤال موجه للباحث الذي قرأ النص ووجده سليماً من الأذى لا غبار عليه فجلبه لنا شاهداً على أن آل الصلت أمراء من ظهر ملك والذي أقصده تماماً هل عند باحثنا النزيه الفطن فكرة عن هذه القبيلة (آل الجرب بالجيم) فالشرفي لا يكذب فذكر عددها وعدتها من الرجال . . كما ذكر جبلاً يسمى حجر وهو لا يكذب ولا يلغظ ولا يرخدل . . فليت شعري أين هذا الجبل؟

صحيح أنا أعرف قبيلة آل الحرب (آل امحرب) وأجهل تلك القبيلة التي ذكرها الشرفي وهي آل الجرب . . كما أعرف جبال آل حجر . . وأجهل ذلك الجبل الذي ذكره الشرفي باسم جبل حجر ولا يعني أنني أخالفه ففوق كل ذي علم عليم والباحث لن يجلب شواهد في غاية التهافت مليئة بما لا يصح كنسب قبيلة أو اسم قبيلة أو اسم جبل فالباحث سيتصدى له من أول نقرة ويلغيه تماماً من قائمة مصادره وإنما والله الحمد لم يحصل شيء من ذلك.

يوم الكلاب، والذي تزوج عبيدة بنت الزبير سالم المتهلل بن ربيعة التغلبي، أحد أبطال وشجعان العرب وذلك في منطقة نجران عندما جاء مستجيراً بقبيلة جنب بسبب طول حروبه مع أبناء عمومته من قبيلة بكر بعد مقتل أخيه كليب من حساس، والقصة مشهورة ومعروفة لدى الجميع.
ثم تكون بعد ذلك حلف عبيدة :

من أبناء عبيدة آنفة الذكر لأنها أنجبت من الملك معاوية بن الحارث عدداً من الأبناء، أصبحوا فيما بعد قبائل، ومنهم آل الصلت المعروفين حينها بمنطقة جنب ونجران، والذين أصبح فيما بعد آل الصلت بفيضا جزء منهم. وعلى ذلك فإن آل الصلت في فيفا يعودون إلى الملك معاوية وزوجته عبيدة بنت القاراس المشهور الزبير سالم.

سنة خمس وثلاثين والنسبة ثم توجع اليدين عما دلهن لطف الباري إلى قبيلتي
بما الابتاهن ومن هاتلات ما به والاخرى سما إلى الحارث ومن هاتلات ما به ابتاهن توجع اليدين
عبيدة الرحمن إلى قبيلة سما مبدراً وهذا الثلاث القبائل لها اسم بغيرها يقال لهم آل الصلت
يقال إن أصلهم آل الصلت من نجران من أيام واسم اعلى وبتى الجيد في راس جبل نجران
سما إلى

جزء من أول مخطوطة تطرقت لآل الصلت وأهم من منطقة نجران كما سنبين لاحقاً - مخطوطة الآلى المضيفة للشرفي أحد أعيان اليمن ومؤرخيها في القرن الحادي عشر - أحداث عام ١٠٣٥ هـ.

وكما تلاحظون بأن الشرفي قال: ويقال إن آل الصلت من يام... وبالتأكيد فقد استقى هذه المعلومة من أهالي فيفا
www.faiifaonline.net

القصاصه التي أحضرها الباحث كشاهد للتدحيح لقبائل آل الصلت اليهنوية
الخوانية.

(الحلقة السابعة)

١- قبيلة آل الحرب:

•• رغم أن عصر التذحيج قد ولى إلى غير رجعة منذ الحلقة الخامسة إلا أننا سنضطر اضطراراً لاستكمال منهج المؤلف في التذحيج الذي بدأناه في حلقة ماضية ورأينا كيف يختار الأعلام والمشاهير كمفاتيح أساسية لتحويل النسب من خولان وكأنما يجدها مغمورة لا تغري بالانتساب في معرض التفاخر فيجلب لهذه المهمة الملوك والأمراء والشعراء والوزراء والقادة من مذحج فهل كان فعلاً يعول على نجاح مثل هذا الأسلوب الذي بدى ركيكاً ضعيفاً واهناً خائر القوى إذ كانت أدلته التي ساقها متهاكة متناقضة يلعن بعضها بعضاً، كالشاهد الذي عثر عليه لدى الجرמוزي والشرفي ولأن الحديث عن قبيلة آل الحرب يحسن بي توضيح بعض الأمور . . ولننطلق إليها من الاقتباس التالي حيث ورد في (ص ١٧٣).

قول الباحث مستدلاً على انضواء قبيلة تحت أخرى . .

قال: (فلدينا في الوقت الحاضر وعلى سبيل المثال الواضح قبيلة آل الحرب من آل الصلت المذحجية) (الحربي الفيفي) فإنما هي مجموعة قبائل ونقائل متحالفة أصبحت تحت حلف الحربي وهو ليس جداً جامعاً لها كلها بل هو جد قبيلة حرب الأصلية فقط، فنجد أن الأيتام (اليتيمي) من (آل الصلت المذحجية) . . (قد دخلوا بحلف مع قبيلة الحربي وانضوا تحت لوائها وأصبحوا لا يعرفون إلا بالحربي الفيفي) . . (والأمر ينطبق على قبيلة آل محمد (المحمدي) الذين أصبحوا لا يعرفون الآن إلا بالحربي وكذلك على نقيلة آل ذياب من آل امزغلي ببني مالك المجاورة وآل الزغافي من بني الغازي المجاورة ونقيلة آل رمحة من بني قراد وغيرهم فلا يعرفون إلا بالحربي . . وأصبح من هذه القبائل المتحالفة مع قبيلة الحربي من يت رأس شملها . . بجميع عائلاتها وهو من قبيلة أخرى، وليس من أساس قبيلة الحربي كالمحمدي مثلاً) . . (والمهم أنه لولا أن أثبتنا مثل هذه الأحلاف في كتابنا هذا لنسيت بعد مرور مئات السنين وأصبح ممن هم في تلك الفترة لا يعرفون آل محمد ولا آل ذياب أو آل الترابي ولا غيرهم إلا بالحربي ضناً (!؟) منهم بأنهم يعودون جميعاً في النسب إلى قبيلة حرب الفيفية وماهم إلا عمائر أو بطون من قبيلة الحربي مع أنهم وكما هو معروف مجرد أحلاف). (ص ١٧٣ و ١٧٤).

قلت: أنقلت عليكم بالمقتبس عالياً لكنها الضرورة ومع ذلك فقد اختصرته وما قاله الباحث يحتاج إلى إعادة نظر وتفصيل ومقاربة بحسب ما يلي:

أولاً: فجميع القبائل الثلاث تعود نسباً في حرب الخولانية وليس فيها مذاحجة إلا من قالوا نحن من مذحج ولم يؤثر عن قبيلة منهم أذاعت مذحجيتها لا في شعر ولا في نثر بحسب علمي.

ثانياً: قبيلة الأيتام بفيفا هي أقدم عهداً في هذا الجبل إذ أنهم في الحقيقة أيتام حرب الذين استقروا بعد هجرتها الكبرى التي انطلقت من ديار خولان وهي النقلة الثانية التي امتدت للحجاز ووادي القرى.

ثالثاً: تأتي قبيلة آل محمد (المحمدي) في الترتيب الثاني حيث يعود أصل هذه القبيلة ونسبها في حرب الأم . . وتوزع هذا الفخذ في كل أشات حرب على امتداد مهجرها الذي استقرت به وقد نفرت من سهل صعدة في هجرة ثانية.

رابعاً: قبيلة حرب في فيفا تعد الأحدث استقراراً بفيفا حيث لحقت بأخواتها في الجبل مع الهجرة الأخيرة من سهل صعدة تزامناً مع فرق أخرى نزلت واحدة منها بقريتي البديع والقرفي من ضفاف وادي جازان الخصيب حوالي القرن الخامس.

خامساً: فإذاً يحسب للباحث إثارته لهذه النقطة بغض النظر عما ساقه ولكن ليتسنى تصحيحها حسب ما يُعلم من أمر حرب بفيفا.

سادساً: النقائل كما ترى لا تذوب ولا تتلاشى ولا تفقد مسارها ولا تنسى نسبها ومثل ذلك ما ساقه الباحث من أمثلة كآل ذياب وآل رمحة ولم يكلف نفسه تكهن تاريخ انضوائهم لآل الحرب على كلفه بالتكهن فلم يشر إلى أن جد آل رمحة الثاني عشر ولد بفيفا ويعني أن مدتهم بفيفا أكثر من ٣٠٠ سنة فهل نسوا جدهم كما يزعم الكاتب ومثلهم آل ذياب وآل امزغافي.

وعلى هذا فليس صحيحاً أن شيخ قبيلة آل حرب ليس منها فـ (المحمدي) فرع ينتسب لقبيلة حرب الأم . . وليس فقط في فيفا بل وحيث وجدت حرب . . والأيتام ينتمون نسباً لقبيلة الحرب الأم . . فيكون الشيخ والرعية كلها ترجع من حرب وبموجب دواعي هذا النسب المتعارف عليه فقد توحدوا فحسب دونما حلف . . فكيف تجاوز الباحث هذه الحقائق الواضحة ولم يكلف نفسه الاستيضاح من أهل الشأن وخرج علينا بهذا التخليط؟ .

وللاستئناس بما يخص النسب الذي ساقه المؤلف، توجهت بسؤال لسعادة شيخ قبائل آل الحرب والأيتام وآل محمد التي اجتمعت تحت مسمى (آل الحرب) وهو/ محمد بن زاهر الحربي الفيافي وهذا نص السؤال:

نشر مؤلف الموسوعة الميساء أن آل الصلت هم أبناء الملك معاوية بن الحارث المذحجي وأمهم هي الأميرة عبيدة بنت ربيعة وخالهم الزير سالم. فهل سمعتم من آبائكم وأجدادكم تأكيداً لصحة هذا النسب؟ وهل علاقتكم بهاني بن خولان مجرد حلف أم غير ذلك؟ .

الجواب: بالتأكيد لم نسمع من آبائنا أو أجدادنا عن هذا الملك ولا هذا النسب الذي ذكرته في سؤالك . . بل سمعنا منهم إننا نعود في آل الصلت إخوة آل حجر ويطلق علينا جميعاً ولد عطا بن أحمد أخو عبيد بن أحمد ويذكر لنا الآباء والأجداد أننا نعود نسباً لليهانية من خولان هذا يعرفه الجميع بلا استثناء.

قلتُ: فهذا الرد المقتضب من قبل أحد شيوخ آل الصلت يسد الذرائع أمام أي عابث بأنسابهم بل وكل قبيلة في فيفا وعلى الباحث أن يعود للقبيلة التي يود تسجيل أنسابها ويذكر أسماء الذين نقل عنهم من القبيلة نفسها فلا يُسأل عن النسب إلا أهله وعدى ذلك فهو العبث والفوضى.

٢- قبيلة آل مشنية:

ومن المناسب هنا التذكير بالطريقة العجيبة التي تم بها تذخيج قبيلة آل مشنية انظر (حاشية ص ٢٤٦) يقول الباحث مخالفاً ما ذكره صاحب الاستقصاء: (ولكن الاحتمال الأكبر في حال ثبوت نسبهم إلى آل الصلت (بن معاوية الخير الجنبى) كما يرى الباحث (يقصد الأخ حسن الثويعى) أن أخيها (!!)) مشني قد رحل معها إلى جبال فيفا).

قلتُ: لا مؤلف الاستقصاء أصاب ولا صاحب الموسوعة الميساء . . وآل الصلت الذين أتى على ذكرهم الباحث ليسوا سوى أحوال هذه القبيلة وزعامتهم حينها (سلطنة في مدر) فيما يتناقله الناس في القصة التي حرفت وتم تصحيحها عبر مدونة الكاتب والاعتذار عنها لقبيلة آل مشنية ولا داعي لتكرارها.

والقصة التي سمعتها من جدي الراحل سلمان بن جبران وغيره . . ومن آل مشنية أيضاً . . أنقلها هنا . . ومفادها أن هذه القبيلة كانت تعرف بـ (آل سيّلان بن حجر) أو هو قال (آل سيلى) نسيت ومن سمعها سيصحح هنا اسم القبيلة . . واحداهم (سيلي) وباللهجة المحلية (سيلين) كـ دفرين . . لكنه تحول اسمها إلى أولاد (مشنية) حوالي القرن الرابع أو الخامس الهجري.

والقصة تشير إلى وقوع نزاع شديد طال أمده حتى تفانوا وعجزت قبائل آل الحجري وآل الصلت عن الصلح وحقق الدماء فيما بينهم واستمروا في الاقتتال سنين عدة فهاجرت القلة منهم وتوزعوا في الدنيا الفسيحة أما (مشنية) فقد لجأت بولديها إلى أبيها سلطان مدر فنجيا من الإبادة في حمى الجد والأحوال . . ولذلك وجدنا الباحث يذكر آل الصلت إنما أبعد النجع!! ويقال إن مشنية بعد خمود الفتنة فكرت في العودة إلى قزاعة أرق وأخصب فيفا على الإطلاق لكنها وجدت أموال ولديها الزراعية قد أطبق عليها أحوالهم فعادت للسلطان الذي منحها الأرض التي تصل إليها بقرتها المشدودة بطوالة من الليف فاستوثقت منه على ذلك وعادت وفي ذهنها تضرمر أمراً حيث انطلقت تنسج الليف وتضيفه للطوالة حتى كانت بقرتها تسرح أطراف مدر في أقل من عام ونصف مما حمل والدها السلطان على كفها تاركاً لها ولأولادها الاحتفاظ بما حققته فكانت أراضي أولاد مشنية تشمل أملاك القبيلة الأصل (آل سيلى) وبارك الله في ولديها فتكاثروا وظلوا في حماية أحوالهم ودعم زعماء مدر من آل الصلت بن حجر لأجيال متعاقبة حتى أصبحوا تلك القبيلة الضاربة.

وهذه القصة الملتحفة رداء الأسطورة يمكن الخروج منها بفوائد عدة أولها أنها تذكر أساس القبيلة سيلان أو (سيلى بن حجر) بغض النظر عن تفاصيل التي يبدو عليها التكلف في إبراز حنكة الأم ودهائها . . والقصة قد تحتل الحدوث والعكس إنما المؤسف أن تخطط الأصل بما ليس منها فتبقى هذه وتضيع تلك لتجد من يعتبر - بحسن نية - ما التبس بها من المماحكات والسوالف تاريخاً يكتب ويتم تداوله . . وآل مشنية قبيلة تنزع ولد عطا في فترات متباعدة وكان منهم شيخ رد ولد عطا أسعد بن يزيد المشنوي وفي عهده حدث خصام بين القبيلة واستحر بينهم القتل وكان ذلك حوالي منتصف القرن الثاني عشر الهجري وعند زيارة المستشرق فيلبي في منتصف القرن الرابع عشر ذكر أن رد ولد عطا حينها هو الراحل الشيخ جابر بن سالم المشنوي وهو والد الشيخ الحالي لهذه القبيلة محمد بن جابر سالم المشنوي الفيافي.

وهذا يعطينا فكرة عن قوة هذه القبيلة ومنعتها وتفوقها بل ومكانتها في ولد عطا وتنسب قبيلة آل مشنية -على حد علمي - لهاني بن خولان . . ثم في نهاية المطاف هم المرجع الوحيد لذكر ما يعرفونه عن نسبهم، ونفي أو إثبات أية أسطورة أو قصة تدور حول أصولهم وسبب تحول اسم قبيلتهم . . كل ذلك هم مرجعه وإنما ذكرت القصة لما قد يكون لها من رصيد في الواقع.

○ قرائن محفزة:

القرينة الأولى :

لغوية: فالعرب تقول: انتشر خبره في (المدر والوبر): يقصدون بالأولى القرية الحاضرة . . حاضرة الأقليم، بينما الوبر يقصدون بها البادية . . خيام البادية . . إذن الجملة عم خبره بين الحواضر والبادي مسألة طباق.

وفي فيفا لديهم (المدر والكدر): فالأولى يقصدون به نوع من الطين يستخدم في المراج، والكدر العتل من الطين المتكدس تبعاً لخصوبته الشديدة. ومن المعروف أنه لا كدر من الرمل فإنه لا يتماسك أو يرتكس ليصير منه كدراً ومدر هي حاضرة فيفا لقرون طويلة أما الكدر فقد تحولت إلى مفرد مؤنث التي هي الكدرة أغبطها وأرقها في أملاك هذه القبيلة العريقة بحيث يقال مدر للحاضرة والكدرة للسلة التي تفيض غللاً عليها فمدر قرية والكدرة بستانها.

القرينة الثانية:

في الأعلام: فهي تستحق التأمل . . فنزوح بعض الأسر من آل سيلان – إن صحت التسمية – وأهل الشأن في قبيلة آل مشنية أدري مني بذلك . . فإن الهجرة قد توزعت على شكل طيفي دائري بحيث نجد في نجران آل سيلان وفي شمران آل سيلان وفي بالحارث آل سيلان وفي المكلا آل سيلان وفي حاشد بيت سيلان وفي يافع آل سيلان وفي مأرب آل سيلان وفي القنفذة آل سيلان وفي أبين آل سيلان وفي فيفا آل سيلان بيوت عدة تحمل هذا الاسم.

فهذا الانتشار الدائري يحملنا على التساؤل ما العلاقة بين هجرة الأسر القليلة من قبيلة آل سيلان خلال القرن الرابع أو الخامس الهجري وبين توزع آل سيلان وانتشارهم بهذه الصورة الملفتة؟ وما العلاقة التي تجمعهم؟ ومن المؤكد أنهم ينتمون الآن إلى مجتمعات متناثرة.

يتبع بإذن الله . .

(الحلقة الثامنة)

٣- قبيلة "مدر":

انتبهوا جيداً فهناك ثقافة استجدت، تسعى إلى تفتيت الموروث الاجتماعي، مهما كان منسرباً تحت القيم والمثل الإسلامية، وذلك بخلق مفاهيم جديدة؛ تجاه الروابط الإنسانية والأواصر التي تسهم في انسجام المجتمعات، ومنها اللحمة القبلية، بحيث تذوب وتضمحل فتتخطاها النظرات وتتجاوزها الأعين حين تبدو قضية لا نفع لها.

مع أن الأمر الإلهي (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) له نصيب هنا. وتحديد المتهم في هذه القضية المتشعبة شائك جداً، غير أن نتائجها خطيرة للغاية، إذا ما تصورنا جيلاً هائماً لا جذور له، يلعن ماضيه الذي اكشف مدى سطحيته وهوانه على البحوث العلمية (كما يصورون له) فلا الأنساب محفوظة، ولا الروابط تعني شيئاً، ويجد نفسه يتأرجح بين مذبح وخولان، مرة يكون خولاني ومرة يكون مذحجي، كل ذلك تحت طائلة البحث التاريخي والأنساب، أتحدث هنا عن أبناء فيفا من الجيل الجديد.

وفي هذا الصدد رأينا الباحث حسن بن جابر الثويعي سنة ١٤٣٢هـ ينسب فيفا كافة من حقرفة لحقرفة ينسبها لمذبح ويركب بذلك موجة التفتيت، عن طريق تغيير المفاهيم الثابتة لتصبح متحولة، وفي عام ١٤٣٥هـ سلك الباحث المؤرخ حسن بن جابر الحكمي نفس المسار، فحمل نفس المعول، وطفق هدماً وتنكيلاً بالأنساب، وأصبح ما دونه في هوامش الطبعة الثانية قد انتقل إلى متن هذه الطبعة الثالثة، فيما يلاحظ القارئ مدى ضخامة حواشيها الأمر الذي يذكر بالطبوعات القديمة في بولاق فيأتي العنوان هكذا كتاب الإصابة لابن حجر وبهامشه كتاب الإستيعاب لابن عبد البر!!.

دعونا نستعرض نماذج يسيرة من فواصل التفتيت:

قال المؤلف: (وكما تلاحظون بأن الشرفي قال: ويقال إن آل الصلت من يام وبالتأكيد فقد استقى هذه المعلومات من أهالي فيفا حينها وبالذات من آل الصلت الذين كانوا أكثر منا حفظاً ومعرفة بأجدادهم وأصولهم). (ص ٢٦٧).

قلت: فهذا الشاهد عرضنا له نصاً في الحلقة السادسة وفحصناه فإذا به لا يصلح لشيء حيث ذكر قبيلة من آل الصلت تسمى (آل الجرب بالجيم) كذا نصاً!! . ولأن المؤلف قد أدرك تهافت الشاهد الذي ساقه الشرفي وبعده عن الحقيقة ولذلك اجتهد في قراءة ما خلف السطور كما سنرى.

وحين ينوي زعزعة الثابت من الأنساب فإنه يحشد دوماً ما يعتقده أدلة مقبولة لتذحيج قبائل آل الصلت مجتمعه وأهمها قبيلة مدر تحديداً فيتساءل . . قائلاً:

(وهل أي مشجرة تصبح دليلاً يستند عليه في صناعة التاريخ وتحديد الأنساب؟ فهذا الذي وقع تحت أيدينا، يدعمه مخطوط المؤرخ الشرفي إضافة إلى بعض اللقاءات الميدانية، وكذلك المعاهدة أدناه لأدلة كافية على صدق ما ذهبنا إليه بخصوص أصول آل الصلت القديمة). (ص ٢٦٩).

قلتُ: فما هو يذكر ملخصاً بقائمة المستندات التي اعتمدها في إجراء عملية التدحيح لآل الصلت، دعوني أناقشها بحسب تسلسلها أعلاه:

المستند الأول:

مشجرة في الأنساب منشورة على الصفحة (٢٦٨) لا يمكن تبين محتواها لصغرها الشديد ولكن تعليقه عليها كشف محتواها العام، فهي تذكر وجود بعض الأشراف في مدر من بلاد بني زمامة!!! . . هذا كل شيء!! فهل في هذا دليل على أن قبيلة مدر لا تنتسب لحولان؟.

ولعله أورد صورة المشجرة لأجل التاريخ الذي تم فيه وضعها متزامناً مع ذكر قبيلة مدر استدلالاً على قدمها لكنه نسي ذلك في خضم التدحيح.

المستند الثاني:

قصاصة من أسطر مستلة من مخطوط الشرفي اللآلئ المضيئة ويذكر فيه أن آل الصلت من نجران من يام، وهو شاهد آفته ورود أسماء منكراً مثل (آل الجرب) و(جبل حجر) فعرفنا أن من قال مثل هذا لم يسأل آل الصلت، كما زعم المؤلف، بل لم يحضر، ولم يقف كشاهد يمكن التعويل عليه.

فقد كان الشرفي حينها شيخاً في الستين من العمر وبالتأكيد لم يكن ضمن الحملة بحكم تقدمه في السن وإلا لما قال آل الجرب، ويجب أن أستدرك هنا ذلك الخطأ الفادح الذي وقعت فيه حين اتهمت الجرزموزي بأنه صاحب قصب السبق في كيل الشتائم لأهل فيفا والصواب هو أحمد بن صلاح الشرفي فالجرزموزي لم يولد إلا بعد رحيل الشرفي بعشرين سنة وإن كان اقتفى أثره وتابعه دون تثبت.

إنما دعوني أعيد على مسامعكم الكريمة ما قاله المؤلف: (وبالتأكيد فقد استقى هذه المعلومات من أهالي فيفا حينها وبالذات من آل الصلت الذين كانوا أكثر منا حفظاً ومعرفة بأجدادهم وأصولهم). (ص ٢٦٧).

قلتُ: فعجلة التفتيت والطحن تقتضي التشبث بكل شيء حتى الزلات والسقطات، كما سنرى ذلك في حكم الباحث الذي وجد معضلة حقيقة في النسب لقبيلة يام حيث يقتضي ذلك ظهور أسماء على غرار (حاشد) و (همدان) وهذه لا تغري كثيراً ما لم يقفز مذبح قبل هذه التحويلة الطويلة فكان أن استدرك بالقول (والشرفي في تلك المخطوطة لم يؤكد صحة ذلك النسب، بل قال يقال . . ثم قال والله أعلم أي أنه

مجرد سماع ربما من شخص أو أشخاص لم يخبروه بمعلومة دقيقة ولذا كان فطناً عندما قال: يقال، وعندما قال: والله أعلم). (ص ٢٧٠).

فهذا المديح الذي منحه للشرفي من الفطنة والاحتراز والاحتراس والدقة، ماهو إلا ذريعة واهية للطوفان حول هذا الشاهد والتشبيث به لآخر مدى، وتأمله وهو يعلن: (وفي الحقيقة إنه بعد البحث والزيارات الميدانية، وتقصي الحقائق اتضح لنا أنه لا يوجد رابط نسب بين قبائل آل الصلت بفيفا وقبائل يام). نفس الصفحة .

المستند الثالث:

اللقاءات الميدانية: يقوم الباحث برحلة إلى نجران ويلتقي بمسن يدعى ظافر بن علي، من بقية آل الصلت، ويخبره أن للصلت ولدان بقي الأول في وادي بطن من نجران (ورحل ابن الصلت الثاني إلى جهة تهامة منطقة جازان). (ص ٢٧١).

قلت: ألم يخبرك باسم هذا الولد الذي انحدر لجازان؟ والقصة فيها مسكوت عنه. فالرجل عرف اسم الأب الأبعد وهو الصلت وتجاهل ذكر الولدين وهما أقرب ولنفترض أن الراوي تجاهل الفرع وذكر الأصل، ألا يفترض بالباحث أن يتحقق من الأسماء ولا يأتينا هكذا برقمين مجردين . . هل تتوقعون أنه لم يرد ذكر لابني الصلت؟ لماذا لم يورد الباحث اسم ذلك الابن المهاجر لمنطقة جازان؟! !!! .

لم يسلم البحث الميداني من التهافت لتعمد الباحث عدم ذكر أسماء أولاد الصلت، وبالتأكيد لن يأتي ليخبرنا السر، فهل سنعثر عليه لدن متابع مجتهد؟.

المستند الرابع:

عبارة عن صورة من معاهدة مخطوطة قمت بقراءتها ونشرها في الحلقة الخامسة يرد فيها اسم علم (محمد الحنبي) لكن الباحث قرأها (محمد الحنبي).

لنرى ماذا يقول معلقاً على القصاصة الخطية:

(يظهر في هذا الجزء من المخطوط الخاص بمعاهدة الأشراف آل يحيى بن يحيى بأن آل الصلت في نهاية القرن التاسع قد أصبحوا من سكان جبل فيفا . . وأن شيخهم حينها كان يسمى محمد بن الحنبي نسبة إلى جنب (منبه) بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج). (ص ٢٦٩) .

قلت: لا يمكننا الخروج بمثل هذه المعلومات التي وردت في المُقتبس أعلاه حتى مع افتراضنا صحة الاسم أي أنه محمد الحنبي فعلا فكيف قال بأنه شيخ آل الصلت؟ وأن الحنبي نسبة إلى جنب (منبه)؟ إلى ما هنالك من سلسلة نسب تنتهي لمذحج؟ هذا يسمى تحميل النص ما لا يحتمل!! .

ورد في النص عدد من الكلمات تعجم حرف الجيم قبل كلمة الحنبي حصراً (الأجلاء) و(جبهان) و(جميل) و(جدده) و(المجد) و(جيرانهم) . . هذه الكلمات يرد فيها الجيم منقوطة ولم يرد جيماً مهماً حتى يصل لهذه الكلمة (الحنبي) فأهملها

أي لم ينقطها، ولهذا قرأتها حاء وليس جيما، ولنفترض أنها (الجنبي) وإنما نسبة للجناب، أو الجنبه أسماء مواضع في جبال ولد عطا، وليس نسبة لـ (جنب) بلاد الأذاحجة؟ ثم أيضاً: لماذا لا تكون (الجبني) نسبة للجنبه اسم لمواضع عدة في جبال ولد عطا هذا على سبيل الجدل؟ لماذا طالما والأمر في باب التخمين لا تقبل إلا مساراً واحداً؟ إنه التفنيت ولوازم التذحيح هو من استدعى مساراً واحداً لا يقبل غيره!! . وبعد أن يستوفي الباحث أدلته . . يقول:

(ونظراً لهذه القرائن وبعض المسوغات التي ذكرتها سابقاً فإنه لا يستبعد أن يكون آل الصلت في فيفا هم وبقايا آل الصلت بنجران بعضهم من بعض). (ص ٢٧١) . قلت: هو لم يأتنا بمسوغات ولا قرائن، ولم يفعل شيئاً بل ساق سواف وخيالات لا يعول عليها، فلا تستغرب حين قال (لا يستبعد) هو احتمال فقط، والأمر شك وتخمين فجاءت كلمة (لا يستبعد!!) لتناسب المقام، أي أنه أمر ممكن الحدوث!! لكن الملفت أنه مع ذلك لا يتورع عن أن يبيني عليه، وقيمه أساساً ومعتداً لرؤية جديدة تخص أنساب أمة.

ليس هذا فحسب بل لا يتورع أن يقول:

(والوثيقة تثبت بأن آل الصلت من جنب وهم كذلك قديماً ثم انتقلوا إلى أماكن قريبة من جنب في منطقة نجران، ومن ثم انتقل بعضهم إلى جبال فيفا). نفسه. قلت: من أين لك أن الوثيقة تثبت أن آل الصلت من جنب؟؟ هذا اقتحام وعنجهية فالوثيقة لا تشير بتاتاً ولو بطرف خفي عن علاقة آل الصلت بمذحج أو قبائل جنب أبداً أبداً، هل رأيت من قبل مثل هذا الهليس والاستخفاف بالعقول؟؟.

لكنه يورد حكاية سمعها من أهل الشأن تأمل قوله:

(فقد وجدت البعض من أهل مدر بفيفا يذكر أنه كان يسمع من الأجداد القدامى أن قبيلة مدر تعود في نسبها إلى جدين أحدهما من يام والآخر سنتطرق له فيما بعد) (ص ٢٧٢).

قلت: هكذا الأدلة وإلا فلا!! وحين تتوفر للباحث مثل هذه الأقوال من بعض المعنيين بالنسب في ذات القبيلة فلن يعد بحاجة إلى تلفيق الشواهد وسوقها حيناً عرجاء ومرة عجفاء كالشواهد التي مرت بنا، لكن هؤلاء البعض الذين ذكروا نسبهم لقبيلة يام لم يكن لهم حظ من التدوين والتسجيل كحظ المسن (ظافر بن علي بن جرشب اليامي) الذي ذكر أن للصلت ولدين أحدهما هو الذي هاجر، أي الابن وليس الصلت نفسه. والباحث بإخفائه أسماء النسابة من أهل مدر يساهم في ضياع علم . . لكن مهلاً!! لم يذكر الجد الثاني الذي سمع بعض أهل مدر ينتسبون إليه ورمز له فقط رمزاً بالثاني مع وعد بالتطرق إليه . . ولم العجلة والرجل قال: (والآخر سنتطرق له فيما بعد)!!.

والحقيقة المرة أن هذا التسويف والتأجيل لم يف به الباحث بل نقلب الصفحات تلو الصفحات ولا شيء من ذلك ونعود نفتش من جديد فلا نعثر على شيء سوى قوله: (وهم لا يعلمون من أين هم أصلاً، اللهم إلا من تناقلهم لخبر الجد اليامي والجد الآخر، فأصبحوا لا يعرفون حالياً إلا أنهم قبيلة خولانية). (ص ٢٧٢) . قلتُ: يا خبر أبيض! ثاني مرة؟ . . الجد اليامي، والجد الآخر!! . طيب قل! خلاص مزحنا وهزرننا كفاية!! .

قل لنا من هو الجد الآخر!! خائف من ماذا؟ ولن أتكهن السبب، ولن أقترح حلاً لهذا اللغز . . بل سأدع ذلك للقارئ الكريم ليحرب حظه ويشارك الجميع هنا بما عثر عليه من حلول . . فالأمر في غاية الغرابة حيث استهل العبارة بقوله: (هم لا يعلمون من أين هم أصلاً) يقصد قبيلة مدر وهي عبارة تنطوي على بعض الإجحاف لنقل.

ورسالة الباحث التفنيتية لا تتوقف عند نسب القبيلة مقابل تكتلات أوسع كنسب قبيلة أهل مدر ضمن قبائل الصلت ليس ذلك فحسب بل يتعداه إلى زعزعة العناصر المكونة للقبيلة ذاتها وهي العمائر (الفخوذ) . . تأمله يقول: (ليس من الضرورة بمكان أن تعود كل العمائر العائدة حالياً لقبيلة المدري إلى مدر كما رأينا من قبل هناك آل إسماعيل وكذلك آل عذبة الذين يعودون إلى جد غير فيفي). (ص ٢٧٢) .

قلتُ: فإلى من يعودون؟ الباحث نفى عنهم أي انتساب لجد فيفي! . أنتم تعتقدون أنني أمزح؟! .

أبداً . . لقد قال ليس من الضرورة بمكان . . وأما فائدة قوله (كما رأينا) فلتتويه القارئ، فيتصور بأن الباحث قد سبق له في الصفحات الماضية أن ساق كلاماً رصينا فيه حجة قوية حول هذه النقطة تحديداً لكنه لم ينتبه لها. وحين يعود أدراجه للتفتيش عن تلك الحجج كي يرى ما رآه الباحث، لكن هيهات!! إنه يعود صفراً، فلا يجد شيئاً سوى قوله (اسم إسماعيل غير منتشر في فيفا قديماً) (ص ٢٦٨) وبموجب ذلك وجد هاتين العمارتين غير ضروريتين للبقاء نسباً ضمن القبيلة فجزم بعدم انتمائهما لجدين فيفيين . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولنختم بهذا المقتبس الذي يعتذر فيه نيابة عن قبيلة مدر . . فيقول: (وأما بالنسبة لمقولة أنهم يعودون لقبيلة يام نسباً، فقد أثبتنا بما لا يدع مجالاً للشك بأنهم لا يعودون إلى تلك القبيلة العظيمة، حيث أنه التبس عليهم زواج معاوية من بنت المهلهل في نجران والتبس عليهم وجود مساكنهم القديمة بنجران . . وتناقلوا ذلك دون تمحيص). (ص ٢٧٢) .

قلتُ: هكذا إذن!! فالمسألة لا تعدُّ كونها التباس وقعت فيه قبيلة مدر بسبب زواج معاوية من بنت المهلهل في نجران!! هذا شيء . . والشيء الثاني أن مساكنهم كانت في نجران!! وتناقلوا ذلك دون تمحيص!! حقا . . شر البلية ما يضحك!!
استنتاج في منتهى السخرية والتهكم بالقارئ لدرجة لم أر في حياتي ما يشابهها.

٤- قبيلة " آل شراحيل":

لا شك في أن الطريق الذي سلكه الباحث لإيصال نسب آل شراحيل بمذحج لم يكن صعباً وشائكاً كالذي سلكه من أجل آل الصلت، فعثر على ضالته عند بعض الباحثين من منطقة جازان!! لكن يبدو أن الحياء الشديد منعه أن يذكر اسمه أو يحيل على بحثه، لذلك لا وجود لأي إحالة تفسر الغموض وتجلي ما استتر وهي ظاهرة تتكرر في الميساء بشكل ملفت . .

قال المؤلف:

(وبما أن شراحيل فيفا لهم رابط كبير مع شراحيل الحرث فإن بعض الباحثين من منطقة جازان ينسبون شراحيل الحرث إلى شخص يقال له نافع بن شراحيل بن كعب بن عباس بن الخمخم بن عوف بن سفيان بن سلهم بن الحكم بن سعد العشيرة) وعلق في الحاشية رقم ٣ : (أي أن شراحيل فيفا يعودون إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج) (ص ٢٠٣) .

التفاصيل الكاملة تتابعونها في الحلقة القادمة بإذن الله . .

(الحلقة التاسعة)

•• اعتذر لكافة القراء المتابعين عن تأجيل نشر (حلقة آل شراحيل) للأسبوع القادم، وذلك لما رأيته سيسهم في إلقاء مزيد من الضوء على منهج الباحث اعتدالاً وتطرفاً ويكشف عن ميوله النفسية، التي تحكمت في مسارات البحث ونتائجه المتعلقة بأنساب قبائل فيفا.

فإذا ما عرضنا لمشروع التذحيح الذي ينظر له - بشكل مكشوف - عبر الطبعة الثالثة للموسوعة الميساء، يكون القارئ قد كون فكرة كافية وملحاً عاماً عن دواعي التذحيح.

ولأجل ذلك دعونا نخرج بداية على مقتطفات من حديثه عن الجدين خولان ومذحج، ثم نتنقل بعدها بين مقتطفات متفرقة ذات صلة بمنهجه العام. ولنبدأ (بالجد مذحج) الذي أفرد للحديث عنه وعن عقبه من (الصفحة ١٣١ - ١٤٨) بينما اقتصر حديثه عن (الجد خولان) في حاشية (بالصفحتين ٧٢ و ٧٣).

أولاً: مذحج:

قال المؤلف (وذلك الجد العظيم مذحج الذي يوازي في عظمته الجد خولان والأزد وغيرهم من الأجداد العظماء الذين تفرعت عنهم قبائل العرب). (ص ١٣٣). وقال: (وقد اشتهرت قبائل مذحج العريضة في إسداء الجميل إلى الجار، والحفظ، والمراعاة، وترك الظلم والعدوان، وأن لا يبدؤوا أحداً بظلم، وأن يغيثوا الملهوف ويجيروا المستجير، واجتهادهم في عداوة من عاداهم، والصبر على ما يبتلون به، وإكرام الضيف). (ص ١٣٣).

وعن نار القرى وإكرام الضيف، ينقل الباحث:

(وتقول العرب إذا رأت ناراً عظيمة كأنها لأحد مذحجي). (ص ١٣٣).

ثم قال: (ومن قبائل مذحج الصحابة والقادة والمجاهدون والفرسان الشجعان الذين كان لهم دور كبير بانتشار الإسلام وخصوصاً في الفتوحات الإسلامية). (ص ١٣٣) وأضاف: (وهنا أذكر جزء من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (. . . وأكثر القبائل في الجنة مذحج ومأكول) (ص ١٣٣).

وعلق في الصفحة (حاشية ٥) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد والطبراني وابن أبي عاصم والحاكم والبخاري والهيثمي وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط .

قلت: لعل هناك من الأسباب والدواعي الوجيهة ما حملت الباحث على بتر النص الحديثي فلم يورده كاملاً، وأرجو أن لا يكون السبب التعصب ضد خولان الحميريّة نسأل الله السلامة . . فتشوا عن هذا الحديث في قوئل لتتعجبوا من بتره!! .

وقال الباحث: (ولأننا التزمنا الاختصار في هذه النبذة التوضيحية فإننا نأمل من القارئ الرجوع إلى المراجع والمصادر المتوفرة التي تحدثت عن قبائل مذحج الكثيرة الواسعة الانتشار . . وسيرى عظمة قبائل مذحج وعظمة مشاهيرها، التي استقر جزء من تلك القبائل في جبال فيفا). (حاشية ص ١٣٧).

قلت: لا دليل على استقرار مذحج في فيفا، والباحث عمد لمط الخريطة وتوسيع رقعة جبل فيفا حتى ابتلع شطراً من ساق الغراب لتستوعب الخلطة العجيبة جيداً، وقد ناقشنا أدلته في هذا الصدد، وعلمنا تهافتها حين عرضنا لبلاد فيفا الواسعة، في دعدته التي خرج علينا بها.

وأضاف: (إذن لو درسنا هذه القبيلة العظيمة بعين الانصاف وتعمقنا في البحث لربما ثبت لدينا أنها كانت تسكن بلاد فيفا وبعض من مواقعها في جبال فيفا، وسيكفيها فخراً حال ثبوت ذلك أن منها الصحابة والتابعين ورواة وراويات الحديث) (ص ١٤٧).

قلت: لقد أنصفهم رغم الاختصار، وإن إيراد هذه المقتبسات لم يكن القصد منها إلا إجراء موازنة فقط . . وإلا فقحطان قبيلة عربية تستحق الثناء، بل لا يستكثر عليها المديح، مهما بالغنا فيه.

ثانياً: خولان:

ومن هنا يبدأ الباحث فيرثي مجدداً يراه اندثر فقال:
(وبنو الحارث (مذحجية) قديماً كانت أحد بيوتات (جمرات) العرب الثلاث ويقصد بالجمرة: القبيلة التي لا تنظم إلى أحد (يقصد تنضم) ولا تحالف غيرها).

مع أنها انطفئت (يقصد انطفأت) فيما بعد لتحالفها مع آخرين). (حاشية ص ١٣٥).

قلت: هنا تبدأ المشكلة فعلاً!! أتدرون لماذا لم يذكر من هم الآخرون الذين ساهموا في انطفائها نتيجة لتحالفها معهم؟؟!! لا بأس . . فلم تنطفئ وإنما ربك يداول الأيام بين الناس . . و لكن الباحث قصد أن يلزم ذلك الحليف بأنه سبب الانطفاء لوهج بني الحارث، إذ كان على رأس حلفائها (قضاة) يعني بصريح العبارة: خولان!.

وقوله: (وبما أننا نميل أن بلاد فيفا الواسعة بما فيها جبال فيفا وما جاورها كانت خليطاً من بعض القبائل المذحجية وبعض القبائل الخولانية والقليل من القبائل الأزدية والعدنانية يجمعهم حلف (خولان بن عامر). (ص ١٣٥).

قلت: مسكين هذا الخولان ها هو يعجز عن الصمود أمام هذا الباحث فيتحول من جد إلى حلف!! دعونا نتذكر ما قاله الباحث عن مذحج:

قال: (وذلك الجد العظيم مذحج الذي يوازي في عظمته الجد خولان والأزد وغيرهم من الأجداد العظماء الذين تفرعت عنهم قبائل العرب). (ص ١٣٣).

إنه يوازي الحشد من الجدود العرب مجتمعة!! أليس هذا كلامه؟ بلى!! وما زال في جعبته الكثير ليقوله وينقله مما قيل عن خولان فقال:
(قال هشام: كان تبع تبان أسعد أبو كرب نزل في خولان، فولد له بها غلام فسماه ذا سحيم؛ قال: "خولوا له" أي اجعلوا له خولا فجمعوا له أخلاطا خولاً، فهؤلاء الخول خولان). (حاشية ص ٧٢).

ويستطرد: (قال ابن حبيب: كان تبع نزل في خولان فسبقوه، فقال "اطلبوا لي امرأة" فجاءوا بامرأة فوقع عليها فلما حبلت قال: "واجهلاه" ثم ولد له غلام آخر فسماه رداع . . فإذا سألت الخولاني من أهل اليمن قال: "أنا من آل ذي سحيم"). (حاشية ص ٧٢).

قلت: هذا ملمح من المنازعات التي قضى عليها الإسلام، والنص المقتبس يرينا كيف أن الخولاني لا يجرؤ - في زعم من نسج القصة - أن يقول أنا من خولان هرباً من العار والشنار، وحين تقف عند هذه المقتبسات تفتش عن سبب إيرادها من قبل الباحث؟! فلا تخرج بشيء سوى أنها بعض لوازم التذحيح، فينقل ما يغض من خولان فحسب.

ولقد تهاجت العرب وتنازعت حيناً من الدهر، فانطفأت تلك الشرارة حينما دخلوا في دين الله أفواجاً وأصبحوا أمة واحدة . . ولا مجال لاجترارها أبداً . . أبداً . . حينما هذبهم الإسلام ونقل التفاضل إلى التقى والالتزام لنهج الدين القويم، فما بال صاحبنا ينقب عن فواصل هالكة؟ بار سوقها منذ البعثة النبوية ونزول الوحي.

قال المؤلف: (إذا فقد كان هناك بعض القبائل تحمل لقب خولان كخولان كهلان؛ وخولان سحيم، وخولان بن سعد العشيرة بن مذحج، وغيرهم . . وهناك من تحمل اسماً كخولان بن عمرو (عامر) وعلى هذا فخولان ما هو في الغالب إلا لقباً أكثر منه اسماً). (حاشية ص ٧٢).

قلت: فالباحث يقصد من قوله أعلاه: أن هذه الكثرة للأعلام ممن لقبه خولان قد أسهمت جدياً في فقدان المسارات المؤدية للجدود، فلم يعد واضحاً إلى أي خولان يقصدون حين الانتساب إليه؟ .

لذلك فهو يرى - وإن لم يصرح - أنه لم يعد مجدياً الانتساب لجد اسمه خولان قضاة، وسنجد ذلك ضمناً في المقتبس التالي:

قال: (فربما دفعهم تشابه الأسماء والألقاب واختلاط المواقع إلى انضمام جزء من بعض أولئك ودخل بعضهم مع بعض بالتحالف فيما بينهم، وهذه قاعدة معروفة لأن اتفاق مسميات القبائل أحياناً قد يدفع إلى التحالف واندماج بعضهم مع بعض، وهذا ربما قد حدث مع أكثر من خولان، والله أعلم) (حاشية ص ٧٢).

قلتُ: أبداً ليست قاعدة . . وليست معروفة بل مجهولة تماماً ولم يُحضر شاهداً، ولن يحضره، حتى تبحر مرة أخرى سفينة نوح صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وكافة أنبياء الله وسلم.

ثم متى حدث ذلك؟ وأين حصل؟ ومن الذي دونه من علماء النسب؟ .
ولن يستغرب المتابع من أهل فيفا (أبناء خولان بن عامر) وهو يقرأ ما قاله الباحث ساخرأ متهمًا بالجد أحمد الجامع لقبائل بني زنامة فقال:
على كل حال لنا أن نتساءل:

أين ذلك الجد العظيم أحمد الذي ظهرت منه كل تلك القبائل الكبيرة؟ لقد بحث الكثيرون وأنا منهم في كافة المراجع من كتب التاريخ والأنساب والأدب، فلم يجدوا تلك الشخصية الأسطورية أحمد ولا أبناءه عبيد وعطا وجميع من ينتسب لأحمد هذا فلم لا يكون أحمد ذلك عبارة عن حلف؟). (ص ١٧٣).

قلتُ: لو كان منصفاً حقاً لأدرك بداهة أن جبل فيفا أسبق وجوداً من الجد (أحمد) بملايين السنين ومع ذلك فلم يعثر له على ذكر لدى الجغرافيين العرب، ومع ذلك فعدم ذكره لا يعني أنه أسطورة تحمل على السخرية والتهكم.
ولنا أن نصوغ ذلك في سؤال ونسأله الباحث:

هل ذكر جبل فيفا لدى أي من الجغرافيين العرب مع أنه ولد قبل الجد أحمد بما يزيد ٥٠ مليون سنة؟ .

فإن كان جوابه : لا ... لم يذكر!

قلنا: فعدم ذكره لا يعني أنه لم يكن موجوداً، حين دونوا كتبهم، وبحثك عنه وتفتيشك الدؤوب والذين معك فلم تثمر جهودكم عن العثور على اسم الجد أحمد، لا يعني أنه لا وجود له . . وعلى هذا قس.

وقال متهمًا ساخرأ:

(لقد بلغ من تقديس قبائل المنطقة لأحمد هذا أنه ليس هناك فقط عطا بن أحمد وعبيد بن أحمد ومالك بن أحمد وخالد بن أحمد وقيس بن أحمد وو وو مع بقية القبائل، بل حتى ملك الموت قد أصبح من أحمد هذا، سواء كان أحمد هذا جداً أم حلفاً كبيراً؟ فالقوم في جبال فيفا وما جاورها يطلقون على ملك الموت (عزران بن أحمد) فهل ملك الموت من أبناء أحمد هذا؟ أم من إخوة بعض القبائل كمالك بن أحمد أو عطا بن أحمد؟). (ص ١٧٣) (أرجو تلوين العبارة السابقة بالكامل).

قلتُ: على رسلك . . فما علمناهم أشركوا في أحمد وما علمنا أنهم يقدسون الآباء والأجداد!! .

والذي حدث تماماً أن جهلك بهم قد أوقعك في مثل هذه الاستنتاجات، فطفقت تستخف وتسخر منهم للأسف . . وعزان بن أحمد شخصية حقيقية حملت هذا اللقب وعاشت في فيفا حوالي أواخر القرن الحادي عشر الهجري، ومثله حسم شيطان شخصية حقيقية حملت هذا اللقب وعاشت زمن الأدارسة.

وليس لعزرائيل الملاك أب اسمه أحمد كما ليس للشيطان ابن اسمه حسن، والشيطان وعزرائيل ملكان، الفرق بينهما أن إبليس عصى ربه فطرد وأصبح رجيماً . . هذا يعرفونه جيداً، وإنما الجهل الواسع أوقعك في هذا الاستنتاج البعيد فاتهمتم بالوقوع في الشرك . . وبئسما رميت به قومك . . وكان بالإمكان أن تسأل من لديه علم بالميثولوجيا في فيفا أو بعض المعمرين وسيخبرك الناس عن هذه الشخصية الفتاكة وكم سفك من الدماء حتى اكتسب هذا اللقب.

فإذن هو الجهل الشديد بفيفا وأهلها، والميثولوجيا المتناقضة بها، مع التحامل المنقطع على كل ما هو خولاني دفعه لتصور تلك التصورات من تقديس وشركيات، وضياح جدود، ودونية، واضمحلال، حتى ظن أنه بإمكانه عبر مباحث شديدة التهافت سخيفة المبنى والمعنى أن يدك أصولها ويمحو جذورها فزعم أن كل أعلامهما مجرد أحلاف لا جدود، فأحمد حلف، وآل الصلت حلف، وآل حجر حلف، وولد عطا حلف وآل عبيد حلف، وآل شراحيل حلف، وأهل مدر حلف، وآل الحرب حلف، واليهنوي حلف، وخولان بن عامر حلف، كل هذه الجدود أحلاف عند الباحث . . وهذا منتهى الباطل.

• مثال آخر:

فولد عطا أطلق عليهم الباحث مسمى آل عطا . . فهل يجهل اسمهم؟ أم لسبب ما قام بهذا التغيير؟ نعم . . فلقد عثر على اسم آل عطا وهم: عشيرة صغيرة كانت معروفة قديماً من آل سلمة في بني مالك، وولد عطا المعروفة لكنه استخدم اطلاقات الشرفي والجرموزي في مسخ مسميات القبائل، وحافظ على تكرار ذلك حتى سمي به ولد عطا . . فصار يطلق عليهم آل عطا!!! وهذا أقل ما يمكن أن يوصف به هو التفريط.

• النتيجة:

منهج مختل بكل الموازين . . وهذا يستدعي وقفة إنصاف، من قراءة محايدة، تتلمس معاذير الباحث، الممثلة في المناخ العلمي المحيط به، وسلوك مجتمعه بين الصدق، والمداهنة، والإخلاص والتزييف، وتبصيره بالواقع، والسعي للإيقاع به وخداعه والتغريب به، إلى جانب سبر ثقافة وعلمه، مع قياس الحالة العامة للبحث والتصنيف في عصره قوة وضعفاً، فدراسة ذلك كله ستكشف لنا مدى تأثيرها السلبي على الباحث وتحملها النصيب الأوفر من المسؤولية تجاه ظهور الموسوعة الميساء بهذه الصورة.

ولنا لقاء قادم بمشيئة الله تعالى . .

(الحلقة العاشرة) والأخيرة

٤ - قبيلة آل شراحيل:

•• قلتُ: لا شك في أن الطريق الذي سلكه الباحث لإيصال نسب آل شراحيل بمذبح لم يكن صعباً وشائكاً كالذي سلكه من أجل تذحيج آل الصلت، فعثر على ضالته عند بعض الباحثين من منطقة جازان!! لكن يبدو أن الحياء الشديد منعه أن يذكر اسمه أو يحيل لبحثه، لذلك لا وجود لأي إحالة تفسر الغموض وتجلي ما استتر وهي ظاهرة تتكرر في الميساء بشكل ملفت.

فقال المؤلف:

(قبيلة آل شراحيل ويطلق عليهم (الشراحيلى). (ص ٨٦).
قلتُ: صحة العبارة أن تكون (قبيلة آل شراحيل، والنسبة إليها: الشراحيلى) فليس دقيقاً هذا التعرف الذي ساقه المؤلف أعلاه مهما تغاضينا، أو سلطنا أوسع المناهج تقريباً وتساهلاً.

ثم يأتي معللاً التسمية لما يعرف بالقيستين . . فقال:
(ويقصد بالقيستين أي المتكافئتين في القوة وما شابه أو المتقايستان، ويظهر لي بأن ذلك المسمى ما هو إلا حلف كبير تم بين قبائل آل عبيد وقبيلة آل شراحيل). (حاشية ص ٨٦).

قلتُ: مهما اقترب في التعريف فإن الدلالة الأدق لهذه التسمية تعني أنهما وحدة واحدة . . لكن الباحث اعتاد أن يمر (مطهلاً) هكذا فيعبر المنعطفات الحادة والوعرة، ويقفز الحواجز العالية محللاً لا يأبه للتفاصيل، ثم يعتقد مطمئناً أنه أبلى بلاء حسناً . . وأنه ليس في الإمكان أفضل مما كان.
ولو تمهل قليلاً وتأمل اللفظ وقرأه في بيئته اللسانية ثم حكم عليه بعد الفحص والتأمل لوافق الصواب.

دعوني أجري اختباراً للكلمة ثم نرى هل (يقصد بالقيستين أي المتكافئتين في القوة وما شابه أو المتقايستان)؟؟ بحسب تعريفه لننظر:

إذن فالقيستان: اسم يطلق على قبيلتي آل عبيد وآل شراحيل معاً، بصيغة التثنية، وتاء التانيث للقبيلة، ولم يسمع في حالة الأفراد؛ إطلاقه على أي من هاتين القبيلتين مع أن صيغة المفرد ستأتي على وزن (فعلّة) (قيسة) فهل الاسم جاء عن الجذر (قَيسَ)؟ الذي منه قاس، يقيس، مقيساً، وقياساً، ومقايسة، أم يعود للجذر (قَوَسَ) الذي منه القوس والقسي؟ لنرى!!.

فإذن برجعنا للسان العرب، يسعفنا بالمعنى الذي يطابق اللفظ تماماً وهو (القيس) بمعنى الشديد، وإذا أطلقناه صفة لقبيلتين، نعتاهما بـ (القيستين) أي الشديديتين.

ونخلص إلى أن التسميتين بينهما فارق دقيق يجب التنبه له، وطالما وجدناه بخلاف المضاهاة والمقايسة والمفاضلة، تيقنا أنه عبارة عن تسمية لوحدة واحدة غير مجزأة.

وقال المؤلف:

(وبما أن شراحيل فيفا لهم رابط كبير مع شراحيل الحرث فإن بعض الباحثين من منطقة جازان ينسبون شراحيل الحرث إلى شخص يقال له نافع بن شراحيل بن كعب بن عيس بن الخمخ بن عوف بن سفيان بن سلهم بن الحكم بن سعد العشيرة) وعلق في (الحاشية رقم ٣): (أي أن شراحيل فيفا يعودون إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج). (ص ٢٠٣).

قلت: نعم فالرابط وجود مجموعة مهاجرة من آل امجغمي ربما تجاوز عددهم الآن خمسين شخصاً بحسب رواية الأخ أحمد بن حسن الشراحيلى الفيفي وهم في عداد قبيلة آل شراحيل التابعة لمجموعة قبائل الحرث.

وقال بأن قبيلة آل شراحيل لا يعرفون إلا أنهم من خولان يهانية ولم يسمعو ببني مذحج بسلامتهم الذين ذكرهم الباحث.

ولهذا فإن نسبتهم لمذحج بناء على هذا الرابط ليس منهجياً وإنما المنهجي هو الأخذ بما يرويه أهل الشأن من القبيلة نفسها فما أدلوا به فهو الصواب.

وقال الباحث:

(فلا زال لدينا في قبيلة آل شراحيل جبل مهجور يطلق عليه جبل امردم ويطلق على ساكنيه أهل امردم فهذا المسمى وبشكل كبير ما هو إلا نسبة إلى موقعة الردم (الرزم) الشهيرة). (ص ١٣٧).

قلت: سيتساءل القارئ عن هذه العلاقة التي ظهرت للباحث وما مدى اتساقها مع الحوادث، والتاريخ، والجغرافيا؟ لكن قبل ذلك لنقترب أكثر من عبارته هذه حيث سنعثر لديه على تناقض غريب عجيب.

فالجبل كما قرر الباحث: مهجور أي قفرة، ومع ذلك يؤكد أن التسمية التي تطلق على ساكنية هي (أهل امردم) فكيف يمكننا الجمع بين الضدين؟ . . يأتي هذا مع أسلوب المعالجة الضعيفة التي قد تحمل القارئ إلى اتهام المؤلف بتعمد المغالطات لوصفه نقاط جغرافية واضحة بخلاف ما هي عليه، كإطلاقه مسمى جبل على تلة صغيرة أو نتوء جغرافي واهن، لا يكاد يُرى على الخارطة، ومن لديه أدنى فكرة عن جغرافية المكان سيتعجب من مجازفة الباحث التي قد تنال من دقته وحياده وهو يسوق استنتاجات تتعارض مع حقيقة المكان.

والباحث يتكلف بشكل غريب إيجاد العلاقات بين المسميات والحوادث، وهذا من حقه طبعاً . . وإنما وفق منهج بحثي متسق، يُظهر فيه الصرامة والشدة والحياد وهو ما لم نره في منهج الباحث الذي يقش ما صادفه أمامه من لغة ومسميات ولولا

الأمانة العلمية لما وقفت لدى هذه المباحث التي تقصر تماماً عن طفولة التصنيف والتأليف المبكرة في حياة الأمم وقبل تطور الفكر البشري . . فلولا هذه الأمانة التي تقتضي مثل هذا النفس الطويل والصبر على البلاء لما تصدّيت لها.

ويقول أيضاً:

(وكذلك يوجد موقع استراتيجي في ديار آل شراحيل يقال له الرزم، كان سوقاً قديماً وبه طريق قديم جداً للقوافل، وهو نفس مسمى تلك المعركة (يوم الرزم) وهذه نقطة جديرة بالاهتمام، وما الغريب في أن يكون لأهل الردم والرزم بعض التواجد في جبال فيفا). (ص ١٣٧).

قلتُ: المعركة دارت رحاها في وسط الربع الخالي، على بعد مئات الأميال من فيفا وهذا أمر مفروغ منه، فلا يوجد أدنى علاقة بين التسميتين، ولا بين النقطتين الجغرافيتين، ولو اقترب المؤلف من دلالتى المفردتين في بيئتين لسانيتين مختلفين لعيثر بينهما على فروق دقيقة، رغم أن اللغة مشاعة بين العرب أجمع، وهذا لا يجعلنا نخلط في الحوادث، ونتصرف في الجغرافيا، لمجرد عثورنا على أسماء متطابقة.

ويتطلب الجمع بين هذه القرائن التي اجتهد فيها المؤلف جهداً جباراً وتكلفاً شديداً دون أن تتقلنا لشيء، أو تقضي بنا لعلم.

وفي مناسبة مختلفة لها صلة بما نحن في صدد، وجدناه يقول (صفحة ١٦٣) مانصه: (فنحن نقول في فيفا نيد أي نجد) ونقلب الكاف شيئا في بعض حروف (الكاف).

قلتُ: لا اعتراض يهم على قضية قلب الكاف شيئا في آخر العبارة المقتبسة أعلاه رغم مجانبتها للصواب عند التحري للدقة والتحقيق، لكن ما ترونيه داخل القوس الأول عجيب فعلاً ومجازفة غير محسوبة العواقب . . فلقد وهم الباحث فيما أورده هنا وهو قلب صوت الجيم ياء في هذه البيئة اللسانية، فالنيد لا يتطابق مع النجد، ولا هذا يعني ذلك، ولو وقف متأملاً تعريف النيد لوجده مختلفاً عن النجد ولاستطاع الخلوص بأن النجد نقطة جغرافية لا شأن لها بالنيد . . ولاستطاع عندها تلمس الفارق، ثم لجاء حكمه مختلفاً . . ولكنها العجلة التي لا تناسب عملية التصنيف والتأليف.

وهنا دعونا نتلمس الفارق بين التعريفين، ثم نعقد بينهما مقارنة جغرافية علنا نكتشف أن النجد مختلف عن النيد، بينما الباحث اعتبرهما شيئاً واحداً لمفردة واحدة هي (النجد . . النيد) لنرى هل كان موفقاً في حكمه؟ أم أنها العجلة والقلق؟.

أولاً: النيد / تعريفه:

المنخفض بين قميتين، في ذروة الجبل، وملتقى الريح (النود) في ثلم من ذروة الجبل الحادة ويطل على جهتين مختلفتين، ومفرده نيد، ويجمع سماعياً على أنياد ونيود . . ومنها في فيفا نيد الضالع، ونيد آبار، ونيد الدارة، وغيرها الكثير.

ثانياً: النجد / ننقل تعريفه باقتضاب:

هو أرض مرتفعة متسعة المساحة، ذات سطح مستوى ومنحدرة من الجانبين، وفي اللغة هو المكان المرتفع ويقابله لدى الجغرافيين مصطلح "الغور" وهو المنخفض. وقد أطلق الجغرافيون المسلمون على عدة مواقع في الجزيرة العربية مسمى "نجد" مثل نجد اليمن، وهو الهضبة الواقعة شرق سراة اليمن جنوباً عن صحراء الربع الخالي، سمي بذلك لارتفاعه عن تهامة اليمن، وهي السهل الساحلي المحاذي للبحر الأحمر . . أما النجد المعني به هذا فهو نجد الحجاز.

ولو تأملنا التعاريف في أولاً، وثانياً، من أجل المقارنة، لوجدنا بينهما اختلافاً كبيراً، وبوناً شاسعاً، فلا هذا يطابق ذاك مهما تجاهلنا ضوابط التعريف والدقة اللغوية، والباحث يضع في ذهنه هدفاً ثم يهرول باتجاهه محطماً كل القيود المنهجية والاعتبارات العلمية المرعية، فيخرج باستنباطات شديدة التهافت، والغرابة، بحيث تنال من قوة بحثه نتيجة ومؤدى، ولهذا أوصيه بإعادة النظر حول منهجه هذا، مهما كان عمل الإنسان يؤطره النقص، فذلك قمين أن يخرج لأمتة علماً ينتفع به من بعده.

وقبل أن أسدل الستار على هذه المقاربة لا أنسى تلك اللوحة التي نشرها على (الصفحة ٤٠٧) معلقاً . . بالقول:
(وفي الأسفل بعض النقوش الأثرية والإشارات التي توجد على صخرة في أنافية) (ص ٤٠٧).

قلت: سبق لي أن تطرقت لهذه اللوحة عند نشرها من قبل الأخوة برئاسة الأستاذ موسى الحكمي، وذلك عبر مقال نشرته في هذه الصحيفة في حينه، وأشارت إلى أنها كتابات معاصرة تمت بواسطة الدهانات الملونة الحديثة، بفعل المجهولين الاثيوبيين، وفي الفترة الوجيزة الماضية التي لا تتجاوز عشر سنوات، وقد تحدثت عنها بإسهاب وعللت كونها حديثة ولا تنتمي للكتابات الأثرية ولا ما يحزنون.

واستيعاب نشرها في مادة صحفية أمر قد نتجاوزه ونغض عنه الطرف، إنما نشرها في كتاب تاريخي يعد مرجعاً، فغير مقبول، ولا يمكن السكوت عنه بأي حال، ويجب على الباحث غربة المعلومات الهشة من موسوعته ليخرجها للناس مرجعاً خلوا من الترهات والأباطيل الخاطئة، على غرار هذه اللوحة المصنفة تعسفاً في علم الآثار وهي منه براء.

• وأخيراً :

من المفترض أننا نسعى جميعاً (المؤلف والناقد) لتحقيق أدنى سقف من المعايير والمتطلبات التي يجب مراعاتها في المصنفات العلمية، على حد سواء، ومنها (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) التي تناولتها على امتداد عشر حلقات مضت تطرقنا فيها لنماذج عدة سعياً للتذكير بالمعايير والضوابط الصارمة المتعلقة بالبحث والانتاج، والتصنيف العلمي، وما يستدعيه من التجرد التام عن أي ميل أو نزعات نفسية قد تؤثر على وجه الحقيقة الناصع، سواء جاء من قبل المؤلف أو من تلقاء الناقد نفسه.

• وفي الختام

باسمكم جميعاً أيها الأخوة القراء أتوجه بخالص الشكر الجزيل ومنتهى العرفان والتقدير لسعادة الأستاذ المؤرخ القدير حسن بن جابر الحكمي الفيافي. الذي أتاح لي هذه الفرصة الجميلة، فرحب بفكرة هذه الحلقات ودعمها منذ انطلاقتها الأولى، وأبدى تعاوناً منقطعاً أثناء المقاربات النقدية، رغم تمتعه بالإجازة السنوية فبقي على تواصل معي متجاهلاً تلك القسوة التي تند عن النقد في المعتاد، فله منا جميعاً منتهى التقدير والعرفان على ما أبداه من روح رياضية عالية مع مرونة وتفهم كبيرين حتى اكتمال هذه الحلقات، ولعل بعضكم لا يعلم أنه قد شرع في مراجعة لبعض معلومات الموسوعة الميساء وذلك قبل أن نبدأ في نشر هذه الحلقات فلا يظن القارئ أن التغيير قد جاء نزولاً عند رغبات هذه السلسلة النقدية، فلا والله بل الحقيقة على نقیض ذلك، فله منا كل التقدير على سعة صدره وتسامحه الذي يعرفه عنه الجميع، ومهما كنا ندرك سلفاً قيمة النقد إلا أنه يجيء متسلطاً مكفهاً ثقيلًا، ولهذا فالمؤلف مدركاً لهذا الواقع ومتهيناً لمواجهته وتقبله.

مرة أخرى باسمكم جميعاً أوجه له منتهى الشكر والعرفان، على ما قدمه لفيفاء وأجيالها المتعاقبة في المقام الأول، ثم لقاء تفهمه وتواصله الدائم، وتزويدي بالمعلومات التي أطلبها منه وهذا لا يستغرب من الكبار أمثال هذا الرجل الوفي لفيفاء وأهلها، فله منا جميعاً خالص الثناء ومنتهى التقدير. ولا أنسى تقديم الشكر والعرفان لصحيفة فيفا الأولى على تبنيها هذه المقاربة النقدية وأخص بالشكر الأستاذ/ جابر بن ماطر الذي يتحمل غضب الجميع مقابل رضاهم أيضاً وخصوصاً ممن يجدون النقد ظاهرة رجعية مشاكسة وترفاً لا لزوم له.

المكان لك يا أبا سامر . . تفضل كلنا آذان صاغية . .

ثالثاً : نبذة تعريفية :

الأستاذ / حسن بن جابر بن قاسم الحكمي الفيبي^(١)
(المؤلف والباحث التاريخي)
حفظه الله



(١) - هذه النبذة التعريفية (للمؤلف والباحث) كتبها ونشرها الأستاذ عبدالله بن علي قاسم آل طارش الفيبي بصحيفة فيفاء أون لاين؛ بتاريخ: ٨ / ٧ / ١٤٣٤هـ.

للوالدين والأسرة في الغربية، الدور الأكبر، في ربط الأبناء ببلد المنشأ، وتراث الآباء والأجداد، أو فصلهم عنه، فالأسرة الواعية لا تنقطع عن أصولها، فهي تتواصل دوماً مع الماضي الأصيل، في حياتهم الخاصة، داخل المنزل، وفي تعاملاتهم الحياتية العادية، فيزرعون بذلك حب التراث (الصالح منه بالطبع) بممارسته في حياتهم اليومية، والاعتزاز والافتخار بتقاليدهم، والتحدث بلغتهم والتواصل مع بقية الأسر المماثلة في محيطهم، وزيارة بلدتهم من حين إلى آخر وتمضية معظم الإجازات فيها، لتتأصل وتنزرع بعض الذكريات الجميلة في ذاكرتهم، وليتعرفوا على خواص وجماليات بلدتهم، ليتكون لديهم ارتباط وجداني وانتماء واعتزاز وافتخار ايجابي، يربطهم به، ويستطيعون توريثه لمن بعدهم.

فقد نجد في المقابل أناس لا يهتمون بهذا الجانب، ولا يولونه اهتمامهم، انغمسوا في مجتمعاتهم الجديدة، وانشغلوا بتحصيل معاشهم، هجروا بلدانهم، وقطعوا كل ما له صلة بتراثهم، بل وسعوا لاكتساب عادات وموروثات غيرهم، تمضي السنين ذات العدد ولا يزور احدهم بلده، وان زارها لا يصحب أسرته وأولاده، وفي غربته لا يخالط أبناء جلدته، فماذا نتوقع من أبنائه وأحفاده، لاشك أنه سيأتي جيل لا يعرف شيء عن تاريخ أجداده، ولا يعرف موقع بلدة أصوله، ولا يحمل مفخرة ولا منقبة لأهله وبلده، وهو الملاحظ من البعض اليوم (وللأسف) مع قرب الزمان وتقارب المكان، والله المستعان.

صاحب سيرتنا ذو عزيمة وإصرار، ودأب لا يمل ولا يكل، باحث من الطراز الأول، طور قدراته إلى أن وصل بها إلى درجات عالية في هذا المجال، يجهد نفسه وجيبه في سبيل البحث والتنقيب وطلب العلم، يسافر ويكابذ في الحصول على المعلومة الجديدة، يمحس وينقب، يدقق ويقلب، يحسن التحاور واستخراج ما يريد من معلومات، فهو ولا شك ممن ينطبق عليه القول (قلب عقول ولسان سؤل).

يجب أن يجرب كل شيء بنفسه، فان اقتنع به اخلص له وحقق الغاية فيه، وإن لم يجد القناعة تركه إلى غير رجعة، مارس الكثير من هذه التجارب في بداية حياته، لعب كرة القدم، فاستهوته وأتقنها، وبرزت فيها مواهبه، وبلغ فيها مستويات عالية ومتقدمة، وأصبح نجماً يصول ويجول في الميدان، ويشار إليه بالبنان، أشرعت له أبواب النجومية، والمستقبل الواعد والشهرة العالية، ولكنه ترك كل ذلك وأعرض عنه، حيث لم يجد فيها نفسه ولم يحقق طموحه.

استهواه الفن والطرب والغناء، وتعلم العزف على العود وكيفية الأداء، وأتقن مزاياه وأبدع لحونه، وفتحت له الشهرة أبوابها، والتف حوله هواته وأرباب وسار فيه خطوات متقدمة، ولكنه في لحظة صفاء ومصارحة، وقف مع نفسه في جلسة محاسبة ومراجعة، فتبدت له الحقيقة واضحة، واكتشف الزيف وطريق السراب

الذي يسلكه، فعاد إلى الجادة بعد أن صحح المسار، وكسر العود وقطع الأوتار، فهو رجّاع إلى الحق متى ما اتضح له، ولكنه بعدما أهدر كثيراً من الوقت والجهد، وينطبق عليه المثل الشعبي لدينا (يقرم ولا يتعلم) أي مهما حذر فلا يأبه، إلا بعد أن تنضجه ضرام نار التجربة.

وبعد ما جرب وسبر وقاس، ووصل كما قيل (إلى العاس) فيما لم يجد فيه حقيقة نفسه، وطموحه ورغبته وميوله، اتضحت له الرؤيا بكل وضوح، وعرف المجال الوحيد المؤدي إلى الطموح، فلم يجد أفضل من العلم والبحث والقراءة، ففيه سكنت نفسه واطمأنت، وارتاحت وتولعت، فكان هو المسلك الأجدى والأنفع، فطريق العلم سبيل سالك، سلكه دون تردد، فرحاً مرتاح الضمير، واخلص له كعاداته في كل أموره، والعلم خلاف غيره، كلما أعطيته أعطاك، فهو نور وبركة وبرهان، ولقد بلغ فيه بحمد الله مبلغاً متقدماً، وما زال يترقى ويعلو، وتتجدد عزيمته، وتتوالى نجاحاته، نرجو له التوفيق والسداد، ونسأل الله أن يكون ممن ينطبق عليهم قوله صلى الله عليه وسلم (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة).

إنه ولا شك الأستاذ الباحث المتمكن/ حسن بن جابر بن قاسم بن جابر بن يحيى بن أسعد من آل ساهر الحكمي الفيافي .

والده هو الفاضل الشاعر الشعبي جابر بن قاسم الحكمي الفيافي، شاعر شعبي متمكن، شاعر المحافل والملتقيات الاجتماعية، والمتصدر في المحاورات والألعاب الشعبية. وأما والدته فهي الفاضلة مريم بنت حسين سالم السليمان الغزواني.

ولد لهذين الفاضلين في مدينة نجران عام ١٣٨٥هـ، عندما كان والده يعمل في تلك المنطقة، وعاش طفولته في كنفهما، عيشة رضية سعيدة، ولطبيعة عمل والده (عسكري) فقد تنقلت الأسرة في أكثر من منطقة، وعاشت في أكثر من بيئة، من جنوب المملكة إلى شمالها، من نجران إلى الطائف إلى الخميس إلى تبوك. يقول من المكاسب الكثيرة التي اكتسبتها من والدي، والتي أفخر بها، صفة يحبها الله ورسوله، وهي إكرام الضيف، وحب العلاقات الاجتماعية، والتواصل مع الأهل والأحباب والمعارف والأصدقاء والجماعة، ونجدها في الحقيقة بارزة لديه بشكل لافت.

تعليمه:

تعلم الكتابة والقراءة قبل أن يلتحق بالمدرسة، لشغفه المبكر بها، وتوقد ذكائه، فكان يشد انتباهه كل من يراه يقرأ كتاباً، ويتابعه باهتمام غريب، وإعجاب منقطع النظير، بل ويفاجئهم بكثير من الاستفسارات غير المتوقعة ممن في مثل سنه، فقد يسأل عن شيء يلفت نظره مما يحتويه هذا الكتاب أو ذاك، إما خارطة توضيحية أو رسم أو صورة، أو شكل معين لبعض الخطوط، وبعض الأسئلة قد تربك من أمامه، وتحدث بسبب ذلك مفارقات عجيبة، وأجوبة غريبة، ومواقف طريفة، ومن ذلك كما يذكر (أنه رأى ذات مرة الشيخ الكهل حسن بن سعيد الحكمي، وهو في زيارتهم، يقرأ في كتاب بين يديه، فلفت انتباهه، رسم جميلة في أحد الصفحات، للفظه (صلى الله عليه وسلم) فابتدر دون تردد يسأله عن ماهيتها؟ فأجابه بعد أن حدق فيه النظر، قائلاً إنها رسم سيارة، وما ذلك إلا ليشغله عن إحراجها، وليصرفه مؤقتاً بما يلهيه عنه).

وقد يكون من أسباب إعجابه وتعلقه بالقراءة، أنه منذ وعى وأدرك، وهو لا يكاد يشاهد والده إلا ممسكاً بكتاب يقرأه، فوالده من هواة القراءة والمغرمين بها، رغم محدودية تعلمه، فهو يهوى اقتناء الكتب وجمعها، ويميل منها إلى كتب الحكايات الشعبية، والأشعار النبطية، ولعل كونه شاعراً شعبياً متذوقاً، جذبته إلى قراءة ما ينمي معلوماته، ويوسع مداركه وثروته اللغوية، ويعينه على الاقتباسات البديعة، والصور التشبيهية الجميلة، لذلك قلده ولده في البداية، وحاكاه في هواية القراءة، حتى أصبح مدمناً عليها مولعاً بها، لا يكاد يشبع فيها ولا يمل منها بل ويحكي من فرط تطلعه لتقليد والده، انه كان يمسك بالورقة والقلم، ويطلب من والده أن يعلمه الكتابة، وفي ذلك يقول: (أنه أثناء ما كان والده يقرأ في سيرة الزير سالم، ويسمعه يكرر هذا الاسم، أصر عليه أن يعلمه كيفية كتابة هذا الاسم (الزير) وفعلاً علمه ذلك حتى أتقنه، وعلمه كتابة غيرها من الكلمات، فكانت لعبته المحببة، التي يفاخر بها بين أقرانه، ويتحداهم في مجاراته فيها) ومن حينها تعلق بالعلم بشكل عجيب، وشغف بالقراءة والكتابة، بل كان يكتب كلما يتعلمه، ويكرر كتابته دون ملل، وعلى أي سطح يجده أمامه، على جدران البيت، وعلى الأوراق وأغلفة الكتب، وعلى الأرضيات وعلى تراب الشارع، فكانت الكتابة في تلك السن هي لعبته المفضلة.

بلغ سن الدراسة ووالده مقيماً حينها في مدينة الطائف، فألحقه بالمدرسة الابتدائية في حي الثقافة حيث سكنهم، وذلك في حوالي عام ١٣٩٤ هـ، وله موقف طريف مع أول يوم له في المدرسة ما زال يذكره، وهو يدل على ذكائه وجرأته، فقد سأله المعلم عن اسمه؟ فقال له بصوته الصغير الطفولي، اسمي حسن سابل الفيفي، فكتبه المعلم على السبورة، كما تهئى له أنه سمعه (حسن صابر الفيفي) فقال في الحال لا يا أستاذ ليس حسن سابل اسمي حسن سابل، فقال المعلم آسف تعني حسن سابر، فأصبحت في أخذ

ورد، فلم يستطع إفهام المعلم باسمه الصحيح، والمعلم لم يوفق إلى كتابته، فابتدر دون تردد وأخذ القلم من يد المعلم، وكتب اسمه حسن جابر الفيفي، فقال المعلم بارتياح أه (حسن جابر الفيفي) فقال أجل (حسن سابل الفيفي) فضحك المعلم.

وهذا دليل نبوغه وذكائه من تلك السن المبكرة، واستمر في دراسته متفوقاً، فكان هو الأول على صفه في جميع سنوات المرحلة الابتدائية، بل وحصل أن انتقلت الأسرة، وهو في الصف الثالث الابتدائي، إلى مدينة خميس مشيط، بحكم عمل والده العسكري، فالعسكرية لا استقرار لها في مكان واحد، فعندما وصلوا إلى خميس ولم يكن في الحي الذي سكنوه (حي الصنادق) مدرسة ابتدائية قريبة، ولم تكن المواصلات المدرسية متيسرة، مما اضطره إلى البقاء في البيت لأكثر من شهرين دون دراسة، طوال الفصل الدراسي الأول، فلما بدأ الفصل الدراسي الثاني تيسرت الأمور قليلاً، ولكن بعد محاولات مضنية، تم إقناع مدير المدرسة (مدرسة الإمام النسائي الابتدائية بأمر سرار) بقبوله، بعد أن اشترط أن يختبره في جميع مواد الفصل الدراسي الأول، ولا يتم قبوله إلا باجتيازها، وأعطاه مهلة للمذاكرة عطلة الأسبوع فقط (الخميس والجمعة) وبدأ فعلاً في المذاكرة، ودخل الاختبار، فكانت النتيجة بحمد الله وتوفيقه النجاح بتفوق أبهر المعلمين، حتى أنه هو لم يصدق أنه نجح، وكان ترتيبه الأول على كل المنتظمين، الذين لم ينقطعوا عن الدراسة، مما لفت إليه أنظار المعلمين، وأولوه اهتمامهم لتفوقه الدراسي والأخلاقي، ثم لمواهبه المتعددة، فكانت له مكانة خاصة لديهم، حتى أنهم في بعض النزعات البرية يصر بعض المعلمين على أن يتناول الطعام في معيشتهم، ويشاركهم لعبهم ومرحهم، ولتفوقه ونبوغه في المدرسة أهله ذلك ليكون رئيساً للمسابقات الثقافية، بين الصفوف داخل المدرسة، ومع المدارس الأخرى خارجها، فكان يبذل في سبيل ذلك جهداً مضاعفاً، بل ومن فرط حماسه وحرصه على التفوق والفوز، أنه كان يبكي حرقاً وقهراً، إذا ما تغلبت على مدرستهم إحدى المدرس، في هذه المسابقات الثقافية والتنافس العلمي.

وقد دفعه ذلك إلى تنمية مواهبه، وزيادة معارفه، فانهمك بكل قوة وإصرار على الاستزادة من طلب العلم، والقراءة والاطلاع في كل المجالات المتاحة، حتى أنه لم يصل إلى الصف الخامس الابتدائي إلا وقد حفظ الكثير من سور القرآن الكريم، والكثير من الأحاديث النبوية، والأشعار والأدب، واستحوذت عليه القصص والحكايات الشعبية، حتى أنه وهو في هذه السن كان قد فرغ من قراءة حكاية ألف ليلة وليلة بأجزائها الثلاثة، وفرغ من كامل أجزاء قصة عنتر بن شداد، وسيف بن ذي يزن، والوزير سالم، وبعض قصص نجيب محفوظ، والسحار وغيرها، والكثير من قصص الأطفال، فتولع بالأدب وعشقه.

ويحكى أنه كان عند عودته من المدرسة، تكون والدته قد جهزت له حافظة من الشاي، وأعدت له فراشاً في أحد زوايا البيت، فيقضي معظم وقته بين الكتب، يقرأ فيها بكل نهم وشوق، ولما كان سكنهم في تلك الفترة في نهاية التسعينات الهجرية في أحد الأحياء الشعبية، حيث لم يتاح لهم السكن داخل المدينة العسكرية، لمحدودية البيوت فيها، مقارنة مع الأعداد الكبيرة من العسكريين، ولظروفهم المعيشية والرواتب المتدنية، فكان معظمهم يسكنون في ما يعرف بحي الصنادق، وهي من الأحياء الشعبية العشوائية في أطراف بلدة خميس مشيط، ولم تصلها الكثير من الخدمات ومنها الكهرباء، فكان الناس لا تتوفر لهم إلا البسيط من الإضاءة، لذلك كان في الليل قبل أن يخلد إلى النوم، يذاكر دروسه على ضوء الفانوس، فإذا ما فرغ من واجباته المدرسية، أقبل على قراءة ما يجده من كتب وحكايات، فكان في كثير من الوقت لا يتنبه إلى مرور الوقت، فكان والده يقوم في بعض الليالي في وقت متأخر من الليل، فيجده وهو على وضعه ساهراً لم ينام، يحكي لنا شيء من ذلك، فيقول (من المواقف الطريفة، أنه كان يقرأ ذات ليلة على ضوء الفانوس، فدخل عليه والده ووبخه على سهره إلى مثل تلك الساعة المتأخرة، وأمره بالنوم حالاً ليستيقظ مبكراً ونشيطاً للمدرسة، وما إن خرج والده من الغرفة إلا وعاد مرة أخرى إلى كتابه، لأنه لم يستطع أن يدعه بهذه السهولة، ولكن الوالد عاد بعد قليل فوجده على حاله مستمراً في القراءة، فعضب عليه وابتدر فأطفأ الفانوس، فعندها لم يجد حيلة إلا أن ينام، مع ما يشعر به من إحباط وقهر على عدم تركه ليتم قراءته).

لقد بلغ من شغفه بالقراءة وبالكتاب، أنه لا يستهويه شيء كالكتاب، ومن شواهد أنه رافق والده مرة إلى وليمة، في منزل الفاضل محمد بن قاسم الحكمي، من جيرانهم في حي الصنادق، فلفت نظره مكتبة صغيرة في أحد زوايا المجلس، فيها عشرات الكتب الشيقة، وضمنها كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور، وكتاب عن العملاق الأسطوري عوج بن عنق، في زمن نوح عليه السلام، فلم يتمالك أمره أمام هذا الإغراء، بل نسي كل شيء من حوله، وانكب على القراءة في هذين الكتابين، نسي اللعب مع أقرانه في فناء المنزل، وانشغل عن الرجال في أحاديثهم وفي سمرهم ولعبهم.

استمر على ولعه بالقراءة هذه، طوال دراسته في المرحلة الابتدائية، ولما انتقل إلى المرحلة المتوسطة، ودخل بداية سن الشباب والمراهقة، تغيرت نظرته للحياة قليلاً، وقل اهتمامه بهذا الجانب، فتحول اهتمامه إلى إبراز جانب آخر من شخصيته، ومال قليلاً إلى ممارسة الأنشطة البدنية والرياضية، التي أخذته كثيراً عن هوايته الأولى (القراءة) ففي هذا السن مع بداية مراهقته المبكرة، وما يتبعها من سلبات أثرت على اهتمامه، وانخفض مستواه الدراسي عن ذي قبل، وفقد بعض المميزات السابقة فاتجه إلى الاهتمام بجسمه، وتنمية قواه العضلية، فكان يتمتع بلياقة عالية، حتى أنها

استهوته لعبة كرة القدم، وسخر غالبية وقته لممارستها، حيث أجادها بشكل كبير، وأصبح ممن يشار إليهم بالبنان، وكل ذلك بالطبع على حساب مستواه الدراسي وهواياته الثقافية والعلمية والأدبية، وتحول حبه وميوله إلى الرياضة البدنية، وانغمس في عالمها المبهر الجذاب، وكان حلمه أن يصل إلى تمثيل المنتخب، ويلعب للأندية الكبار، ولكن بعض العوائق والإصابات البدنية، حالت دون تمكنه من إكمال حلمه في هذا المجال.

فهو لاشك يمتلك العديد من المواهب، ويتميز بإخلاصه لما يهواه من هذه الهوايات، ويجد من أسرته ووالديه التشجيع، وعدم معارضته فيما يختطه لنفسه، فيتركها له قناعاته ينميها كما يشاء، فلما وجد فيه ميلا إلى ممارسة الرياضة دعماء وشجعا، ولما اتجه إلى الفن الغنائي، نبهه والده إلى سلبيات هذا الاتجاه، ولم رأى منه إصراراً على السير فيه، اشترط عليه ضوابط أخلاقية يلتزم بها في مسلكه، وفعلا وعد والده وأوفى بما التزم، وسعى جاداً إلى تعلم العزف وأصول الغناء، وأتقنه في وقت قصير، وأبدع في العزف على العود، وابتكر العديد من الألحان، مع حسن الأداء وحلاوة الصوت، فنفذ العديد من الأغنيات الجميلة، حيث قام بتلحينها وأدائها ولنجاحه عرض عليه بعض المسؤولين في جمعية الفنون والثقافة بأبها، تسجيل بعض هذه الأغاني في التلفزيون، الذي كان في تلك الفترة يشجع مثل هذه المواهب، وتتبنها الجمعيات الرسمية.

ولكنه سرعان ما خرج من طيش الشباب، وجنون المراهقة، وعاد إلى التعقل ومراجعة النفس، والبحث عن الطريق الذي يحسن به أن يسلكه، لمّا أحس في حياته العابثة تلك، بالخواء والخذاع، ووجد أنه يكتنفها الكثير من الزيف والكذب، فما أسرع ما راجع نفسه، وعاد إلى عقله وفكره المنطقي، فترك كل هواياته الوهمية، وعاد إلى هوايته الأولى وعشقه العتيق، في القراءة والتنقل بين الكتب والأدب، فعاد ولسان حاله يقول:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

في عام ١٤٠٤هـ أنهى دراسته المتوسطة، وبادر بالالتحاق بمعهد إعداد المعلمين في خميس مشيط، ولكن في ذلك العام انتقل عمل والده من جديد إلى مدينة تبوك، فانتقل للدراسة في معهد إعداد المعلمين في تبوك، ولكن مع انتقاله تعرض لظلم دراسي كبير، حيث حرم بسببه من اختبار مادة الأحياء، بحجة التأخر عن أداء الاختبار في الموعد المحدد، وما ذلك إلا لسوء فهم، لأجل ذلك لم يقدر على البقاء في هذا المعهد، وهو يشعر بما حاق به من ظلم، فترك أهله وعاد بملفه إلى معهد المعلمين في خميس مشيط، ولكنه عاد محبطاً يائساً، فكانت نتيجة هذا الإحساس وهذا الشعور، أن فقد الثقة في نفسه وقدراته، فكان من نتائجها أنه أخفق في معهد المعلمين، وعاد مرة أخرى إلى تبوك، وإلى أهله يحمل الكثير من الإحباط والشعور

بالخذلان، ولكن سرعان ما استعاد توازنه، فعاد بهمة عالية ونشاط متجدد، فالتحق بالمعهد الثانوي التجاري في مدينة تبوك، وأكمل دراسته فيه، وحصل على شهادته الثانوية، ثم التحق بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وانتسب في كلية الاقتصاد والإدارة، بعد أن التحق بأحد الوظائف الحكومية في تبوك، كاتباً في رئاسة المحاكم الشرعية.

لقد رباه والده على الاستقلال، والاعتماد على النفس، بل بحكم عمل والده العسكري وكثرة تنقله والغياب الطويل عن البيت، جعله يسند إليه معظم الواجبات الأسرية، وتوفير متطلبات أهله وجلب المصالح لهم، ولأجل ذلك اكتسب الثقة بنفسه، والاعتماد على قدراته الذاتية، وكان والده يثق بحسن تصرفه، ورجاحة عقله وحسن اختياره، وسعيه منه عندما كبر، إلى تحسين دخله، ومساعدة والده، والرفع من مستواه المالي، بادر إلى الالتحاق بدورة ميكانيكا سيارات، في المعهد المهني للتدريب، لمدة عام كامل، وبعدها أثر ترك العمل الوظيفي الحكومي، والالتحاق بالعمل في شركة سمارك (بترومين سابقاً) واعتذر عن إكمال دراسته الجامعية، ثم لم يمضي طويل وقت حتى توحدت هذه الشركة (سمارك) مع شركة أرامكو السعودية، واندمجتا في بعضهما، وأتاح له ذلك فرصة الالتحاق بمعهد أرامكو السعودية للتدريب (ITC) حيث وجد فيه ضالته وميوله النفسي، لذلك نبغ في دروسه وأبدع، وحقق تقدير Out Standing على مدى ثلاث سنوات متتالية ويعتبر هذا التقدير في معهد أرامكو (أنه يفوق المطلوب أو الممتاز) وهو تقدير يحصل عليه من تعدى مرحلة الامتياز.

وقد حرص كذلك على تعلم اللغة الانجليزية، إلى أن أجادها تحدثاً وكتابة، وسعى إلى إتقان الحاسب الآلي، وحصل فيه على العديد من الدورات المختلفة، وكان من إتقانه له أن كل أبحاثه التي قام بنشرها، هو الذي يقوم بصفها وتنسيقها بنفسه، إلى أن يتم تسليمها في نسختها النهائية للطباعة، وهو يحرص على تطوير قدراته الذاتية وقد حصل على الكثير والعديد من الدورات المختلفة والمتنوعة، والخاصة بمجال عمله وغيره، حتى أنه حصل على دورات طبية، في ما يتعلق بإنعاش القلب والرئتين، والإسعافات الأولية (مسعف).

الأعمال الوظيفية:

كما سبق وذكرنا فإنه تنقل في عدة وظائف وأعمال، فكان أول عمل وظيفي، عمله كاتباً في رئاسة المحاكم الشرعية في تبوك، وبقي فيها لما يقارب الخمس سنوات، وتدرج إلى أن وصل إلى المرتبة الخامسة، ولكنه لم يرق له العمل الوظيفي الروتيني، لذلك أثر ترك هذا العمل، واتجه إلى العمل المهني في القطاع الخاص، وهياً نفسه بالتخصص المهني الذي تتطلبه مثل هذه الشركات، فالتحق بالعمل في شركة سمارك، وهي شركة تسويق البترول (بترومين) ولكن سرعان ما اندمجت

هذه الشركة بموظفيها ومعداتھا، في شركة أرامكو السعودية، فأصبح من موظفي شركة أرامكو وما زال.

شركة أرامكو من الشركات العملاقة على مستوى العالم، وتھياً موظفيھا بالكثير من المهارات والخبرات اللازمة، لذلك اشترطت على موظفي سمارك المنضمين إليها حديثاً، الالتحاق بمعھدھا الصناعي (معھد أرامكو السعودية للتدريب) ليسهل تدرجھم في وظائفھا، وقد التحق بھذا المعھد، وتخصص في أحد فروعه، وكانت الدراسة فيه لمدة ثلاث سنوات، نجح فيه بتفوق كما أوضحنا سابقاً، وبعدها انخرط في عمل هذه الشركة العملاقة بكل جد وتفان، وتنقل في عدة وظائف وما زال، وآخرھا عمله الحالي مشرف مبيعات، بفرع أرامكو السعودية بقاعدة الملك فيصل الجوية بتبوك، وقد كسب من خلال أعماله الوظيفية، وبالذات في هذه الشركة الكبرى، العديد من الفوائد، والكثير من التجارب والتفوق، وحصل على الحب والتقدير والاحترام، من رؤوسيه ومن كافة زملائه في العمل، لدمائته أخلاقه، وحسن تعامله، وجده وإخلاصه.

خدمته للعلم واهتمامه بتراث فيفاء:

مع أنه لم يعيش في فيفاء، ولا يأتيھا إلا زائراً على فترات متقطعة، إلا أن لها في قلبه مكانة خاصة، ومحبة فريدة، وعشقا لا ينتهي، ولاشك أن لوالده واعتزازه بذكریات شبابه فيها، وما يسرده على مسامع ولده منذ صغره ويكرره، من حكايات وذكريات، وقصص وبطولات، ومسميات وعادات، وحكم وأشعار وروايات، بل وما وجده من اهتمام الأسرة بكاملھا بموروث فيفاء، ومحافظتهم على الصلات والتواصل، والتمسك بالعادات والمعاملات، واعتزازهم باللغة والموروث الشعبي، جعله يعيش في قلب أصالتها، في ارتباط وجداني، جعله لا ينفك عن التفكير فيها، والحلم بالمثالية التي يسمعھا عنها، فتعلق بها قبل أن يراها، فلما أتحت له فرصة رؤيتها، والتعرف من قرب علیھا، وقد هیأ وأعد مسبقاً بالكثير من الصور البديعة عنها، فعشقھا بكل جوارحه وهام بها، يلحظ كل ذلك من خلال ما يسطره في كتبه ومقالاته، وفي أحاديثه وحكاياته، وفي اقتنائه لتراثھا، وبذله كل ما يملك في خدمتها، والرفع من شأنھا، وهو يجيد الحديث بلغتها، ويستوعب مفرداتها، ويفهم كل مسمياتھا، ويغوص في دقيق معانيھا، ومن أجل ذلك خصص كثيراً من جهده لخدمتها، وتأصيل ماضيھا، وتخليد تراثھا، والاهتمام بعاداتھا وموروثھا، ودراسة تاريخھا، والبحث عن كل ما يتعلق بها، سافر كثيراً، وشرق وغرب داخل وخارج المملكة، واتصل وتواصل مع العديد من المواقع المهمة بالتاريخ والآثار، وقابل الكثير من الناس من أبنائها ومن غيرھم، ودقق في حكاياتھم، وسجل ذكریاتھم، مما يھم فيفاء وأهلھا، ورصد ووثق وتوسع كثيراً في ذلك.

لقد كان مبلغ همه كما يتحدث وكما يلاحظ، أن ينقذ ما يمكن إنقاذه من تاريخ وتراث آبائه وأجداده، الذي اجتاحته وتجتاحه الحضارة الشاملة في هذا العصر، فقام بالعديد من الرحلات الميدانية، سواء في فيفاء أو ما جاورها في جازان وفي اليمن، وفي المكتبات ودور النشر، وفي المواقع والشبكات العنكبوتية الهائلة، وجمع كل ما وجدته من مادة عنها، ووفق كثيراً بفضل الله في مسعاه، وجمع مادة كبيرة في هذا المجال، أخرجه كما رأيناه في كتبه ومدوناته، وقدمه سهلاً ميسوراً لكل مهتم، لا يحركه إلا الحب والعشق والهيام، لم يكن يسعى لسمعة ولا لكسب مادي، بل كان دافعه إيمانه بنبل الهدف، وسمو الغاية، واحتساب رضا الله والأجر منه وحده، ثم رضا الناس في تحقيق ما يهمهم في هذا الجانب.

وفي هذه الرحلة الكتابية الطويلة والشاقة، جمع العديد من الكتب والمراجع والمخطوطات النادرة، فيما يخص فيفاء وما جاورها، بما يجعله في مقدمة المهتمين بجمع مثل هذا التراث من أبناء فيفاء ومن غيرها.

وكان نتاج جهده وسهره، إخراج العديد من المؤلفات الكثيرة والكبيرة، المطبوع منها والمعد للطبع، وهي في معظمها موسوعات علمية شاملة، وبالذات كتابه الموسوعي (الموسوعة الميساء لجارة القمر) والتي سنفرد له حديثاً خاصاً، وغيرها من المؤلفات الكثيرة والمتعددة، ومنها:

- ١- كتاب جارة القمر فيفاء (مطبوع).
 - ٢- الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء (مطبوع).
 - ٣- رسالة قد تحدث شيئاً (مطبوع).
 - ٤- رواية سوسن أنت الحب (تحت النشر).
 - ٥- له بعض المحاولات الشعرية الجيدة (مخطوط).
- وأما كتابه (الموسوعة الميساء لجارة القمر)، فهو اسم على مسمى، لأنه فعلاً كتاب موسوعي، يشمل تعريفاً شاملاً ووافٍ عن فيفاء في جميع نواحي الحياة فيها، وهو كتاب ضخم يقع فيما يزيد على (٦٠٠) صفحة، شامل على عدة أبواب وفصول، ويستوعب كل مناحي الحياة قديماً وحديثاً في فيفاء، ويحوى تعريفاً بتراثها الكبير. لنقتبس شيئاً مما ذكره في مقدمتها، وما انتهجه في تأليفها، حيث يقول:
- انتهجت في تأليف هذا الكتاب الخطوات الآتية:

١. بدأت في التعريف العام بجبال فيفاء وجغرافيتها، ثم ذكرت القبائل وما إلى ذلك.

٢. انتقلت بعد تلك التعاريف إلى القسم المهم من هذا البحث، وهو الحديث عن فيفاء عبر التاريخ.

٣. تطرقت إلى التعليم وبداياته في جبال فيفاء، وما آل إليه اليوم.

٤. عملت فصلاً خاصاً للهجة في جبال فيفاء، والتراث الشعبي واللباس.

٥. عملت فصلاً خاصاً بالاقتصاد في فيفاء.

٦. أضفت فصلاً عن الطبيعة في جبال فيفاء، وأهم معالمها المتميزة، مدعمة ببعض الصور الفوتوغرافية المتواضعة، والتي تصف طبيعة فيفاء كما تشاهد بالعين.

٧. وبعد ذلك قمتُ بعملٍ دعاية سياحية لزيارة هذه الجبال الفاتنة. والكتاب فيه جهد كبير، وعلم غزير، استوعب الكثير والكثير عن فيفاء، في كل المجالات التي تحدث عنها، كتاب لا يستغني عنه باحث في تراث فيفاء، فقد كفى ووفى كما يقال، زاده الله علماً وفهماً، ووفقه وأحسن جزائه، وبارك فيه وفي جهده، وفي حياته وفي ذريته.

وله كذلك العديد من الاهتمامات المتعددة، الأدبية والتاريخية والثقافية، وهو عضو في النادي الأدبي ببتوك، وعضو مؤسس وأساسي في ملتقى فرسان قبائل فيفاء ببتوك.

وهو لا يكتفي بما يجمعه من بحوث ودراسات، بل يشارك في كثير من المجالات المتاحة للنشر وإبداء الرأي، والمشاركة الفاعلة في نشر الثقافة والمعرفة والنقد الهادف، وهو مشرف وكاتب ببعض المنتديات، وبعض الصحف الإلكترونية الرسمية.

وله على مستوى الوطن أدواره الإيجابية، بالإضافة إلى إبراز تراث وجوانب النهضة في بلده فيفاء، فهو مشارك في مؤتمر الحوار الوطني، الذي يقيمه مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، وشارك في بعض البرامج الإذاعية، شارك في إذاعة الرياض، برنامج (الصيفي السياحي)، حول التعريف بفيفاء.

ونتيجة طبيعية لما يقوم به من مجهودات في سبيل إبراز فيفاء، سواء عبر كتاباته المتنوعة الشاملة، وما أنتجه من المؤلفات التاريخية والاجتماعية، عن معشوقته فيفاء (جارة القمر) كما أسماها، فقد حصل على الثناء المستحق، والمدح والإشادة من خلال العديد من الشهادات الكتابية واللفظية، من كثير من أبناء فيفاء، سواء الشخصية أو الاعتبارية، ومن ذوي الجاه والمناصب القيادية والاجتماعية، شيوخاً وقضاة ودكاترة، ومن كبار الضباط وغيرهم من أبناء فيفاء.

بل ومن غير أبناء فيفاء، كمعالي وكيل وزارة الداخلية للشؤون المالية والإدارية (الأستاذ محمد بن سعد بن محمد الماضي)، ومن مدير إدارة التعليم بمنطقة جازان سابقاً (الأستاذ محمد بن سالم العطاس) ومدير إدارة التعليم بمحافظة صبيا سابقاً (الأستاذ كرامة الأحمر).

وأثنى عليه العديد من شعراء فيفاء، بعدد من القصائد الشعرية الفصيحة والنبطية، نشر بعضها في منتديات فيفاء، وفي صحيفة فيفاء أون لاين، مما يتعذر علينا حصرها وذكرها في هذه الإلماحة الموجزة، عن صاحب هذه السيرة المباركة.

ومن الكتب التي تحدثت عنه، وأشارت إلى شيء من جهده نجد:

- ١- معجم مؤرخي تهامة لصاحبه (محمد بن يحيى أحمد الحكمي).
- ٢- موسوعة القبائل العربية - الجزء الحادي عشر- لصاحبها (محمد بن سليمان الطيب) مصري الجنسية.
- ٣- الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء لصاحبه (حسن بن جابر الثويحي الفيحي).
- ٤- موسوعة منطقة تبوك العلمية.

ولم يقتصر نشاطه الثقافي والاجتماعي والعلمي على إصدار بعض المؤلفات القيمة كما رأينا سابقاً، بل أتبع ذلك ببعض النشاطات الأخرى، وذلك بالمشاركة في بعض ملتقيات أبناء فيفاء في أنحاء المملكة، وقيامه بإلقاء بعض المحاضرات المرئية عن جارة القمر فيفاء، وإقامة المعارض التراثية الخاصة بتراثها، وإقامة أكثر من معرض للكتاب الفيحي، عرض فيه بعض إصدارات أبناء وبنات فيفاء المتنوعة، وبعض الإصدارات لأبناء القبائل المجاورة لفيفاء، مفتخراً بامتلاكه أكبر مكتبة فيفية (جميع فيها إصدارات أبناء فيفاء، وبنو مالك وبلغازي). والذي يحاول من خلالها زرع حب الكتاب والقراءة والكتابة في كافة أبناء فيفاء كباراً وصغاراً. وهو حقيقة كتلة من النشاط والإبداع والعمل الدؤوب، الذي لا يكل فيه ولا يمل، فيهتم اهتماماً كبيراً بجمع التراث الشعبي عن فيفاء، بشقيه المادي والأدبي، ولا شك أنه ضحى بالكثير من الوقت والمال والجهد في سبيل ذلك، وأتعب نفسه في البحث والتحميص، وأفنى على جمعه السنين الطوال، والأسفار الشاقة، والتجوال المرهق الذي لا ينتهي، لا يدفعه إلا حبه لهذا الكيان الغالي، وهدفه المحافظة بكل قوة وعزيمة على تراثها، والتعريف بها وإبرازها، عبر ما جمعه ويجمعه عنها، وما يقدمه ويقيمه من العديد من المعارض الخاصة بتراثها، في العديد من المناطق، والذي يحضى باهتماما منقطع النظير، من كل من يحضره، حيث يحضره شخصيات مهمة ومن عليا القوم، ولقد اطلع سعادة شيخ شمل قبائل فيفاء، الشيخ علي بن حسن (حفظه الله) على هذا المعرض في أحد المناسبات، وأبدا سروره وإعجابه وتأييده للهدف الذي يقام من أجله هذا المعرض، وما يحويه من المعروضات التراثية الثرية، ومن إبراز ماضي فيفاء العريق، وربط أجيال الحاضر بهذا الماضي التليد.

بل إن الزائر لمنزله يرى الاهتمام البارز، حيث حول جزءاً منه إلى متحف تراثي كبير، ولا شك أنه قد حقق الكثير من أهدافه وأحلامه، واستطاع رسم الابتسامة، وإدخال البهجة والسرور على كافة أطراف مجتمعه، من أهالي فيفاء خاصة، ومن محبيها عامة، من الكبار والصغار والنساء والرجال.

وقد حصل في سبيل جهده واجتهاده، على العديد من الدروع التكريمية، والشهادات التقديرية، حيث جرى تكريمه من قبل العديد من ملتقيات أبناء فيفاء في مناطق

المملكة، نظير ما قام ويقوم به من مجهودات تاريخية واجتماعية، ومن مشاركات ايجابية في ملتقياتهم، ومن ذلك ما ناله في كل من:

١. ملتقى فرسان قبائل فيفاء بتبوك (أكثر من مرة) على جهوده ومشاركاته القيمة والمثمرة في هذه الملتقى.

٢. ملتقى الخير لأبناء فيفاء في حفر الباطن، لما قدمه من كتب وكتابات عن جارة القمر فيفاء.

٣. ملتقى أبناء فيفاء بالجبيل (مرتين) لما قدمه من كتب وكتابات عن جارة القمر فيفاء.

٤. ملتقى أبناء فيفاء بالدمام والخبر، لما قدمه من كتب وكتابات عن جارة القمر فيفاء.

٥. ملتقى أبناء قبائل فيفاء بجدة، لمشاركته لهم في ملتقاها وإقامة معرض تراثي كبير، ومعرض كتاب (إصدارات أبناء فيفاء وبعض القبائل المجاورة)، وكذلك إلقاء محاضرة مرئية عن جارة القمر فيفاء، وقصيدة شعرية عن ملتقيات فيفاء.

٦. ملتقى أبناء فيفاء بالطائف، لذات الغرض الخاص بملتقى قبائل فيفاء بجدة. وفي أرشيفه الكثير من رسائل الشكر والثناء، والقصائد العصماء، من الشعر البديع، والثناء البليغ، من بعض أبناء فيفاء، بجميع أطراف المجتمع، من قضاة ودكاترة جامعات، وأطباء وضباط، وأدباء وكتاب وشعراء، ومن شيوخ قبائل وأعيان، وهي في معظمها رجع صدى لكتابه (جارة القمر) و(الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) تعبر بصدق عن مكنونات القلوب، حباً وعرفاناً بما وجدوه في كتابه مما يهتمهم، وهو لا شك جدير بكل ذلك وأكثر، وفقه الله وجزاه خيراً عن كل جهوده وبحوثه النافعة.

الحالة الاجتماعية:

متزوج ولديه بفضل الله العديد من الأولاد من بنين وبنات، منهم من تخرج من الجامعة، ومنهم من لا زال في طور التعليم بمختلف مراحلها، ونخص منهم:

١- سامر: معلم لغة انجليزية وهو يعد نفسه حالياً لنيل درجة الماجستير بإذن الله.

٢- أماني: تدرس في السنة النهائية في كلية العلوم الطبيعية، جامعة تبوك وكرمت هذا العام في الكلية لتفوقها.

٣- أيمن يدرس في بدايات المرحلة الجامعية.

وقبل الختام :

إن السر الذي يخفيه عن الكثير خلف ابتسامته التي لا تفارق محياه، أنه يعاني ألماً مزمناً، بسبب ما يجهد به نفسه بالكتابة، والانكباب على الكتب والحاسب الآلي، ليلاً ونهاراً، فلا تكاد تلقاه إلا وهو بين كتبه وأقلامه وأجهزته، فلا يشغله بعد أداء عمله الوظيفي المجهّد إلا انشغاله بالكتابة، وتقصي الحقائق من مصادرها الحقيقية، للنهوض كتابياً بفيفاء، في كافة المجالات التي تستدعي الكتابة، مع ما يعانيه من الآم دائمة في منطقة الرقبة والكتفين واليدين، وما يصاحبه من صداد أحياناً، ولكن كل ذلك لا يأبه له، ولا يعيق طريقه عن مواصلة بحوثه التاريخية والأدبية، حتى يحقق بفضل الله ما يصبو إليه، رغم التشخيص الطبي لمعاناته بسبب ذلك، ولكنه وكأنه لا يهتم كل ذلك، لأن له هدف قد اتخذه لا يحول عنه مهما كانت التضحيات.

وإذا كانت النفوس كبار
تعبت في مرادها الأجسام

وهو لا يفتأ في الافتخار بأن القراءة والكتابة، والبحث والرحلات الميدانية المتعددة، تأخذ جل وقته، وهي لا شك مفخرة قيمة، ومع ذلك فلم تنثه أو تعوقه عن التواصل الاجتماعي مع أهله وأصدقائه، وأبناء مجتمعه، ومعارفه الكثر، الذين لهم مكانة خاصة لديه.

ونختم بإيراد نموذج بسيط لقصيدة من شعره، أعدها بمناسبة زيارة فضيلة الشيخ الدكتور عائض بن عبد الله القرني، لملتقى فرسان تبوك في يوم الخميس ٢٢ / ٦ / ١٤٣٤هـ حيث يقول:

أهلاً حلّلتُم مرحباً زوّارنا
سرّت تبوك وأهلها لمجيئكم
أبناءً فيفا في تبوك رحبوا
قد سرّهم تشريف شيخ فاضل
شيخ جليل عالم ذو حكمة
في العلم بحر هائج أمواجه
كل العلوم إلى رقي عنده
يا شيخنا عن ملتقانا إن تسل
في ملتقانا ترتقي أهدافنا
نحيي ثرائاً عطره عادائنا
في ملتقانا نخبة قد أبدعوا
يلقون كلّ الدعم ممّا نحوهم
أطفالنا في ملتقانا أصبحوا
في ملتقى الفرسان خير وافر
لا نبتغي غير الرضى من ربنا

يا شيخنا شرّفتَ هذا الملتقى
ثم الصلاة على النبي وآله
سهلاً وطئتم صفوة الضيفان
من سائر الأطياف والأعيان
والكلُّ رددَ أعذبَ الألحان
يا مرحباً يا عائضَ الكهلاني
أخلاقه نورٌ من الإيمان
فكرٌ منيرٌ ثابتٌ الأركان
كم فيه من أدب وحسن بيان
يأتي جوابي واضح التبيان
إذ نلتقي في ملتقى الفرسان
إحياء ذكرى سالف الأزمان
لوحات رسم زاهي الألوان
من أحسنوا يُجزون بالإحسان
نشأ هم الحفاظ للقرآن
يرعى فقيراً عفاً بالكتمان
رجوى قبول الواحد الديان
فاقبل عظيم الشكر والعرفان
ما أشرقت شمس على الأكوان

لا فض فوك، وبارك الله فيك وفي فكرك وقلمك وإبداعك.
وفي نهاية رحلتنا الممتعة، التي أجزم أنكم مثلي خرجتم منها، بمعلومات كثيرة
ومفيدة، عن صاحب هذه السيرة العطرة، لأنني وإن كنت أعرفه من سنين طويلة،
عن طريق كتبه، ثم عن طريق الاتصال الهاتفي، ثم باللقاء الشخصي، ولكنني اليوم
عرفت عنه جوانب متعددة، فهو طراز فريد من الرجال، ومن العصاميين القلائل،
اعتمد على نفسه بعد توفيق الله، ونبع في كثير من المجالات التي سبق ذكرها، مع
أنه لم يكمل تعليمه الجامعي، بل اكتفى بمعهد أرامكو السعودية، بعد المعهد الثانوي
التجاري، وهما بعيدان كل البعد عن تخصصه في التاريخ والعلوم الأدبية
والاجتماعية، ولكن ما يملكه من ذكاء وإصرار وعزيمة، مكنه من النبوغ في أكثر
من فن وعلم.
وفقه الله وزاده علماً وأدباً وبصيرة، وكثر في مجتمعاتنا من أمثاله، من أولي
البصيرة والقوة والجلد، ووضوح الرؤيا وقوة العزيمة.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رابعاً :
حلقات كتبها (المؤلف والباحث التاريخي)

بعنوان:
من ألفَ فقد استهدف
(عشر حلقات مجزأة على ثلاثون مقالة)

تلقت فيفاء أون لاين رداً من الباحث حسن جابر قاسم الفيافي على الحلقات النقدية والتي سبق وأن طرحها الأستاذ محمد مسعود العبدلي في فيفاء أون لاين على الباحث من خلال كتابه (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) بعنوان (مراجعات نقدية في الموسوعة الميساء) . . وإليكم . .

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحبتني الكرام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

قبل فترة قريبة نُشر عبر صحيفتي فيفاء أون لاين وسما فيفاء نقد وانتقاد موجه لصاحب كتاب الموسوعة الميساء ولكتابته، وذلك النقد كان في حلقات بعنوان: (مراجعات نقدية في الموسوعة الميساء) لمحمد بن مسعود العبدلي الفيافي.

وبالرغم من اتساع صدري لكل خلاف موضوعي هادف وبناء، إلا أنني كنت أتمنى من القائمين على هاتين الصحيفتين أن يبادرا بالاستئذان مني في هذا الشأن الذي يخصني ويمسني بشكل مباشر، وأن يرتبا معي على وضع آلية لمسار هذا النقد، وكذلك وضع مراقبين يمنعون تماماً أي جمل أو ردود فيها إساءة لي سواء أكانت تلك الإساءة من قبل الناقد والمنتقد محمد بن مسعود أو من قبل بعض المتدخلين، وكم كنت أتمنى أن لا يسمح لأي متدخل بالتعليق سواء أكان ذلك المتدخل في جانبي أو من المؤيدين لمحمد بن مسعود إلا بعد ذكر اسمه ومعلوماته الكاملة لنعرفه ونقوم بالرد المناسب عليه بعيداً عن بعض الأشخاص الذين يستترون خلف معرفات وهمية يجدون من خلالها مجالاً خصباً وحرية كبيرة في الإدلاء بأرائهم التي قد لا تخدم البحث ولا يمت بعضها للموضوع الأساسي بصلة، فليت أن القائمين على هاتين الصحيفتين يتنبهون لمثل هذه الأمور مستقبلاً.

وفي الحقيقة أنني كنت قد عزمت على عدم الرد والخوض في جدال لا طائل من ورائه وقد يستمر طويلاً دون الخروج بفائدة كبيرة تذكر، وكذلك بناء على رغبة بعض الإخوة المهتمين في هذا المجال من ذوي الشأن الذين نصحوني بعدم الرد ومنهم محمد بن مسعود العبدلي نفسه الذي طلب مني أكثر من مرة عدم الرد على مراجعاته النقدية وأن علي الاكتفاء بما وجدته فيه محقاً ومخلصاً لآخذ به في الطبعة الرابعة للموسوعة وما كان فيه واهماً أو غير دقيق أن ألقيه ولا ألتفت إليه، وكنت قد خضعت في بادئ الأمر لهذه الرغبات، ولكن رأيت أن البعض ممن نظن أن لديهم بعض الثقافة في هذا المجال قد آمنوا بشكل كبير ببعض ما كتبه محمد بن مسعود، زادهم إيماناً في ذلك عدم ردي عليه وكأنني قد أقررتة على كل مراجعاته النقدية،

فبدأت في عملية الرد على حلقاته ومن ثم احتفظت بها في أدراجي لأزين بها الطبعة الرابعة من الكتاب، ولكن عندما علمت وتيقنت أن محمد بن مسعود قد عمل في الخفاء وكتب كتاباً بعنوان (موازنات نقدية في التاريخ والأنساب) وأنه حالياً في المطبعة بمصر، فرأيت أنه من الواجب علي توضيح بعض النقاط التي غمضت عليه وتبعه فيها بعض المتابعين، فلربما وجد في هذه الردود ما يثنيه عن عزمه ذلك وما قد يفيد له لا يقع في حرج ومأزق يكون مسجلاً عليه لا له، فالكتابة في صحيفة إلكترونية قد تهون أما التوثيق في كتاب فهذا ليس بالأمر الهين وسيكون شاهداً عليه لا شاهداً له.

وقبل الخوض في الغموض الذي حدث لمحمد بن مسعود بعد قراءته للموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء والذي نتج عنه نقد وانتقاد لجزء من الموسوعة ومؤلفها أود أن أذكر نفسي وأذكره وأذكر جميع من تداخل مادحاً أو قاذحاً ببعض أساسيات النقد الهادف البناء التي ذكرها أصحاب الاختصاص، وما هو الفرق بين النقد الهادف البناء وبين الانتقاد وبين المنتقد وبين الناقد؟ فأقول وبالله التوفيق:

يُعرّف النقد البناء من قبل أصحاب الشأن والاختصاص على أنه ذلك النقد الذي يؤتي أكله لأن كل غاية الناقد هو التصحيح والتقييم، لما قد يكون وقع فيه الطرف الآخر الذي تم توجيه الانتقاد له على عمل ما، قد يرى الناقد أنه أصابه بعض الخلل أو اللبس ونحو ذلك، فيقوم الناقد المخلص بعمل نقد هادف مفيد بأسلوب مهذب راق، نابع عن شواهد ودلائل وحقائق، نقد يقود لتصحيح بعض المعلومات التي أدلى بها الطرف الآخر التي قد يكون فيها كما أسلفت نقص أو التباس.

ولذلك كان لزاماً على أي ناقد ينبري لمثل هذا العمل أن يضع نصب عينيه روابط الأخوة، وأن يخلص في نقده بحيث لا يصاحبه غضب أو تعجل في نقد المعلومة حتى يتحقق الهدف المقصود من النقد البناء، إضافة إلى اختيار الكلمات الطيبة وانتقاء العبارات الهادفة، بأسلوب طيب خال من لغة التجريح أو الاستهزاء أو التقليل من قدرات الطرف الآخر والبعد عن الشخصية، وأنه ليس بالضرورة أن يكون النقد مكفهرًا عبوساً ثقیلاً على النفس غير مهضوم العبارات كما يرى محمد بن مسعود في تبريراته لقساوة نقده الموجه ضدي، وتبريره لبعض الجمل والعبارات التي خرجت بنقده عن المسار الصحيح وجعلته في خانة الانتقاد لا النقد.

نعم من حق الناقد أن ينقد وهذا حق من حقوقه إن وجد ما يستحق النقد وكان بالفعل مؤهلاً للنقد، لكنه في الوقت ذاته فإنه لا يتوجب عليه نفس الحسنات والإيجابيات للطرف الآخر، وبهذه الموازنة يتحقق النقد الهادف البناء بإذن الله.

أما ما يُعرّف (بالانتقاد) فهو ليس نقداً بمفهومه آنف الذكر بل هو: لغة للتجريح مذمومة وليس فيها خير ولن يبلغ المنتقد مقصوده، بل قد يجعل الطرف الآخر أكثر تصلباً في قبول الحقائق، وقد يصم أذنيه عن سماع النصيح أو الانتقاد، ولذا كان

لزماً على أي ناقد أن لا يستخدم لغة الانتقاص أو الازدراء أو الغلظة في القول بل على العكس من ذلك فليكن نقده مصحوباً بالتقدير والاحترام، فالكلام الطيب المدعوم بالحقائق والأدلة يسهل التجاوب من الطرف الذي وُجه له النقد، لأن هم الناقد أن يرى أخاه في أحسن حال فلا يسيء الظن بأخيه أو ينتقده لمجرد بعض الغموض، بل على الناقد أن يتيقن بالبراهين والشواهد والقراءة المتمهلة.

وعليه كذلك ألا يخلط بين النقد والانتقاد في موضوع واحد، و محمد بن مسعود كما أرى قد خلط للأسف في حلقاته العشر بين النقد البناء وبين الانتقاد المذموم. وتجاهل أن النقد له شروط ومعايير ومؤهلات حددها أهل الاختصاص يلزم توفرها في الناقد . . وأما التطاول والتنقص والتجريح وبعض التهكمات وما شابه فلا يحتاج إلى معايير أو شروط أو مؤهلات.

وليت أن بعض المتداخلين وبالذات ممن تبعوا محمد بن مسعود دون أن يكونوا قد قرأوا كتابي أصلاً، ليتهم قرأوه أو استمعوا مني أو على الأقل تواصلوا معي واستفسروا قبل توجيه الانتقاد لي ولكتابي فكنتُ حتماً سأنير لهم ما غمض عليهم وأوهمهم فيه المنتقد، ولكن للأسف فإن بعضهم قد سمعوا منه دون تبصر أو تمعن، جذبهم في ذلك إجادته لفن الإنشاء والاستعراض اللغوي الجذاب، حيث لجأ في معظم حلقاته إلى استعراض عضلاته اللغوية والبلاغية التي لا مجال لها في منهج البحث التاريخي بل هي أبعد ما تكون عنه.

وهذا الأسلوب المتقن قد جذب إليه بعض ممن لم يقرأوا الكتاب جيداً واكتفوا بمشاهدة وقراءة ما يكتب هو فقط، ولذلك استعجل البعض منهم في المداخلات التي لا تخدم البحث ولا النقد.

فليتنا نتأكد دائماً من الخبر ونتقصى الحقائق ونستبين الأمور ونفهمها جيداً، حتى لا نستعجل في الحكم على أي أحد قبل الوقوف على الحقيقة، والتيقن من الأمر كي لا نظلم أحد بتسرعنا.

وسأحاول هنا جاهداً أن أبين ما وقع لمحمد بن مسعود من غموض ومن تعجل في القراءة لعل الصورة تتضح له وللجميع.

ولأنه ليس لي من هدف من تأليف كتابي سوى التنوير وليس التدليس أو التظليل أو الاستخفاف بعقلية القارئ الكريم كما أتهمني بذلك محمد بن مسعود من خلال بعض تلك الحلقات، ولأنه ليس هناك منذ بدء الخليقة وإلى عصرنا هذا من هو فوق النقد وإنما المرء بإخوانه الصادقين المخلصين، ولا يوجد بشر إلا ويصيب ويخطئ فالله شهيد عليّ أن ما رأيته حقاً من نقد وقد أصاب فيه محمد بن مسعود أخذت به وشكرته عليه ودعوتُ له، وما جانبه فيه الصواب لحصول بعض الالتباس أو الغموض أو تعجله في القراءة أو شغفه لحب النقد والانتقاد فسأنبهه إليه هنا ولن آخذ به.

وأحب هنا أن أذكر بعض المتابعين للحلقات أنني لا أكتب أبداً إلا باسمي الصريح ولا اختبئ وراء الألقاب وهذا ديدني في جميع أحوالي والله الحمد والله على ما أقول شهيد.

وستكون ردودي على هذه الحلقات مختصرة جداً وسأحاول من خلالها الابتعاد عن الفلسفة وتنميق الجمل وتحسينها بهدف جذب القارئ أو استمالة. وسأضع ما أراه رداً مفيداً وشاملاً بإذن الله لكل ما حصل من غموض والتباس وتعجل للناقد والمنتقد محمد بن مسعود العبدلي الفيفي وربما من خلال تلك الإيضاحات أبين بعض الغموض الذي حصل لبعض المتداخلين أيضاً سواء كان ذلك المتداخل مادحاً أو قاذحاً.

وستكون خطتي في الرد على الحلقات كالتالي:

سأقوم بطرح الموضوع الذي غمض على محمد بن مسعود وبعض المتابعين كاملاً حتى يطلع عليه الجميع وبالذات الذين لم يطلعوا على الكتاب أصلاً، وبعد تيقني من أن الموضوع قد تمت قراءته بشكل جيد من قبل المتابع للحلقات سأقوم بالتعليق على النقاط التي أثارها الناقد والمنتقد، لأنني لاحظت أن الناقد لا يطرح في الغالب إلا جزئية من الموضوع المراد نقده فيختزل جزءاً منه ولا يظهر إلا الجزء الذي قد يوهم القارئ بأنه السلبي من الموضوع ولا يكمل بقية الموضوع الذي يبين إيجابيته، فلا يدرك المطلع على الموضوع كاملاً إلا من سبق له وقرأ الكتاب، وللأسف فإن بعض المتداخلين ممن انجذبوا لنقد محمد بن مسعود لم يطلعوا على الكتاب أصلاً فالتبس على البعض منهم ما تطرق إليه وانتقده وقد جانبه الصواب وصاحبه الاستعجال في نقاط كثيرة كما سأبين ذلك.

ولكوني على ثقة وإيمان بأن من حق كل قارئ أن يقبل من الأخبار ما يريد ويرد منها ما لم يصدقه عقله أو يستوعبه، فأنا لا ألوم ولا أجرم المتابع والمتلقي إن رد خبراً أو معلومة قد زلت فيها أو أخطأت، ولا يعتبر رد الخبر واستغرابه جرماً إلا إذا كان ناقل الخبر ملكاً منزهاً أو نبياً معصوماً وليس لأحد تلك الصفات إلا الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام أجمعين.

لكن علينا أن ندرك أنه من الأهمية بمكان معرفة أن أي معلومات جديدة تخالف ما تعود على سماعه الناس ستكون عليهم غريبة وستكون في الغالب عرضة للانتقاد ومجال واسع لمحبي التشبيط.

لكنه يحذوني كبير أمل في أن ما قدمته في هذا الكتاب من معلومات جديدة وغريبة على القارئ ولم يستوعبها حالياً أن تصبح غداً مألوفة لديه ومتواترة لدى الآخرين، والأيام والسنون كفيلة بتصديق كل أخبار صحيحة قد يراها القارئ غريبة اليوم.

والموسوعة قد تطرقت في ثناياها لمعلومات عديدة وجديدة على القارئ لن يستوعب بعضها من المرة الأولى إلا بعد قراءة وتمحيص ومحاولة للخروج من التقليد الخاطئ لبعض من سبقنا في هذا المضمار وإلا ما فائدة أن نطلق على البعض لقب

(باحث)؟ فأقل ما يمكن أن نطلق على من قلّد غيره وأتى بما أتوا به من قبل هو لقب: (مقلد وليس باحث). ملحوظة مهمة:

عندما أبدأ بنقل انتقاد محمد بن مسعود لي فسيكون كالتالي: الذي أرى أنه لم يصب فيه وهو بالنسبة لي انتقاد غير مقبول فإنني سأبدأ الكلام بقولي: (يقول المنتقد)، وعندما أبدأ الكلام بقولي: (يقول الناقد) فهذا يعني أنه قد أصاب في ذلك النقد، وأنني سوف أقوم بتعديله إن شاء الله في طبعات قادمة. وأسأل الله أن يجعلني على قدر حمل أمانة الكلمة ومسؤوليتها وأن يباعد عني الزلل والخلل والخطأ . . والله ولي التوفيق.

(الرد الحلقة الأولى)

بدأ المنتقد والناقد محمد بن مسعود الفيفي حلقاته قائلاً ما يلي: أسعد كثيراً باستعراض عمل كبير بحجم الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء لباحث مجتهد هو الأستاذ حسن بن جابر الحكمي الفيفي حفظه الله حيث بذل ما في وسعه (لأخراج) - (يقصد المنتقد لإخراج) - الطبعة الثالثة في ثوب قشيب وورق صقيل بتوسع واضح شمل جميع أبوابها وفصولها مزودة بالصور الملونة ومعززة بالوثائق الخطية والمشجرات فجاءت في (جزئين) - (يقصد المنتقد جزأين) - مقاس a4 واستهلكت ٢٢٩٣ صفحة يزدان غلافها الأول بلقطات معبرة من جبل فيفاء تظهر طبيعته الخلابة ومروجه الخضراء، كما ازدان غلافه الخلفي بمقطوعة من نظم المؤلف يمتدح فيها الموسوعة ويثني على المحتوى الذي ستردان به فيفاء وتريد حسناً ورونقاً إنما خاتله الوزن في بعض أبياتها كما لحقتها ركافة غير مقصودة بالتأكيد والموقف ليس للشعر وجيد النظم.

أقول وبالله التوفيق:

يبدوا أن المنتقد قد استعجل كثيراً في القراءة والتدقيق وتحمس للنقد والانتقاد فعدد صفحات الكتاب ١٢٩٥ صفحة مقسمة على جزئين وليس ٢٢٩٣ صفحة كما ذكر. أما فيما يخص الشعر ونقده للقصيدة الذي ازدان بها الغلاف الخلفي للموسوعة الميساء فلست بشاعر والله، وإنما مجرد محاولة أعجبتني، وحتماً سأعمل على تقويم بعض الأبيات التي خاتلني فيها الوزن، وله شكري وتقديري على هذا التنبيه.

ثم يتابع المنتقد قائلاً:

أما تقسيم الكتاب فقد اشتمل على إهداء ومقدمة وأربعة أبواب مقسمة على عدد من الفصول وخاتمة (.) - (يقصد المنتقد ،) - وبرغم الحسنات الجمة لهذا العمل إلا أنه يؤسفني ذلك الحشد مما يصح وما لا يصح من الأخبار والتقارير التي زجها المؤلف في موسوعته وفشت فيها الأخطاء الإملائية واللغوية والأسلوبية بما جعلها

تبدو غير ميساء كما انكشفت قدراته المتواضعة في التأليف والتصنيف فخلط التاريخ بالأساطير والجغرافيا بالخيال القصصي (الفتازيا).

أقول وبالله التوفيق: (لا تعليق) على هذه الجزئية التي تدخل في باب الانتقاد وليس النقد فهي من الإقصاء والتسلط واختزال جهود الآخرين، مع العلم بأن لي قلم ولسان للرد على مثل هذا التجريح والشخصنة ولكني أربأ بنفسني عن ذلك، وأكتفي ببعض ردود المتداخلين وتعليقاتهم حول هذه الملحوظة.

وأما قول المنتقد: الذي بالغ فيه كثيراً حول بعض الأخطاء الطباعية والإملائية واللغوية التي ظهرت في كتاب الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء الذي فيه عشرات الآلاف من الكلمات وآلاف الجمل ومئات الصفحات فمن الطبيعي أن يحدث مثل ذلك، ولكن تلك الأخطاء نادرة وليست متفشية كما زعم المنتقد مقارنة بحجم الكتاب وعدد الكلمات والجمل وهي حتماً ليس كما ضخمها.

ولو فحصنا فقط بعضاً من مقالاته التي انتقد فيها جزئية من بحث الأنساب الخاص بكتابي وطرحها في هذه الصحيفة الإلكترونية لوجدنا فيها بعض الأخطاء الإملائية والطباعية والنحوية وغيرها، وتلك المقالات لا تعدو كونها أسطر معدودة ولا تتجاوز بضع صفحات، وبالرغم من ذلك ظهر فيها بعض الأخطاء اللغوية كما أشرت سابقاً، فبالله عليكم كيف لا تظهر بعض الأخطاء اللغوية البسيطة والقليلة جداً بكتاب بهذا الحجم، والتي ليس كما بالغ فيه المنتقد وهولاً، ولذلك أجدني مضطراً للتطرق لبعض الكلمات التي أخطأ فيها المنتقد لأقوم بتصحيحها بين قوسين بقولي: (يقصد المنتقد كذا وكذا) ثم أذكر الكلمة الصحيحة، بهدف إطلاع القارئ والمنتقد أن مثل ذلك قد يحدث، وليس من باب تتبعه في تلك الأخطاء اللغوية أو الإملائية أو الطباعية أو إبراز عضلاتي اللغوية لا والله، ولكن لأعطيه بعض الدروس التي يجب أن يتنبه لها في انتقاداته ونقده القادم لأي عمل آخر.

ثم يقول المنتقد: (والحق أنني تصفحت الموسوعة فور وصولها مهداة من أخي الفاضل مؤلفها وعزمت على عدم الانشغال بها ليس (لأنها) - (يقصد المنتقد لأنها) - لا تستحق المراجعة والنقد بل لأنني أردت أن أتيح الفرصة للمهتمين من الشباب للكتابة عن الموسوعة الميساء وتتبع الباحث في بعض آرائه واستنتاجاته التي تحتمل النقاش وتستوعب أكثر من رؤية.

أقول وبالله التوفيق:

قد جانبه الصواب في هذه الجزئية، بل قد انشغل بالموسوعة وأصبحت شغله الشاغل؛ فمنذ أن طلب مني نسخة من الكتاب وأكد على حاجته للاطلاع عليه، وبمجرد أن حصل عليه في رمضان عام ١٤٣٦ هـ مع بداية طرحه في الأسواق، وهو متواصل معي ليل نهار دون كلل أو ملل في المناقشات والنقد والانتقاد عبر وسائل التواصل الاجتماعي (واتساب) وكنا نتحاور ونتناقش حول بعض النقاط التي

أثارها معي وكانت الأمور تسير على ما يرام، وإذ به فجأة يغير من أسلوبه ويطرح بعض من تلك النقاشات وغيرها عبر صحيفتي فيفا أون لاين وسما فيفا!!!
ثم يقول المنتقد:

لقد تلقيت العديد من الاتصالات ورسائل الواتساب تتساءل عن رأيي في بعض الموضوعات التي ناقشها المؤلف بعض من تلك الرسائل جاءت متوترة ناقمة على هيئة بيان شديد اللهجة يحتج على الطرح الذي يراه قد نهض يتعلق بأهداب التهكمات و (المزارمات) التي أماتها الدهر (.) - (يقصد المنتقد،) - ولأن الأمر قد جاء بحسن نية من كاتب محب لفيفا وقبائلها له مكانته واحترامه وحفظ حقه وعليه أن يتقبل عتب أهله وعشيرته حين يعتبرون.
من هنا أثرت تناول هذا العمل بالنقد والتقريب ليس من أجل هذه الحادثة التي أرجو أن تكون من تفاصيل الماضي. (لا تعليق)!!

ثم يقول الناقد:

ومنهجي في هذه السلسلة بمشيئة الله سيكون تناول الموضوع الواحد في مقال مستقل ينشر في حلقة واحدة دون النظر لطول المقال أو قصره بحيث تشمل القراءة كل مفصل الموسوعة التي تستدعي النقد والمراجعة (.) - (يقصد الناقد،) - وقد توزعت المقالات على تلك العناوين المفصلية كجغرافية فيفا وقبائلها وأنسابها مع تناول الوثائق في ملف مستقل لنتعرف من خلاله على مدى نجاح الباحث في استغلالها وتوظيفها لصالح البحث (.) - (يقصد الناقد،) - كما أنني من خلال هذه السلسلة سأطرح رؤية يتم بموجبها تشكيل فريق يأخذ على عاتقه تدوين ما علم من الأنساب وما صح في التاريخ والتراجم لأعلام فيفا ليكون مرجعاً لمن رغب الاطلاع والبحث لتجنب العيب والعبث والرؤى المتضاربة حول قضية لا تحتل الأخذ والعطاء والمراجعة.

أقول: (نتمنى لك وللفريق النجاح والتوفيق وأن يبسر الله مهمتكم) وننتظر منكم مثل هذا العمل.

وإلى لقاء قريب بإذن الله في الحلقة الثانية . .

(الجزء الأول من الحلقة الثانية)

في البداية سوف أطرح الموضوع الذي كان عليه مدار النقاش في الحلقتين الثانية والثالثة، فأقول مستعيناً بالله.

ورد في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفا - الباب الأول - الفصل الأول الجغرافية من الصفحة رقم ٤٩ إلى الصفحة رقم ٥٣ وهي خمس صفحات متتالية مزينة بخريطة وهذه الصفحات الخمس هي التي وجه الناقد نقده للمعلومات التي وردت فيها في الحلقتين الثانية والثالثة.

(فيفاء القديمة أكبر)

ومن جبال بلاد فيفا قديماً: (جبال فيفا الحالية) وجبال بني مالك وجبل المشرق، وجبل قعيد، وجبال الحشر وربما جبال منجد وهروب، حيث كان يطلق على مجموعة هذه الجبال وغيرها بلاد فيفا كما سنرى تفصيل ذلك.

ولا غرابة في ذلك، فعند تتبعي لبعض المصادر التاريخية والجغرافية والمخطوطات القديمة التي تحدثت عن فيفاء وجدت وصفها لجبال فيفاء قديماً يختلف عن وصفها الآن، فهي تصفه بالكبر والاتساع دائماً.

ذكر صاحب مخطوطة الجوهرة المنيرة المؤرخ الجرموزي - رحمه الله - نحو عام ١٠٣٥ هـ أي قبل أربعمئة سنة: (وبلاد فيفا، وهي الأراضي المتصلة ببلاد قحطان في السراة وتهامة إلى قرب ضَمَدَ [١]) وبوصان)، وكذلك يقول بعد حديث طويل: (بلاد فيفا من مغارب نجران بلاد واسعة) ثم يقول: وأما بنو مالك من أهل فيفا..... إلخ. ثم يذكر بأن أهل فيفا قبائل متعددة من بني مالك وأهل حبس وآل كثير وآل سلمة وآل علي وآل سعيد وآل خالد.

أما أهل جبل فيفا فهم آل شراحيل، وآل المغامر، وآل ظلمة، وآل علي بن عمر، والأيتام الجبل، والأيتام السهل، وآل الحرب السهل، وآل الحرب الجبل، ومدر، وتنقسم كل قبيلة إلى قبائل؛ فأهل الحجر فهم (آل بمعنى): آل عبد الله وآل الثويح وآل مشنية وآل أبي الحكم، وكل قبيلة من هؤلاء تنقسم إلى قبائل.

وذكر الشرفي في مخطوطته اللآلئ الماضية في أحداث ١٠٣٥ هـ أي قبل أربعمئة سنة تقريباً: أنه كان لأهالي فيفا أسواق وبلاد تتصل بتهامة.

[١] - يقصد هنا أن بلاد فيفا تمتد إلى القرب من قرية ضمد (مدينة ضمد حالياً)، لأن جزء كبير من وادي ضمد هو من فيفا أصلاً.

وذكر العلامة المؤرخ محمد بن إسماعيل الكبيسي المتوفى في عام ١٣٠٨ هـ: (وبلاد فيفا وهي أرض نازحة متصلة ببلاد قحطان وفي التهائم إلى قرب وادي ضمد ولم تثبت عليها دولة..... ثم قال: وهي بلاد واسعة مسيرها فوق عشرة أيام جبلاً ووطاً. [٢٧]) وبلا شك أنه قد اعتمد على بعض المخطوطات القديمة سواءً ما ذكرناه هنا أو التي لم تصل إلينا ولم نوفق في الحصول عليها.

وكذلك ذكرها القاضي الجرافي صاحب كتاب المقتطف وهو من المعاصرين لنا حيث قال: وبلاد فيفا أرض نازحة متصلة ببلاد قحطان في السراة وفي تهامة إلى قرب ضمد..... وذكر أيضاً بأن بلاد فيفا مخلاف من المخاليف الشمالية لليمن.

ويذكر صاحب كتاب مجموع بلدان اليمن وقبائلها قائلاً [٢٣]:

فيفاء: بلد واسع من بلاد خولان بن عمرو بن الحاف..... أ.هـ

وكل ما طالعت في مرجع تعريفي عن فيفا وجدت بأنهم يذكرون بأنها بلاد واسعة، بل إن بعض المراجع التي تحدثت عن منطقة عسير كانت تسميها بمخلاف فيفا، وتعتبر جبال فيفا الحالية قاعدة المنطقة وعاصمتها.

ومنها على سبيل المثال: (ما ورد في مشجرة أشراف تهامة القاطنين بمخلاف العبسية والرامية بفيفا) والمخلاف كما نعلم يقصد به منطقة أو إقليم أو مقاطعة.

وذكر الويسي - صاحب كتاب (اليمن الكبرى) - : أن فيفا وبني مالك وثيران من مأتي وادي بيش من الجهة الغربية.

ونحن نعلم أن مأتي وادي بيش وروافده كثيرة جداً ومنها: جبال الريث كجبل القهر (وادي لجب) والجبل الأسود جبل العزيين، وحنماً أن الويسي لا يقصد هنا أن من مأتي وادي بيش جبل فيفا المعروف حالياً، بل يقصد أحد جبال (بلاد فيفا الواسعة) التي ربما اشتهرت في زمن الهمداني ونحوه بأنافية، وللنظر إلى قول الهمداني عند سرده لجبال السراة: (.... ودفاء، وقيوان وبوصان، وأرض الرسيّة، وأرض بني حذيفة وأرض الأبقور فمنحدر إلى أنافية فأبراق من ناحية بيش).

وكل هذه التعاريف القديمة ومنذ قرون عديدة، وكذلك الحديثة تدل دلالة واضحة وتُجمع بأن فيفاء كانت في الماضي أكبر مساحة من وقتنا الحاضر بكثير، وأنها كانت بلاداً واسعة لا تقتصر على جبال فيفا المعروفة حالياً، بل تشمل مجموعة جبال وبلداناً أكبر من الجبال الحالية بكثير، وما الجبال الحالية المعروفة بفيفا وبني مالك إلا جزء كبير من بلاد فيفا القديمة الواسعة.

و يذكر كبار السن في وقتنا الحاضر أن مساحة فيفاء كانت تمتد لأكثر من مساحتها الحالية، ولا زال البعض منهم يذكر بعض الأماكن في القبائل المجاورة كانت تحت ملك فيفاء حتى وقت قريب.

[٢] - يقصد بالوطا الأرض المنخفضة والمنبسطة.

[٣] - للعلامة المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري اليماني. تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل بن علي الأكواع. المجلد الثاني ص ٦٣٩.

ولكن كما هي عادة الزمان فلا يبقى شيء على حاله، فقد اندثرت أماكن، وانقرض أقوام، وانطمست معالم، وتغيرت أسماء، وتقلصت المساحة، واستقلت بعض القبائل بجبالها، فأصبح مسمى فيفاء منحصرأ في جبل فيفا وقبائلها الحالية، بينما كان في الماضي يطلق على بلاد أكبر مساحة وامتداداً من الآن بكثير كما وضحنا، وكما سنوضح في الصفحات القادمة، ولذلك فبلاد فيفا الواسعة قديماً لم يكن يقصد بها جبل فيفا الحالي بمساحته الحالية.

بل كانت تشمل جبل فيفا الحالي، وجبال بني مالك وحريص الحشر وهذا أمر مؤكد كما شاهدنا في المراجع والمخطوطات آنفة الذكر، بل ربما شملت بعض المجاورين كهروب ومنجد، بل وربما الريث؛ لأن حدودها كما رأينا إلى سراة وتهامة قحطان وإلى القرب من ضمد كما رأينا في التعاريف السابقة وهذه القبائل بمواقعها تقع على وجه التقريب في هذه المساحة الجغرافية المحددة مع التأكيد أن لكل قبيلة من قبائل بلاد فيفا حكمها الذاتي عبر شيوخها وليس لشيوخ قبائل جبل فيفا سلطة على القبائل الأخرى بل سلطتهم على قبائلهم التي تسكن في جبل فيفا فقط، وكذلك فإن لكل قبيلة من قبائل بلاد فيفا آنفة الذكر حدودها وأملاكها المستقلة التي تخصها، ولكن من المؤكد أنه يجمعهم جميعاً عراقة النسب، وحسن الأخوة والجوار، وقوة الحلف للوقوف ضد أي معتد خارجي مع التذكير بأن جبل فيفا يعتبر قاعدة تلك البلاد كما رأينا في بعض المراجع.

ولتوضيح الصورة أكثر نقول: إذا قرأنا أو قلنا: (بلاد فيفا) فإن المقصود بها مساحة كبيرة يدخل فيها مجموعة جبال وقبائل وسهول وفيافي وقفار وأودية، ومنها جبال فيفا وما فيها من قبائل، وجبال بني مالك وما فيها من قبائل وحريص الحشر، وربما بعض القبائل القريبة.

أما إذا قرأنا أو قلنا: (جبال أو جبل فيفا) فإنما المقصود بذلك جبال فيفاء الحالية بما فيها من قبائل.

وإذا قلنا: (جبال بني مالك) فإنما نقصد بها جبال بني مالك المعروفة حالياً، وساكنيها من القبائل المعروفة في وقتنا الحاضر؛ أما قديماً فقد كانت هذه الجبال وهذه القبائل بمجموعها تعرف بـ(بلاد فيفا الواسعة) .

ولذلك فهذه البلاد الواسعة كانت ذات موقع محايد بين مواقع قبائل مذحج وقبائل خولان وقبائل الأزد وبعض القبائل العدنانية؛ سكنها مجموعة من القبائل المختلفة المتحالفة التي جمعها حسن الجوار وقرابة النسب والمصاهرة ووحدته الهدف، فنشأت قوة كبيرة واتحاد كبير في تلك البلاد يجتمع بداخلها العديد من قبائل خولان بن عامر، وربما كِنْدَة، وكذلك تجمع جزء صغير من قبائل مذحج، وقليل من قبائل الأزد، وبعض القبائل العدنانية؛ بحيث أصبحت كل تلك القبائل المتحالفة سواء المذحجية أو الخولانية أو الأزدية أو العدنانية لا تعرف إلا بقبائل خولان بن عامر، وأصبحت مع مرور الزمن نسباً، وهي ليست كذلك إنما هي عبارة عن مجموعة

أحلاف تجمعها بلاد فيفا الواسعة [٤] التي تقلصت وأصبحت أقل مساحة بكثير عن ذي قبل وتجزأت جبالها وقبائلها، مثلها مثل بعض المخاليف التي كانت واسعة المساحة وذات شأن فأصبحت مع مرور الفترات الزمنية الطويلة ذات مساحة صغيرة جداً، كمخلاف جرش، ومخلاف عثر، وغيرها من المخاليف التي كانت قديماً ذات شأن واتساع فتقلصت وصغرت مساحتها بل وأصبح البعض منها يدخل تحت قيادة مسمى آخر كما سنبين ذلك لاحقاً.

وكل تلك الوحدة كانت فيما قبل الألف الهجري أما بعدها فقد بدأت الجبال في بلاد فيفا تنفصل عن بعضها البعض تدريجياً، فأصبح كل جبل يعرف بقبيلته كجبل الحكمي، والمغامري، وهكذا مع جبال بني مالك، كجبل طلان لآل علي وجبل خاشر لآل خالد، وهكذا، ومن ثم أصبحت جبال فيفا الحالية تضم ثمان عشرة قبيلة، وجبال بني مالك الحالية تضم العديد من القبائل، وتضم تلك الجبال الخاصة بفيفا أو بني مالك أو ما جاورهم العديد من القبائل الخولانية وبعض القبائل المذحجية والأزدية والعدنانية المتحالفة والتي دخلت جميعها تحت حلف خولان بن عامر بشقيه اليهنوي، والفرودي كما بينا سابقاً وما سنبينه لاحقاً بمزيد من التفصيل.

والناظر المتفحص لتلك الجبال الشامخة والقفار المهيبة والأودية الجميلة والسهول الكثيرة، وتلك المقابر الكبيرة المتعددة وإلى تلك الآثار المعمارية المختلفة وبشكل كبير عما حولها وإلى تلك المدرجات الزراعية والتي تقع كلها في بلاد فيفا الواسعة بحدودها أنفة الذكر، يشعر بأنه قد مر على هذه البلاد أمم وحضارات بائدة لم يصلنا عنها سوى بعض المعلومات القليلة.

وقد اتضح لي بعد دراسة موقع بلاد فيفا الواسع، وبعد التدقيق والتمحيص لحدودها والمبينة تقريباً على الخارطة السابقة بأنها أرض واسعة تقع بين عدة مواقع مشهورة.

حيث يحادها أجزاء من بلاد خولان في بلاد صعدة المجاورة التي تقع جنوب بلاد فيفا وجنوبها الشرقي، وتقع أيضاً في شرقها.

[٤] - لذلك فهناك بعض من كتب عن بلاد فيفا، وبالذات من أبنائها من يبالغون في آرائهم، فمنهم من ينسب جميع قبائل جبال فيفا، بل وجميع قبائل بلاد فيفا الواسعة إلى خولان بن (عامر) عمرو الحاف قضاة كجد جامع لهم، على النقيض من الآخرين الذين يرون أن كل تلك القبائل تعود في نسبها إلى مذحج كاملة مع عدم استبعادهم وجود بعض النقايل الصغيرة من خولان وغيرها دخلت مع تلك القبائل المذحجية، وهناك من يبالغ من غير أبناء فيفا قائلًا: بأزدية قبائل هذه البلاد، بينما هي في الواقع مجموعة قبائل متحالفة من كل تلك القبائل كما رأينا وكما سوف نرى بمزيد من الايضاح في باب الأنساب.

وتجاورها وتحادها أيضاً ديار وبلاد قبائل مذحج في أكثر من جهة، حيث تحادها ديار مذحج غرباً من ناحية جازان وضواحيها كقبائل سعد العشيرة، وكذلك لبلاد فيفا حدود مشتركة في شمالها مع بعض قبائل جنب المذحجية، ويحادها بعض القبائل العدنانية من ناحية بيش، ويحادها قديماً من ناحية ضمد بعض قبائل خولان، والأزد وبالذات من قبائل خزاعة وكذلك بعض الأسر العدنانية. ويجاورهم قديماً بعض قبائل عك (العدنانية الأزدية) المتحالفة مع حكم بن سعد العشيرة والتي ربما كان لها بقية في جبل العبادل كفرع حريص. [٥٠].

ولذلك فبلاد فيفاء خليط قبلي متحالف من بعض خولان وربما كِنْدَة وقبائل مذحج والأزد والقبائل العدنانية التي يجمعها الحلف الكبير خولان بن عامر بشقيه اليهنوي و الفرودي الذي تحول مع مرور الزمان إلى جد خالص بينما هو جد غير خالص، حيث إن هناك بعض القبائل التي تعود لخولان من صلب النسب والبعض الآخر عن طريق رابطة الحلف الذي تحول مع الزمان إلى جد كما ذكرنا.

فكل تلك القبائل المتحالفة المختلفة المستقرة في بلاد فيفا الواسعة بما فيها قبائل جبال فيفا وجبال بني مالك وحريص الحشر، وربما البعض ممن جاورهم، قد جمعتهم عدة أحلاف، من أحلاف صغيرة إلى أحلاف كبيرة كما سنرى شرحاً لهذه الأحلاف في باب أنساب قبائل فيفاء، التي نتج عنها التصاهر واختلاط الدماء وتوثيق أواصر المحبة فيما بينهم بحيث ذابوا وتلاشوا في بعضهم البعض، فكادت أن تتحد شخصياتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم إلا أن الخبير بهم والمخالط لتلك القبائل ليشعر باختلاف طفيف في بعض عاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم لم تستطع تلك الفترة الزمنية القديمة والطويلة أن تصهرهم جميعاً في بوتقة واحدة ولكنهم تميزوا عن البلدان المحيطة بهم في تراثهم الموحد تقريباً المختلف بشكل لافت عن الآخرين، وفي لهجتهم المختلفة قليلاً عن غيرهم من بلدان الجوار؛ تلك اللهجة التي هي عبارة عن مزيج من لهجات تلك القبائل المختلفة العائدة في أصولها البعيدة إلى الكهلانية والحميرية والعدنانية، فخرجوا بعد تلك الأحلاف والاتحاد والمصاهرة واختلاط الدماء والأخوة وطول الفترة الزمنية، وعدم الاختلاط مع الآخرين بثقافة وبلهجة شبه موحدة لأحلاف قبائل بلاد فيفا الواسعة بحيث تختلف تلك اللهجة في بعض مفرداتها وفي نطقها عن لهجات القبائل المجاورة، ولعل وجود بعض القبائل العدنانية كما سنرى في ثنايا هذا الكتاب كان له صلة كبيرة بوجود الكثير من الكلمات العربية الفصحى وانتشارها في بلاد فيفا ذات القبائل المختلفة المتحالفة ومحافظتهم عليها حتى وقتنا الحاضر بسبب عزلتهم واستقرارهم في بلادهم تلك،

[٥] - وحول بعض الأجداد من قبيلة عك كقراد وجنادة وشراحيل يدور الاحتمال حول تواجدهم في منطقتنا إلى وقتنا الحاضر، وليس هناك ما يؤكد ذلك إلى وقتنا الحالي، ولكننا نتمنى من الباحثين دراسة هذا الأمر حتى نقف على مصداقية هذا الاحتمال من عدمه.

وقد ظهر أثر تلك الأحلاف أيضاً في شخصياتهم المختلفة عن شخصيات قبائل البلدان المجاورة لهم كالمخلاف السليماني، وصعده وخلافها بسبب استقرارهم في بلادهم فيفا، وعدم مخالطة الآخرين.

ولذلك كانت المراجع القديمة تذكر قبائل وديار خولان المحادة لبلاد فيفا وتذكر أيامها، وتذكر قبائل وديار مذحج وبعض قبائل وديار الأزدي وبعض القبائل العدنانية وأيامهم والتي تجمعنا بهم بعض الحدود المشتركة كما أشرنا ووضحنا ذلك، ولكن تلك المراجع لا تذكر ديار فيفا وأيامها منفردة، بل تحملها مع أخبار تلك القبائل والديار لأنها عبارة عن بلاد متوسطة بين تلك البلدان المجاورة، تحمل خليط واسع من القبائل الخولانية، والمذحجية، والأزدية، والعدنانية الذين يجمعهم الحلف، وليس لهم استقلال خاص بحد واحد كما هو الحال في بلاد خولان، أو مذحج، أو غيرها. والعائد للمصادر يجد حدود وديار خولان، أو مذحج موضحة وواضحة، وليس لبلاد فيفا رابط بها، اللهم إلا من حسن الجوار وهكذا مع الأزدي، وغيرهم لأنها كما ألمحنا: بلاد بها العديد من القبائل المتحالفة والتي تعود لأكثر من جد، والمصادر تركز في الغالب على القبائل الصافية في بلادها وربما كان هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى تجاهل بلاد فيفا وقبائلها في غالبية المراجع التي تحدثت عما حوالي فيفا وتجاهلت ذكر فيفا كثيراً إضافة إلى أن طريق الحج التهامي وطريق الحج السروي المار عبر جبال السروات، والمتجه من اليمن إلى مكة لا يمران عبر بلاد فيفا قطعياً، فجعلها الرحالة والحجاج. ([٦]).

وفي الختام إن مساحة هائلة كهذه المساحة القديمة الكبيرة التي يطلق عليها بلاد فيفا الواسعة وما تحمله من قبائل متحالفة في جنباتها وعرصاتها وجبالها لا يمكن أن تعود إلى جد واحد كخولان مثلاً أو مذحج، بل إن التفسير المنطقي يقول: أنها بلاد واسعة تحمل العديد من القبائل المتحالفة التي تعود لأكثر من جد كخولان ومذحج وأسد وعدنان وربما غيره.

[٦] - ولمعرفة تفاصيل تلك الطرق فليُنظر القارئ إلى الكتب المتخصصة القديمة والحديثة التي وضحتها ووضحت ديارها ومواقعها ومسالكها، وأشبعها بحثاً ووضوحاً مع أن في بعض مراحل هذه الطرق أماكن شبيهة بمسميات قليلة جداً تقع في بلاد فيفا قد توهم بعض الباحثين بأنها من الأماكن المذكورة في ذلك الطريق، ولكنها ليست منها وإنما مجرد تشابه أسماء. كمخلاف بني عامر الذي يقع على أحد طرق الحج اليمني فالتبس على البعض بأنه مخلاف خولان بن عامر، وهو ليس كذلك، وكذلك الخط ما بين عرقة التي تقع على طريق الحج السروي بين صعدة وبلاد قحطان وبين موقع عرقين الواقع في ديار بني مالك المجاورة لفيفا، والعائد كما ذكرت للكتب المختصة لا يجد أي ترابط بين تلك المواقع وبعض المواقع الواقعة في بلاد فيفا إنما تقارب وتشابه في المسميات فقط، وهذه المواقع التي حصل فيها اللبس والتي ذكرت هنا هي على سبيل المثال فقط، وإلا فقد وقع اللبس في العديد من المواقع الأخرى، ومنها مخلاف المشرق الذي لا يربطه صلة بجبل المشرق في منطقتنا.

وإلا لو كانت تعود لجد واحد كخولان وحده أو مذحج وحده لما عرفت ببلاد فيفا، بل ستكون امتداداً لبلاد خولان المجاورة، فتصبح حينئذ بلاد خولان، والأمر ينطبق تماماً على الجد مذحج وما كان لمؤرخي تلك الفترات القديمة التي مرت على بلاد فيفا الواسعة أن يجهلوا الخولانية الخالصة أو المذحجية أو الأزدية أو العدنانية الخالصة لقبائلها ومنها قبائل جبال فيفا، وإلا لأشاروا إلى تلك النقطة الهامة بكل وضوح.

ولكن لأن قبائل بلاد فيفا ومنها قبائل جبال فيفا تجمع العديد من القبائل المتحالفة المختلفة الأجداد ويلفها الغموض، فقد تحاشا كل من أرخ لتلك الفترات الزمنية تصنيفهم تصنيفاً خالصاً تحت أي من خولان أو مذحج أو غيرهم، وسنرى في ثنايا هذا البحث وبالذات تلك الغزوات التي تعرضت لها بلاد فيفا وما فيها من قبائل وجبال أن البعض ممن أرخ لتلك الفترة الزمنية لم يصنفوها كقبائل خولانية أو أي تصنيف آخر مع أنهم قد صنفوا بكل وضوح قبائل خولان وغيرها من القبائل اليمنية وبالذات القاطنة في صعدة وبلاد خولان قديماً. ([٧]).

[٧] - من المعلوم أن أهالي جبال فيفا قديماً كانوا يسكنون في الغالب في أسافل تلك الجبال، لوعورتها وصعوبة البناء في أعاليها، وعدم وجود الأودية، ونقص المياه ومقومات الحياة المستقرة. إلا أنهم وبعد فترة زمنية طويلة، قد طوعوا أعالي تلك الجبال لخدمتهم، وانتشروا فيها وسكنوها مع احتفاظ البعض منهم بالسكن في سفوح تلك الجبال المهيبة. ويظهر لي والله أعلم، أن امتداد تلك القبائل كان أكثر من امتدادهم الحالي، ولكن نظراً لتقادم العهد، وانحسار بعض القبائل، ورحيل بعضها، ودخول من ضعف من تلك القبائل تحت أخواتها من القبائل الأخرى؛ التي ظلت قوية، وتواجد بعض القبائل الأخرى، واستقرارها بالمنطقة آنفة الذكر قد قلص مساحة سكنهم وأصبحت أقل مساحة عن ذي قبل بكثير.

يقول المنتقد:

لكي يخرج علينا المؤلف بجغرافية مختلفة وحقائق تتعارض مع ما في أذهاننا فكان لابد أن يضع عنواناً مستقلاً ضمن الفصل الأول تحت عنوان: {فيما القديمة أكبر} ويقضي ذلك ابتكار تسمية جديدة كانت هي (بلاد فيفا).

أقول وبالله التوفيق:

قبل الخروج إلى موضوع الرد على الحلقة الثانية والثالثة فإنني أحب أن أتحدثكم وأتحدث نفسي بمعرفة مصطلح ما يسمى (بالإطار الفكري) وهو مهم جداً أتمنى قراءته بتركيز من جميع المتابعين.

يُعرف بعض أهل الاختصاص: أن الإنسان اعتاد أن ينظر إلى الكون من خلال (إطار فكري) يحدد مجال نظره، وأنه يستغرب أو ينكر أي شيء لا يراه من خلال ذلك الإطار وأنه ليس هنالك فرق أساسي بين المتعلمين وغير المتعلمين في هذا الخصوص، فالفرق – إن وجد – إنما هو فرق بالدرجة لا بالنوع والأمثلة على ذلك متعددة.

ومن الممكن القول بأن كل جديد في أي مجال من مجالات العلم يقابله المتعلمون وغير المتعلمين من الناس بالاستهزاء، والتاريخ مملوء بقصص العلماء والمخترعين والمكتشفين الذين قاسوا من الاضطهاد والحرق والاستهزاء والتحقيق ما قاسوه من جراء ما جاؤوا به من جديد في خدمة التطور العلمي والاجتماعي.

وهنا ينبغي أن نميز بين المتعلم والمتقف، فالمتعلم هو من تعلم أموراً لم تخرج عن نطاق الإطار الفكري الذي اعتاد عليه منذ صغره فهو لم يزد من العلم إلا ما زاد في تعصبه وضيق من مجال نظره لأنه قد آمن برأي من الآراء أو مذهب من المذاهب فأخذ يسعى وراء المعلومات التي تؤيده في رأيه وتحرضه على الاستماتة في سبيله.

أما المتقف فهو يمتاز بمرونة رأيه وباستعداده لتلقي كل فكرة جديدة وللتأمل فيها ولتبني وجه الصواب منها.

•• ومما يؤسف له أن المتقفين بيننا قليلون والمتعلمين كثيرون، ومتعلمونا قد بلغ غرورهم بما تعلموه مبلغاً لا يحسدون عليه، وهذا هو السبب الذي جعل أحدهم لا يتحمل رأياً مخالفاً لرأيه.

•• يُقال: إن المقياس الذي نقيس به ثقافة شخص ما هو مبلغ ما يتحمل هذا الشخص من آراء غيره المخالفة لرأيه.

إن الإطار الفكري الذي ينظر الإنسان من خلاله إلى الكون مؤلف جزؤه الأكبر من المصطلحات والمألوفات والمفترضات التي يوحى بها المجتمع إليه ويغرزها في أعماق عقله الباطن.

- والانسان إذا متأثر بها من حيث لا يشعر، فهو حين ينظر إلى ما حوله لا يدرك أن نظرتة مقيدة ومحدودة، وكل يقينه أنه حر في تفكيره، وهنا يكمن الخطر، فهو لا يكاد يرى أحداً يخالفه في رأيه حتى يثور غاضباً ويتحفظ للاعتداء عليه، وهو عندما يعتدي على المخالف له بالرأي لا يظن ذلك أمراً مشيناً ولا ظلماً إذ هو يعتقد بأنه يجاهد في سبيل الحقيقة ويناضل ضد الباطل.
- وأغلب الحروب والاضطهادات التي شنها البشر على بعضهم البعض في سبيل مذهب من المذاهب الدينية أو السياسية ناتجة عن وجود هذا الإطار اللاشعوري على عقل الانسان.
- إن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من إطاره الفكري إلا نادراً فهو فرض ملزم به ملازم له، والإطار شيء كامن في اللاشعور كما ألمحنا إليه آنفاً، والإنسان لا يستطيع أن يتخلص من شيء لا يشعر به.
- ولعل بعض الأفاذا النادرين من الناس يستطيعون أن يدركوا ما رُكِّبَ على عقولهم من أطر، فهم يتحيزون في تفكيرهم قليلاً أو كثيراً ولكنهم يدركون في نفس الوقت أنهم متحيزون، وهؤلاء حين تخلو نفوسهم من الغرض يصبحون قادرين على الكشف العلمي وقد يظهر على أيديهم أحيانا الكثير من الإبداعات والنظريات والعلوم الجديدة في شتى المجالات العلمية والأدبية.
- إن الباحث المبدع يمتاز عن الرجل العادي بكونه يعترف بإطاره الفكري، ولذا فهو أقدر على مواجهة الحقيقة الجديدة من غيره
- والعجيب أن بعض الناس ينكرون وجود إطار على عقولهم لأنهم بهذا يبرهنون على تعصبهم الشديد، فكلما اشتد اعتقاد إنسان بأنه حر في تفكيره زاد اعتقاده بعبوديته الفكرية.
- ولنأتى بمثال مبسط ولنفترض أن مظاهرة كبرى حدثت في شارع ما حيث اختلط فيها الحابل بالنابل، وبلغت الهتافات فيها عنان السماء، ولنفرض أيضا أن عدداً من المتفرجين الباردين قد وقفوا على الأسطح والنوافذ يراقبون هذه المظاهرة الاجتماعية، إنها حقيقة خارجية بالنسبة إليهم، ولكنها ليست حقيقة واحدة في نظرهم جميعاً فكل واحد منهم يركز انتباهه على جزء منها ويهمل الأجزاء الأخرى تقريباً، وإذا بهم يخرجون من هذا الموقف وقد انطبعت في ذاكرة كل منهم شهادة تختلف عن شهادات الآخرين في قليل أو كثير.
- فهذا رجل من رجال السياسة المحلية قد غفل عن كل شيء في المظاهرة إلا عن ذلك الجانب الذي يعنيه منها أي ما هو أثرها في إسقاط وزارة وتنصيب أخرى مكانها يكون له فيها نصيب، وهذا أديب متحذلق يستمع إلى الخطابات والهتافات فلا يهمنه منها إلا أن يلتقط الأخطاء النحوية والصرفية فيها كأن المظاهرة في نظره ليست إلا مسرحية تمثل فيها حياة سيبويه ونفطويه.

- وملخص الأمر: أن كل واحد من هؤلاء المتفرجين ينظر إلى ناحية معينة من المظاهرة ويهمل غيرها – أي أن كل شخص ينظر إليها من خلال إطار خاص به وهو إذاً لا يكاد يرى إلا ما يظهر في بؤرة ذلك الإطار.
- إن كل إنسان في الواقع يلون الدنيا بلون ما في نفسه وقيس الأمور حسب المقاييس التي نشأ عليها.
- وهذا المثال الذي ذكرناه عن المظاهرة يكاد ينطبق على كثير من الحوادث النفسية التي يواجهها كل منا في كل يوم، فقد يقرأ صديقك كتاباً ويعجب به ويتحمس في مدحه، ثم تأخذه منه أنت لتقرأ فلا تجد فيه ما يستدعي تلك الحماسة وذلك المديح، ولعلك قد تجد فيه على العكس من ذلك منتهى التفاهة والسخف، وقد يكون هذا الكتاب سبباً من أسباب الخصام بينك وبين صديقك، هو يقول عنه: إنه كتاب عظيم، وأنت تقول عنه: إنه سخي، إن السبب في هذا الاختلاف بينكما ناشئ أغلبه من الاختلاف بين وجهتي نظركما حين قرأ كل منكما الكتاب على حدة، فربما كان صديقك قد اعتاد على تذوق الجزالة في اللفظ والرنين في الأسلوب بينما أنت لا تتذوق هذه الناحية من الكتاب إنما تريد أن تقرأ فيه المعاني والأفكار الجديدة، ولهذا ترى الكتاب قد أصبح جيداً في نظر أحدكما وسيئاً في نظر الآخر.
- ليس من العجيب أن يختلف الناس في أذواقهم وميولهم ولكن العجب بالأحرى أن يتخاصموا من أجل هذا الاختلاف.
- وقل مثل هذا عن المؤرخين القدماء حيث تجد إحدى الشخصيات التاريخية قد أصبحت في نظر بعضهم على درجة عالية من السمو والمكانة يستحق الثناء، وفي نظر الآخرين هو فاسق دنيء لا يستحق غير القدر.
- إن كل مؤرخ حين يدرس الأخبار عن تلك الشخصية التاريخية يركز بؤرة نظره على جزء منها ويهمل الأجزاء الأخرى، وهو حين يمر على الأخبار التي تخالف وجهة نظره يعتبرها مكذوبة ويتركها، فإذا سألته عن السبب في تركه لبعض الأخبار دون البعض الآخر قال: إنها غير معقولة ... وهو يعني بذلك أنها خارجة عن إطاره الفكري، فالمقياس الذي يفرق به بين المعقول وغير المعقول كما شرحنا سابقاً هو مقياس ذاتي ونسبي، ولكن بعض المؤرخين سامحهم الله يعتبرونه مطلقاً وخالداً، ولذلك تراهم لا يفهمون في دراسة الشخصيات التاريخية إلا تلك الناحية التي يريدونها ويميلون إليها.
- وهذا هو الذي جعل كل فرد منا يحمل معه حقيقته الخاصة كما يحمل حقيقته.
- ويمكن تشبيه الحقيقة بالهرم ذي الأوجه المتعددة حيث لا يرى الإنسان منه إلا وجهاً واحداً في آن واحد، وقد يرى أحداً وجهاً معيناً من وجوه الهرم هذا اليوم ثم يتحول عنه إلى غيره غداً، وهو في كل يوم مغرور بما يرى متعصب له إذ يعتبر كل الناس ما عداه مخطئين.

•• قيل في أحد الأمثال الغربية: " غير معيشة الإنسان يتغير بذلك تفكيره "، وهذا صحيح إلى حد بعيد، فالفقير الجائع يكاد لا يفهم الحقيقة إلا على شكل رغبة، أما المدلل المرفه فتراه متيماً بالمثل العليا في نظره التي لا فائدة منها مثل الجمال الكامل أو الحق المطلق أو ما إلى ذلك من أمور وخزعات لا طائل منها. (أ. هـ) والموضوع حول الإطار الفكري لكل شخص يريد التعمق والاستفادة طويل وأكثر بكثير مما ذكرته في هذه العجالة، ولمن أراد الاستفادة والاستزادة فعليه بقراءة كتاب (خوارق اللاشعور لعللي الورددي)، الذي اختصرته كثيراً في هذه الأسطر القليلة.

وعودة إلى موضوع الانتقاد الذي طرحه محمد بن مسعود العبدلي الفيفي في الحلقة الثانية والثالثة بخصوص نفيه لمصطلح ما يعرف ببلاد فيفا الواسعة المثبتة في المخطوطات والمراجع القديمة التي أثبتتها في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) فالناقد له إطاره الفكري الخاص في هذه النقطة التي لا يرى فيها أنه كان يوجد قديماً ما يسمى ببلاد فيفا الواسعة، لأنه لا يرغب بالخروج من هذا الإطار الفكري المحدود ولا يريد التنقف في هذه الناحية لما انطبع في ذهنه وإطاره الفكري بأن بلاد فيفا الواسعة ما هي إلا جبل فيفا المعروف حالياً وهذه مشكلة يواجهها المنتقد ولا يتقبل أي جديد خارج عما انطبع في إطاره الفكري. وإلى اللقاء في الجزء الثاني من الحلقة الثانية الذي سيتبعه عدة أجزاء بإذن الله تعالى والذي سوف نناقش فيه بعض ما أثاره الناقد والمنتقد محمد بن مسعود.

جوال المؤلف ٠٥٥٦٥٨٥٨٥٦

بريد إلكتروني fifyhj@hotmail.com

(الجزء الثاني من الحلقة الثانية)

أواصل معكم بإذن الله وتوفيقه النقطة التي انتقدها المنتقد في بداية هذه الحلقة حيث قال: (لكي يخرج علينا المؤلف بجغرافية مختلفة وحقائق تتعارض مع ما في أذهاننا فكان لابد أن يضع عنواناً مستقلاً ضمن الفصل الأول تحت عنوان: {فيما القديمة أكبر} ويقتضي ذلك ابتكار تسمية جديدة كانت هي (بلاد فيفا).

فأقول وبالله التوفيق:

لم أبتكر أي تسمية جديدة البتة، بل وضحت لكم تسمية قديمة لبلاد فيفا اكتشفتها في المراجع والمخطوطات التي غفل عنها البعض، فأحييت ذكرها هنا بعد أن كادت تندثر وتذهب أدراج الرياح لولا توثيق أصحاب تلك المراجع والمخطوطات لهذه المعلومة فجزاهم الله خيراً، ولعل المنتقد والعلم عند الله لم يتقبل هذه المعلومة المهمة بسبب إطاره الفكري المحدود الذي لا يرغب أن يخرج منه، ولذلك فقد حاول جاهداً تفنيد ما أوردته من أدلة موثقة تؤكد وجود ما يعرف ببلاد فيفا قديماً، ومحاولة إسقاط العلامة والمؤرخ اليمني المطهر الجرموزي، وكذلك المؤرخ اليمني العلامة أحمد الشرفي لأنه ربما يعتقد أنه إذا نجح في إسقاطهما فإن كل ما ورد عنهما من كتابات ستسقط أيضاً.

قال المنتقد في محاولة لتفنيد الأدلة التي أوردتها وكذلك محاولة هز صورة المؤرخ الجرموزي والمؤرخ الشرفي أمام القارئ:

ثم يحشد أدلته (أي صاحب الموسوعة الميساء) التي نعرض لها فيما يلي:

الدليل الأول: (ص ٤٩) ينقل من الجوهرة المنيرة للجرموزي قوله (يقصد المنتقد قوله:) (وبلاد فيفا وهي الأراضي المتصلة ببلاد قحطان في السراة وتهامة إلى قرب ضمد وبوصان) وينقل قوله (يقصد المنتقد قوله:) (وبلاد فيفا من مغارب نجران بلاد واسعة) ثم ينقل ما قد يتوهمه القارئ نصاً ثالثاً للجرموزي دون تنصيص: وأما بنو مالك من أهل فيفا الخ . ثم يذكر (يعني الجرموزي) بأن أهل فيفا قبائل متعددة من بني مالك وأهل حبس وآل كثير!! ثم لا يقفل اقتباسه المتوهم بعلامة تنصيص ولا يحيلك لورقة المخطوط ولا شيء من ذلك.

والجرموزي لا علاقة له بجغرافية اليمن ولا الجزيرة العربية ولا يرجع له في البلدانيات أو التقسيمات الإدارية ولا يعتد به في ذلك البتة.

ومؤلف الموسوعة لم يذكر أن الجرموزي يكتبها مرة بلاد فيفا ومرة يطلق عليها جبل فيفا هكذا دون ضابط مضطرب بل تعتمد (أعني صاحب الميساء) إلى إيهام القارئ بأنه اقتبس هذا من صعيد واحد فحشده مع التصرف بالنص ودون أن يعزو كل اقتباس إلى الورقة المعنية به من المصدر الذي حقق منه أجزاء عدة كرسائل علمية. وعلى هذا فقد خلا نص الموسوعة من أي إشارة مرجعية أو أقواس مع استباحة النص والتصرف فيه ويمكننا الحكم على الدليل الأول بالسقوط وعدم الأهلية للقوادح المذكورة .

الدليل الثاني: (ص ٤٩) عن الشرفي في اللآلئ المضية (المضيئة) قوله: كان لأهالي فيفا أسواق وبلاد تتصل بتهامة. وهو لا ينقل نصاً ولا يحيلك إلى الورقة من المخطوط ولا شيء من ذلك.

وأقول (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): ليس في هذه العبارة ما يفيد وجود جغرافية تمتد من تهامة قحطان إلى ضمد يطلق عليها بلاد فيفا الواسعة!!.

بل يعلم بالبديهة أن جبل فيفا هو الأقرب - (يقصد المنتقد الأقرب) - جغرافياً للحزون بل وتهامة وهو الجبل الذي ذكره الأمير نصر بن ماکولا أنه يرى من ضمد. ومن البديهي أيضاً أن كلمة (الاتصال) لا تعني امتداداً لفيفا إلى تهامة أو تماساً أو ملاصقة أو مجارة - (يقصد المنتقد مجاورة) - بمقدار ما نفهم أن فيفا وسفوحها مأهولة بالعمران ذات تواصل تجاري مع تهامة يتم فيها تبادل السلع. والنص أعلاه أغار عليه التصرف من قبل الباحث فأصبح خارج الاحتجاج خلوا - (يقصد المنتقد خالياً) - من أي تقسيم إداري ينص على وجود جبل يعرف بفيفا إلى جانب مجموعة جبال تعرف بفيفا ولكنه تحميل للنص لما لا يحتمله وتكلف بين جلي وكان أجدر بالكاتب سيما وهو أعلم بجغرافية فيفا وهو أحد أبنائها تعديل وتصحيح ما خلط فيه الجرموزي أو غيره وهذا ما ننتظره ونتوقعه من باحث نعه من أهل فيفا ومن باحثيها فكان على خلاف ذلك حيث جاء يعزز أخطاء الواهمين ويدعمها.

أقول وبالله التوفيق:

كما يتضح للقارئ المهتم فإن للمنتقد نظرة في العلامة المؤرخ الشرفي، وكذلك العلامة المؤرخ الجرموزي تصل إلى حد الطعن في أمانتهما، ورفض كل أقوالهما كما اتضح في هذه الحلقة وكما سيتضح من خلال بعض حلقاته القادمة، كل ذلك بسبب ما ارتكبه من غلطة في اتهامهم لأهالي بلاد فيفا ببعض الأمور السيئة رغبة منهما في تبرير حملات إمامهما على تلك البلاد آنذاك، وهو تبرير دأباً عليه لتلميع غزوات أئم تهم فطمس المنتقد كل ما ورد عنهما من معلومات غنية ومفيدة عن فيفا من غزوات وتاريخ وأنساب وقبائل ومواقع جغرافية، ولعلنا ندرك كما يدرك غيرنا

من المنصفين بأن وصف علامة مثل الجرموزي أو الشرفي بمثل هذه الأوصاف التي لا تليق بشخصين في مثل مكانتهما العلمية اعتماداً على مجرد غلطة حصلت منهما هو أمر لا يصح، فالشرفي والجرموزي جزاها الله خيراً ورحمهما وغفر لهما قد حافظا لنا على أحداث تاريخية ومواقع جغرافية كانت ستندثر وتصبح في عالم النسيان، لولا الله ثم تدوينهما لتلك الأحداث والغزوات والمواقع إلا أنهما غير معصومين من الخطأ، ولكن هذا لا يجعلنا نتجاهل علمهما وفضلهما، ولا يسيع لنا وصفهما بما وصفهما به المنتقد ما لم يثبت بأدلة قاطعة كذبهما في وصف الأحداث والأماكن والأزمنة.

والعلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي وكذلك الجرموزي هما:

أول من حافظ لنا على بعض الأحداث والوقائع والمواقع التي تخصنا فيما وقع تحت أيدينا من مراجع ومخطوطات، ولولا الله ثم كتاباتهما لغابت عنا أحداث فترة تاريخية مهمة من تاريخنا فهل نكافئهما بتكذيب كل أخبارهما عن تلك الأحداث؟ وهل يعتبر هذا من الإنصاف؟ حتى وإن تهجم على أهالي بلاد فيفا واتهم أهلها بما ليس فيهم إلا أن إلغاء وتكذيب كل معلومة وردت في كتاباتهما يعد ضرباً من ضروب الجهل واللامعقول لأنهما يعتبران مرجعاً تاريخياً معترفاً به على الأقل في مصداقية الأحداث والأوصاف دون الأسباب الخاصة بالمعارك كما سنوضح لاحقاً.

وبادئ ذي بدء فأنا لا أدعي أن العلامة الشرفي أو العلامة الجرموزي منزهان عن الزلات والأخطاء فهما بشر يعتريهما النقص كسائر البشر، ويقعان في بعض الزلات والأخطاء كما يقع غيرهم من بعض المؤرخين فإذا علمنا ذلك فإنه يتوجب علينا التنبيه عما وقع فيه من خطأ، والشكر والثناء على ما صح منهما، لا أن ننتهج نهج محمد بن مسعود ونهضم فضلهما ثم نتهمهما بالكذب والتزييف جزافاً.

أعود فأكرر وأقول بالرغم من وصفهما لأهالي بلاد فيفا بالأعداء واتهامهم بتهمة ليست فيهم إلا أنهما أنصفانا في المحافظة على مساحة بلاد فيفا الواسعة، وذكر بعض البطولات لأهالي جبل فيفا وبعض القبائل المجاورة في بلاد فيفا الواسعة، وأثرينا ببعض المعلومات وبعض تقسيمات القبائل حينها ووصف للغزوات وبعض الأحداث التاريخية التي لولا الله ثم مجهوداتهما التدوينية لفقدنا كل تلك الأحداث والمعلومات المهمة.

ولعلم المتابع الكريم أن الجرموزي وبقية العلماء الذين حددوا لنا بلاد فيفا الواسعة لا يستطيعون الكذب والتحريف في المواضع الجغرافية لأنها ثابتة لا يُقبل فيها الكذب ثم ما المصلحة التي سوف يجنونها من وصفهم لبلاد فيفا بالاتساع؟ مع أنهم من الفريق المعادي والغازي لفيفا!!!.

أليس كان من الأجدر بهم أن لا يذكروا أي ميزة لأهالي فيفا وما جاورها؟ فإذا بهم يؤكدون وعبر أزمان مختلفة اتساع بلاد فيفا وكبرها.

ولنفترض مثلاً أن المؤرخ الجرموزي والمؤرخ الشرفي قد كذبا في هذه المعلومة أليس هناك من علماء اليمن ممن عاصروهم أو أتى بعدهم من كان يستطيع رد أقوالهما؟ ونفي هذه المساحة الجغرافية الكبيرة من بلاد فيفا الواسعة خصوصاً وأن بعض المواقع اليمنية حالياً في شمال وغرب صعدة كانت من ضمن مساحة بلاد فيفا القديمة التي حددها أولئك العلماء؟

والمؤرخان الشرفي والجرموزي كما هو متعارف عليه فإنهما ثقافت عند أهل عصرهما وما بعده من عصور، وكتبهما ومخطوطاتهما متداولة بأيدي العلماء والمؤرخين وقد حُقت فيهما وفي بعض مخطوطاتهما بعض الرسائل العلمية من قبل بعض طلبة العلم، ولم أرَ من يخالفهما أو يتهمهما بالوضع والكذب وغيرها من الأوصاف التي لا تليق إلا محمد بن مسعود العبدلي الفيفي.

والمؤرخان الشرفي والجرموزي لهما مكانتهما العلمية عند كل منصف، وهما من هما مع أنهما يصيبان ويخطئان مثلها مثل غيرهما كما أسلفت، ولكن حتماً سيكون صوابهما أكثر من أخطائهما بكثير، ومن غير المعقول أن نسقطهما ولا نعتد بهما، وما قبول كتبهما في خزانات كتب التاريخ، وإقبال الباحثين على الإحالة عليهما، وتحقيق مخطوطاتهما إلا دليل على تمكنهما وقوتهما في التاريخ، وأنه ليس من السهل على أحد إسقاط حجية ما توارث القوم عنهما من مخطوطات ذات قيمة، وما فيها من معلومات تاريخية جمة، ولعلي أذكر القارئ المهتم أن المؤرخ الواقدي من أكبر من تكلم العلماء في عدالته، ومع ذلك فكثير من أخبار السيرة والتاريخ يكون مرجعاً فيها.

والتاريخ كما يعلم الغالبية منا ظني، وليس كعلم الشريعة من حديث وفقه وتفسير حتى يشترط فيه العدالة فإن ثبت لدى عامة المؤرخين كذب ذلك المؤرخ فينبغي تركه بالكلية كبعض مؤرخي الروافض وبعض الفرق الضالة، ولكن حتماً الشرفي والجرموزي ليسا كذلك، فكتب اليمن حافلة بالإحالة عليهما، فهل أنت أيها المنتقد زعيم رابطة المؤرخين حتى تحكم على الشرفي والجرموزي بالكذب والسقوط، أم هل يا ترى أنك عالم من علماء الجرح والتعديل حتى يفرع الناس إليك في معرفة حال المؤرخين؟

وهل تعداد الشرفي أو الجرموزي لقبائل فيفا بدقة ووضوح وذكرهما لبعض مظاهر فيفا الجغرافية في تلك الحقبة الزمنية التي لم نعاصرها ووصف بعض الغزوات التي تعرضت لها دليل على كذبهما؟

لقد كُنتُ فيما يخصهما أكثر منك وعياً وعدلاً وإنصافاً أيها المنتقد، حيث أخذت منهما المفيد ونقلته في كتابي وتجنبنت نقل ما لا أقبل منهما، ولم أتطرق لتلك التهمة الصادرة منهما بالتصريح بها والتي لا يقبلها منصف، وأما غالبية المآخذ التي عليهما فقد صرحت بها في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفا) وبينت عدم إنصافهما في تلك النقاط فكانت ردودي على تلك المآخذ عليهما بأسلوب علمي منصف ومتزن بعيد عن التهجم والسب والتهكم كما سنرى في ثنايا هذا الرد نقلاً عما أوردته في كتابي الموسوعة الميساء، حيث جاء ردي عليهما فيما أخطأ فيه كلاهما كاختلاق الأسباب لحملات أئمتهم، وسوق بعض التهم العظيمة المفضوح أمرها، وكل هذا قد تجاهله محمد بن مسعود ولم يذكره لي للأسف في محاولة منه عن قصد أو عن غير قصد في إظهاره أمام القارئ المتابع لانتقاده هذا، وكذلك إيهام من لم يقرأ كتابي بتمعن أو لمن لم يطلع أصلاً على الكتاب واكتفى بقراءة انتقاده بأنني لم أنقل من العلامة الجرموزي أو الشرفي إلا الأكاذيب، وأن النقل كان دون تمحيص، وهذا من الجور وعدم الإنصاف، ولذلك سوف ترون في ثنايا ردودي الموثقة كما ألمحت أعلاه أنني على العكس مما حاول إيهام المتابع به، حيث أنني قد أخذت منهما ما فيه الفائدة وقمت بالرد العلمي الرصين على ما كان عليهما من مآخذ ومن ذلك ما تطرقت له في الباب الأول الفصل الثاني – فيفا عبر التاريخ في الصفحة رقم (٤٢١ والصفحة ٤٣٨) قائلاً عنهما:

(العلامة المؤرخ الأديب أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، ولد عام ٩٧٥ هـ وتوفي عام ١٠٥٥ هـ له العديد من المؤلفات منها اللآلئ المضيئة والبعض يقول: اللآلئ المضية. ومن مصنفاته أيضاً شرح الأزهار في الفقه بأربعة مجلدات، وهو جد (بيت) السوسوه الذين في دمار من بلاد اليمن الشقيقة وله نسل نجباء). أ. هـ

(والمطهر بن محمد بن أحمد الحسن بن الجرموزي المفضل المتوفى في ١٢/٢/١٠٧٦ هـ وقيل ١٠٧٧ هـ، ونسبته إلى هجرة بني جرموز قرية كبيرة باليمن. وهو زيدي المذهب، وكان والياً للإمام المؤيد، ومن بعده أخيه المتوكل على بلاد عتمة حتى وفاته، له العديد من الكتب المعروفة).

(وهو "الجرموزي" ممن أسأوا كثيراً إلى فيفا وما جاورها من بلدان، وذلك عبر كتاباته غير المنصفة جرياً على عادته في التهجم على أي شخص أو قبيلة يحصل بينها عدااء هي وأحد أئمة اليمن الأشراف، ويظهر غفر الله له أنه من فرط محبته لهم والغلو الشديد فيهم يصبوب أفعالهم إذا سالموا أو هادنوا ويتهجم على من يعادون الأئمة محاولاً تشويه صورهم، وإظهارهم بالأعداء ولا يتحرج من لعنهم حتى وإن كانوا أولئك الأئمة على خطأ، شأنه في ذلك شأن المؤرخ "الشرفي" وسيلحظ القارئ التحامل غير المقبول من مؤرخين كالجرموزي والشرفي، حيث كان يفترض أن

يرصدا الأحداث بتجرد، لكنهما يبالغان في المدح في حق من أعجبا به لأي سبب، ويبالغا في الشماتة في حق من لم يرق لهما، كما هو شأنهما في تشقيهما بحق أهالي فيفا ومن جاورهم وخصوصاً الجرُموزي). أ.هـ.

ولكنني على الرغم من ذلك لم أتجاهل ما أدليا به من حقائق جغرافية ووصف لبعض الغزوات ووصفهم بدقة كبيرة لقبائل فيفا حينها فجزاهما الله خيراً على تلك المعلومات التي لا تقدر بثمن فقد أخذت منهما ما فيه الفائدة والتنوير ولم آخذ بزلاتهما وقد نوهت كما رأيت عن مدى استيائي من ذكرهما لتلك التهم التي يكيلونها لكل من عادى الأئمة.

وهنا أذكر المنتقد حول الخطأ الذي وقع فيه في أحد حلقاته والتي سأرد عليه بشأنها تفصيلاً في حينه وذلك بخصوص تاريخ ولادة ووفاة الجرُموزي وتاريخ ميلاد ووفاة المؤرخ الشرفي فالمؤرخ الشرفي أقدم من الجرُموزي ولادة ووفاة وتأليفاً ويقع (مخطوطه اللألي المضية) في ثلاثة مجلدات وكل مجلد يحمل المئات من الصفحات وقد وصف غزو فيفا في عام ١٠٣٥ هـ في العديد من الصفحات وفصلها تفصيلاً شافياً ووافياً على العكس من المؤرخ الجرُموزي الذي لم يتطرق لأحداث تلك السنة إلا في صفحتين فقط وباختصار شديد.

ولعلي أختتم ما يخص الجرُموزي الذي حاول المنتقد تشويه سيرته العلمية وإسقاطه بتعريف شامل له قد ينبه القارئ لما كان عليه المؤرخ الجرُموزي من علم وفضل ومكانة في زمانه فهو:

المؤرخ المطهر الجرُموزي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن (المنتصر) علي الشريف الحسن الجرُموزي من ولد يوسف بن المرتضى بن المفضل، وينتمي إلى هجرة بني جرموز من بني الحارث، وكان جده محمد بن المنتصر أول من انتقل إلى هجرة بني جرموز. لقد احتل المؤرخ والحاكم الجرُموزي مكانة كبيرة في الدولة آنذاك فقد كان فقيهاً ومؤرخاً وسياسياً وأديباً ولا أحد ينكر العلاقة الوطيدة للمؤرخ الجرُموزي بالسلطة الحاكمة في ذلك الحين، وقربه من الأحداث السياسية مما جعله شاهد عيان ساعد على رصد كل الأحداث التاريخية في تلك الحقبة الزمنية التي عاصرها ومنها الأحداث التي جرت لبلاد فيفا حينها.

عاصر الجرُموزي قيام الدولة القاسمية في اليمن وشارك في أحداثها ووقائعها، وتأثر بسير الحوادث القائمة فيها، فسجل كل تلك الحوادث السياسية والعسكرية، ودونها في ثلاث سير لثلاثة من الأئمة القاسميين الذين عاصر حياتهم، كان أولهم الإمام القاسم بن محمد (النبذة المشيرة).

أما الكتاب الثاني الذي سجله المؤرخ الجرموزي فهو: (الجوهرة المنيرة إلى جمل من عيون السيرة) ويحكي عن سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وتعتبر هذه الفترة من الفترات التاريخية التي عاصرها وعاش أحداثها وأرخ في هذه السيرة لحياة الإمام المؤيد محمد منذ تقلده الإمامة بعد وفاة والده الإمام القاسم حتى وفاته سنة (١٠٥٤هـ / ١٦٤٤م) وما جرى فيها من أحداث، وقد كان لفيفا نصيب من كتاباته في هذا الكتاب المخطوط كما أوردته سابقاً في كتابي: (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء).

أما السيرة الثالثة فهي سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، الإمام الثاني من أولاد الإمام القاسم بن محمد، وتسمى: (تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار) ويتناول فيه سيرة الإمام إسماعيل بن القاسم عرض فيه لحياة الإمام إسماعيل السياسية والعلمية، وإصلاحاته الاقتصادية وحروبه المختلفة التي خاضها لبسط نفوذه على مناطق اليمن قاطبة، وكذلك فقد أوردت ما يخص بلاد فيفا في (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) مما أوردته الجرموزي في كتابه المحقق (تحفة الأسماع والأبصار).

وللمؤرخ الجرموزي مؤلف آخر كتبه في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة، وهو كتاب تاريخي معروف يسمى: (عقد الجواهر البهية في معرفة المملكة اليمنية والدولة الفاطمية الحسنية) ذكر في مقدمته أنه جمعه في أخبار ملوك اليمن منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمنه، وجعله خمسة عشر فصلاً خصص لكل دولة فصلاً حتى انتهى فيه إلى أول سنة (١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م).

عاصر المؤرخ الجرموزي الإمام القاسم، والإمام المؤيد محمد وأخيه إسماعيل، وكان من رجال دولتهم ومن المقربين إليهم، واحتل مكانة كبيرة في حياة هؤلاء الحكام الأئمة من أهل البيت، وتقلد المناصب الوظيفية، وكان قريباً من الإمام المؤيد محمد وإخوته، فقد أوكل إليه الإمام المؤيد كثيراً من المهام العسكرية والسياسية.

وقد ترجم للمؤرخ الجرموزي كثير من المؤرخين نتيجة لشهرته الواسعة، ومصنفاته المشهورة فما مكانة المنتقد محمد بن مسعود من هؤلاء المؤرخين الذين ترجموا لهذا العلم وامتألت المكتبات اليمنية والعربية بكتبهم.

عاش المؤرخ الجرموزي في عتمة حتى توفي في شهر محرم من سنة (١٠٧٧هـ، ١٦٦٦م) وقد قارب الستين عاماً من عمره، وقبره معروف في قرية (سماء) بناحية عتمة، وقد رزق الجرموزي الكثير من البنين والبنات، وكان محباً للخير والصدقات، واشتهر عنه أنه بنى في نواحي عتمة ما يقارب ١٢ مسجداً ما بين صغير وكبير، واهتم ببناء برك الماء والمواجل، للواردين في الطريق.

فقد كان للمؤرخ الجرموزي اهتمام بالعلوم الدينية لا سيما أصول الفقه، وله كتاب في هذا المجال سماه: (تفسير أولي الأبواب في معرفة رب الأرباب).

ورسائل أخرى في مسائل الأصول والفقه وبالنظر إلى قرب الجرموزي من السلطة الحاكمة في ذلك الحين، وتسلمه كثيراً من المهام السياسية فقد ذكر المؤرخ كثيراً من الأحداث والمواقف التي شارك فيها أو كان شاهداً على حدوثها في أثناء سرده لأحداث السيرة، فقد حرص على إبراز وإيضاح كل المواقف الشخصية التي جمعتها بالإمام والحسن ثم الحسين في مختلف مراحل حياته، فقد عين الإمام المؤرخ الجرموزي على جهة الحجر في السنة الأولى من قيامه بالإمامة ويبدو أن المؤرخ الجرموزي كان في السنوات الأولى من قيام الإمام المؤيد محمد حاضراً ومصاحباً له في جميع الأمور، ومطلعاً على كثير من شؤون البلاد وبعد استقلال اليمن من العثمانيين أسند الإمام للمؤرخ الجرموزي بعض المهام العسكرية منها: قمع ثورات وتمردات في جهات ريما، وقد نجح المؤرخ في تلك المهمة، وعينه الإمام بعد ذلك لولاية عتمة، والأمير سنبل لولاية وصاب، وعندما توفي الأمير سنبل أوكل الإمام للجرموزي بحصر أموال الأمير وتقسيمها على ورثته وتسوية أوضاع المنطقة والجنود، ثم أمره أن يتولى إمارة وصاب إلى جانب ولاية عتمة، وكان المؤرخ الجرموزي قريباً من الإمام المؤيد في الأيام الأخيرة في حياته، لمسنا ذلك في كثير من المواقف التي كان الإمام يشكو فيها إليه عبء المهام والمشاكل التي يواجهها، خاصة عند ثورات وعصيان أحمد بن الحسن المتكررة، ومواقف أهل يافع المتذبذبة من الإمامة، ثم توافد قبائلهم إلى شهارة وطمعهم المتكرر في عطاء الإمام من الأموال.

كان المؤرخ الجرموزي قريباً من الأحداث ومن شخصياتها، ومنهم الحسن بن القاسم، وقد أورد المؤرخ كثيراً من المواقف والشؤون المتعلقة بالبلاد في ذلك الوقت، وصلة الحسن الدائمة بأخبارها، ويبدو أن العلاقة كانت وطيدة بين المؤرخ والحسن، وبعد وفاة الحسن بن القاسم واستلام أخيه الحسين أعمال وشؤون المناطق الوسطى والجنوبية تكرر الأمر بالنسبة للمؤرخ فقد كان قريباً من السلطة، وبعد وفاة الحسين بن القاسم يذكر المؤرخ أنه استمر على ولاية عتمة ووصاب.

كان قريباً من الأحداث، وكان يستقي معلوماته من مصادرها الأصلية إلى جانب أنه كان من أتباع المذهب الزيدي وأحد المسؤولين القريبين من حكام تلك الفترة، ويعد من مؤرخي السير البارزين، وبحسب كتاباته ومنهجه التاريخي، فقد كان من الباحثين المدققين الذين يجرون وراء الأخبار لجمعها وروايتها مع ذكر من أخذ منهم، أي مع إسناد رواياته إلى أصولها.

وهذا التعريف الذي أطلعكم عليه للمؤرخ المطهر الجرموزي هو ما اتفق عليه علماء اليمن من المؤرخين والباحثين ونحوهم، وقد نقلت هذا التعريف مع بعض التصرف عن الدكتوراة اليمنية أمة الملك التي حققت مخطوط الجوهرة المنيرة ووضعت في ثلاثة أجزاء وله تعاريف عديدة في بعض المراجع كالبدور الطالع للشوكاني وغيرها من الكتب.

وقد أوردت هذا التعريف المختصر لبيان فضله وليفرق محمد بن مسعود بين أكثر من شخص ظهر على الساحة باسم الجرموزي، حيث اتضح لي من خلال الحلقات النقدية التي طرحها أن لديه خلط واضح بين أكثر من جرموزي، وكذلك لأعرف القارئ الكريم أن هذا المؤرخ العلامة هو من يحاول المنتقد إسقاطه، مع أنه لو كان لديه قليل من الإنصاف لنظر إلى سيرته وعلمه وفضله من جميع الجوانب ثم حكم عليه بكل تجرد، وكذلك فإن العلامة المؤرخ الشرفي لا يقل فضلاً وعلماً عن معاصره الجرموزي.

ولنعد لنقاط النقد والانتقاد التي تطرق لها محمد بن مسعود وسأحاول الإجابة عنها بكل تجرد وصدق وأمانة وبما يرضي الله سبحانه وتعالى.

يقول الناقد:

ثم يحشد أدلته (أي صاحب الموسوعة الميساء) التي نعرض لها فيما يلي:

الدليل الأول: (ص ٤٩) ينقل من الجوهرة المنيرة للجرموزي قوله (يقصد المنتقد قوله:) (وبلاد فيفا وهي الأراضي المتصلة ببلاد قحطان في السراة وتهامة إلى قرب ضمد وبوصان) وينقل قوله (يقصد المنتقد قوله:) (وبلاد فيفا من مغارب نجران بلاد واسعة) ثم ينقل ما قد يتوهمه القارئ نصاً ثالثاً للجرموزي دون تنصيص: وأما بنو مالك من أهل فيفا الخ. ثم يذكر (يعني الجرموزي) بأن أهل فيفا قبائل متعددة من بني مالك وأهل حبس وآل كثير!! ثم لا يقفل اقتباسه المتوهم بعلامة تنصيص ولا يحيلك لورقة المخطوط ولا شيء من ذلك.

أقول وبالله التوفيق:

الجرموزي - رحمه الله - لم يقل: "وبلاد فيفا، وهي الأراضي المتصلة ببلاد قحطان في السراة وتهامة إلى قرب ضمد وبوصان". البتة.

وهذا للأسف الشديد من نقلي الخاطئ فقد اشتبه عليّ متن كتاب الدكتوراة أمة الملك الذي حققت فيه الجوهرة المنيرة بالحاشية، حيث إنني قد نقلت هذا التعريف من متن ذلك الكتاب الذي ذكرت فيه هذا التعريف في سياق كلامها فأخذته من هناك، ولم

وأعذر للقارئ الكريم عن ذلك النقل الخاطئ وإعداد الجميع بالتصحيح والتنويه عن ذلك في طبعات قادمة إن يسر الله، والشكر للناقد أن جعلني وبطريقة غير مباشرة أتنبه لمثل هذا الالتباس غير المقصود الذي وقعت فيه وجلّ من لا يخطئ.



تقدمت قبائل حيان وظهران ونجران الشمالية، وأعلنت طاعتها للإمامة، ونجع الحسن بن القاسم في غزو مناطق وادي العمالسة التي تسكنها قبائل دُهمَة وأخضعها لسلطة آل القاسم، وتوجه بعد ذلك إلى بلاد فيفا، وهي الأراضي المتصلة ببلاد قحطان في السراة وتهامة إلى قُرب صَمَد وبوصان، وأخضع قبائل هذه الأقاليم تحت طاعة الإمامة، فأحسن إليهم الحسن وأجزل العطاء الوفير^(١).

وكان الإمام المؤيد محمد قد حرص في السنوات الأولى من قيامه أن يستطلع آراء وتبعية الأمراء والأشراف والشيوخ في إقليم عسير. فقد أرسل سنة (١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م) رسالة إلى السيد الحسين بن أحمد بن الحسين الخواجي صاحب صيبا، تضمنت تلك الرسالة سرد جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض وتعرض على الجهاد وتقديم العون في الحرب ضد فساد الحكم العثماني.

ويحذرهم من التهاون والتراخي عن ذلك. ثم يوضح في الرسالة الأسباب والمبررات التي أجبرته على إعلان الحرب ضد العثمانيين، ومنها سياستهم غير المرضية، واقترافهم المعاصي المتكررة، ثم يورد أسباب نقض الصلح المبرم مع العثمانيين، نتيجة نقضهم للعهود والمواثيق وسفكهم للدماء وانتهاك المحارم^(٢).

أرسل الإمام قوات إلى أبي عريش لمساعدة الأهالي هناك، وتزامن ذلك مع توجه الجيش لمحاربة العثمانيين في سواحل تهامة الشمالية، ومنها أبو عريش. فنجحوا في الاستيلاء على قلعة أبي عريش، واستسلم الجنود الأتراك الذين بداخلها، وسلموا ما بأيديهم من السلاح والخيول والأموال، وتم إرسالهم إلى شِهارة^(٣). ودخلت قوات الإمام المؤيد محمد إلى مدينة أبي عريش وصيبا وبندر جازان، وأعلن الأشراف الخواجيين انضمامهم لدعوة الإمامة الداعية لحرب وطرد العثمانيين من البلاد^(٤).

(١) الجرافي: المصطلح من تاريخ اليمن، ص ٢١٣.

(٢) الجرموزي: النص، ق ١٧٩ ب- ١٨١ ب.

(٣) الشرفي: اللؤلؤ، مخطوط، ج ٣، ق ٤٤٨.

(٤) نفسه ونفس المصدر، ق ٤٨٣.

صورتان توضحان ما اعتذرت عن الوقوع فيه سابقاً بخصوص ما التبس عليّ واعتقدته أحد تعاريف الجرموزي لبلاد فيفا.

يقول الناقد محمد بن مسعود:

الدليل الثاني: (ص ٤٩) عن الشرفي في اللآلئ المضية (المضيئة) قوله (يقصد صاحب الموسوعة الميساء): إنه كان لأهالي فيفا أسواق وبلاد تتصل بتهامة. وهو لا ينقل نصاً ولا يحيلك إلى الورقة من المخطوط ولا شيء من ذلك.

أقول وبالله التوفيق:

صدق المنتقد فقد وهمت في ذلك أيضاً ونقلتها على أنها للشرفي، وبمراجعتي للمخطوط لم أجد ما يشير إلى ذلك، وهذا خطأ مني سأعمل على تلافيه في الطبعات القادمة بإذن الله، حيث أن هذه الجملة لم يقل بها أحد غير العلامة المؤرخ الجرموزي، وأشكر الناقد محمد بن مسعود على هذا التنبيه غير المباشر منه، مع أن نقده في هذه النقطة كان يدور حول عدم توثيق هذه المعلومة للشرفي، ولم يكن المنتقد يقصد نقد نفس المعلومة التي تذكر بأنه كان لأهالي فيفا أسواق تتصل بتهامة، لأنه تطرق للمعلومة ونفاها أن تكون صحيحة وما إلى ذلك وإلا لو عاد لنفس المخطوط وقرأه بتمعن وتركيز لوجد أن هذه المعلومة لم يذكرها الشرفي، وأنني كنت واهماً في ذلك، ولكنه قد اعتمد فقط على ما ورد في الموسوعة حول هذه المعلومة.

وأخيراً فيما يخص التعريف “وبلاد فيفا وهي أرض نازحة متصلة ببلاد قحطان وفي التهائم إلى قرب وادي ضمد”. الذي بنى عليه المنتقد كل انتقاداته الخاطئة في هذه الحلقة وما سيتبعها من بعض الحلقات فللأسف الشديد فقد شاركني نفس الخطأ الذي وقعت فيه من نسبة ذلك التعريف إلى الجرموزي وهو براء منه، ولو تريت المنتقد محمد بن مسعود في النقد والانتقاد قليلاً لاكتشف بكل سهولة أن العلامة المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي لم يقل بذلك التعريف أبداً، وأن الذين عاصروه أو أتوا من بعده لم يبينوا على ذلك التعريف ولم يقلدوه، بل كانت تعاريفهم لبلاد فيفاء الواسعة مستقلة ولا تتشابه مع نفس التعريف كما ستقرؤون بوضوح وتفصيل مفيد في الجزء الثالث من الحلقة الثانية، لكنه للأسف اعتمد على ما أورده في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء وبنى عليه وطفق شتماً وتسفيهاً في الجرموزي، وهذا خطأ كبير قد وقع فيه، وإلا لو كان عاد لتلك المراجع التي اعتمدت عليها في بحثي وبحث فيها دون الاعتماد على ما ورد في كتابي وجعله المرجع الوحيد له، لاكتشف ما حصل لي من التباس أدى إلى ذلك النقل الذي لم أصب فيه، ولربما خفت وقلت انتقاداته حول هذه النقطة التي بنى عليها كثير من انتقاداته في بعض ثنايا حلقات القراءات النقدية للموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء وهذا ما لا أتمنى له أن يقع فيه عبر كتابه الذي ينوي طرحه. فليتنبه لذلك.

وإلى اللقاء في الجزء الثالث من الحلقة الثانية بإذن الله في القريب العاجل والتي سأناقش فيها ما وقع فيه المنتقد محمد بن مسعود من سلبيات وأخطاء كنت أتمنى له أن لا يقع فيها.

(٤)

(الجزء الثالث من الحلقة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أتابع معكم بحول الله وقوته الجزء الثالث من الحلقة الثانية حيث يقول المنتقد:

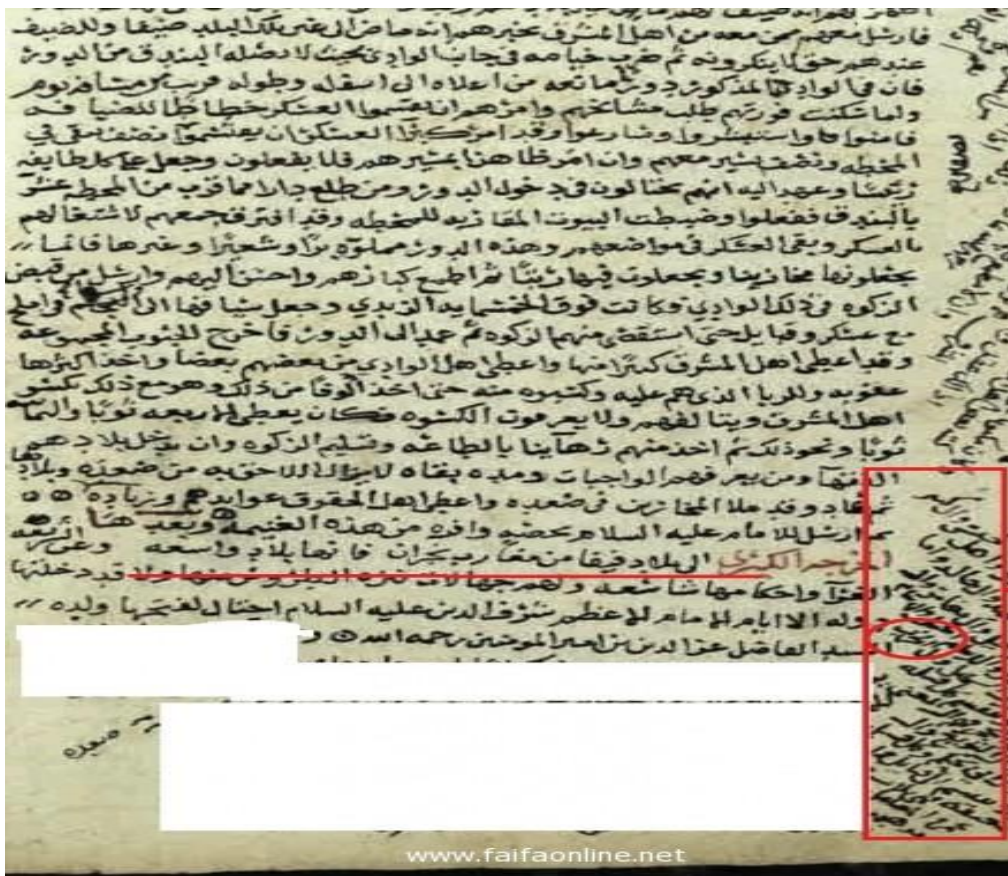
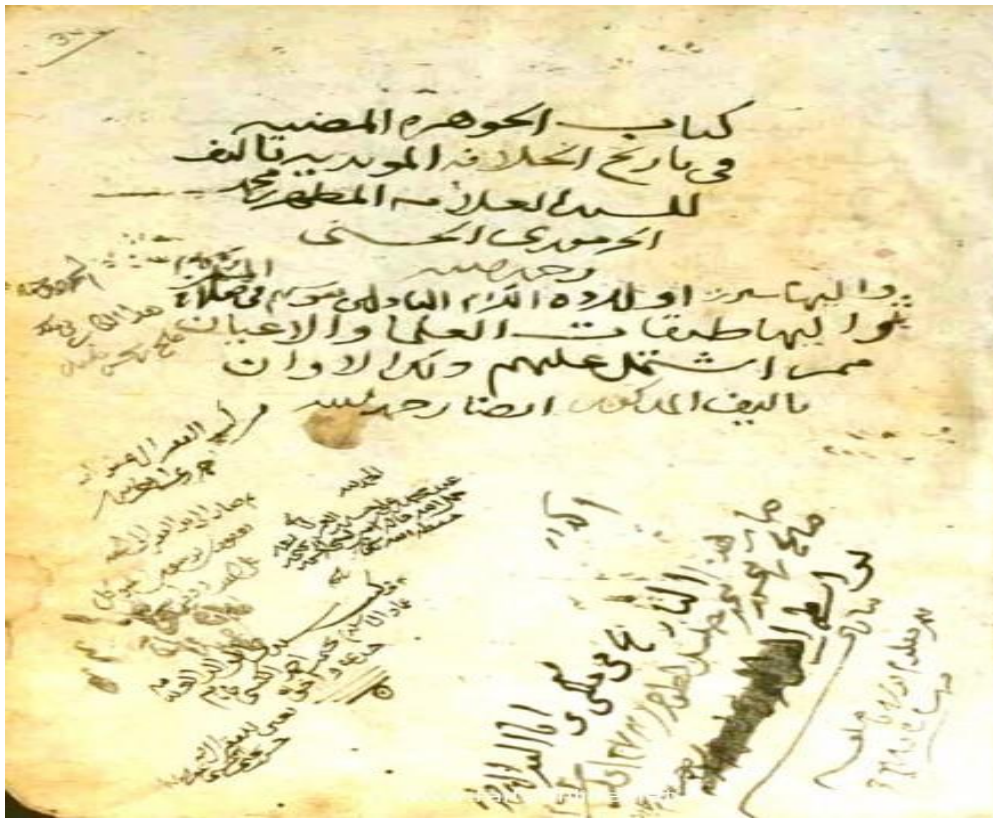
وينقل قوله (يقصد صاحب الموسوعة الميساء) (وبلاد فيفا من مغارب نجران بلاد واسعة) ثم ينقل ما قد يتوهمه القارئ نصاً ثالثاً للجرموزي دون تنقيص: وأما بنو مالك من أهل فيفا الخ . ثم يذكر (يعني الجرموزي) بأن أهل فيفا قبائل متعددة من بني مالك وأهل حبس وآل كثير!! ثم لا يقلل اقتباسه المتوهم بعلامة تنقيص ولا يحيلك لورقة المخطوط ولا شيء من ذلك.

أقول وبالله التوفيق:

كان يفترض من المنتقد أن يضع بعد كلمة قوله نقطتان رأسيّتان لتصبح الكلمة هكذا (قوله):

وأما قول المنتقد: (اقتباسه المتوهم) قاصداً إياي، فحقيقة الأمر أنني لم أرفق المخطوط الخاص بالجرموزي والموسوم (بالجوهرة المنيرة) بسبب ما وجهه الجرموزي لأهالي بلاد فيفا من كلام لا يحسن ذكره هنا ولا في الموسوعة الميساء وهو من زلاته رحمه الله.

إلا أنني وبعد هذا الانتقاد أجد نفسي مضطراً إلى وضع صورتين من الصفحتين الخاصتين بمخطوط الجوهرة المنيرة بعد اتهام المنتقد لي بأنه (اقتباس متوهم)، ليطلع القارئ على أنه ليس اقتباس متوهم كما زعم، وليطلع القارئ على أن التعاريف الخاصة ببلاد فيفا الواسعة ليس بينهما رابط وليست تقليداً أو نقلاً عن الجرموزي أو أنه قد تبعه في تلك التعاريف بقية المؤرخين الذين استشهدت بهم في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر ففاء) كما التبس على المنتقد.



نرى في الوثيقة أعلاه الصفحة رقم ٤٩ المأخوذة من (مخطوط الجوهرة المنيرة) كما هو موضح بالخط الأحمر ما يلي:

يقول الجرهموزي: "بلاد فيفا من مغارب نجران بلاد واسعة".

ثم يقول كما نرى في طرف الصفحة الأيمن وكما هو محدد بالمستطيل الأحمر:

"بأن أهل فيفا قبائل متعددة من بني مالك وأهل حبس وآل كثير وآل سلمة وآل علي وآل سعيد وآل خالد. أما أهل جبل فيفا فهم آل شراحيل، وآل المغامر، وآل ظلمة، وآل علي بن عمر، والأيتام الجبل، والأيتام السهل، وآل الحرب السهل، وآل الحرب الجبل، ومدر، وتنقسم كل قبيلة إلى قبائل؛ فأهل الحجر فهم (آل بمعنى): آل عبدالله وآل الثويح وآل مشنية وآل أبي الحكم، وكل قبيلة من هؤلاء تنقسم إلى قبائل".

مسحت جزء من المخطوط متعمداً لوجود كلام لا أحبذ ذكره هنا لأن مثل تلك الأخبار يجب أن (تطوى ولا تروى) ولأننا لا نقره عليها ونعتبرها من زلاته غفر الله له.



نرى هنا ما كتبه العلامة المؤرخ الجرهموزي في الصفحة رقم ٥٠ المأخوذة من مخطوط الجوهرة المنيرة حيث قال: "ولهم أسواق وبلاد تتصل بتهامة". أنتهي كل ما ورد عن الجرهموزي.

وأما أول من قال بهذا التعريف: "وبلاد فيفا وهي أرض نازحة متصلة ببلاد قحطان وفي التهائم إلى قرب وادي ضمد".

فهو: العلامة المؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي المتوفى في عام ١٣٠٨هـ، وقد تبعه في ذلك المؤرخ الجرافي في كتابه المقتطف (ص ٢١٣) مع بعض الإضافات قائلاً: "وبلاد فيفا، وهي الأراضي المتصلة ببلاد قحطان في السراة وتهامة إلى قرب ضمد وبوصان".

وبهذا يتضح أن لا أحد نقل عن الجرموزي البتة، وأن كل صاحب تعريف يختلف تعريفه عن الآخر ماعدا تشابه التعريفين الأخيرين بين الجرافي والكبسي فقط، واللذان لا يتشابهان مع تعريف الجرموزي آنف الذكر وبهذا تسقط حجة محمد بن مسعود التي سوف يتشبه بها في حلقات قادمة أيضاً.

وبالمناسبة فنقد محمد بن مسعود لي عندما قال: (ومؤلف الموسوعة لم يذكر أن الجرموزي يكتبها مرة بلاد فيفا ومرة يطلق عليها جبل فيفا، هكذا دون اضطراد).

أقول: هذا يدل على أن المنتقد يعتقد أنني أقصد ببلاد فيفا جبل فيفا، ويستشهد بهذه الجملة التي وردت عن الجرموزي في محاولة لإثبات وتقوية موقفه من أن الجرموزي مضطرب ومتناقض في تعريف بلاد فيفا، لكن العلامة المؤرخ المطهر الجرموزي على العكس مما حاول المنتقد محمد بن مسعود إيهام القارئ به، وقد وضحت لكم فيما مضى أنني أقصد ببلاد فيفا الواسعة ليس جبل فيفا وحده بل وتشمل بعض الجبال والقبائل المجاورة، وما جبل فيفا إلا جزء من بلاد فيفا الواسعة، وليس للقبائل التي تسكن في جبل فيفاء أو مشايخها أي سلطة على القبائل أو مشايخ القبائل الأخرى الواقعة ضمن هذه البلاد الواسعة، إنما يجمعهم جميعاً هذا المصطلح الجغرافي المعروف في تلك الفترة الزمنية، وكلام الجرموزي دليل على ذلك، فهو عندما تطرق إلى تعريف بلاد فيفا كما قرأتم ذكر من ضمنها جبال وقبائل بني مالك وجبل فيفا وقبائله وذلك في بداية توجه الجيش اليمني لبلاد فيفا، وعندما دارت أحداث المعركة في جبل فيفا الذي هو جزء من بلاد فيفاء الواسعة ذكر الجرموزي (جبل فيفا) وذلك بعد الانتهاء من المعارك التي خاضوها الغزاة ضد قبائل بني مالك. وذلك للفرقة بين بلاد فيفاء الواسعة وبين جبل فيفاء المعروف.

وهذا دليل ضد المنتقد الذي يحاول نفي بلاد فيفا الواسعة، يُضاف للأدلة التي تثبت جغرافية بلاد فيفا الواسعة قديماً، فتنبه أيها المنتقد وفرق بين بلاد فيفا الواسعة وبين جبل فيفا الذي هو عبارة عن موقع من عدة مواقع مما كان يعرف ببلاد فيفا الواسعة.

يقول المنتقد:

الدليل الثالث: (ص ٤٩) عن الكبسي محمد بن إسماعيل قوله (يقصد المنتقد محمد بن مسعود قوله:) (وبلاد فيفا وهي أرض نازحة متصلة ببلاد قحطان وفي التهائم إلى قرب وادي ضمد.. ثم في السطر الثالث يكتفي الباحث بوضع نقطة متناسياً إغلاق القوس أو وضع حاشية (يقصد المنتقد حاشية وليس حاشية) يحدد الورقة التي اقتبس منها.

أقول وبالله التوفيق:

قد بينت لكم سابقاً الالتباس الذي وقعت فيه من نسبة هذه المقولة للمؤرخ العلامة المطهر الجرموزي وأنها لم ترد عنه ولم يقل بها إلا الكبسي فقط، وقد شاركني المنتقد نفس الخطأ بخطأ أكبر منه عندما اعتمد فقط على ما أورده في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء من تعاريف دون أن يرجع إلى المصادر الأصلية التي تطرقت لتلك التعاريف والتي لو عاد إليها لأراح نفسه وأراحنا من كل ما ذكره وأثاره حول هذا التعريف.

وحول توجه المنتقد أن الجرموزي أو الشرفي لا يعتمد عليهما في جغرافية ولا تاريخ ولا أنساب فقد أعجبتني بعض الردود التي أدلى بها بعض المتداخلين في الحلقة الثانية والثالثة وغيرها من الحلقات حول هذه النقطة، ومنهم:

قائل الحق وأستاذ التاريخ وشتان بين العطب والحطب وغيرهم، فهي ردود من وجهة نظري مفيدة وشفافية وافية فيما يخص الجرموزي من أنه لا يعتد به في الجغرافية والتاريخ والأنساب، إضافة إلى ما ذكرته لكم في هذه الحلقة وما سأذكره لكم في بعض الحلقات القادمة بإذن الله.

وأما قول المنتقد: (بأنني تعمدت إغفال المرجع الذي نقلت عنه أو اقتبست منه للكبسي إذا ما علمنا أن تراثه في التاريخ خمسة عناوين أشهرها اللطائف الذي ذكره الباحث في قائمة المصادر نهاية الجزء الثاني).

أقول وبالله التوفيق:

ليس الأمر كما ذكر المنتقد، فلو عاد للصفحة ٣٩٥ في باب التاريخ من كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء لوجد أنني قد ذكرت مرجع اللطائف السنية للكبسي الذي ذكر هذه الجملة ولم أغفل عنه.

ثم يقول المنتقد:

الدليل الرابع: (ص ٤٩) عن الجرافي قوله (يقصد صاحب الموسوعة الميساء) وبلاد فيفا أرض نازحة متصلة ببلاد قحطان في السراة وفي تهامة إلى قرب ضمد ... وفي السطر الثالث يضع نقطة ولا يحيلك لشيء.

أقول وبالله التوفيق:

كيف لم أحل على شيء؟ وأنا في بداية الجملة الواردة في الصفحة ٤٩ من كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) والتي عليها مدار هذا الانتقاد قد كتبت ما يلي:

” وكذلك ذكرها القاضي الجرافي صاحب كتاب المقتطف وهو من المعاصرين لنا حيث قال: (وبلاذ فيفا أرض نازحة متصلة ببلاذ قحطان في السراة وفي تهامة إلى قرب ضمد..... وذكر أيضاً بأن بلاذ فيفا مخلاف من المخاليف الشمالية لليمن).”

والجملة التوضيحية التي قمت بوضع خط تحتها وتلوينها باللون الأزرق هي ما تجاهله المنتقد ولم يكتبها في حلقة الثالثة في محاولة لإيهام القارئ بأنني قد تركت الجملة التي بعدها (وبلاذ فيفا أرض نازحة متصلة ببلاذ قحطان في السراة وفي تهامة إلى قرب ضمد) مبهمة دون توثيق أو إحالة على مصدرها التي وردت فيه، وبتره لهذه الجملة التي نقلتها لكم بحذافيرها كما وردت في كتاب الموسوعة في الصفحة سابقة الذكر لا يجوز، فقد كان يفترض فيه نقل الجملة كاملة من بدايتها إلى نهايتها بكل أمانة وصدق، أو تجاهل نقدها لأنه ليس فيها ما يُنقد.

أليس كذلك؟

والمنتقد للأسف الشديد وكما سترون في بعض انتقاداته القادمة فإنه يبتز بعض الجمل التي ينقلها من كتابي ولا ينقلها كاملة من البداية حتى النهاية في محاولة منه لتقوية موقفه في ذلك الانتقاد.

وإلى اللقاء في الجزء الرابع من الحلقة الثانية قريباً بإذن الله . .

(الجزء الرابع من الحلقة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:
أواصل معكم بتوفيق من الله وفضل (الجزء الرابع من الحلقة الثانية) . .

يقول المنتقد محمد بن مسعود: (هي محاولة يائسة بائسة من الباحث للاستكثار والتقوي فكرر الشاهد نفسه لمجموعة نقلوا عن الجرموزي وإلا قد علمت الإنس والجن أن لا شيء بين أيدينا غير ما ذكره الجرموزي وحسب. وقد أشرنا سابقاً أن لا - (يقصد المنتقد ألاً) - دليل فيه لعدم الاضطراد .. والحدود المذكورة في النص إنما هي المنطقة التي استهدفها حملة الإمام وجرى اجتيازها من قبل الجند وبموجب هذا النص للجرموزي وقع الغلط التاريخي في وصف سكان فيفا بتلك الأوصاف الباطلة التي ذكرتها البسام في كتابها (الإمام محمد ابن القاسم في اليمن) فلا تصح أبداً.. وربك أعلم أي ديرة كانوا يقصدون وفي أي أرض صادفوا مثل تلك الحكايات المشينة التي لا تصدق في فيفا وأهلها العرب الكرام. فالجرموزي ومثله الشرفي عندي غير ثقتين فيما روياه عن فيفا ولا أثق بهما في غير ذلك. ولو وثقهما مؤلف الموسوعة الميساء ولا أظنه سيفعل فإن التوثيق سيجر عليه الولايات والطوام التي تقتضي مسبة الدهر.. فاسألوه عما حكياه في حق أهل فيفا هل يصح؟ وسترون جوابه!!).

أقول وبالله التوفيق متجاوزاً قول المنتقد: (وإلا قد علمت الإنس والجن أن لا شيء بين أيدينا غير ما ذكره الجرموزي وحسب).

قد بينت لكم سابقاً أن هذا النص (الشاهد) الذي يتشبه به المنتقد ليس للجرموزي البتة، وأنه خاص بالكبسي وتبعه في ذلك القاضي الجرافي، وأنه ليس للجرموزي سوى تعريفين عرف بهما بلاد فيفا وهي:

أولاً: “بلاد فيفا من مغارب نجران بلاد واسعة”.

ثانياً: “ولهم أسواق وبلاد تتصل بتهامة”. ولم يذكر عن فيفاء أي تعريف آخر سواهما.

وأما قول المنتقد:

(ولو وثقهما " أي الشرفي والجرموزي " مؤلف الموسوعة الميساء ولا أظنه سيفعل فإن التوثيق سيجر عليه الويلات والطوام التي تقتضي مسبة الدهر.. فاسألوه عما حكياه في حق أهل فيفا هل يصح؟ وسترون جوابه !!).

أقول وبالله التوفيق:

نحن كباحثين ومؤرخين ومن هم على نهجنا، ننظر لمثل تلك الافتراءات على أنها (أخبار تُطوى ولا تُروى) فلعل هذه القاعدة الجيدة تنطبق في ذاكرة المنتقد وذاكرة كل باحث وقارئ.

ورغم تهويل المنتقد لهذا الأمر حين قال: (ولو وثقهما مؤلف الموسوعة الميساء ولا أظنه سيفعل فإن التوثيق سيجر عليه الويلات والطوام التي تقتضي مسبة الدهر.. إلخ). في حال لو أتيت به وكأنه لم يسبقني إليه الأوائل، فإن هناك من أبناء فيفاء من تطرق لجزئية كبيرة من ذلك الأمر منذ سنين عديدة، فتجاهل المنتقد ذلك وكأنه على غير علم به، ولم يثر هذه النقطة إلا معي بالذات؛ حيث سبق وأن وثق كتابات العلامة الشرفي فضيلة الشيخ القاضي علي بن قاسم الخسافي الفيافي - حفظه الله - في كتابه الموسوم (فيفاء بين الأمس واليوم) الذي أفرد له الشيخ العديد من الصفحات ابتداءً من الصفحة ٦٣ إلى الصفحة ٧٤ وكذلك في غيرها من الصفحات. وقد ذكر الشيخ في الصفحة ١٤٨ من كتابه آنف الذكر ما يلي:

(الحالة الاجتماعية)

(وقد وصفهم السيد أحمد بن محمد الشرفي في كتابه " اللآلئ المضيئة " في حوادث عام ١٠٣٥ هـ بقوله: (وأهل فيفاء وبنو مالك ليس لهم مذهب ولا يعرفون ذلك بل هم كالأنعام فلا يصلون، ولا يزكون، ولا يصومون، ولا يحجون، ومع ذلك يزعمون أنهم مسلمون) وإنما لم يعلموا شرائع الدين لعدم المعرف لهم أنتهى. وإذا عدنا لبعض مما حكاه الشرفي بحق أهالي فيفاء فسنجد من أصحاب الفضيلة والعلم من وثق تلك الجزئية مما ذكره العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي ألا وهو:

فضيلة الشيخ الدكتور القاضي والمحامي الشرعي سليمان بن قاسم الفيافي في مخطوطه المتداول (فيفاء وأطوارها الذي فرغ من تأليفه عام ١٤٠٩ هـ) في الصفحة ٢٩ حيث نقل حرفياً ما نقله الشيخ علي بن قاسم الفيافي عن الشرفي في تلك الجزئية ولكنه لم يتطرق لبعض الصفحات الأخرى التي نقلها ووثقها الشيخ علي بن قاسم عن العلامة المؤرخ الشرفي في كتابه آنف الذكر.

والشيخ القاضي علي بن قاسم الفيافي وصنوه الدكتور الشيخ سليمان بن قاسم الفيافي قد سبقنا إلى العلم والدراية والكتابة والتأليف ومعرفة الأحكام الشرعية في مثل توثيق بعض الكتابات التاريخية وما يترتب على ذلك التوثيق من أمور، ولذلك لم يريا غضاضة في نقل وتوثيق ما ذكره الشرفي، ولو كانا يعلمان أن توثيقهما لما

حكاة الشرفي بحق أهالي فيفا سيكون كما ذكره المنتقد في معرض انتقاده السابق لي وهما في العلم والقضاء والتأليف من هما لما تطرقا إلى ما حكاة الشرفي بحق أهل فيفا ووثقاه ونشراه عبر كتاب مطبوع يقرؤه الملاء ومخطوط لم يطبع قرأه البعض. وبعد كل ما قرأتم فهل كان هذان الشيخان يجهلان أن نقل مثل هذه المعلومة سينتج عنه ما ذكره المنتقد؟ وهما من سبقنا في العلم ومعرفة الأحكام الشرعية في توثيق مثل هذه الكتابات التاريخية!!

أم أنهما نقلتا بعض ما ذكره الشرفي إيماناً منهما بالأمانة العلمية، والتوثيق العلمي؟ والأمر العجيب الغريب الذي لم أجد له أي تفسير حتى حال كتابة هذه الحروف أن المنتقد قد سكت عن نقد الشرفي حينها وتغاضى عنه مع أن هذه المعلومات التي وثقها الشيخ علي قد سبقت نزول كتابي بثلاث سنوات على الأقل! فأين كنت أيها المنتقد منذ سنين خلت عن نقد المؤرخ العلامة أحمد بن محمد الشرفي حين وثقا له هذه الجزئية ووثق له الشيخ علي غير هذه الجزئية التي ذكرتها هنا؟ فثبته الناس حينها إلى خطر الشرفي وكذبه! حين طفقت فيه في بعض حلقاتك النقدية الموجهة ضد كتابي شتماً وتسفيهاً ووصفته بالكذب وبعض الصفات الأخرى التي لا تليق!.

أتعجب فعلاً من ردة فعل المنتقد القوية التي لم تظهر من قبل ولم تظهر إلا معي ومع كتابي بالذات؟

مع تذكيري للقراء بأنني لم أوثق في كتابي ما حكاة الشرفي بحق أهل فيفا لإيماني بالقاعدة التي تقول: (أن مثل هذه الأخبار تُطَوَّى ولا تُرَوَّى) مع أن المنتقد قد أكد أنني لو نقلتها عن المؤرخ الشرفي أو المؤرخ الجرموزي أنني كنت سأجر على نفسي الويلات والطوام التي تقتضي مسبة الدهر!!!! أشياء تدعو إلى التساؤل! وقد تدعو القارئ المهتم المتابع لهذه الحلقات إلى التساؤل أيضاً، وأختم كلامي عن هذه النقطة بسؤال للمنتقد محمد بن مسعود: هل هذا من الإنصاف أيها المنتقد؟

ثم يقول المنتقد:

والدليل الخامس: (ص ٤٩) عن موسوعة المدن والقبائل اليمنية للحجري قوله (حاشية):

فيفاء: بلد واسع من بلاد خولان بن عمرو بن الحاف أ.هـ. ثم يحيل للنص ص ٦٣٦ من المجلد الثاني. يقصد صاحب الموسوعة.

ويتبع قائلاً: بلد واسع؟؟ أين حدوده؟؟ .. هذا كلام مرسل دون قيود وليس فيه ما يعتمد عليه كي نتصور هذا الاتساع واليمن بلد ' والسعودية بلد ' وسوريا بلد والقول يحتاج إلى ضبط وعند البلدانين الكلاسيكين بلاد البحرين وبلاد السودان رغم الفرق الشاسع في المساحة كما تكون عند المعاصرين مصر بلد وقطر بلد.

أقول وبالله التوفيق: لا داعي لإعادة فقد ذكرنا جغرافيته وحدوده، ولا شك أن الحجري قد اطلع على التعاريف السابقة وربما أكثر مما لم يقع تحت أيدينا وبناء عليها أكد بأنه بلد واسع، وأتوقع لو أنه ذكر تلك الحدود، لقلت بأنه لا يعتد به وأنه قد تبع الجرموزي في ذلك.

ثم أليس لذلك الأمر شواهد إلى وقتنا الحاضر مع أن جغرافية تلك الفترة الزمنية التي أصبحت تختلف عن وقتنا الحاضر قليلاً لم ندرکها، فمثلاً:

لا زال البعض من غير أهالي بلاد فيفا كأهالي نجد وغيرهم من المدن البعيدة عندما يسأل أحدهم أحد أبناء بلاد فيفاء الواسعة من أين أنت؟

فيجيبي هروبي أو مالكي أو غزواني فيرد عليه صاحب السؤال يعني من فيفا؟ وهذا أمر مشاهد.

ثم أليس أهل سوريا حالياً يطلقون مسمى الشام على دمشق حالياً؟ فكأنهم يخرجون بقية بلاد الشام الواسعة عن مسمى الشام الذي كان يمتد ليشمل مساحة أوسع مما حصروه في ذلك المسمى بحيث كان يشمل الأردن ولبنان وبعض الأجزاء في الجزيرة العربية وجزء من تركيا.

وكذلك أهل مصر فإنهم يخصون بمصر القاهرة حالياً، وهذا لا يعني أن بقية المدن المصرية ليست من مصر!

وكذلك مسمى البحرين حالياً فقد حُصر في أضيق مما كان عليه في بداية الدعوة الإسلامية؟

وحتى في مسميات القبائل فمثلاً:

مسمى همدان تلك القبيلة العظيمة الكبيرة في العصر الجاهلي قد انحصر حالياً في مسمى حاشد وبكيل وأصبحت همدان جزء من حاشد، وكذلك مسمى حاشد قد اقتصر في مفهوم العامة على أصغر من الصحيح.

فمثلاً قبيلة يام وحجور ووادة قد أصبحوا لا يتسمون بمسمى همدان ولا المسمى الذي اشتهر من بعده وهو حاشد فلو نقول لحجوري هل أنت حاشدي؟ فإنه قد يقول: لا، أنا حجوري.

مع أنه يعرف أنه من حاشد الكبرى. ولكن حصل تخصيص اصطلاحي. والأمثلة على ذلك كثيرة.

فما المانع أنه كان هناك ما يعرف (ببلاد فيفاء الواسعة قديماً)؟ التي انحصر مسمائها حالياً في جبل فيفا!

ثم يقول المنتقد:

ويضيف أي صاحب الموسوعة (كل هذه التعاريف القديمة ومنذ قرون عديدة وكذلك الحديثة تدل دلالة واضحة وتجمع بأن فيفا كانت في الماضي أكبر مساحة من وقتنا الحاضر بكثير). ص ٥٠ .

وأقول (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): لا إجماع ولا ما يحزنون وإنما هو نص واحد لمظهر الجرموزي ولا سواه تناقله القوم حرفياً وعلى غير بصيرة أوهدي حتى أراد الباحث توظيفه لدعم فكرة أمن بها وتعصب لها وسعى هرولة باتجاهها دون أن تفرض نفسها عليه وتبقى (بلاد فيفا الواسعة) شيء لا دليل عليه. أقول وبالله التوفيق:

قد بينا وهم محمد بن مسعود في ذلك وأن الدليل لم يسقط وأنه ليس هناك من نقل عن الجرموزي البتة، وأنه ليس نصاً واحداً كما فهم المنتقد محمد بن مسعود، بل هي كالتالي:

أولاً: ما ورد عن الجرموزي:

١. "بلاد فيفا من مغارب نجران بلاد واسعة".

٢. "ولهم أسواق وبلاد تتصل بتهامة".

انتهى كل ما ورد عن الجرموزي.

ثانياً: ما ورد عن الشرفي في مخطوطه اللآلئ المضية المرفق منه صورة في كتابي باب فيفاء عبر التاريخ: "وفيفا بلاد واسعة".
انتهى ما ورد عن الشرفي.

ثالثاً: ما ورد عن الكبسي في كتابه اللطائف السنية (ص ٣٢٤ و ٣٢٦) الذي سبق وذكرته في كتابي:

١. "وبلاذ فيفا وهي أرض نازحة متصلة ببلاذ قحطان وفي التهائم إلى قرب وادي ضمد" . . . "ولم تثبت عليها دولة".

٢. وقال: "وهي بلاد واسعة مسيرها فوق عشرة أيام جبلاً ووطاً".

انتهى ما ورد عن الكبسي.

رابعاً: ما ورد عن القاضي الجرافي في كتاب المقتطف الصفحة (٢١٤):
حيث قال: "وبلاذ فيفا أرض نازحة متصلة ببلاذ قحطان في السراة وفي تهامة إلى قرب ضمد..... وذكر أيضاً بأن بلاد فيفا مخلاف من المخاليف الشمالية لليمن".

وهكذا تتضح الصورة أن تعاريف الجرموزي لبلاد فيفا تعاريف مستقلة ولم يتبعه في تلك التعاريف أو يأخذ بها أي مؤرخ أتى من بعده أو عاصره ممن نقلت عنهم تعاريف بلاد فيفا الواسعة، ونلاحظ أن تعريف الشرفي مستقل، وكذلك تعريف الكبسي مستقل ولم يأخذه من الشرفي ولا من الجرموزي ويختلف تماماً عن تعاريفهم السابقة، وإنما حصل تشابه بين الجزء الأول من تعريف القاضي الجرافي مع الجزء الأول من تعريف الكبسي كما أوردت سابقاً، وبهذا اتضحت الصورة

واتضح سقوط مقالة محمد بن مسعود التي لا يرى فيها كما يزعم من أنه لا يوجد: (.... أي إجماع ولا ما يحزنون وإنما هو نص واحد لمطهر الجرموزي ولا سواء تناقله القوم حرفياً وعلى غير بصيرة أو هدى حتى أراد الباحث توظيفه لدعم فكرة آمن بها وتعصب لها وسعى هرولة باتجاهها دون أن تفرض نفسها عليه وتبقى (بلاد فيفا الواسعة) شيء لا دليل عليه...).

انتهى كلام المنتقد فيما يخص أدلته التي يحاول فيها إسقاط الجرموزي والشرفي وبالتالي سقوط ما يعرف ببلاد فيفا الواسعة.

ثم يقول المنتقد:

ثم يقرر باطمئنان قائلاً (والكلام لمحمد بن مسعود) (وكان يفترض على المنتقد محمد بن مسعود أن يكتب كلمة قائلاً متبوعة بنقطتين رئيسيتين لتصبح هكذا (قائلاً:)).

يقول: يقصد صاحب الموسوعة (ولذلك فبلاد فيفا الواسعة قديماً لم يكن يقصد بها جبل فيفا الحالي بمساحته الحالية بل كانت تشمل جبل فيفا الحالي وجبال بني مالك وحريص الحشر وهذا أمر مؤكد كما شاهدنا في المراجع والمخطوطات آفة الذكر، بل ربما شملت بعض المجاورين كهروب ومنجد بل وربما الريث لان - (يقصد المنتقد لأن)- حدودها كما رأينا الى - (يقصد المنتقد إلى)- سراة وتهامة قحطان وإلى القرب من ضمد.) نفس الصفحة من الجزء الأول.

وأقول: ولا زال القول لمحمد بن مسعود، هذا ما يبحث عنه (يقصد صاحب الموسوعة) ولو لم يجد ما يتعلق به لابتكر أدلة توصله لما في ذهنه فهذا المط والتمدد الجغرافي سيوفر له أساساً عريضاً للبناء فهل سيستغله؟ سنرى!!.

أقول وبالله التوفيق:

لا حول ولا قوة إلا بالله فلا يعلم النيات إلا الله وحاشا لله أن أبتكر أي أدلة غير موثقة أو من بنات أفكارى، وليس لدي أي نية أو كتابات لما أسماه (أساساً عريضاً للبناء) وقد اتهمني المنتقد بما ليس فيّ بل وبما لم يخطر على بالي، وإنني أبرأ إلى الله من ذلك، وأمام كل الملأ.

ومعاذ الله أن آتي بكلام دون دليل أو مرجع اعتمد عليه، وقد بينت لكم في هذه الحلقة وفي حلقات سابقة وبإذن الله في الحلقات القادمة ما ينير العقل حول ما وقع فيه المنتقد من غموض أدى به إلى هذه الانتقادات والتفسيرات والقراءات الخاطئة.

وإلى اللقاء بمشيئة الله في الجزء الخامس والأخير من الحلقة الثانية . .

(الجزء الخامس من الحلقة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل من الله وتوفيق الجزء الخامس والأخير من الحلقة الثانية.

يقول الناقد: ثم تأتي مرحلة التأسيس واعتماد المصطلح فيضع لها تعريفاً بقوله - (يقصد المنتقد بقوله:-) (إذا قلنا بلاد فيفا فالمقصود بها مساحة كبيرة يدخل فيها مجموعة جبال وسهول وفيافي وقفار وأودية ومنها (ركز على قوله منها) ومنها جبال فيفا ومن فيها وجبال بني مالك ومن فيها وحريص الحشر وربما بعض القبائل القريبة؛ أما إذا قلنا جبال أو جبل فيفا فنقصد به جبال فيفا الحالية بما فيها... وإذا قلنا جبال بني مالك فإنما نقصد جبال بني مالك الحالية بما تحمله من قبائل... أما قديماً فكانت هذه الجبال وهذه القبائل بمجموعها تعرف ببلاد فيفا الواسعة) نفس الصفحة.

وأقول (ولا زال القول للمنتقد): بلاد فيفا' وجبال فيفا؛ وفيفا' وجبل فيفا' اسم واحد للجبل المعروف عينه ولم يرد في التراث المنقول كتابة أو مشافهة تقسيماً جغرافياً كهذا أو يقترب منه ومؤلف الموسوعة الميساء هو المسؤول عن اختراعه وإخراجه للناس فلوى لأجل ذلك أعناق الأدلة وتكلف التأويل والتصرف في النصوص كي يظهر بعلم جديد .

والمعروف أن جغرافية الدول والممالك والكيانات السياسية وحدها من قد تصاب حدودها ورقعتها الإدارية بالانكماش أو التتمدّد - (يقصد المنتقد التمدّد)- وفقاً لنفوذها وانحساره - (يقصد المنتقد وانحسارها)- .. أما الأمكنة والشواخص الجغرافية كفيفا فتظل على حالها دون زيادة أو نقصان.

أقول وبالله التوفيق:

كلام المنتقد هنا غير منطقي فقد رأينا أكثر من تعريف قديماً وحديثاً يفيد بأنه كان هناك ما يسمى ببلاد فيفا وأن جبل فيفا ما هو إلا جزء منها مع الأخذ بعين الاعتبار أن قبائل جبل فيفا ومشايخها ليس لهم حكم إلا على قبائلهم وعلى مساحتهم الجغرافية المحدودة بجبل فيفا الذي يقع من ضمن بلاد فيفا الواسعة، وأن مشايخ قبائل بني مالك لهم حكمهم المستقل على قبائلهم ومساحة جبالهم وبلادهم الجغرافية المعروفة وليس لجبل فيفا وشيوخه أي سلطة عليهم والعكس صحيح، وهكذا فإن جبال فيفاء تقع من ضمن المساحة الجغرافية المعروفة قديماً ببلاد فيفا الواسعة وكل قبيلة من القبائل التي تعيش في بلاد فيفاء الواسعة لها مواقعها ولها استقلالها الخاص بها.

وسأضرب للمنتقد مثالين هنا لعله يستفيد منهما فيخرج من إطاره الفكري المحدود تجاه هذه التسمية الجغرافية القديمة المثال الأول:

كم رأينا وسمعنا وقرأنا عن بلاد ذات اتساع كبير قديماً فانحصر مسماهما حالياً في منطقة صغيرة جداً بعد أن كانت تلك التسمية تشمل بلاداً أوسع وأكبر بكثير، وتغير المصطلح الجغرافي مشاهد ومعروف وليس كما ذكر المنتقد من أن الأمكنة والشواخص الجغرافية تظل على حالها دون زيادة أو نقصان ولننظر على سبيل المثال مخلاف عثر التاريخي وكيف كان امتداده في أزمان قديمة؟!.. وكيف انحسر مسماه الآن في ساحل صغير يسمى (عثر) مدينة بيش حالياً مع أن بيش قديماً كانت من مواقع مخلاف عثر.

وقد تغلب اسم المخلاف السليماني في بعض الفترات الزمنية على مسمى عثر ومن ثم تغلب مسمى بيش على المسمى القديم (عثر) الذي أصبح جزءاً من تلك البلاد، وهكذا مع مخلاف جيشان اليميني، ومخلاف الجند الذي تقلص ولم يعد بتلك الشهرة والمساحة الكبيرة التي كان عليها في صدر الإسلام، واشتهرت تعز حالياً أكثر منه وأصبح من بعض مواقع تعز، وكذلك بلاد فيفا الواسعة التي أصبحت الآن لا تعرف إلا بجبل فيفا الذي لا يمثل إلا جزء بسيط من تلك المساحة الهائلة الكبيرة لبلاد فيفا في الأزمان القديمة.

وكم رأينا وقرأنا عن مواقع كانت ذات مساحة كبيرة جداً وذات شهرة، فأصبحت فيما بعد تعرف بمسمى آخر، وتقلصت المساحة التي تحمل المسمى القديم، وأصبح ذلك المسمى يطلق على جزء صغير من تلك المساحة التي أصبح يحتلها المسمى الجديد، ولعلنا قد سمعنا عن مخلاف جرش الكبير فيما قبل الإسلام وما بعده بقرون عديدة فأصبح الآن بقعة صغيرة في منطقة عسير بمحافظة أحد ريفية وتقلص بعد أن كان ذلك المسمى المشهور جرش يطلق على مساحة هائلة من تلك البلاد، ومدينة جرش مدينة دائرية أثرية تقع على قاع منبسط بالقرب من سفح جبل شكر وجبل حمومه وموقعه في متوسط بلاد ريفية فيما يعرف اليوم بأحد ريفية القريبة من مدينة خميس مشيط وهي من محافظات عسير حالياً.

ولم نذهب بعيداً! فجبل فيفا وجبال بني مالك وما جاورها من جبال أصبحت تعرف الآن بجبال جازان الشرقية، فإذا قلنا جبال جازان الشرقية فنقول: إنها جبال عديدة ذات مساحة واسعة ومنها جبال فيفا الحالية وبني مالك وهروب وبني حريص وجبال بلغازي وغيرها من الجبال المجاورة، أما إذا قلنا جبل فيفا فإنما نقصد به جبل فيفا الحالي، وهكذا بلاد فيفا الواسعة قديماً (إنما كانت عبارة عن مجموعة من الجبال وتوابعها كجبال فيفا وبني مالك وحريص وغيرها) فما أشبه الأمس باليوم ولعل الفكرة قد اتضحت للجميع.

وقد تطرقنا في نهاية الجزء الرابع من الحلقة الثانية لبعض الشواهد حول تقلص بعض المصطلحات الجغرافية فيما يخص بعض الأماكن والشواخص التي تقلصت وانحصر مسماها في مساحة أصغر مما كان يعرف عنها في الماضي، ولا داعي لتكرارها هنا.

— أنافية —

ومن الشواهد القوية التي نستأنس بها على أنه كان هناك ما يسمى ببلاد فيفا الواسعة والتي تعتبر جبال فيفا الحالية جزء لا يتجزأ منها ما ذكره الهمداني عن أنافية والذي تطرقت له في الموسوعة الميساء صفحة ٣٩٩.

حيث قلت: (وربما أنه قد ورد ذكر فيفاء من قبل الهمداني المتوفى بعد سنة ٣٤٤هـ، في صفة جزيرة العرب في أكثر من موضع، وذلك عند حديثه عن مواطن خولان وما حولها، ولكن عند ذكره لها لم يأت باسم فيفاء، ولكن بذكر اسم جزء منها وهو (أنافية - نافية) من باب إطلاق اسم الجزء على الكل.

حيث يقول الهمداني في أكثر من موضع: (... ثم وادي صيبا وهو من مساقط بوصان والعر وأنافية ويسقي صيبا إلى نصر الأمان في صادة عثر). وبوصان من حدود بلاد فيفا الواسعة في الأزمنة القديمة. وقريب من جبل العر، وجبل العر مجاور وقريب من فيفا ويرى بالعين المجردة بل وترى البيوت المتناثرة فيه.

مع أنه تجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين كالعقيلي قد ذكر بأن مساقط هذا الوادي من غير هذه الأماكن التي حددها الهمداني. فعند تتبعه لمساقط وادي صيبا اتضح لديه وبعد البحث والسؤال أن مساقطه ليست من جهة جبل فيفا التي نعتقد أنها (أنافية) التي ذكرها الهمداني، بل وبتتبعنا لهذا النقطة على خرائط المنطقة الجغرافية، وعلى البرنامج الشهير قوغل إيرث، وجدنا بالفعل أن مساقط وروافد وادي صيبا كفيفا والعر لا تتفق وما أشار إليه الهمداني عن أنافية. وهذان الموقعان في جهتين مختلفتين عن مساقط هذا الوادي كما تشير الأسهم التي وضحناها على الخريطة المرفقة في الكتاب التي تظهر جهة أنافية البعيدة والمختلفة عن جهة فيفا والعر في نفس الجهة الخاصة بجبل بوصان، وعلى هذا فقد يظهر للقارئ وهم الهمداني في تحديد مساقط الوادي، وأن أنافية هذه غير فيفا التي نعتقد أنها أنافية.

وحول أنافية نقول: إذا لم يكن ذلك المسمى قد اندثر أو تحول إلى مسمى آخر فقد نبرر بأن أنافية ما هي إلا ما يعرف اليوم بفيفا لأن بلاد فيفا كما نعلم كانت ذات مساحة كبيرة كما سبق وأن حددناها سابقاً، وبهذا فإن ذكر الهمداني لها بأنافية لا ينافي أن بعض مساقط وادي صيبا كان من أحد المواقع في بلاد فيفا التي كانت أكبر مساحة مما هي عليه الآن والتي تعتبر جبال فيفا التي بها أنافية إحدى مواطنها، والتي كانت في زمن قديم تمتد إلى تلك الجهات والمساقط الخاصة بوادي صيبا

كبوصان القريبة والمحادة لبلاد فيفا قديماً. وأحياناً فإن البلاد تشتهر بأشهر موقع فيها، وربما كانت في زمن الهمداني تعرف بأنافية.

ولنزيد الأمر تأكيداً ووضوحاً عن أنافية فإننا قد بحثنا بحثاً جاداً، وقمنا ببعض الرحلات الميدانية، وسألنا العديد من المشايخ والمواطنين عن أنافيه في كل موقع قريب من الموقع الذي وصفه الهمداني، سواء في صعدة المجاورة كبلاد منبه وجبل العر وبلاد بني جماعة وبلاد باقم وسحار الشام القريبة من ظهران الجنوب والقريبة من بعض الأدوية التي تنحدر إلى وادي بيش، وكذلك في بعض مدن تهامة السعودية وبعض الجبال القريبة من وادي صيبا ووادي بيش عن أي مكان يقال له أنافية أو نافية أو اسم شبيه فلم نجد لذلك المسمى أثراً، فترجح لدينا مع صعوبة الجزم بذلك بأن أنافيه التي ذكرها الهمداني في زمانه (القرن الرابع الهجري) وما قبله ما هي إلا بلاد فيفا الواسعة التي كانت تحاد جبل بوصان من بلاد صعدة أحد مساقط وادي صيبا.

وللنظر في قول الهمداني عن أنافية مرة أخرى وبتحديد أوضح حين تطرقه ووصفه ما وقع باليمن من جبل السراة. حيث يقول: (أما جبل السراة الذي يصل ما بين أقصى اليمن والشام فإنه ليس بجبل واحد، وإنما هي جبال متصلة على نسق واحد من أقصى اليمن إلى الشام في عرض أربعة أيام في جميع طول السراة يزيد كسر يوم في بعض هذه المواضع، وقد ينقص مثله في بعضها، فمبتدأ هذه السراة من أرض اليمن أرض المعافر.... ثم يستمر الهمداني في سرد جبال السراة إلى أن يقول: ثم يتصل بها سراة خولان.... إلى أن يقول: فالعرّ ومن وسطها وغورها أرض ساقين وحيدان،... إلى أن يقول: ودفا، وقيوان وبوصان، وأرض الرسيّة، وأرض بني حذيفة وأرض الأبقر فمنحدر إلى أنافية فأبراق من ناحية بيش. ثم يتلوها سراة جنب وبلد العرّعرّ المعصور... إلخ. وقد نقلنا هنا ما يهمننا وإلا فالوصف يستمر أكثر من ذلك بكثير.

وفعلاً فجزء من بلاد فيفا الواسعة، التي من ضمنها جبال فيفا التي ربما عرفت في فترة زمنية معينة (بنافية) يقع في هذا المنحدر أو بالقرب منه حيث تحاد بلاد فيفا وادي دفا ووادي الحياة أحد روافد وادي بيش.

ولننظر إلى كتابة المؤرخ اليمني حسين بن علي الويسي في كتابه اليمن الكبرى وبعض المراجع الأخرى لمؤلفين آخرين، والتي تتحدث عن المنطقة، يقول الويسي: (... أهم الأودية في منطقة الساحل وادي جيزان، ويأتي من جبال صعدة الغربية، ووادي ضمد ومآتية من غرب بني مالك والعرّ.... ثم وادي بيش ومآتية من فيفا وبني مالك ومن ظهران من الجهة الغربية ومن جبال مهرة).

وانظروا إلى قول الهمداني: (فمنحدر إلى أنافية فأبراق من ناحية بيش. وهذا قد يظهر بشكل جلي بأن أنافية ما هي إلا بلاد فيفا من باب إطلاق تسمية المكان على أشهر ما فيها).

إذاً فبلاد فيفا الواسعة القديمة ذات المساحة الكبيرة التي سبق وأن أشبعناها بحثاً وتوضيحاً، كان بعض مآتي وادي بيش من أحد الأماكن التي كانت تتبعها. ويظهر لنا والعلم عند الله أن أنافية هذه كانت عاصمة بلاد فيفا في تلك الفترة الزمنية التي عاصرها الهمداني، وفيها المشيخة والسلطة في ذلك الوقت، ولذلك اكتفى الهمداني بذكرها لأنها كانت تطلق على كل فيفا في عصره، لأنه كما رأينا فإن اسم فيفاء كان معروفاً قبل ذلك بكثير.

وقد يقول قائل كيف لمكان واسع ومشهور وكبير مثل أنافية أن يتحول إلى قرية بعد أقل من قرنين تقريباً من زمن الهمداني؟ حيث ورد في سيرة الأميرين الجليلين أن أنافية في زمنهما قد أصبحت قرية في جبل صعب المرتقى، وهي بالفعل قرية في حينها ولم تعد شائعة المسمى كما كانت في عهد الهمداني.

أقول ولم لا؟ فكم رأينا من مخاليف قريبة أو مجاورة كانت شائعة الشهرة والمكانة كما كانت أنافية فأصبحت بعد فترة زمنية محصورة في بقعة صغيرة ضمن مخلاف أو موقع أصبح أكثر منها شهرة وأصبحت تمثل جزء منه لا يكاد يذكر، ولم يعد لها دور فاعل أو تاريخي أو جغرافي. والأمثلة على ذلك كثيرة كما سبق وأن شرحنا عن مخلاف جرش الكبير وكيف أصبح الآن، والحال ينطبق على بعض المخاليف الأخرى كمخلاف عثُر وغيرهم.

وعلينا عدم إغفال ما ورد في مخطوط التبر المسبوك في تأريخ معرفة الملوك لعمر بن أحمد الجيزاني الهاشمي صفحة ٤٣٤ من كتاب الموسوعة حيث ذكر صاحبه: (أنه بعد تلك الغزوة من الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم أي عام ١٠٣٥ هـ ظهر قائد شجاع من أهالي فيفا يُسمى: (المخلدي) والقبائل تسميه: (ابن مسلية) نسبة إلى أمه كعادة بعض العرب ينسبون الرجل إلى أمه، وكان مستقره بأعلى وادي بيش، فقام بثورة في المخلاف وبالذات ضد قوات الإمام المؤيد المرابطة هناك، وتجمعوا إليه بعض المقاومين، فكان لا يمر بقرية إلا صبحها ونشر الفوضى وقتل الصغار وأرهب الناس، حتى وصل أمره إلى السيد الحسن بن القاسم المرتضى؛ وهو في أبي عريش، فخرج له بوادي جازان عام (١٠٤٢ هـ) فقتل المخلدي، وفرحت القوات الغازية ومن لف لفيفهم بقتله ودعوا للسيد الحسن المرتضى بالنصر).

وهذا الحادثة قد يستأنس بها على امتداد بلاد فيفا الواسعة إلى أعالي وادي بيش. وكذلك قد ورد في صفحة ٢٤٥ من أحداث ١٠٧٩ هـ في تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى المعروف بتاريخ اليمن، تأليف: عبدالله بن علي الوزير ما نصه: (..... فتسنم الجند عليهم الجبال، وألوا بهم من حيث لا خطر لهم ببال، ولما قاربوا حصنهم التحم القتال، ودعيت نزال، وكان يوماً مشهوداً، حزت فيه هامات المخالفين، والذاهب منهم بالقتل نحو الستين، ثم أن باقيهم انهزم، وترك ذلك المعقل الأطم، والذاهب من عسكر الدولة ثلاثة انفار ثم عاد الناس إلى بيش، ووصل بعض مشايخ بلاد فيفا يخاطب أصحابه بالوصول، ويفصح من جهتهم بالامتثال والمثول،

وكان ممن سبق منه بعض اعوجاج، فبادر قبل ظهور دائه بالعلاج، لعلمه أن الدولة غير مغفلة لقضيته وأن:

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته

وهذه الحادثة قد نستأنس بها على أنها تدل على الجوار بين بيش وبلاد فيفا. وأختم هذه النقطة بقولي: (أنه يتوجب علينا أن ندرك أن ما نراه في الوقت الحاضر من تقسيمات جغرافية حديثة أنها تختلف تماماً عن معطيات الماضي، وفيما ذكرته لكم من أمثلة سابقة ما يفيد).

ثم يقول المنتقد:

لكن الباحث يضيف بهدوء ودون ضجيج قوله (يقصد المنتقد قوله:) (ويذكر كبار السن في وقتنا الحاضر أن مساحة فيفا تمتد لأكثر من مساحتها الحالية ولا زال البعض منهم يذكر بعض الأماكن في القبائل المجاورة كانت تحت ملك فيفا حتى وقت قريب). ص ٥٠.

قلت (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): لا يتحدثون عن مقاطعات اخترمت من فيفا على أن الجميع وليس كبار السن يعلمون منازعات حول مراعي القدة وبعض الأطراف لجورى والمشرق وليست قديمة بل معاصرة ومعاصرة جداً وتلك المنازعات يتم الفصل فيها من قبل شيوخ الحدود من الجهتين. أما عدى - (يقصد المنتقد عدا) - ذلك فمحض أوهام.

أقول: هو ما تعنيه تماماً فيما يخص جبل فيفا، ولعلي أذكر المنتقد انه قبل عام ١٤٠٦ هـ كان جزء من جبل المشرق من أملاك قبيلة آل شراحيل ومن ثم تم الحكم من قبل الأمير السديري بأن يصبح من أملاك قبيلة بني حريص عوجبة وبهذا تقلص جزء من مساحة جبال فيفا الحالية.

ثم يقول المنتقد ولنتساءل: ما الذي يترتب على ابتكار مسمى (بلاد فيفا الواسعة) مع وجود اسم (جبل فيفا) كعلم مستقل لا يقصد به الأول؟ ولأقترح بعض المهمات التي يوفرها هذا الاختراع فيما يلي:

١. البحث في نقطة أرحب وأراض واسعة والخروج بغلة وفيرة تستحق النظر.

٢. المحافظة على سلامة العنوان ليظل (فيفا) ويبقى مطابقاً لما يتم نشره فلا يتعارض العنوان مع المضمون.

٣. استعداد هذا الحيز الجغرافي الرحب لاستيعاب ما يصل لأيديهم - (يقصد المنتقد محمد بن مسعود لأيديهم) - مما يستحق التدوين والخوض في الأنساب وخلافه كما رأينا في إصداري الحسنين: الاستقصاء والميساء.

أقول وبالله التوفيق:

أرى أنه في هذه الملحوظة قد بدأ يفرق بين مصطلح بلاد فيفا الواسعة وبين جبل فيفا وهذا جيد.

ولكن المنتقد قد جانب الصواب في هذا التحليل وغاص في النيات وقال بما لم يخطر على بالي وحمل الأمر أكثر مما يحتمل، فلا عنيت ما قاله والله ولا ما استنتجه فكره، وليس لي من أهداف كما اعتقد المنتقد، وإنما أقصد أن أحيي ذكر بلاد فيفا الواسعة وأنبه الناس إليه بعد أن انطمس، وقد حصل والله الحمد وأصبح الناس يعرفون أنه كان هناك ما يسمى ببلاد فيفا الواسعة وأن جبال فيفا كانت جزءاً من تلك البلاد الواسعة.

وختاماً:

أرجو من الله أن أكون قد أنصفت ووفقت في التوضيح والرد فيما يخص قراءات المنتقد محمد بن مسعود العبدلي النقدية في هذه الحلقة، والله من وراء القصد.

وألقاكم قريباً في الجزء الأول من الحلقة الثالثة بإذن الله وتوفيقه . .

(الجزء الأول من الحلقة الثالثة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أبدأ معكم بالجزء الأول من الحلقة الثالثة بإذن الله وتوفيقه:

فائدة:

لاحظوا معي وركزوا أنني أتكلم في هذه الجزئية عن (بلاد فيفاء الواسعة) وليس الكلام عن جبال فيفاء التي ماهي إلا جزء من بلاد فيفاء القديمة، كما سبق ووضحت ذلك في الحلقة السابقة، وهذا ما لم يستوعبه المنتقد.

وقد انتقد تلك الجزئية المنتقد محمد بن مسعود في الحلقة الثالثة قائلاً:

فيما يخص جغرافية فيفا التي اعتقد المؤلف أنها كانت مختلفة زمن حملة الإمام محمد بن القاسم فنقل عن الجرموزي كل النصوص التي نُقلت بدورها عنه ليستدل بها فبينتُ في الحلقة السابقة الخطأ الذي وقع فيه الجرموزي ومن تابعه وأشرت إلى أنه عندي غير ثقة فيما دونه عن تلك الحملة وكلامه لا يعتد به في جغرافية فيفا وتاريخها وأنسابها ولا أحسب المؤلف حسن بن جابر الحكمي إلا سيتنبه لذلك ويزهد عن تخليطات الجرموزي ويطرحها جانباً عن قناعة تامة بهزالتها ومخالفتها للواقع التاريخي وقد يقول قائل: إن مؤلف الموسوعة الميساء قد وثقه بالجملة عندما نقل عنه.. وسكت عن حاله في روايته. (يقصد المنتقد،) وأقول: الرجل باحث اجتهد ولم يكن يتصور سلفاً مغبة الأخذ من المؤرخين الضعفاء المدلسين الكذابين أمثال الجرموزي صاحب الطوام المهلكات الصيالم فلا لوم عليه لعذر كالجبل بحاله. (يقصد المنتقد،) أما تاريخ فيفا وجغرافيتها وأمجاد قبائلها فلا يرجع لها عند الجرموزي الكذاب وأمثاله الهالكين.

وعلى هذا فليس صدقاً القول أن هناك فيفا قديمة كانت تتمدد من تهامة قحطان حتى مشارف ضمد!! وإنما الصدق حين يقولون: (فيفا من الحلقة للميثة) ومن قال خلاف ذلك فقد جانب الصواب. (يقصد المنتقد،) ومن أراد أن يكتب ويؤرخ ويؤلف عن فيفا فليسال الأدنى من أهلها ينبيه عن حدودها فلا يخرج علينا بجرموزي لا يعتد به في أي شأن يتعلق بفيفا فهو سيكون به أجهل وأبلغ (يقصد المنتقد وأبلغ) جهلاً.

أقول وبالله التوفيق: قد بينت في الحلقة الثانية كل ما يراه المنتقد ضد الجرموزي والشرفي والذي لا نتفق معه أبداً في تلك الأوصاف التي قذعها بها، وما كونه من فكرة تجاههما، ولقد بينت فضل الجرموزي ومكانته العلمية، وبينت كذلك بأن لا أحد من المؤرخين تبع الجرموزي في تعريف بلاد فيفا وأن كل تعريف مستقل عن التعريف الذي عرّف به الجرموزي بلاد فيفا وجبل فيفاء، وفصلت في ذلك تفصيلاً مفيداً لا داعي لإعادته هنا.

والمؤرخ العلامة أحمد بن محمد الشرفي وكذلك العلامة المؤرخ المطهر الجرموزي هما ثقة عند المؤرخين وثقة عندي فيما يخص تاريخ وأخبار فيفا وأنسابها وجغرافيتها، ولست معهما فيما أورداه من تهمة نحن بريئون منها، إنما كان ذلك ليبررا لبعض أئمة اليمن غزواتهم ضد فيفا كما سبق وبينت لكم ذلك بالتفصيل في الحلقة الثانية.

وعودة إلى ما نقده المنتقد في هذه الحلقة بقوله: (وعلى هذا فليس صدقاً القول أن هناك فيفا قديمة كانت تتمدد من تهامة قحطان حتى مشارف ضمد!! وإنما الصدق حين يقولون: (فيفا من الحلفة للميثة) ومن قال خلاف ذلك فقد جانب الصواب. (يقصد المنتقد،) ومن أراد أن يكتب ويؤرخ ويؤلف عن فيفا فليسال الأدنى من أهلها ينبهه عن حدودها فلا يخرج علينا بجرموزي لا يعتد به في أي شأن يتعلق بفيفا فهو سيكون به أجهل وأبلغ (يقصد المنتقد وأبلغ) جهلاً).

أقول وبالله التوفيق: يبدو أن المنتقد قد فهم أنني أقصد أن جبل فيفا كانت مساحته تمتد إلى تلك الحدود المشار إليها سابقاً (تتمدد من تهامة قحطان حتى مشارف ضمد)، فإذا كان كذلك، فإنني لم أعني ذلك البتة، وكلامي حول هذا الموضوع واضح وقد بينته كذلك في الحلقة السابقة، فجبل فيفا حدوده معروفة بينتها في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء وسأعيد نقلها هنا، وإنما عنيت بالمساحة الجغرافية السابقة لبلاد فيفاء الواسعة، وما جبل فيفا إلا جزء من بلاد فيفا الواسعة التي يدخل تحتها العديد من المواقع والقبائل كبني مالك وبني حريص والتي تعرف بمجموعها ومواقعها (بلاد فيفا الواسعة)، فبلاد فيفا قديماً لا يقصد بها جبل فيفا الحالي انظروا تفصيل ذلك في الحلقة السابقة وقبله في البحث المطروح في بداية الحلقة الثانية والمقتبس من كتاب (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء).

وقد استغربت لقول المنتقد أدناه:

(وعلى هذا فليس صدقاً القول أن هناك فيفا قديمة كانت تتمدد من تهامة قحطان حتى مشارف ضمد!! وإنما الصدق حين يقولون: (فيفا من الحلفة للميثة)).

فتحديده لجبل فيفا من (الحلقة للميثة) يعتبر تحديد منعدم الدقة وفيه هضم لمساحة جبال فيفا فهي أكبر مساحة وامتداداً مما حصرها فيه عبر هذه الجملة غير الدقيقة (من الحلقة للميثة).

ولنا أن نتساءل أين ذهب حقو فيفا والبلاد الواقعة بينه وبين الحلقة مثلاً؟ وهل نفهم من هذا التحديد أن الحقو وما بعده من مواقع تمتد إلى الحلقة وتقدر بالعديد من الكيلو مترات ليست من جبال فيفا وسهولها؟

وكذلك حقاً لنا أن نتساءل أين ذهبت بقية مواطن ال شراحيل كجزء جبل المشرق الذي كانت تمتلك جزء منه قبل عام ١٤٠٦ هـ كما بينت سابقاً؟

وأين ذهبت تلك المواقع التي تقع بعد وادي الميثة إلى أن تصل إلى حدود قبائل بني مالك الأبية والتي تعد بالعديد من الكيلومترات؟.

أقول: إن هذه المقولة (من الحلقة للميثة) ليست على إطلاقها، وفيها تحجيم لمساحة لا يستهان بها من جبل فيفا وسهوله وتلاله الكثيرة، فعلياً ألا نحصر مساحة جبل فيفا وتوابعه على تلك المقولة الخاطئة، وألا نعتد بها، ويجب تصحيحها وعدم الاعتماد عليها في تحديد مساحة فيفا، وأستغرب من محمد بن مسعود وهو من يدعي المعرفة والاطلاع كيف يصدق مثل هذه المقولة ويستدل بها على حدود ومساحة جبل فيفا وتوابعه!!.

وكان من الواجب عليه أن يقوم بزيارة لسكان الحلقة، وسكان الميثة والوقوف على تلك المواقع بنفسه ومشاهدة الحدود الحقيقية لجبال فيفا للتأكد من تلك المقولة خصوصاً وهو القائل: (من أراد أن يكتب ويؤرخ ويؤلف عن فيفا فليسال الأدنى من أهلها ينبيه عن حدودها) ولو فعل ذلك وسألهم عن الحدود الحقيقية لجبال فيفا فسيخبره القوم بحدود جبال فيفا الحقيقية وستسقط مقولة من (الحلقة للميثة) التي استدلت بها على حدود جبال فيفا.

ثم يتابع المنتقد قائلاً: “ونعود لاستنتاج الباحث الأخ حسن جابر الحكمي الذي يجد بأن هذه البلاد الواسعة قد اختارت أن تكون وسطاً بين شعوب الأرض المحيطة فقال: (ولذلك فهذه البلاد الواسعة كانت ذات موقع محايد بين مواقع قبائل مذحج وقبائل خولان وقبائل الأزدي وبعض القبائل العدنانية). ص ٥٠

وقد يكرر نفس الذي ذكره فيقول:

(وقد اتضح لي بعد دراسة موقع بلاد فيفا وبعد التدقيق والتمحيص لحدودها المبينة على الخريطة بأنها أرض واسعة تقع بين مواقع مشهورة حيث يحادها أجزاء من

بلاد خولان... وتجاورها بلاد مذحج... وقبائل جنب... وبعض القبائل العدنانية...
(والأزدية). ص ٥٢

فهنا الباحث قد تعجل كثيراً في الاستنتاج ولم يتأمل منطقية ما قرره بأن فيفا الواسعة تقع في فج أفيح على ملتقى الأعراق فلا هي إلى أمة دون سواها أي ليست إلى خولان صرفاً ولا إلى مذحج صرفاً ولا إلى الأزد صرفاً ولا إلى عك صرفاً وإنما ستكون بقدرة قادر خليطاً من كل ذلك.

والمعنى: أن بلاد فيفا أصبحت خارج المنظومة الخولانية بحيث أصبحت خولان من حدودها وتلك مجازفة في غاية الجرأة ومهما كانت هذه المغامرة ستفتح أمامه نافذة (واسعة) على الأعراق المختلفة وتوفر له بيئة مثالية لاقتراح مزيج غير محدود من الأصول والسلالات العربية والانتماءات المتعددة إلا أن ثمن ذلك سيكون باهضاً!

فهذا التشكيل الجغرافي الجديد من شأنه التأثير على واقع الأنساب في فيفا وذلك ما صرح به الباحث قائلاً:

(وإلا لو كانت تعود إلى جد واحد كخولان مثلاً أو مذحج لما عرفت ببلاد فيفا بل ستكون امتداداً لبلاد خولان المجاورة). ص ٥٣

أقول وبالله التوفيق: هذه المعلومات التي يحاول المنتقد نفيها هي ما توصلت إليه بعد بحث شاق مضمّن ورحلات ميدانية وقفت فيها على هذه المواقع من بلاد فيفا الواسعة، وجبل فيفا ما هو إلا جزء من بلاد فيفا الواسعة، وأنا مستعد لنفي استنتاجي هذا المبني على ما ذكرت آنفاً، حال أتى لنا المنتقد بمرجع قديم أو مخطوط قديم أو مستند قديم يثبت أن بلاد فيفا قد ذكرت صراحة بأنها جزء لا يتجزأ من بلاد خولان.

وعودة لقول المنتقد: (ومهما كانت هذه المغامرة ستفتح أمامه نافذة (واسعة) على الأعراق المختلفة وتوفر له بيئة مثالية لاقتراح مزيج غير محدود من الأصول والسلالات العربية والانتماءات المتعددة إلا أن ثمن ذلك سيكون باهضاً!).

أقول وبالله التوفيق: مع أنني كما قرأت في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) وكما ستقرؤون في بعض هذه الحلقات أرى أن قبائل فيفا تعود لخولان بن عامر سواء أكان ذلك بالحلف أو من صلب النسب، وليس كما يحاول المنتقد من إيهام للقارئ غير المطلع على كتابي بأنني مصاب بما يسميه (حمى التذحيج) وأنني ضد خولانية غالبية قبائل فيفا، إلا أنكم سترون في بعض أجزاء الحلقة الثالثة وفيما يخص جبل فيفا وحده وجود سلالات عربية مختلفة لا تعود للجد خولان بن عامر بل إنه يوجد زيادة على ذلك سلالة من خارج السلالات العربية موثقة بالمراجع، فما بالك لو تعمقت بكم في داخل أراضي وجبال بلاد فيفا الواسعة!!

ثم يقول المنتقد: قلتُ: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): مهما تعددت المسيات (يقصد المنتقد المسميات) فلا تعني إلا فيفا المعروفة ولا عبرة في ذلك الحشد فهو باطل مهما توقعه الباحث معالجة مثالية قد تخرج فيفا من بلاد خولان التي يعتبرها الشاعر يحيى بن محمد العبدلي مرتع بازله حيث يقول:

شبات في ساق الغراب ازول واستدير وانشد من الدير بلاد خولان ابن عامر ملك بازلي.

وفيفا تعرف ذلك شعراً ونثراً تاريخاً ونسباً فلم الافتئات (الافتئات!!!!) والتجني؟.

أقول وبالله التوفيق: ما ذكره المنتقد من (أننا من بلاد خولان) فلا أستطيع نفيه أو تأكيده دون أن يقع في يدي أدلة موثقة تنير الطريق بخصوص هذه المعلومة، وهذا التحديد على أننا من (بلاد خولان) لا زال أمر محير بالنسبة لي لعدم وقوع أي أدلة صريحة وواضحة تثبت ما أشار إليه المنتقد، مع أن السواد الأعظم من أهالي جبال فيفا يرون أننا ننتسب لخولان بن عامر وبالتالي فإن جبال فيفا في نظرهم تقع من ضمن بلاد خولان، ولكن للأسف إن حاولنا أو بحثنا في مرجع قديم أو مخطوط قديم أو أثارة من علم فلن نجد من قال بأن جبال فيفا جزء من بلاد خولان صراحة، مع أن المؤرخين والعلماء وأصحاب الاهتمام قد أشبعوا بلاد خولان وقبائلها ومواقعها القديمة والحديثة بحثاً وتأليفاً وتوثيقاً منذ العصر الجاهلي مروراً بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد قريب، منذ أن كانت مواقع وقبائل خولان في بلاد مأرب ومن ثم انتقالها لبلاد صرواح ثم انتقالها ورحيلها الأخير لبلاد خولان قديماً والتي تعرف حالياً ببلاد صعدة، ولكن لم نجد إطلاقاً أن أحدهم قد تطرق صراحة أن بلاد فيفاء ومنها جبال فيفاء كانت أو لا زالت جزء لا يتجزأ من بلاد خولان، وإنما مجرد تناقل لهذه المقولة بين القوم غير مثبت بدليل علمي يستند عليه.

ثم هل قول الشاعر الشعبي يحيى بن محمد العبدلي - رحمه الله-

شبات في ساق الغراب ازول واستدير وانشد من الدير بلاد خولان ابن عامر ملك بازلي.

يعتبر دليل جازم على أن جبال فيفاء جزء من بلاد خولان؟

ولا زال البحث جارياً في هذه النقطة المحيرة إلى نتوفق إلى دليل قوي يؤكد أن جبال فيفا جزء من بلاد خولان القديمة أو دليل ينفي ذلك.

وأما قول المنتقد: (وفيفا امتداد لدير خولان بن عامر وفيفا رأس حربة اليهانية كما هو معروف منذ الأزل تماماً كما أن منبه رأس حربة فروود وما زال القيل للكتلتين

اليهودية والفرودية في قبيلة آل سعيد من بني مالك منذ الجاهلية أي من قبل البعثة. (يقصد المنتقد،) وهو اليوم صاحب عثوان).

فلدي على هذه المقولة تعليق خفيف حيث أنها ليست على إطلاقها.

فأقول وبالله التوفيق: لقد نبه (الأستاذ جابر مسعود العبدلي) المنتقد في مداخلة له أن فرود لهم قِيلَ آخر (أي شيخ رد) غير شيخ رد اليهانية، فما لبث المنتقد محمد بن مسعود العبدلي إلا وتنبه للخطأ الذي وقع فيه حين قال: (وما زال القيل للكتلتين اليهودية والفرودية في قبيلة آل سعيد من بني مالك منذ الجاهلية أي من قبل البعثة. وهو اليوم صاحب عثوان). فقدم الاعتذار للمتدخل وللقرأء وأقرَّ بأن لكل كتلة شيخ رد خاص بهم.

أقول: وهذا حسن منه، ولكن أجدني لا أتفق معه ولا أتفق مع المتدخل في جزئية من هذا التصحيح، وسأبدأ بما يخص المنتقد محمد بن مسعود حيث أكد وجزم بأن القيل لقبائل جبل فيفاء (شيخ الرد) هو من قبيلة آل سعيد من بني مالك المجاورة منذ الجاهلية، وهنا أطالبه أمام جميع القراء وأصحاب الاهتمام بإثبات جزمه وتأكيده لهذه المعلومة وأن القيل فعلاً كان من قبل البعثة إلى يومنا هذا، مؤكداً لنا ذلك عبر مرجع قديم أو حديث أو مخطوط قديم أو حديث، أو أي مستند موثق، حينها سأشهد له بصحة هذه المعلومة، ولكن للأسف فإن استنتاجه هذا الذي زودنا به مجرد كلام إنشائي لا يمت للواقع بصلة، وليس لديه ما يثبت أن شيخ قبيلة آل سعيد من بني مالك كان رداً منذ الجاهلية أي من قبل البعثة إلى اليوم وأنه صاحب عثوان).

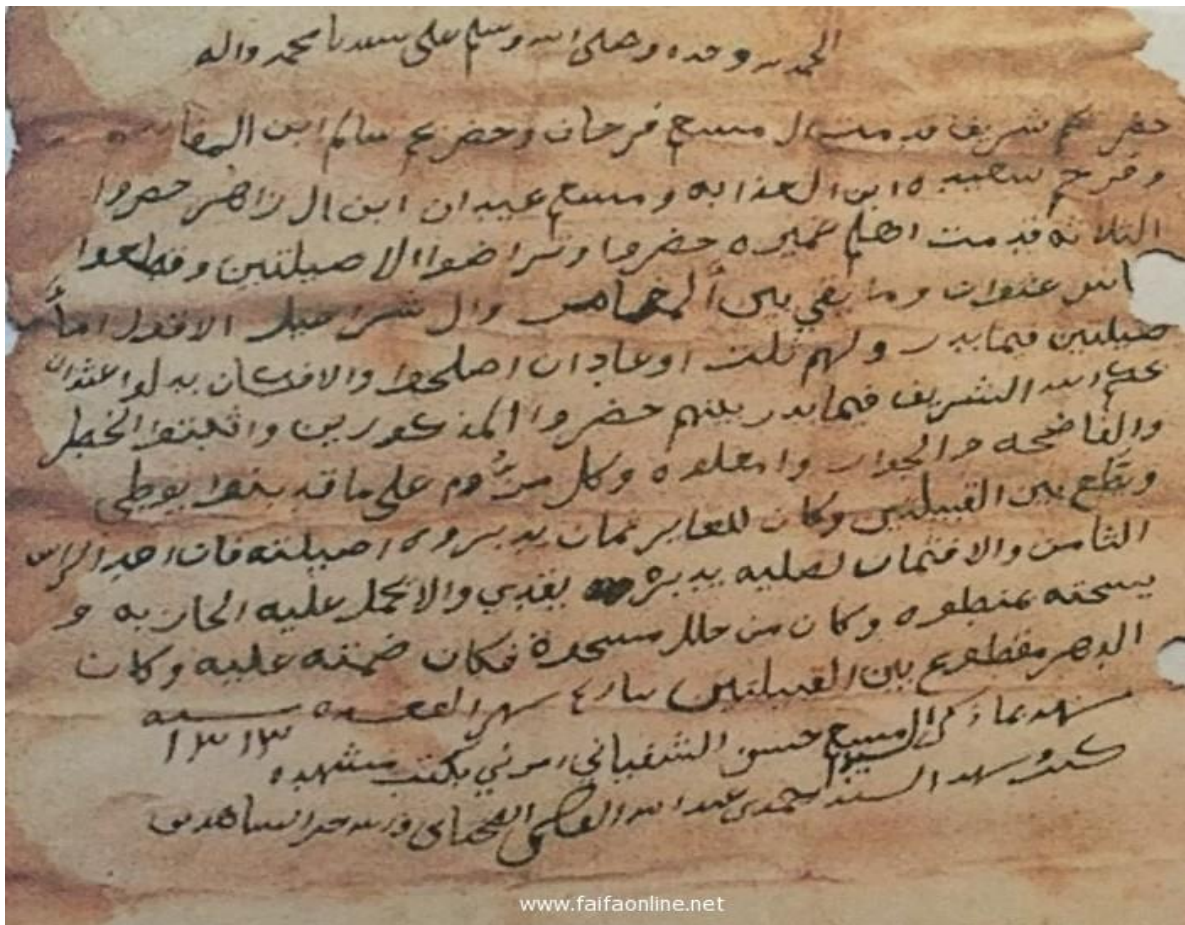
والصحيح في هذا الأمر أن قبائل جبال فيفا قد تكون دخلت تحت تمييز الأحكام التي تستوجب العرض على شيخ الرد من آل سعيد لإصدار الحكم النهائي وهذا الدخول والقبول بحكمه النهائي كشيخ رد كان لفترة زمنية يصعب التكهن متى بدأت؟ وكم كانت المدة الزمنية التي كانت قبائل فيفا تعود فيها للرد من آل سعيد؟

فتحديدها من المنتقد بما قبل البعثة المحمدية أمر مخاطر فيه ولا يجوز ولا يصح القبول به ما لم يكن هناك فيه دليل واضح من مرجع أو مخطوط أو خلافه، والمنتقد يلقي بالكلام على عواهنه دون أن يُلْقَ له بالاً أو يدرك أنه مطالب بإثبات كلامه ذلك.

كذلك قد جانب المنتقد والمتدخل الصواب حين أكدا أن شيخ آل سعيد بعثوان لا زال شيخ الرد لقبائل فيفا إلى وقتنا الحاضر، والصواب الذي لا يعلمه المنتقد والمتدخل الذي تداخل معه، أن بعض المشايخ من أهالي فيفا وعلى رأسهم الشيخ يحيى بن شريف – رحمهم الله جميعاً- قد أنهوا رد آل سعيد وقطعوه تقريباً في شهر ذي

القعدة سنة (١٣١٣هـ)، وذلك فيما قبل العهد الإدريسي والعهد السعودي الزاهر، وأصبح كل ما يدور من اختلاف فالرد فيه إلى قول الشيخ يحيى بن شريف السنحاني الفيفي ومن خلفه من بعده، بل ذهب الأمر إلى أبعد من ذلك حين دخلت قبائل بلغازي حينها في قواعد الشيخ يحيى بن شريف الفيفي وانتهوا إلى قوله في أمورهم مع أن ردهم فرود وليس اليهنوي.

ولأنني لا أؤمن بالكلام الإنشائي المنمق الجذاب الخالي من الدليل والمضمون فسأثبت لكم صدق ما ذهبت إليه ووهم المنتقد محمد بن مسعود والمتداخل معه جابر بن مسعود وأن الأمر ليس كما ذكرناه هنا، حيث سبق وأن ذكر الشيخ علي بن قاسم الفيفي في كتابه (الحكم القبلي في فيفاء قبل العهد السعودي الزاهر) في الصفحة (١١٢) ما ذهبت إليه من رد هنا وأرفق في ذلك وثيقة مخطوطة إلا أنه لم يحدد تاريخ الوثيقة المخطوطة التي أرفقها في كتابه لصعوبة قراءتها، ولكنني سأرفق لكم وثيقة واضحة التاريخ مأخوذة من كتاب الدكتور الفاضل حسن بن يحيى الشريف الفيفي (تاريخ قبيلة الأشراف في فيفاء) الصفحة (٢٣٥) الذي تطرق فيه لهذه المعلومة وأكد تاريخها وأرفق صورة الوثيقة المخطوطة بوضوح.



ومن تاريخ قطع رد (عثوان) حتى وقتنا الحاضر لم نجد في المراجع أو المخطوطات التي وقعت بين أيدينا أو الروايات التي سمعناها من كبار السن ما يثبت

أن شيخ آل سعيد من بني مالك كان رداً لقبائل فيفا بل كانت تذهب مباشرة من بعد قطع ذلك الرد إلى الأشراف من آل يحيى بن يحيى أو إلى الأدارسة لتمييز الأحكام أو القضايا التي لم يستطع شيخ فيفاء أو القاضي حلها أو لم يُقبل فيها حكمه وذلك فيما بعد عام ١٣١٣ هـ الذي قطع فيه الشيخ يحيى بن شريف الفيافي ومن معه من مشايخ قاعدة (رد عثوان)، وهكذا حتى حكمت الدولة السعودية ووضعت التنظيمات والتشريعات المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الصحيحة فتلاشى هذا الأمر وأصبحت الدولة بقضاتها ومسؤوليها وأجهزتها قد حلت محل قضاة الرد في مهامهم ومسؤولياتهم وما كان يعرض عليهم في ذلك الوقت.

ولا أريد التعمق في هذا الأمر وتفرعاته لأن المقام لا يسمح وإلا لكنت أثريتكم بكل ما يخص مثل هذه الأمور وتدرجات المشايخ في هذه القضايا وصولاً إلى الحكم النهائي لدى الأشراف من آل يحيى بن يحيى (أهل قطابر).

فعلى المنتقد والمتدخل الانتباه إلى مثل هذه المعلومة جيداً.

وكذلك فإن المتدخل جابر بن مسعود العبدلي استشهد في معرض رده على المنتقد محمد بن مسعود العبدلي ببيت الشعر التالي:

وآل سعيد حمرة غالبية بسفحي سروم بين تلك الرجائم

معتقداً أنه قيل في آل سعيد (بجبل عثوان) من بني مالك، وهذا غير صحيح فالبيت الشعري والقصيدة التي ورد فيها لا تخص آل سعيد من بني مالك، بل هي تخص قبيلة خولانية أخرى تحمل نفس المسمى!!.

فانتظروني في الجزء الثاني من الحلقة الثالثة بإذن الله لتوضيح ما وقع فيه المتدخل جابر بن مسعود العبدلي الذي يعمل (معلماً وأحد أعضاء المجلس البلدي في دورته الحالية) من التباسات عديدة وكذلك المنتقد محمد بن مسعود . .

(الجزء الثاني من الحلقة الثالثة)

أتابع معكم الجزء الثاني من الحلقة الثالثة بفضل الله وتوفيقه . .

حيث ذكرت في نهاية الجزء الأول من الحلقة ما يلي:

وكذلك فإن المتداخل جابر بن مسعود العبدي استشهد في معرض رده على المنتقد محمد بن مسعود العبدي ببيت الشعر التالي:

وآل سعيد حمرة غالبية بسفحي سروم بين تلك الرجائم

معتقداً أنه قيل في آل سعيد (بجبل عثوان) من بني مالك، وهذا غير صحيح فالبيت الشعري والقصيدة التي ورد فيها لا تخص آل سعيد من بني مالك، بل هي تخص قبيلة خولانية أخرى تحمل نفس المسمى!!.

وقد سبق وبينت ذلك في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) الجزء الأول (ص ٣٢٠) في بحث قبيلة بني مالك في معرض ردي على الشيخ الفاضل علي بن قاسم الفيفي الذي تطرق لهذا الموضوع حيث قلت: (يرى الشيخ علي بن قاسم الخسافي الفيفي صاحب كتاب (فيفاء بين الأمس واليوم) ص ٥٣ أن آل سعيد من بني مالك هم بطن من بني غالب بن سعد بن سعد بن خولان، وذراع آل غالب في بني مالك مضافة إليهم). أ.هـ.

وقد تتبعت نسب غالب بن سعد بن سعد بن خولان في (الإكليل للهمداني) حيث قال: أولد غالب بن سعد يعلى بن غالب وأولد يعلى جبراً ومعيشاً وشبلاً ثلاثة أبطن هم في بني حمرة مع من انظم معهم من الربيعية، وضم الجميع اسم حمرة، فقبل بني حمرة ومن بني غالب يسنم، فسمي بهم الموضح والسعيديون من أهل سروم وهي سروم بني سعد، وفيهم يقول أخوهم عمرو بن زيد الغالبي:

سراة بني جبر ويسنم إخوتي وحيّاً معيش من سلالة غالب

وآل سعيدان نسبت أباهم إلى حسب في جذم حمرة ثابت

هم ورثوا مرقى العلى من أبيهم وحي بني شبل فخير الأقارب

أولئك بنو السادات من حي غالب إذا اعتقلوا منها رفيع المناكب

وفيه يقول الحارث بن عمرو:

لنا الدار في تضراع باق رسومه بها كان أولاد الحماة الخضارم
سراة بني جبر وحي معيشها لباب لباب من حماة أكارم
ودار بقيوان لنا كان عـزها توارثها نسل الملوك القماقم
ويسنم دار العز من دمنتي دفا إلى أسفل المعشار فرع التهائم
ودار بكهلان لشـبل أخيهـم دعامة عز من تلـاع الدعائم
وآل سعيد حمرة غالبية بسفحي سروم بين تلك الرجائم

هذه مواضع كلها وأوطان كان سيد بني غالب جميعاً عمرو بن يزيد، وهو الذي قام
بفتنة الربيعية. يقول محقق الكتاب القاضي الأكوع:

سروم: بفتح السين المهملة: هو جبل عظيم يمتد من الشمال للجنوب وهو في جماعة
في المفازة المشهورة باسم طخية لبني حذيفة من جماعة، وما يطلق عليه اسم سروم
فكثير، منها سروم خولان ولعلها التي هنا. ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

وقد ذكر المقحفي في معجمه أن عيال سعيد: فرع من قبيلة الحسني من بني جبر من
خولان العالية، وأنهما قسمان ومنهما العديد من الفخوذ وتقع ديارهم في وادي
حباب، وإليهم يرجع القضاة آل الجبري أهل صنعاء، وأما آل غالب فذكر أنهم فرع
من خولان بن عمرو.

إذا فال سعيد من آل جبر بن يعلى بن غالب بن سعد بن سعد بن خولان لا زالوا
متواجدين حتى أيامنا هذه بفروعهم ومواطنهم المعروفة التي تطرق لها المقحفي في
معجمه) أ.هـ

وهكذا فبيت الشعر وآل سعيد الذي ورد ذكرهم فيه هم ومواقعهم غير آل سعيد ببني
مالك المجاورة بجبل عثوان.

ولأن الشيء بالشيء يذكر فقد ذكر نفس المتداخل السابق المعلومة التالية أثناء
تداخله في هذه الحلقة قائلاً: (وقد يستغرب البعض أن النسبة إلى فيفاء (الفيفي –
الفيفاوي) تعتبر حديثة جداً، فلا وجود على مر التاريخ لعلم من الأعلام يسمى
الفيفي، فقد كان الناس ينتسبون إلى قبائلهم (مثل المدري الحربي أو العمري)

وانما ظهرت تسمية الفيفي بعد ظهور الوثائق الرسمية التي تطالب بالفخذ والقبيلة فصار الاسم فيما بعد (العبدلي الفيفي والسلماني الفيفي الخ).

أقول وبالله التوفيق: هذه المعلومة قد تطرقت لها ووثقتها في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) على نحو قريب من هذا، فلعل الأستاذ جابر بن مسعود لم ينتبه أنني قد سبقته إلى هذه المعلومة ولعله لم يقرأ الكتاب جيداً فأعادها في تلك المداخلة، فتمنيت لو أنه تنبه إلى ذلك وذكر بأنها موجودة وموثقة رسمياً في كتابي أنف الذكر وذلك من باب الأمانة العلمية لأنه قد يتبادر إلى ذهن القارئ الذي تابع تلك الحلقات النقدية ولم يطلع على كتابي بأن المتداخل قد أثرانا بهذه المعلومة ولم يسبقه إليها أحد.

انظروا كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) الصفحة ٩٢ الفصل الخاص بقبائل فيفاء حيث ذكرت ما يلي:

(وهكذا فقبائل فيفا المتعددة نزلت في جبل فيفا (جبال فيفا) وفي فترات زمنية متفاوتة سواء أكان ذلك الاستيطان كمجموعات أو فرادى، فأصبحت ومع مرور الزمن لا تعرف إلا به مع احتفاظهم بميزة مهمة؛ وهي محافظتهم على أسماء قبائلهم الأصلية وتفرعاتها وعدم فقدانها مع مرور الفترات الزمنية الطويلة، وإن كانوا في مجملهم لا يعرفون إلا بفيفاء والنسبة إليها فيفي).

وحتى هذه النسبة – أي فيفي – لم نوفق ولم نجد أي أثر يدل على أنها كانت واسعة الانتشار إلا مع نهايات الدولة الإدريسية وبدايات دولتنا السعودية يرعاها الله، حيث لم تكن مشهورة من ذي قبل بما فيه الكفاية والله أعلم.

وعودة إلى المقولة غير الدقيقة للمتداخل التي نفى فيها نفياً تاماً وجود تلك النسبة إلا مع ظهور الدولة السعودية أدام الله عزها وذلك حين قال: (فلا وجود على مر التاريخ لعلم من الأعلام يسمى الفيفي) فسأتحفكم هنا بدليل ينفي هذه المقولة وأن الأمر ليس كما ذكره المتداخل وأكده من أن تسمية الفيفي لم تعرف إلا بعد ظهور الوثائق الرسمية التي تطالب بالفخذ والقبيلة فصار الاسم فيما بعد كما ذكر المتداخل: (العبدلي الفيفي والسلماني الفيفي الخ) حيث يتضح وبجلاء أن المتداخل قصد بمقولته أن ذلك المسمى لم يظهر إلا مع بدايات الدولة السعودية أدام الله عزها فيما بعد عام ١٣٤٩هـ.

فالأمر أقدم مما ذكر المتداخل بكثير فقد ورد ذكر للفيفي منذ ما يربو (على قرن ونصف من الزمان) وكان ذلك في عام ١٢٧٩هـ كما يظهر في الوثيقة المخطوطة التالية.



ولذلك كنت أقرب منه إلى الحقيقة وأكثر مرونة حين ذكرت في كتابي: (وحتى هذه النسبة – أي فيفي – لم نوفق ولم نجد أي أثر يدل على أنها كانت واسعة الانتشار إلا مع نهايات الدولة الإدريسية وبدايات دولتنا السعودية يرعاها الله، حيث لم تكن مشهورة من ذي قبل بما فيه الكفاية والله أعلم).

نعم لم تكن مشهورة بتلك النسبة (الفيفي) بما فيه الكفاية اللهم إلا ما وجدنا من ذلك المخطوط الوحيد الذي أثبت أنه كان يطلق علينا كلمة الفيفي، والذي ربما لو وقع تحت يد المتداخل لتراجع عن قوله الذي ينفي فيه أنه: (لم يكن هناك وجود لعلم من

الأعلام على مر التاريخ يسمى الفيفي) ولغير رأيه في أن تلك النسبة لم تأت إلا بعد دخول الدولة السعودية وإصدار الوثائق الرسمية.

وقد تداخل نفس المتداخل في هذه الحلقة بقوله:

(الخطأ الذي يقع فيه غالب الباحثين أنهم يتوقعون أن فيفاء وبما أنها جبل واحد فإنها قد سكنت في وقت واحد، ونتجاهل ما كان يعرف بالسهل والجبل، ففيفاء سكنت على مراحل أجزها في مرحلتين وهذا ما يصدقه الواقع:

المرحلة الأولى: سكنى السهول: وهذه قديمة قدم العرب في جزيرتهم.

المرحلة الثانية: سكنى أعالي جبال فيفاء: والتي كانت قفار الى فترة قريبة ولم تستصلح إلا في فترات قريبة بعد وصول شجرة البن ثم القات، ولك أن تتعجب أن هنالك كبار في السن يتذكرون أنهم يدخلون نيد الدارة ولا يرون حتى يخرجون من النفيعة بسبب الغابات والأحراش!).

أقول وبالله التوفيق: قد سبقته إلى توثيق تلك المعلومة وذكرت نحو ذلك في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) ولكنه لم يوثق لي ذلك ويذكر أنني صاحب قصب السبق فيها، وهذا قد يوهم القارئ الذي لم يطلع على كتابي بأنني لم أذكر هذه المعلومة في كتابي وأن المتداخل هو أول من أتى بها، فتمنيت لو أنه تنبه لذلك وذكرها ولو من باب الأمانة العلمية، مع أنني لا أتفق معه في جزئية مما ذكره في هذه الملاحظة والتي سوف أبينها لكم بعد نقلي لما غفل عنه المتداخل من كتابة لي حول هذه النقطة.

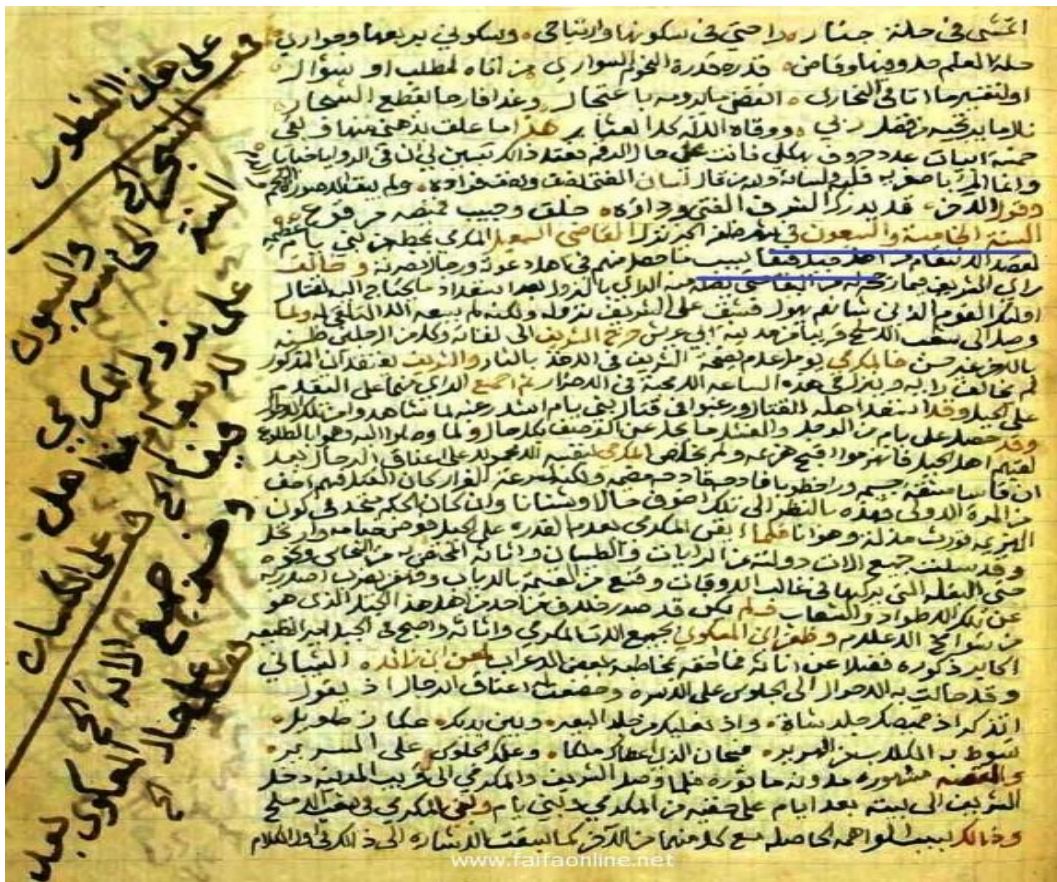
فقد ورد في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) باب جغرافية قبائل فيفاء ص ٥٣ ما يلي: (من المعلوم أن أهالي جبال فيفا قديماً كانوا يسكنون في الغالب في أسافل تلك الجبال، لوعورتها وصعوبة البناء في أعاليها، وعدم وجود الأودية، ونقص المياه ومقومات الحياة المستقرة إلا أنهم وبعد فترة زمنية طويلة قد طوعوا أعالي تلك الجبال لخدمتهم، وانتشروا فيها وسكنوها مع احتفاظ البعض منهم بالسكن في سفوح تلك الجبال المهيبة).

ولنعد لجزئية من المعلومة السابقة التي تطرق لها المتداخل حيث يقول: (المرحلة الثانية سكنى أعالي جبال فيفاء: والتي كانت قفاراً إلى فترة قريبة ولم تستصلح إلا في فترات قريبة بعد وصول شجرة البن ثم القات).

أقول وبالله التوفيق: لا ليس الأمر كما ذكر المتداخل، فقد كانوا يعيشون في أعالي الجبال منذ قرون عديدة قبل تواجد أشجار القات في جبل فيفاء، الذي زرع في فيفاء

نحو عام ١٣٣٠هـ بينما رأينا ذكراً للعيسية وحصنها في أحداث ١٠٣٥هـ وأن شيخ العيسية وما حولها من قبائل آل عبيد كان حسن بن سيلة، ورأينا ذكراً للكدرية وبعض البيوت التي احتوى بعض قادة الجيش اليمني الغازي فيها وذلك في رأس جبل حجر (جبال حجر) وهذا يناقض تماماً الفترة القريبة التي توقع المتداخل أنها التي تم السكن فيها من بعض قبائل فيفاء في أعالي الجبال بدلاً من سفوح الأودية، بل هم أقدم سكاناً لأعالي الجبال بقرون عديدة لا يعلمها إلا الله. أليس كذلك؟

ولو عاد المتداخل لمخطوط خلاصة العسجد للبهكلي التي ذكرتها في كتابي وغيرها من المخطوطات القديمة لوجد أن جبل فيفاء وأعاليه كان مسكوناً في فترة زمنية أقدم مما تتوقع (١١٧٥هـ). وأكتفي بهذين المثالين ليتنبه الجميع لذلك.



قصاصة من مخطوط البهكلي تبين جزء من غزو الشريف آل خيرات وقبائل يام عام ١١٧٥هـ لجبل فيفاء . .

وكما رأيت أخي القارئ المهتم بالكلام لا يُلقى به على عواهنه بل يجب التدقيق في كل معلومة قبل طرحها للجمهور المتلقي.

وإلى اللقاء في الجزء الثالث من الحلقة الثالثة بإذن الله . .

(الجزء الثالث من الحلقة الثالثة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل من الله وتوفيق الجزء الثالث من الحلقة الثالثة فأقول:

ثم يتابع المنتقد نقده بقوله: (ولأن فيفا تحيطها قبائل يهنوية وفرودية تنتسب لخولان بن عامر... من الجنوب والجنوب الغربي حريص يهانية من خولان .. ومن الغرب والشمال الغربي قبائل بلغازي فرود من خولان .. ومن الشرق والشمال الشرقي قبائل بني مالك يهنوية من خولان).

هل هذه حدود فيفا الثابتة أم لا؟ وهل هذه القبائل هي لخولان بن عامر أم لا؟.

فكيف ستكون ردود الفعل من القارئ الذي يعرف هذه الحقائق فيجد الباحث قد ساق له معلومات مغايرة تنتسب بالواهي من الدلائل التي لا تصح ؟).

أقول وبالله التوفيق: لقد تقول عليّ محمد بن مسعود في هذه المعلومة التي انتقدها بما لم أقل به، حيث حاول إيهام القارئ أنني قد أتيت بمعلومات (حدود) مغايرة تنتسب بالواهي من الدلائل التي لا تصح، وقد تجاهل تجاهلاً تاماً ما أوردته في كتابي من حدود لجبال فيفاء ولم يوردها في هذا الانتقاد، وعدم ذكره لما أوردته ووثقته من حدود لجبال فيفاء في (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) يُصنّف تحت باب (عدم الإنصاف) وهذا لا يجوز، لأن القارئ المتابع لحلقاته والذي لم يقرأ كتابي أصلاً سيصدق في هذا القول، فكان لزاماً عليه ذكر ذلك وعدم تجاهله، ثم ذكر بعد ذلك القول حدود جبل فيفاء كما قرأتم، وهي نفس الحدود الذي ذكرتها في كتابي، ولم يأت بجديد.

وعلى الرغم من كل ذلك سألتمس له العذر في هذا القول، لأنه في اعتقادي قد خلط ما بين حدود بلاد فيفاء الواسعة وحدود جبل فيفا التي بينتها في الصفحة ٤٧ مبحث جغرافية جبال فيفاء، بقولي:

الموقع والحدود:

تقع جبال فيفاء في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وتبعد عن جازان بمسافة تقدر بـ (١٢٥ كم) وذلك حسب طريق السيارات من وسط جبال فيفا والمار بطريق الدائر، ثم عيبان، ثم العيدابي إلى صبيا حتى جازان وهناك طرق أخرى أقصر مسافة، فعند قياسنا للطريق من بداية مركز التفتيش الواقع بجانب شركة الكهرباء والمحاد للمخراقي وجدنا المسافة من هناك وعبر طريق العيدابي، ومن ثم صبيا إلى جازان تقدر بثمانين كيلو متراً فقط، وكذلك الحال بالنسبة لطريق فيفا العارضة، ثم أبو عريش إلى جازان فتصبح المسافة إذاً بين جازان عبر تلك الطرق وحتى وسط جبال فيفا (نيد الضالع) لا تتجاوز ٩٠ كيلو متراً.

ويحدها: شمالاً وادي جوري، ومن الجنوب مجرى وادي ضمد وجزء من وادي جوراء، ومن الشرق يحدها وادي ضمد ووادي ضهياء، ومن الغرب يحدها وادي جوري، فهي كما نلاحظ منطقة تحيط بها الأودية من جميع الجهات.

أما القبائل الحدودية مع فيفاء فيحدها:

غرباً وشمالاً: قبائل بلغازي.

وجنوباً: قبيلة بني حريص الحميراء.

وشرقاً: قبائل بني مالك.

وهكذا فإن المنتقد محمد بن مسعود قد وقع في أمرين الأول منهما:

عندما خلط ما بين حدود جبال فيفا وبين حدود بلاد فيفا الواسعة.

الثاني: أنه تقولَ عليّ بما لم أقل، حين اتهمني بأنني ذكرت حدود جبل فيفا بشيء مغاير لما ذكرته في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفا، ولم يأت بها ولم ينقلها للقارئ الذي لم يطلع على الكتاب ولم ينصفني في ذكرى لحدود جبال فيفا كما وثقته في كتابي وكما نقلتها لكم آنفاً، ولعل ذلك بسبب اندفاعه وتعجله للنقد، ولعل ذلك أيضاً بسبب اللبس الذي وقع من أنه كان يعتقد أن جبال فيفا هي بلاد فيفا.

إذاً يجب الفصل بين ما يعرف بجبل (جبال فيفا) وبين ما يعرف ببلاد فيفا الواسعة وألا يخلط بينهما ولعل الفكرة قد اتضحت للقراء الكرام.

ثم يقول المنتقد: ألم (يقصد المنتقد ألم) يقل الباحث إن (يقصد المنتقد أن) فيفا تحاد خولان. (يقصد المنتقد-) أي ليست منها وإنما تقع على حدودها.. فهل صدق أم لم يصدق في ذلك؟. من ناحيتي أجده مجانباً للصواب.

ثم ألم يقل الباحث: لو كانت فيفا من خولان لما سميت فيفا؟.

من ناحيتي فلم أجده مصيباً فيما قاله. (يقصد المنتقد،) وتلك بعض الخسائر التي تكبدها الباحث لقاء جنايته في هذه التقارير غير المحسوبة.

والحسن بن أحمد الهمداني في صفة جزيرة العرب يخالف الباحث في جغرافية بلاد خولان عندما سردها في نص طويل ختمه قائلاً:

(فهذه بلد خولان على حد الاختصار وأغوارها داخلة في تهامة أبزان وأم جحدم وفي أعلا (يقصد المنتقد أعلى) السراة إلى سراة جنب). الصفة ص ٧٩ .

أقول وبالله التوفيق: نعم صدق المنتقد هذه بلاد خولان التي ذكرها الهمداني وغيره من المؤرخين والبلدانيين والجغرافيين وذكروا كل كبيرة وصغيرة من مواقع ومدن وجبال وأودية وشعاب وقبائل فيما يخص بلاد خولان، وذكروا كل شاردة وواردة عنها أكثر مما أدلى به المنتقد هنا بكثير، لكن للأسف الشديد لم يذكروا اسم جبال فيفا أو بني مالك أو حريص الحشر أو بلغازي من ضمن هذه المواقع والمواطن الخاصة بسراة بلاد خولان وما يتبعها من مواقع ولم يتطرقوا لقبائلها المعروفة حالياً لا من قريب ولا من بعيد، ولو أشاروا إلى ذلك لما وقع الجميع في هذه الحيرة وهذه الاختلافات في وجهات النظر مع أن كل ما ذكره بالتفصيل الشامل الكامل عن مواطن ومواقع وقبائل بلاد خولان مجاور لمواقع وقبائل بلاد فيفاء الواسعة من بني مالك وجبال فيفا وغيرهم، ومع ذلك لم يأتوا على ذكرها فأين هم عنا؟، ولماذا كل هذا التجاهل لنا إذا كنا فعلاً قبائل خولانية صافية؟

ولماذا لم يذكروا مواقعنا بصراحة ضمن مواقع ومواطن بلاد خولان الذين أشبعوها ذكراً وتوثيقاً؟ مع أن جبال فيفا معروفة من العصر الجاهلي وعبر العصور الإسلامية التي تليه.

أشياء تدعو للتساؤل والتفكير والبحث.

مع أننا في كتاباتنا نخلق لهم الأعذار، بقولنا: ربما أنهم ذكروها في كتاب آخر لم يصل لنا، وربما سقطت الصفحات الخاصة ببلاد فيفا، وربما وربما..... وهلم جراً.

وهذه النقطة تحتاج إلى دراسات جادة وشاقة حتى نصل إلى أمر حاسم لا يترك معه أي مجال للتخمينات.

وأما استدلال المنتقد بقول الهمداني: (تهامة أبران وأم جحدم) فأم جحدم هذه من مواطن منطقة عسير وليست قريبة من مواطن فيفا أو ما جاورها من جبال فليتنبه.

وكذلك اعتقاد المنتقد أن فيفا جزء من خولان الشام غير صحيح، ولم يقل بذلك أحد ممن كتب عنها وعن الغزوات التي تعرضت لها خولان الشام، ولم تذكر كلمة فيفا صريحة، والغزوات التي اعتقد المنتقد أنها كانت موجهة لخولان الشام فقط فإنها كانت لخولان الشام وكذلك بعض القبائل الهمدانية ثم قبائل بلاد فيفا الواسعة وليست محصورة كما اعتقد المنتقد في خولان الشام، ولو تتبع سير رحلة هذه الغزوات اليمنية من بدايتها إلى أن وصلوا الغزاة لبلاد فيفا وقبائلها وتمعن في الأمر قليلاً لوجد صدق كلامي، إنما العجلة أدت به إلى هذا الاستنتاج الخاطئ.

ثم يتابع المنتقد قائلاً: وقال أيضاً (ومخلاف عثر ساحل جليل ومدينة بيش ورحبة أبراق وفيه من الأودية الأمان ووادي بيش ووادي عتود ووادي بيض وريم وزنيف ووادي العمود وهو لخولان وكنانة والأزد) الصفة. يقصد أعلاه لخولان .

جاء الإصرار على أن فيفا الواسعة التي استتبطها الباحث ليست من بلاد خولان وإنما تقع في حدودها ليقرر أنها خليط من أصول متباينة شملت كل العرب تقريباً فجاء التكريس لهذه المعلومة الجديدة في سلسلة متصلة متواترة من العبارات المتكررة على ثلاث صفحات ٥١ و ٥٢ و ٥٣.. إنها (الأحلاف) حيث جاء التكريس في عملية طرق متواصلة فقال:

- ١- (فهذه البلاد.... سكنها مجموعة من القبائل المتحالفة). ص ٥٠ .
- ٢- (بحيث أصبحت كل تلك القبائل المتحالفة.... لاتعرف إلا بقبائل خولان بن عامر). ص ٥٠ .
- ٣- (وهي ليست كذلك إنما هي عبارة عن مجموعة أحلاف تجمعها بلاد فيفا). ص ٥١ .
- ٤- (وتحمل تلك الجبال.... العديد من القبائل الخولانية والمذحجية والأزدية والعنانية المتحالفة). ص ٥١ .
- ٥- (بينما هي في الواقع مجموعة قبائل متحالفة). حاشية ص ٥١ .
- ٦- (ولذلك فبلاد فيفا خليط متحالف من بعض خولان وكندة ومذحج والأزد والعنانية). ص ٥٢ .
- ٧- (فكل تلك القبائل المتحالفة... قد جمعتهم عدة أحلاف). ص ٥٢ .

٨- (وقد ظهر أثر تلك الأحلاف في شخصياتهم المختلفة عن شخصيات البلدان المجاورة). ص ٥٢.

٩- فخرجوا بعد تلك الأحلاف والاتحاد والمصاهرة واختلاط الدماء والأخوة (...). ص ٥٢.

١٠- (بثقافة وبلهجة شبه موحدة لأحلاف قبائل فيفا الواسعة). ص ٥٢.

١١- (لأنها عبارة عن بلاد متوسطة بين تلك البلدان المجاورة تحمل خليط واسع (خليطاً واسعاً) من القبائل الخولانية والمذحجية والأزدية والعذنانية). ص ٥٣.

١٢- (لأنها وكما ألمعنا بلاد بها العديد من القبائل المتحالفة والتي تعود لأكثر من جد). ص ٥٣.

١٣- (إن مساحة هائلة كهذه... التي يطلق عليها بلاد فيفا الواسعة وما تحمله من قبائل متحالفة لا يمكن أن تعود لجد واحد). ص ٥٣.

١٤- (بل إن التفسير المنطقي أنها بلاد واسعة تحمل العديد من القبائل المتحالفة التي تعود لأكثر من جد كخولان ومذحج وأسد وعدنان وغيرهم ربما!!). ص ٥٣.

١٥- (ولكن لأن قبائل بلاد فيفا ومنها قبائل جبال فيفا تجمع العديد من القبائل المتحالفة المختلفة الأجداد ويلفها الغموض). ص ٥٣.

قلتُ: هذا الضغط والإصرار المحموم لا يبرره الواقع ولا يكاد طالما كانت قبائل فيفا تعرف جيداً لمن تنتسب ولم يفقدوا نسبهم ولم يختصموا لأي جد يذهبون ولم يسمعوا بتلك الأنساب من قبل . . والله أن بعضهم سألني ما هو مذحج المذكور؟ أهو أمر جيد أم لا؟!!

من زمان (يقصد المنتقد منذ زمن) نقلتُ لكم عبارة مشهورة لدى العرب وهي (الناس مؤتمنون على أنسابهم) فلماذا كلما ألف مؤلفٌ عن فيفا أقتحم (يقصد المنتقد اقتحم) أنسابها يقص ويفصل وينسب من تلقاء نفسه إلى فلان وعلان زوراً وبهتاناً فأما فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيفي وهو أول من ألف عن فيفا فينسبها لخولان بن عامر وقد وافق روايتهم وأصاب.. وأما صاحب الاستقصاء فينسبها لمذحج وقد خالفهم ونسبهم إلى غير أبيهم.. وأخيراً صاحب الميساء ينسبها إلى سبعة أجداد متفرقة وقد خالفهم ونسبهم لغير من ينتسبون إليه. فما هذا التخليط والعك في أنساب فيفا وقد انتسبوا لخولان خلا الأسرة التي تنتسب للأشراف؟. والأنساب قضية لا تحتل الأخذ والرد والاجتهادات من كل عابر.. وأهل فيفا قد يتجاوزون عن أبنائهم بدافع الشفقة والحدب وإلا فهذا الخلط والعك غير مقبول وليجرب المجربون وهواة التأليف في أي حقل معرفي آخر غير أنساب قبائل فيفا طالما ليس فيها التباس ويسعهم ما ذكروه ونقل من ينتسبون إليه دون تغيير ولا يجتهدون فيما لا يجوز فيه الاجتهاد.

يقول المؤلف حفظه الله:

(وسنرى... أن البعض ممن أرخ لتلك الفترة الزمنية (مستهل القرن الحادي عشر) لم يصنفوها كقبائل خولانية أو أي تصنيف آخر مع أنهم قد صنفوا بكل وضوح قبائل خولان وغيرها) ص ٥٣. قلتُ: فمنهم الجرُموزي الذي نقل عنه الشرفي والجرافي والكبسي؛ وعلى سقم عبارته وتخليطاته فإن الباحث قد عده مصدراً ونقل عنه دون أن يلتفت لعبارته التالية التي نقلها الكبسي في لطائفه ص ٣٢٤ قائلاً (ووقع بعد ذلك خلاف بعض خولان الشام... فأرسل الإمام المؤيد أخاه الحسن بن القاسم في عسكر كثير...).

ثم يسرد تحركاته وغزواته في خولان إلى أن توجه لبلاد فيفا؛ ألم يقرر بأن خولان الشام وقع منها خلاف؟ من ناحيتي لا أجد الباحث ملزماً بالنقل عن الجرُموزي أو غيره ممن نقلوا عنه.. لكن وقد اقتبس منه وتخذق في صفه فلماذا تجاهل عبارته تلك ونفى أن يكون أياً من المؤرخين بعد الألف قد عد فيفا من خولان؟؟.

هل من مجيب؟ الأمر (يقصد المنتقد الأمر) متروك للقارئ المنصف.

أقول وبالله التوفيق:

المنتقد هنا لا زال يخلط بين نسب وجغرافية قبائل جبل فيفا ونسب وجغرافية قبائل بلاد فيفا الواسعة التي يُعدّ جبل فيفا بما فيه من قبائل جزءاً من تلك البلاد.

ولتفصيل ذلك ولتوضيح الصورة الخاطئة التي تراءت للمنتقد دعونا نأخذ بعض النقاط التي تطرق لها ونناقشها بوضوح وهدوء.

حدد المنتقد حدود جبل فيفا كما رأينا سابقاً بقبائل خولانية وإلى هنا وتحديدده صحيح فكل القبائل التي تحيط بجبل فيفا خولانية في الغالب.

ولكن فاتته أنني لم ألتزم في بحثي السابق إلى حدود جبل فيفا كما يتصوره وتهياً له فيما يخص هذه النقطة، بل تطرقت إلى حدود أخرى، وهي حدود بلاد فيفا الواسعة التي تشمل جبال فيفا وبني مالك وحريص.

وبما أن الفكرة قد اتضحت وأن بلاد فيفا الواسعة لا يقصد بها جبال فيفا وحدها كما اعتقد المنتقد وإنما هي جزء من مجموع تلك القبائل والمواقع التي تسكن بلاد فيفا الواسعة، إذاً فلنسأل أنفسنا هذا السؤال: ما الذي يحد قبيلة حريص الحشر إحدى قبائل بني مالك الأبية وإحدى القبائل التي تقطن بلاد فيفا الواسعة؟ أليس قحطان من مذحج ولا يفصل بينهما سوى وادي الحياة!.

ومن أراد التأكد فليذهب إلى ذلك الوادي ويسأل أهالي تهامة قحطان وسيخبرونه بأن هذا الوادي هو الحد الفاصل بين ديار خولان وديار مذحج وأن الرزم التي وضعوها من الحجارة لا زالت هناك إلى هذه الأيام، وقد وقفت عليها بنفسي.

إذاً يحد بلاد فيفا الواسعة جزء من ديار مذحج من ناحية الشمال وبالذات مع حدود قبيلة حريص الحشر إحدى قبائل بلاد فيفا الواسعة قديماً والتي تعتبر جبال فيفا جزءاً لا يتجزأ من تلك البلاد الواسعة مع بقية الجبال المجاورة لجبل فيفا.

أليس في قبائل بلغازي المجاورة والمحاذية لجبال فيفا الواقعة في بلاد فيفا الواسعة قبيلة زيدان المذحجية، وكذلك قبيلة عبس العدنانية التي تحاد ديار بلغازي بل وبعض القبائل المذحجية والأزدية التي كانت تسكن على ضفاف وادي ضمد؟

الجواب بكل تأكيد نعم.

إذاً يحدنا من الجزء الغربي لبلاد فيفا بعض القبائل الخولانية والمذحجية من بلغازي والتي بدروها يحدها بعض القبائل الأزدية التي أكدت المصادر بأن لها تواجد على ضفاف وادي ضمد، وبعض القبائل العدنانية كقبيلة عبس المحاذية لقبائل بلغازي.

ألم يستشهد محمد بن مسعود بقول الهمداني: أن وادي عمود تسكنه قبائل من كنانة العدنانية والأزد الكهلانية؟

أليست هذا الوادي من حدود بلاد فيفا الواسعة كما سبق وبينت عبر بحث حريص الحشر وواديها الجوة القريب جداً من وادي عمود؟

إذاً فبلاد فيفا الواسعة وليس جبل فيفا تحيط به القبائل المذكورة فلا وجه هنا لانتقاد المنتقد. فيجب الفصل بين ما يعرف بجبل (جبال فيفا) وبين ما يعرف ببلاد فيفا الواسعة وألا يخلط بينهما، ولعل الفكرة قد اتضحت للقراء الكرام.

وعودة لقول لمنتقد: (هذا الضغط والإصرار المحموم لا يبرره الواقع ولا يكاد طالما كانت قبائل فيفا تعرف جيداً لمن تنتسب ولم يفقدوا نسبهم ولم يختصموا لأي جد يذهبون ولم يسمعوا بتلك الأنساب من قبل.. والله أن بعضهم سألني ماهو مذحج المذكور؟ أهو أمر جيد أم لا؟؟!!).

من زمان (يقصد المنتقد منذ زمن) نقلت لكم عبارة مشهورة لدى العرب وهي (الناس مؤتمنون على أنسابهم) فلماذا كلما ألف مؤلف عن فيفا أقتحم أنسابها يقص ويفصل وينسب من تلقاء نفسه إلى فلان وعلان زوراً وبهتاناً.. فأما فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيافي وهو أول من ألف عن فيفا فينسبها لخولان بن عامر وقد وافق

روايتهم وأصاب.. وأما صاحب الاستقصاء فينسبها لمذحج وقد خالفهم ونسبهم إلى غير أبيهم.. وأخيراً صاحب الميساء ينسبها إلى سبعة أجداد متفرقة وقد خالفهم ونسبهم لغير من ينتسبون إليه.

فما هذا التخليط والعك في أنساب فيفا وقد انتسبوا لخولان خلا الأسرة التي تنتسب للأشراف؟. والأنساب قضية لا تحتل الأخذ والرد والاجتهادات من كل عابر.. وأهل فيفا قد يتجاوزون عن أنبائهم بدافع الشفقة والحدب وإلا فهذا الخلط والعك غير مقبول وليجرب المجربون وهواة التأليف في أي حقل معرفي آخر غير أنساب قبائل فيفا طالما ليس فيها التباس ويسعهم ما ذكروه ونقل من ينتسبون إليه دون تغيير ولا يجتهدون فيما لا يجوز فيه الاجتهاد).

أقول بالله التوفيق:

وكذلك أنا قد تلقيت العديد من الأسئلة عن هو مذحج؟ وذلك قبل فترة من تحديثي لكتابي في طبعته هذه، وقد حاولت جاهداً في هذه الطبعة التعريف بالجد مذحج وبالقبائل العظيمة التي تفرعت منه وانتشرت في أصقاع الأرض، وبالرابط الذي يربط قبائل آل الصلت والبشري بفيفا مع هذا الجد.

أما عن نسب القبائل الفيفية وأنها تعود إلى خولان جميعها وإقرار المنتقد للشيخ علي بن قاسم الفيفي – حفظه الله – وتأييده له، واستدلاله به فليس الأمر على إطلاقه، وسأثبت لكم ذلك في الحلقة القادمة بأمثلة واقعية من كتاب الشيخ علي بن قاسم – حفظه الله -.

ألقاكم بإذن الله وتوفيقه في الجزء الرابع والأخير من الحلقة الثالثة . .

(الجزء الرابع والأخير من الحلقة الثالثة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بتوفيق من الله وفضل الجزء الرابع والأخير من الحلقة الثالثة فأقول:

يقول المنتقد: (فأما فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيافي وهو أول من ألف عن فيفا فينسبها لخولان بن عامر وقد وافق روايتهم وأصاب . . وأما صاحب الاستقصاء فينسبها لمذحج وقد خالفهم ونسبهم إلى غير أبيهم . . وأخيراً صاحب الميساء ينسبها إلى سبعة أجداد متفرقة وقد خالفهم ونسبهم لغير من ينتسبون إليه).

أقول وبالله التوفيق :

ذكرت في صفحة ٧٢ من كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) أن قبائل فيفا تعود في الغالب إلى خولان بن عامر سواء أكان ذلك من صلب النسب أم الحلف وليس كما أوهم محمد بن مسعود القارئ بأنني مصاب بما سماه اصطلاحاً (حمى التذحيج).

واستثنيت من قبائل فيفا (آل الصلت وآل البشري) الذين يعودون إلى الجد مذحج كما ثبت لدي، واستثنيت كذلك أساس قبيلة آل الثويح الأزدية وقبيلة الأشراف العدنانية وبعض الأسر الشريفة المعروفة في فيفا.

ولا أعلم عن الأجداد السبعة الذي ذكر المنتقد بأنني قد نسبت قبائل إليهم!!!.

فالأجداد الذين نسبت قبائل فيفا إليهم هم كالتالي:

١. الجد شهاب بن العاقل بن الأزعم بن (خولان بن عامر) الذي تعود إليه غالبية قبائل فيفا الخولانية، مع أن هناك خلاف بين بعض علماء الأنساب من ناحية الجد شهاب بن العاقل حيث يرى بعضهم بأنه لا يعود إلى الأزعم بن خولان إلا حلفاً وأنه من سلالة ملوك كندة الذين كانوا قديماً يحكمون إقليم نجد ومن ثم عادوا بعد أن انحسر ملكهم وتحالفوا مع بعض قبائل خولان بن عامر في صعدة.

٢. الجد مذبح الذي يعودون إليه أساس قبيلة آل الصلت وعشيرة آل البشري بفيفا.

٣. الجد الأزد الذي يعود إليه نسب أساس قبيلة آل الثويج.

٤. بعض البيوت (عشائر) الذين يعودون إلى أجداد مختلفين من الأشراف وغيرهم.

هذا باختصار كل ما ورد عني في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) وليس الأمر كما أورده محمد بن مسعود بأنني قد نسبت قبائل فيفاء إلى سبعة أجداد.

مع إيماني التام بأن مسألة الأنساب مسألة شائكة ويصعب الخوض فيها ويكاد يكون الاتفاق على نسب موحد بين جميع من خاضوا في الأنساب شبه مستحيل، ليس على مستوى قبائل جبال فيفا فقط بل يتعدى إلى ما هو أكبر من ذلك، فالاختلاف سنة واردة ومن ذلك عدم الاتفاق بين النسابة على أن العرب تعود إلى قحطان وعدنان حيث يذكر البعض منهم أن قحطان يعود إلى عدنان وكذلك اختلفوا في قضاة وهل هي من عدنان أم من قحطان؟ حتى ذهب الأمر ببعضهم أن يرى أن قضاة لا تعود لقحطان ولا عدنان بل هي فرع ثالث ومكمل لهما بحيث يصبح جزء من العرب من قحطان والجزء الثاني من عدنان والجزء الثالث من قضاة وهلم جرا.

وعودة إلى المنتقد فإن محمد بن مسعود بن مسعود يواجه مشكلة حيث أنه في غالب الأحيان يهول المعلومة التي ينقدها أو ينتقدها ويبالغ فيها كما سترون، وكذلك فإنه يلقي بالكلام على عواهنه عند استدلاله بما يقوي موقفه في تلك المعلومة التي انتقدها متجاهلاً أنها ليست على إطلاقها وأنه كان من الأفضل له أن يدرسها بجميع أبعادها قبل أن يدلي بها ليستشهد بها على تقوية انتقاده دون أن يلقي لها بالاً ويحيط بها من جميع جوانبها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

ما حاول الاستدلال به هنا من أن الشيخ علي بن قاسم الفيافي قد نسب جميع قبائل فيفا إلى الجد خولان فقط وهذا الاستدلال ليس دقيقاً كما حاول المنتقد تمريره من خلال هذا الانتقاد فالشيخ علي وإن كان قد نسب قبائل فيفا إلى خولان بن عامر إلا أنه أخرج قبيلة الأشراف وبعض البيوت (العشائر) من الجد خولان بن عامر، وكذلك فإنه لم يستطع التوصل إلى جد واحد يجمع قبائل فيفا في الجد خولان بن عامر!.

فتعالوا نناقش هذا الاستدلال.

لقد نسب الشيخ علي - حفظه الله - بعض قبائل فيفا وعشائرها إلى خولان إجمالاً، ولكنه لم ينسب كل البيوت والعشائر في بعض قبائل فيفا إلى خولان كما سترون في

السطور القادمة، وكذلك فإنه - حفظه الله - على الرغم من أنه نسب قبائل فيفا إلى خولان مع استثناء بعض البيوت (العشائر) لكنه حتى حال كتابة هذه الأسطر لم يتوصل إلى جد خولاني موحد تعود إليه قبائل فيفا، فتارة ينسب قبائل فيفا جمعاء وبعض القبائل المجاورة إلى جد يقال له:

سعد بن الليث بن عبيد، حيث ذكر ذلك في الصفحة (١١) من كتابه الموسوم بـ (فيفاء بين الأمس واليوم) وكذلك في بعض الكتب الأخرى قائلاً:

”والجد الجامع لقبائل فيفا وبني مالك وبني حريص وقيس وربما غيرهم هو سعد بن الليث بن عبيد بن مالك بن زيد بن أسامة بن أرطاة بن شرحبيل بن حجر بن ربيعة بن سعد بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة.....”.

ولكنه سرعان ما يعود فينقض هذا النسب الشامل، حيث نسب في نفس الكتاب ص (٥٠) قبائل فيفا إلى جد آخر وهو هاني بن خولان.

يقول الشيخ: ”وهاني بن خولان الذي يطلق على عقبه داعية اليهانية حتى اليوم“ أ.هـ

وقبائل فيفا كما هو متعارف عليه لدى السواد الأعظم بأنها يهنوية، وهكذا فقد أخرج نسب قبائل فيفا من سعد بن الليث بن عبيد الجد الذي كان في زعم الشيخ يجمع قبائل فيفا وبعض القبائل المجاورة ونسبهم إلى جد آخر وهو هاني بن خولان.

ثم عاد في نفس الكتاب آنف الذكر ص(٥٢) وأخرج قبائل آل حجر الفيفية المعروفة (العبدلي والمثنوي والثويعي والحكمي) أخرجهم من نسب سعد بن الليث بن عبيد وأخرجهم من نسب هاني بن خولان ونسبهم إلى جد آخر وهو حجر بن ربيعة بن سعد بن خولان.

ليس ذلك فحسب، بل ذكر أن سبب تسمية العباسية إنما كانت نسبة إلى الجد عباس بن خولان وأنه أول من اختطها.

وفي نفس الكتاب ص(٦٠) وص(٣٣٣) أخرج الشيخ علي بن قاسم الفيفي قبيلة آل الحرب الفيفية من الجد الذي ذكر أنه الجامع لقبائل فيفا وبعض القبائل المجاورة (سعد بن الليث بن عبيد) وأخرجهم كذلك من الجد (هاني بن خولان) حيث نسب قبيلة آل الحرب الفيفية إلى جد جديد غير هؤلاء الأجداد وهو (حرب بن سعد بن سعد بن خولان) وهو بهذا النسب الذي ذكره وتبعه في ذلك وأقره عليه محمد بن مسعود كما سنقرأ في حلقة قادمة قد أخرج قبيلة آل الحرب الفيفية التي تعود في نسبها إلى آل الصلت الفيفية كما هو معروف إلى نسب جديد وهو (حرب بن سعد

بن سعد بن خولان)، بل قد ذكر الشيخ في صفحة أخرى من الكتاب بأن آل الحرب الفيفية صارت تنتمي إلى أب أدنى من حرب ولم يبين لنا من هذا الجد الأدنى الذي أصبحت تنتمي إليه.

وفي الصفحة (٥٣) من نفس الكتاب أخرج الشيخ علي بن قاسم الفيفي قبيلة آل سعيد المعروفة في بني مالك من نسبهم المعروف لجدهم مالك وجعل نسبهم في جد آخر يعود إلى بطن من بني غالب بن سعد بن سعد بن خولان.

وكما رأينا فإن الشيخ علي بن قاسم الفيفي - حفظه الله - لم يستقر على جد خولاني واحد يجمع قبائل فيفا وفي كل مرة ينسب قبائل فيفا أو بعض منها إلى جد مختلف من أبناء خولان كما بينت سابقاً، لكن دعونا نتفق مبدئياً على أنه قد نسب قبائل فيفا باستثناء قبيلة الأشراف الفيفية إلى الجد الأعلى خولان كما بينت لكم سابقاً، وباستثناء ما سوف أبينه في الأسطر القادمة بإذن الله من بعض البيوت والعشائر التي أخرجها الشيخ من نسب خولان.

إذاً فغالبيتهم جبل فيفا قبائل خولانية كما أكد الشيخ، وكما هو سائد ومعروف لدى السواد الأعظم في فيفا، وكلنا متفقون على أن قبائل فيفا تعود لخولان بن عامر مع مخالفتي للشيخ في جزئية بسيطة وتلك الجزئية هي التي ذكرتها في بداية بحثي وفي بداية هذه الحلقة من أن غالبية قبائل فيفا تعود إلى خولان بن عامر سواء أكان ذلك من صلب النسب أو بالحلف كقبيلة آل الصلت وعشيرة آل البشري وبعض البيوت (العشائر) الأخرى التي سوف أتطرق لها في ثنايا الردود على هذه الحلقات بإذن الله، فدعونا نتفق جميعاً على أن هناك قبائل خولانية في فيفا وهي الأكثر ولنعطيهما الرقم (١) مثلاً.

وكذلك فإن الشيخ علي بن قاسم قد فصل في ذلك النسب (خولان بن عامر) وهذا ما تجاهله المنتقد حيث نجده يذكر في كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) ص(٢٠٩) عشائر ليسوا من خولان حيث قال عند تطرقه لقبيلة الأشراف العدنانية بعد أن أكد عدنانيته:

” وليس كل من شملهم الاسم أشرافاً نسباً فقد انضمت إليهم عشائر أخرى مثل أهل الدرب وأهل غرة وليسوا منهم نسباً، ولكنهم يعدون منهم في اللوازم القبلية”. أ.هـ

أقول: هذا يعني أنهم عشائر متحالفة مع قبيلة الأشراف هم ومن سنبين في الأسطر القادمة من عشائر أخرى انضمت مع الأشراف، وهم من يعرفون في فيفا - بالخروج - وكذلك ذكرهم:

فضيلة الدكتور حسن بن يحيى الشريف الفيحي في كتابه الموسوم (تاريخ قبيلة الأشراف في فيفا) ص (١١٨) حيث أفرد لهم عنواناً باسم (الملحقين بقبيلة الأشراف في فيفا في العرف لا في النسب) وهم (الخروج) - أي أنهم خارجون عن الأشراف في النسب فقط وهو مصطلح قديم في القبيلة-، وقد عد تلك العشائر بتوسع أكثر وذكر أنها ست أسر كالتالي:

(أهل الدرب، أهل غرة، آل محمود، آل فروان، آل عطبة، وآل جبران بن أحمد).

وكذلك ذكرتها في كتابي الموسوعة ص (٢٨٨) و ص (٢٩٦) عند حديثي عن قبيلة الأشراف الأبية في فيفا وبعض فروعها.

وهؤلاء العشائر ليسوا من خولان بل منهم من أتى من درب بني شعبة العدنانية كأهل الدرب وآل محمود وهم يعترفون بذلك ويقرونه ولا زالوا أحياء بيننا يرزقون، ومنهم من أتى من مكان يقال له غرة في ناحية الشعبين الواقع في جنوب غرب مدينة أبها، ومنهم من أتى من نواحي صعدة.

إذاً دعونا نتفق على أن (الخروج) من أهل الدرب وآل محمود وأهل غرة ليسوا جميعهم عشائر يعودون في نسبهم إلى قبائل خولان وإنما جمعهم الحلف، ولنعطيهم الرقم (٢).

ولنعد لكتاب الشيخ علي بن قاسم (فيفاء بين الأمس واليوم) ألم يذكر في الصفحة ٣٢٥ قائلاً: " آل عقيلة بيت من الأبناء الذين يعود نسبهم إلى الفرس الذين أنجد بهم ملك الفرس سيف بن ذي يزن لتخليص اليمن من حكم الأحباش يمتنون الصناعات الحرفية كالحدادة ونحوها، ومنهم بيتان عند آل بالحكم ويطلق عليهم: (آل عقيلة) وبيت عند آل عبدل يقال لهم (آل ذرحة) وبيت عند آل مغامر يطلق عليهم (آل مقنع) وفيهم كرم وشجاعة ونجدة".

إذاً هناك في فيفاء ثلاث عشائر (بيوت) يعود نسبهم إلى (الفرس) كما نسبهم الشيخ علي، والكتاب تم نشره بين الناس عام ١٤٣٢ هـ ورقياً وإلكترونياً ولم أجد من احتج أو اعترض على هذا النسب غير العربي والذي يعود إلى بلاد فارس.

إذاً دعونا نتفق على أن هناك عشائر في فيفا ليسوا من خولان بل من أصول غير عربية ونعطيهم الرقم (٣).

ثم نأتي على كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) حيث ذكرت:

أن أساس قبيلة آل الصلت بفيفاء مذحجية ولا زلت عند رأيي، ولكن محمد بن مسعود يرى خولانيته ولا يقر بمذحجيتها، فلندعها جانباً ونأتي على عشيرة مذحجية الأصل وهم من يعرفون في فيفا بـ (آل البشري) وهذه العشيرة الأبية تعود في أصولها القديمة إلى الجد مذحج كآل الصلت وهم حالياً من عشائر فيفا وهم يقرّون بذلك ولا يرون غضاضة في نسبهم البعيد، ولا يزالون أحياء بيننا يرزقون.

إذاً دعونا نتفق أن هناك في جبل فيفا عشيرة مذحجية وهم آل البشري ولنعطيهما الرقم (٤).

وكذلك فإنه يوجد في فيفا كما بينت في كتابي وكما بين فضيلة الدكتور حسن بن يحيى الشريف في كتابه (تاريخ الأشراف في فيفاء) العديد من الأسر العدنانية التي تعود إلى الأشراف وتتوزع بين بعض قبائل فيفا حالياً وهم:

أسرة آل المشكاع – أسرة آل حسين ضيف الله – أسرة الأديب علي بن حسين – أسرة آل التهامي – أسرة آل الشرفي – إضافة إلى القبيلة الأبية قبيلة الأشراف في فيفا هذا عدا بعض الأسر القديمة الشريفة التي لم يعد لها وجود في فيفا، وقد أدهشتني الجملة الغريبة التي يقول فيها المنتقد:

” خلا الأسرة التي تنتسب للأشراف ” وهذه الجملة ليست على إطلاقها كما وضحت لكم حيث حاول المنتقد إيهام القارئ بأن قبيلة الأشراف الأبية إحدى قبائل فيفاء الثماني عشرة على أنها مجرد أسرة وهي كما هو معروف قبيلة وليست أسرة كما ذكر المنتقد، وتناسى المنتقد أن هناك العديد من الأسر الشريفة في فيفا، وهناك قبيلة أشراف مستقلة بفروعها لا يجمعهم جميعاً جد واحد، حيث أن هناك كما تطرقت سابقاً أسرة آل التهامي من أشراف تهامة الذين لا يعودون لنفس الجد الجامع للأسر الشريفة في فيفا وقبيلة الأشراف وليس قدومهم من صعدة كبقية الأسر الشريفة الأخرى، بل كان قدومهم من تهامة من نواحي بيث وجرهم الذي يعودون إليه في النسب ليس نفس الجد الذي يعودون إليه أشراف فيفا وما جاورهم من أشراف صعدة.

إذاً دعونا نعطي أسر الأشراف العدنانية القادمة من صعدة قديماً الرقم (٥). وكذلك دعونا نعطي قبيلة الأشراف العدنانية الأبية التي تعد من قبائل جبال فيفاء الثماني عشرة الرقم (٦).

ولنعطي الرقم (٧). لإحدى هذه الأسر الشريفة التي تسكن في جبل فيفاء وهم: (آل التهامي) الذين لا يعودون للجد الجامع للأسر الشريفة الأخرى في جبل فيفا كما وضحت سابقاً.

كذلك فإن هناك عشيرة يقال لهم (آل عذابة) من (آل شراحيل) وهم كما هو معروف لدى آل شراحيل في فيفا عشيرة قدمت إلى فيفا قديماً من مكان يقال له العقدة بالقرب من مدينة أبو عريش المعروفة ولا أعلم لمن يعودون في نسبهم القديم قبل انتسابهم لقبيلة آل شراحيل بفيفا، ولنعطيهما الرقم (٨).

وختاماً لهذه النقطة، فقد ذكر المنتقد أن الباحث حسن بن جابر الثويحي الفيفي قد نسب جميع قبائل فيفا إلى جد واحد (مذحج)، وهذا الكلام غير دقيق، فقد أشار في كتابه (الاستقصاء) إلى وجود بعض النقايل من خولان في جبال فيفا، ونسب قبيلة الأشراف العدنانية وبعض الأسر الشريفة التي تعيش بجبال فيفا إلى نسبهم الشريف المعروف، وذكر في نفس الكتاب أن قبيلته (آل الثويح) تعود في أصولها إلى الأزد، وأنهم هم وآل ثوعة في عسير بعضهم من بعض، ونقل المقولة القديمة التي يتناقلها كبار السن في القبيلة من أنهم وآل ثوعة في عسير بعضهم من بعض. ولنعطيهما الرقم (٩).

وبعد هذا التفصيل الواضح، هل فعلاً أن جميع قبائل وعشائر جبل فيفا خولانية فقط؟ أم أنها خليط متعدد من القبائل والعشائر والأسر الخولانية والمذحجية والعدنانية وبعض الأسر غير العربية والتي تعود لفارس؟

مع تأكدي بأن السواد الأعظم من قبائل فيفا تعود إلى الجد خولان بن عامر سواء أكان ذلك من صلب النسب أو بالحلف.

أعتقد أن الأمر قد اتضح للجميع وأن جبل فيفا فيه العديد من القبائل والعشائر التي لا تعود لجد واحد كما بينت آنفاً وكما بين ذلك غيري من المؤلفين الذين ذكرت أقوالهم من كتبهم، وهذا التفصيل الذي ذكرته لكم هنا يخص فقط القبائل التي تسكن جبل فيفا أحد مواطن بلاد فيفا الواسعة فما بالكم لو بحثنا في جميع القبائل التي تسكن فيما يعرف قديماً ببلاد فيفا الواسعة؟

إذاً فليس الأمر كما حاول المنتقد تمريره هنا من أن كل قبائل فيفا تعود لخولان فقط مستشهداً بأن الشيخ علي بن قاسم لم يقل بغير ذلك.

هل أتاكم حديثي؟

ثم يقول المنتقد: وفي موضوع اللسان نجد الباحث يقول:

(ولعل وجود بعض القبائل العدنانية... كان له صلة كبيرة بوجود الكثير من الكلمات العربية الفصحى وانتشارها في بلاد فيفا). ص ٥٢.

قلتُ (والقول لا زال لمحمد بن مسعود): فهذا استدلال عجيب غريب.. ومبحث في غاية التعقيد وكيف يمكن معالجته؟! ولا سبيل إلى الإحاطة بحدوده فاللسان نعتقه عربي فالأمة عربية.. وكيف يمكننا فرز الأعجمي ثم ننسبه لخولان ونميز الفصح وننسبه لعدنان.. والمسألة تبدو عويصة جداً... ولنفترض أننا طلبنا من الباحث أن يحل لنا هذا اللغز فيسوق لنا أمثلة الفصح من ألفاظ العدنانيين الداخلين في فيفا... وفي المقابل يسوق لنا أمثلة من غير الفصح الذي يدور على ألسنة قبائل فيفا من غير العدنانيين.. ثم ما مدى حدود العجمة التي أصابت اللسان العدناني لقاء اختلاطهم بقبائل فيفا ذات الألسنة غير الفصيحة؟!.. شخصياً إجد (يقصد المنتقد أجد) هذا نتيجة حتمية لما بني على باطل..

أقول وبالله التوفيق:

ما دخل اللسان الأعجمي فيما ذكرته، وهل تطرقت للعجم من قريب أو بعيد؟ ولم كل هذا الاستعراض اللغوي والتهويل لما كتبتة حول هذه القناعة التي لا زلت أصر عليها؟

فالأمر أسهل مما تخيله المنتقد بكثير، فاللغة العربية بكل بساطة تنقسم إلى قسمين لغة حميرية ولغة مضرية، وبينهما كما نعلم فروق عظيمة، تطرقت لها في باب اللهجة في فيفاء ولا داعي لإعادة الشرح هنا، وقبائل فيفا لديها الكثير من المفردات السبئية بشقيها الحميري والكهلاني كما هو معروف للجميع، ولا شك أن لديها أيضاً من الفصح، ولكن بما أن قبيلة الأشراف من (آل يحيى بن يحيى) وهي قبيلة تعود لقريش من العدنانية قد استوطنت بلاد خولان وبعضاً مما جاورها منذ نهاية القرن الثالث الهجري إلى تاريخنا هذا، وكان غالبية أئمة الأشراف هداة مهتدين يقومون بتعليم الناس وإرشادهم ولا شك أن فيفاء قد نالها نصيب من ذلك التعليم والإرشاد والتوجيه، ولهذا فلا شك أنها قد أثرت أهالي تلك الديار بمفردات مضرية كثيرة إضافة لوجود القرآن بين أيديهم، وبالمقابل وجود بعض القبائل الشريفة القرشية العدنانية في غرب فيفاء فيما يعرف حالياً بمنطقة جازان وهم بلا شك قد أثروا بلهجتهم القرشية الفصيحة قبائل المنطقة وممن نالهم هذا الإثراء قبائل فيفاء، إضافة لما حدث مؤخراً فيما بعد عام ١٣٤٩ هـ من وجود نهضة تعليمية واجتماعية ودخول بعض المدرسين لجال فيفاء وكذلك دخول وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، كل تلك الأسباب مجتمعة قد أثرت المجتمع الفيفي بالمزيد من المفردات العربية الفصيحة إضافة لمفرداتهم السبئية القديمة بقسميها الحميري والكهلاني فما المشكلة في ذلك؟ وما الذي يعاب في ذلك؟

وما دخل العجم والعجمة في رؤيتي هذه حول لهجة فيفا الفصيحة؟

ثم يختم المنتقد انتقاده حول هذه الملحوظة بقوله: (هذا نتيجة حتمية لما بني على باطل..).

أقول وبالله التوفيق: ليت أن المنتقد اكتفى بنقد الملحوظة وإبداء رأيه فيما يرى أنه الصحيح، وتجنب مثل هذا الاستنتاج المقيت الخاطئ الذي لا يخدم البحث ولا صاحبه ولا المتلقي.

ثم يقول المنتقد:

وليس هذا فحسب فالباحث لديه رؤية شاملة لمسمى (خولان) فما هو يا ترى؟! تأمله حين عثر على الخول يقول (ولذلك أقر العلامة المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري صاحب كتاب مجموع بلدان اليمن وقبائلها ما ذكره ياقوت الحموي عند تعريفه لخولان حيث قال بعد أن عرف خولان بن عمر بن الحاف قضاة قال: ويجوز أن يكون فعلاً من الخول وهم الأتباع؛ إذن فهناك حلفان عظيمان (!!)) قسم (!!)) قبائل خولان إلى قسمين يهنوي (يهانية) وفرود (فرودي) وليس بالضرورة أن تكون كل تلك القبائل من صلب النسب ففيها من الاتباع أيضاً كما رأينا). ص ٧٧ ج ١.

قلتُ هكذا إذن الخول هم الاتباع وقبائل خولان ماهي إلا مجموعة من الاتباع التي لا يجمعها نسب بل أحلاف. لاتعليق!!.

أقول وبالله التوفيق: طالما أنه ليس لدى المنتقد محمد بن مسعود أي تعليق لما حاول الصاقه بي من أن لي رؤية شاملة لمسمى (خولان) تخالف الواقع فلدي ما أقوله:

دعونا أولاً نعرف خولان في اللغة: خولان على وزن فعْلان، اسم مشتق من (خول) وهو ما أعطى الله الإنسان من العبيد والأنعام والأتباع والحشم.

وكذلك تأتي كلمة الخول بمعنى التعهد وحسن التدبير، ولا أريد الاسترسال في تعدد المعاني الإيجابية لكلمة خول متعددة المعاني والتي حصرها المنتقد في قوله: (الخول هم الأتباع) ثم ما تبع ذلك الفهم من استنتاج خاطئ من قبل المنتقد بأن قبائل خولان ما هي إلا مجموعة من الأتباع التي لا يجمعها نسب بل أحلاف وأراد إلصاق ذلك الفهم الخاطئ بي، وهذا بلا شك ما لم أذكره أو حتى ألمح إليه، بل إن ما كتبتة كان بكل بساطة ان هناك قبائل قد تحالفت مع قبائل خولان وأصبحت تابعة لها. وسأوضح هذه النقطة التي لم غمضت على المنتقد.

فأقول وبالله التوفيق: لأن خولان قبيلة أبية عظيمة قوية من أقدم القبائل العربية ويصعب الشرح عنها في هذه العجالة فقد تبعتها بعض القبائل ودخلت معها بأحلاف

في أزمان مختلفة، وسأنقل لكم هنا الموضوع الخاص بهذه النقطة كاملاً كما ذكرته في كتابي وليس جزءاً مقتطعاً كما نقله المنتقد ليقوي بها انتقاده:

ذكرت في الصفحة (٧٧) من كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء ما يلي:

(بل إن الأمر يذهب ببعض القبائل غير الخولانية لتصبح خولانية حلفاً لا نسباً كما حدث مع بني مجيد وبني مهرة الذين يعودون في نسبهم إلى حيدان بن عمرو إلحاف قضاة أحد إخوة خولان بن عمرو. والذي سمي به ذلك الموقع الشهير والمعروف بحيدان ببلاد خولان بن عامر. فقد أصبحوا حالياً قبائل خولانية، وهكذا حدث مع البعض من قبائل فيفا المذحجية كآل الصلت المذحجية بفيفا، أو بعض القبائل الأزدية كقبيلة آل الثويح الفيفية التي أصبحت تعرف بيهنويتها ولكنها يهنوية حلفاً لا نسباً كما سنوضح لاحقاً).

والحال ينطبق على بعض القبائل المذحجية كقبيلة آل زيدان الغزوانية المذحجية التي أصبحت فرودية خولانية حلفاً وليس نسباً وهكذا، ولذلك أقر العلامة المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري صاحب كتاب مجموع بلدان اليمن وقبائلها ما ذكره ياقوت الحموي عند تعريفه لخولان حيث قال بعد أن عرف خولان بن عمرو إلحاف قضاة قال: ويجوز أن يكون فعلاً من الخول وهم الأتباع) أ.هـ.

إذاً أليس بني مجيد وبني مهرة قد أصبحوا تابعين لخولان مع أنهم في الأصل يعودون إلى أخيه حيدان بن عمرو بن إلحاف قضاة؟

ليس ذلك فحسب بل يوجد غير ما ذكرت من القبائل التي تحالفت مع قبائل خولان بن عامر وأصبحت تابعة لها ومنها: (قبائل شهاب بن العاقل – قبيلة القطينات الهمدانية، وكذلك الأبقور الذين ورد ذكرهم في الإكليل وغيرها من القبائل).

بل إن الهمداني قد تطرق في الإكليل إلى حلف الأديم ولغيره من الأحلاف التي تمت بين بعض القبائل وبين قبائل خولان وأصبحت تلك القبائل تابعة لخولان.

فالأديم من خولان هم: (الجماع) أي أنهم ليس من ولد الصلب لخولان الأب بل هم عبارة عن تكتل ضم بطون من قبائل شتى وسمي ذلك الحلف بالأديم لأنهم تحالفوا وكتبوا حلفهم في أديم أحمر فسموا به.

إذاً يتضح لكم بعد الذي بينته لكم آنفاً فيما يخص هذا الاستنتاج غير الصائب من المنتقد أنني لم أعني أن قبائل خولان كافة ماهي إلا مجموعة من الأتباع التي لا يجمعها نسب بل أحلاف، ولم أقل بذلك أبداً، بل عنيت كما يظهر لكم من النص

السابق الذي تجاهله المنتقد أن هناك قبائل غير خولانية أصبحت تابعة لخولان كما حدث مع بعض القبائل التي بينتها سابقاً.

وسأطرق لهذا الموضوع بتفصيل أكثر في الحلقة الثامنة بإذن الله . .

ولو قرأ المنتقد بتمعن وروية لرأى خلاف ذلك.

أترك الأمر والحكم للقراء الكرام.

وإلى اللقاء في الحلقة الرابعة بإذن الله . .

(الحلقة الرابعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

مبحث الأنساب والأحلاف الذي كتبته يقع في ١٠٢ صفحة من كتاب (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفا) ويصعب إرفاقه هنا فليُنظر القارئ المهتم لكتابي وبالذات فيما يخص هذه الحلقة من الصفحة (٧٣) إلى الصفحة (٧٨) التي انتقد المنتقد محمد بن مسعود بعض ما ورد في تلك الصفحات.

حيث يقول المنتقد :

•• إن مبحث الأحلاف لدى قبائل خولان الذي تناوله الباحث يعد جديداً في بابهِ حسب اطلاعي إذ هو الأول عند كافة المؤرخين الذين تناولوا نفس الموضوع . . وألمي أن يتطور هذا المبحث الطريف مستقبلاً على يد الباحث نفسه أو على يد المؤرخ الذي يليه ممن ينتمون للأجيال القادمة فربما كانت مرحلة مستنيرة تتاح فيها الوثائق التاريخية لكل باحث وتصبح أقرب للتناول.

إن موضوع الأحلاف في الموسوعة الميساء – جاء سابقاً فكان النواة – ولهذا لا غرابة أن يعترضه النقص ويظهر ببعض الهنات وهذا لا ينفي الجهد المبذول من قبل الأستاذ حسن جابر الحكمي وفقه الله . . الهنات التي يمكن تجاوزها مستقبلاً كالقلق والتضارب . . فالباحث أراد توظيف مبحثه في الأحلاف – بالدرجة الأولى – لإثبات تعدد انتماءات قبائل فيفا وتوزعهم على أصول متباينة ولو وقفه على الكتلتين اليهودية والفرودية لأصاب لكنه أراد التعاطي مع ما يعتبره أحلافاً داخل العمائر والفخوذ في القبائل الفيفية فاستهله قائلاً:

(ويهمنا في هذا البحث من أولاد خولان هاني بن خولان حيث إن له عدداً من الأولاد كزنامة ومن أشهر أحفاد هاني قبيلة جماعة وإلى هاني هذا تنتسب معظم قبائل فيفا وبني مالك وبني حريص الحشر وحريص الحميرة وآل تليد وقيس وجماعة وآل طارق الذين يعودون من جبل ظهران موطننا ومن صحار بن خولان نسبا). ص ٧٥.

قلتُ: هنا نظرية واسعة يتم تطبيقها في نطاق ضيق دون حذر.. ولهذا لم يذكر هلالاً وإنما قال من أحفاد هاني جماعة رغم معرفته أن هلال بن هاني أشهر من زنامة

الذي ذكره.. وقد يتساءل البعض مدافعاً فيقول: ولم يذكره تصريحاً وقد أشار إليه تلميحا عند إirاده لبني جماعة؟ وفي ذلك غنى!!.

قلتُ: سيذكره في مكان آخر على استحياء والسبب في هذا التحاشي أن هذا الهلال الخولاني لن يكون له نصيب من الانتساب عندما يرد في سياق الجدود وسيحل مكانه الهلال العامري كما سنرى عند تناول الأنساب لقبيلة آل عبدل في تطبيق غير صحيح لنظرية الأحلاف.

أقول وبالله التوفيق: أشكر المنتقد على هذا الإطراء وعلى الاعتراف بأسبقيتي في هذا البحث الذي سيغير الكثير مما هو متعارف عليه سابقاً وسوف يخرجنا حتماً من طور التقليد إلى أطوار منيرة في المستقبل القريب بإذن الله سواء أكان ذلك على يدي أم على يد مؤرخ جديد.

يقول المنتقد: (فالباحث أراد توظيف مبحثه في الأحلاف – بالدرجة الأولى – لإثبات تعدد انتماءات قبائل فيفا وتوزعهم على أصول متباينة ولو وقفه على الكتلتين اليهودية والفرودية لأصاب لكنه أراد التعاطي مع ما يعتبره أحلافاً داخل العمانر والفخوذ في القبائل الفيفية فاستهله قائلًا):

أقول وبالله التوفيق: من الصعوبة بمكان أن نحصر هذه الأحلاف مهما كبرت أو صغرت على الكتلتين اليهودية والفرودية كما يريد المنتقد ويرغب لأن ذلك يخالف الواقع الثابت، ولكن على ما يبدو أن المنتقد لا يريد أن يخرج من إطاره الفكري المحدود حول موضوع الأحلاف الذي يريد قصره على الكتلتين اليهودية والفرودية فقط، ويرفض ما سواه من قبائل أو عشائر تعيش بين هذه القبائل اليهودية والفرودية وتسكن في أراضيهم، وبينهم ما يُعرف بالحلف بحيث أن من قطن بين تلك القبائل ذات الحلف الكبير اليهودي الذي يقابله الحلف الفرودي الكبير ينطبق عليهم كل ما ينطبق على القبائل التي تحالفوا معها، وقد تناسى المنتقد تلك القاعدة المعروفة أن الحلف مع مرور الزمن وبسبب أوامر القربى وامتزاج الدماء ونحو ذلك تُدوّب تلك القبيلة أو العشيرة المتحالفة في القبيلة الأكبر التي تحالفوا معها ويصبحون لا يُعرفون إلا بها مع مرور الزمن لذهاب الحُقاظ وانعدام التدوين أو فقدانه.

وسأحاول عدم التوسع في الرد على هذه النقطة لأنه سبق وأن وضحتها في الحلقة الثالثة بتفصيل مفيد يوضح ما حاول المنتقد أن ينفيه من أنه لا يوجد أحلاف في فيفا وإنما كلها قبائل خولانية خلا أسرة الأشراف على حد قوله.

وللفائدة أمل العودة للنقطة التي تطرق فيها إلى استشهاده بالشيخ الفاضل علي بن قاسم وما وضحته فيها بما يؤكد عكس ما ذهب إليه المنتقد، فليُنظر هناك من بداية قولِي في الجزء الأخير من الحلقة الثالثة: (لقد نسب الشيخ علي – حفظه الله – بعض قبائل فيفا وعشائرها إلى خولان إجمالاً، ولكنه لم ينسب كل البيوت والعشائر في بعض قبائل فيفا إلى خولان كما سترون في السطور القادمة)،

إلى نهاية قولي: هل أتاكم حديثي؟).

ثم إنني أسأل المنتقد: هل وجود عشيرة كبيرة تعود للأبناء من الفرس متواجدة في ثلاث قبائل من قبائل فيفا كما ذكر الشيخ علي بن قاسم في كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) تقتصر في حلفها على الكتلتين الفرودية واليهنوية، حتى وهي من خارج النسب العربي بشقيه القحطاني والعدناني كما أكد ذلك فضيلة الشيخ؟ وهل وجود قبيلة الأشراف القرشية المضرية العدنانية وبعض الأسر الشريفة الأخرى كما بينتهم بالتفصيل في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) وكما بينتهم في الحلقة الثالثة تقتصر على الحلف الذي بين الكتلتين اليهنوية والفرودية؟ وهل وجود بعض العشائر الأخرى في جبال فيفاء كآل البشري المذحجية وآل عذابة الذين قدموا من جهات أبي عريش وبعض النقايل التي قدمت من خارج فيفاء وتحالفت مع قبيلة آل الحرب بفيفا وآل محمود وأهل غرة وآل الدرب وغيرهم من الذين قدموا من جهات درب بني شعبة ومن بعض محافظات عسير وتحالفوا مع بعض قبائل فيفا يصح أن نوقفهم فقط على الحلف الذي نشأ بين الكتلتين اليهنوية والفرودية؟

أم فعلاً أن هذه العشائر والقبائل المتحالفة مع بعض قبائل خولان تدخل ضمن ما وصفتني به من أنني أذكر في بحثي تعدد انتماءات قبائل فيفا وتوزعهم على أصول متباينة؟ وإن كان المصطلح الأصح (تعدد انتماءات بعض قبائل وعشائر فيفا وليس جميعهم).

وهذا فيما يخص جبال فيفاء فما بالك لو بحثنا في القبائل المجاورة والتي معها عشائر وقبائل متحالفة مثلاً:

آل صرمان القادمة من حلي بن يعقوب والتي أصبحت فيما بعد من بني مالك المجاورة، وآل مداوي الذين يعودون في أصولهم إلى الفرس فأصبحوا فيما بعد من آل سلمى بالريث كما ذكر ذلك النمازي في مخطوطه (خلاصة السلاف) ولو توسعت قليلاً لذكرت لك غير ما أوردته هنا.

وما رأيك أيها المنتقد في القول الذي ذكره وأثبتته الشيخ المؤلف علي بن علي الخوم الجماعي في كتابه (سيرة الأوائل في شروع القبائل) عام ١٤٣٤هـ، الصفحة (٤٤) من أن:

(هناك حالياً قبائل تسكن داخل إطار الحدود الجغرافية لقبائل خولان بن عامر لكنها تنتمي إلى أصول أخرى كقبائل القطينات التي يسكن جزء منها في بلاد جماعة، وجزء آخر يسكن في منطقة ساقين وهذه القبيلة يعود أصلها إلى قبيلة شاكر من همدان، كذلك قبيلة بكيل رازح التي تسكن منطقة رازح ويعود أصلها لقبيلة بكيل (الهمدانية) ما بين القوسين توضيح مني.

ثم يعود فيقول في نفس الصفحة: (والأصل في عُرف خولان بن عامر أن من قطن أرض قبيلة من القبائل أن يلتزم بشروع وأعراف هذه القبائل).

وهذا الحلف موجود في عصرنا الحاضر ومعروف لدى قبائل خولان بن عامر وبالذات قبيلة جماعة وقبيلة رازح، وأما قديماً فقد ذكرت في الصفحة ٧٧ من كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) ما يلي:

(بل إن الأمر يذهب ببعض القبائل غير الخولانية لتصبح خولانية حلفاً لا نسباً كما حدث مع بني مجيد وبني مهرة الذين يعودون في نسبهم إلى حيدان بن عمرو إلحاف قضاعة أحد إخوة خولان بن عمرو، والذي سمي به ذلك الموقع الشهير والمعروف بحيدان ببلاد خولان بن عامر، فقد أصبحوا حالياً قبائل خولانية).

أقول: وهاتان القبيلتان لا تعودان إلى هانيء بن خولان بن عامر ولا إلى فرود بل تعودان مباشرة إلى حيدان بن عمرو ولكنهما دخلتا قديماً في حلف مع قبائل خولان فهل يصح أن نحصرهما من ضمن الحلف الذي نشأ بين الكتلتين اليهودية والفرودية؟ أم أن الكتلتين اليهودية والفرودية قد تحالفتا أيضاً مع بعض القبائل الخارجة عن هاتين الكتلتين؟

وبعد كل ما ذكرته لك أيها المنتقد من توضيحات مثبتة بالمراجع المعتمدة فهل يجب علينا ألا نخرج في بحثنا عن نشوء الأحلاف لغير ما يخص الكتلتين اليهودية والفرودية؟ وهل جانببت الصواب عندما وسعت أمر الحلف إلى أكبر من ذلك الحلف الذي حاولت أيها المنتقد قصره على الحلف الذي نشأ بين الكتلتين اليهودية والفرودية؟

أليس هذه هي الحقيقة الثابتة التي لا ترغب بالخروج منها أيها المنتقد؟ وبعد أن رأيت أيها القارئ ما ذكرته لك من واقع موثق اختصرته هنا، فهل يعقل أن نحصر هذه الأحلاف على الكتلتين اليهودية والفرودية كما يريد المنتقد؟ أم أن الأمر أكبر وأوسع من ذلك بكثير؟

أما بخصوص ما ذكره المنتقد من نقد لا يمت للواقع الفيفي بصلة، كما سألنيكم لكم في السطور القادمة، حيث قال: (هنا نظرية واسعة يتم تطبيقها في نطاق ضيق دون حذر... ولهذا لم يذكر هلالاً وإنما قال من أحفاد هاني جماعة رغم معرفته أن هلال بن هاني أشهر من زنامة الذي ذكره.. وقد يتساءل البعض مدافعاً فيقول: ولم يذكره تصريحاً وقد أشار إليه تلميحاً عند إirاده لبني جماعة؟ وفي ذلك غنى!!).

قلتُ: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): سيذكره في مكان آخر على استحياء والسبب في هذا التحاشي أن هذا الهلال الخولاني لن يكون له نصيب من الانتساب عندما يرد في سياق الجدود وسيحل مكانه الهلال العامري كما سنرى عند تناول الأنساب لقبيلة آل عبدل في تطبيق غير صحيح لنظرية الأحلاف).

أعود مبيناً لما تخيل لمحمد بن مسعود بأنه نقص في هذا المبحث الجديد الذي لم يسبقني إليه أحد في جبال فيفا وما جاورها فأقول: (هلال الخولاني) الذي يتشدد به المنتقد لا يمت لأهالي فيفا بصلة نسب ولا حتى لبعضهم، وليس لهم رابط نسب مباشر معه كما توهم المنتقد في ذلك.

فَنَسَبُ هلال الخولاني والقبائل التي تعود إليه في النسب واضح جلي ثابت في المراجع ليس فيه لبس ولا شبهة، وانظروا على سبيل المثال إلى قول الهمداني في كتابه الإكليل ص ٢٨٣: " وولد هاني بن خولان: هلالاً وعلياً فولد هلال شرحبيل وجابراً بطن، فولد شرحبيل هلالاً، فولد هلال: شرحبيل الأصغر وجابراً ابني هلال الأصغر، فأولد شرحبيل الأصغر " جماعة " وهي قبيلة عزيزة وهم أهل بوصان من أرض خولان " إلخ.

وفي ص ٢٨٤ من الكتاب نفسه قال الهمداني: " وقال بعضهم: أولد هاني هلالاً، فأولد هلال: شرحبيل الأكبر والعلي وحذيفة ووالبة وحبيبا، فدرج ". وفي ص ٣٠٥ من نفس الكتاب المذكور يقول الهمداني: " وسألت ابن أبي الجعد عن الأزنوم فقال: بنو زنامة من ولد هاني، وبعد حديث لابن أبي الجعد.... قال: أولد هاني بن خولان: هلالاً، وزنامة، وبرقيشاً، وعمرأ، وحفاشاً ". ثم يقول: " فأولد هلال: جماعة، وحذيفة، ومعاصمأ، وحبيبأ، (هؤلاء هم بني هلال)، فأولد جماعة عامراً وناشراً " إلخ ما ورد من تفصيل حول نسب هلال بن هاني ونسله.

وبعد أن رأينا بالتفصيل كل ما ورد عن هلال الخولاني، ونسله فإن محمد بن مسعود يحيل في أكثر من موضع بعض قبائل فيفا إلى هذا النسب أي إلى هلال بن هاني، وهذا وهم منه وتسرع وليس له مرجع في ذلك ولا مخطوط ولا آثارة من علم ولا تسلسل نسب متعارف عليه في فيفا ولا خلافه، غره في ذلك تشابه الأسماء بين هلال الخولاني هذا وبين هلال الوارد في قصيدة الشاعر يحيى بن محمد العبدلي - رحمه الله - وتشابه الأسماء لا يعد قرينة يُبنى عليها علم الأنساب، والأمر واضح وجلي لكل مطلع في أنه لا يوجد رابط نسب لقبائل فيفا مع هلال الخولاني هذا.

ثم يقول محمد بن مسعود:

والباحث يجد صعوبة في تصور نشوء الكتلتين اليهنوية والفرودية على مسرح التكتلات للمجتمع الخولاني صاحب الانتماءات المتعددة بحيث تغيب الأصول العالية الأشهر وتبرز الفروع النازلة كما سيعبر عن ذلك في قوله:

(رأينا أن من أبناء خولان رازح بن خولان - صاحب جبل رازح - القريب من جبال فيفا الذين كانوا في زمن قديم يمثلون خمسا خولان وأزيد فقد أصبحوا حالياً يعرفون بفروود مع أن رازح بن خولان هو أحد أجداد فروود بن الربيعة لأنه أخ لسعد بن خولان جد فروود فحق لنا أن نتساءل كيف أصبح الجد الأعلى ينتسب إلى الحفيد إذا لم يكن ذلك حلفاً). ص ٧٦.

قلت: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): تساؤل ذكي . . ولكن برغم أن عبارته السابقة قد مزجت بكلام الهمداني في الإكليل إلا أنه لم يلتفت لبقية ما ذكره الهمداني وإلا لكان أطبق على المفتاح الذي سيكشف له الإجابة... ففي معرض سرده أي الهمداني لأبناء سعد بن خولان قال: (وفروود بن الربيعة ويغنم بن الربيعة بن سعد

بن خولان وهم سادات في بني رازح) ج ١ اكلیل ص ٣٠٦ فقله (سادات في بني رازح) یعنی الكثرة والغلبة والا لما كانت فيهم السيادة .. وحل اللغز يكمن في الكثرة فقد طفت الكتلة الفرودية بسبب طغيان قوتها العددية لتقف نداءً للكتلة اليهنوية التي سبقتها تشكيلا وسيطرة .. وإذا بنا في النهاية أمام حلفين عظيمين قسما خولان كما قرر الباحث .. ولكن الذي لم يقترب منه هو تعليل النشوء لهذين الحلفين وكيف تشكلا ابتداءً .. ولن نجد سبباً آخر أكثر تناولا خلاف الغلبة والقوة العددية القبلية للفريقين في السلالتين من أبناء هاني بن خولان وحفيد أخيه سعداً: فرود بن الربيعة.. ولا غرابة فانه يضع بركته فيمن يشاء .. فكان أصل الكتلتين نابعاً عن رابطة النسب .. ليتحول لاحقاً إلى حلفين كما أشار الباحث وفقه الله.

وإذا سلمنا لمؤلف الموسوعة الميساء بتفوقه ونجاحه ثم أسبقيته في هذا البحث فإنما يكون ذلك بشكل جزئي إذ قد نتفاجأ بل نصدم بمثل قوله:

(وكيف لقبيلة كقبيلة عبس العدنانية التي تقع بالقرب من ديار بلغازي والتي أصبحت لا تعرف نفسها إلا بفرود أن تكون نسبة إلى فرود وهي عدنانية الأصل كما تطرق النمازي في مخطوطته السلاف وكما يرى بعض أبنائها مع عدم استبعادنا لوجود نقائل معها ليست من أساس القبيلة وحتى لو فرضنا جدلاً بأنها خولانية الأصل أو على الأقل وجود جزءاً (أقصد جزءاً) (!!!) منها يعود لخولان فكيف ساغ لنا أن ننسبها إلى فرود ما لم يكن ذلك حلفاً حيث أن عبسا كما نعلم يعود مباشرة إلى خولان أي أحد أجداد فرود). ص ٧٧.

قلتُ (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): لقد استهل عبارته بأن عبساً عدنانية ثم سلم بوجود نقائل تمازجها ليست لعدنان ثم انتهى إلى أنها تنتسب لعبس بن خولان!! فبأي قول نأخذ؟ وما هذا التضارب الشديد والقلق؟.

لا بأس فالمعالجة كانت تنحو إلى نفي الفرودية عنها وإثبات صحة الأحلاف ولهذا وقع في هذا التخليط العجيب .. وقد لاأختلف معه في صحة استنتاجه حول هذه المسألة أقصد الأحلاف وإنما سيكون خلافي معه في التطبيق لنظرية الحلف عند وصولي لأنساب قبائل فيفا.

أقول وبالله التوفيق: لا يا محمد ليس هناك أي تضارب شديد وقلق فأنا لم أنسب عبس إلى خولان البتة، ولعله التبس عليك الأمر، وبما أني صاحب الشأن فأعيد وأكرر بأن عبس المجاورة لقبائل بني الغازي قبيلة (عدنانية) وليس لها رابط نسب بخولان البتة وإنما دخلت تحت الحلف الفرودي فقط، وبما أن المعلومة قد التبتت عليك على غير ما أردتُ لها فسيتم إعادة صياغتها في الطبعة القادمة بما لا يلتبس على الآخرين وستكون كالتالي:

وكيف لقبيلة كقبيلة عبس العدنانية التي تقع بالقرب من ديار بلغازي والتي أصبحت لا تعرف نفسها إلا بفرود أن تكون نسبة إلى فرود وهي عدنانية الأصل كما تطرق النمازي في مخطوطته السلاف وكما يرى بعض أبنائها؟.

ثم يقول المنتقد: وإذا كانت تصدق الأحلاف فيما يخص كتلتي فرود واليهانية فإن تطبيقه على الأفراد والعوائل والفخوذ سيكون مرهقاً مهما أوتي الباحث من علم وتمكن في الأنساب ورغم ذلك نجده يصر على التطبيق في هذا الميدان الضيق دون أن يفتن لأساس الحلف الكبير الذي هو النسب ورابطة الدم ممهداً لذلك بالقول: (ولذلك فمن المتعارف عليه لدينا في المنطقة وخصوصاً قبائل فيفا وقبائل بني مالك وبلغازي وحريص وغيرها من القبائل أنفة الذكر بأنها قبائل خولانية النسب نسبة إلى خولان بن عامر مع عدم إدراك بعضهم لمسألة الأحلاف التي بينها سابقاً وسنبينها لاحقاً فليست كل تلك القبائل تنسب إلى خولان هذا نسباً). ص ٧٨.

قلتُ: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): كان يجب أن يضع المؤلف (المتعارف عليه) من نسب القبائل ضمن القضايا الحساسة التي يفترض عدم المساس بها.. سيما وقد أدرك ذلك فقال:

(وبما أنه من الصعوبة بمكان أن يتمكن الباحث من الوقوف على أصول جميع القبائل الموجودة في الوقت الحاضر في جبال فيفا بسبب ضياع أو إهمال أو تجاهل قسم لا يستهان به). ص ٩٣.

قلتُ: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): فهذه المرونة التي يبديها الباحث ليست سوى شعارات فقط لن نراها في الجانب التطبيقي فلا يلبث أن يقول:

(بل إن غالبية قبائل فيفا الحالية إن لم يكن جميعها لا تعود بعض عوائل كل قبيلة منها إلى أصل القبيلة بل هناك بعض العوائل أو الفخوذ أو الأسر قد دخلت مع أساس القبيلة بأحلاف فأصبحت لا تعرف إلا بتلك القبيلة على سبيل المثال لا الحصر: قبيلة آل عبدل الفيفية الخولانية التي بها أكثر من عمارة لا تعود إلى أساس القبيلة العبدلية الخولانية بل تعود إحداها إلى بني هلال العامرية وأخرى إلى أصول الأشراف). ص ٩٦.

بعد هذا الاقتباس الطويل تتضح لنا الوظيفة الأساسية لمبحث الأحلاف.. وبالعودة لقوله (قد دخلت في أساس القبيلة بأحلاف) نجده يمثل لذلك ببني هلال العامرية ولا أدري لماذا تكون العامرية تحديداً وليست بني هلال الخولانية.. وسنعرف صحة ذلك من عدمه بالتفصيل أثناء نقاشنا الأنساب في الحلقات المقبلة ويهنا هنا أن نأخذ فكرة عن أرضية التطبيق للأحلاف بحيث أصبحت القبيلة وعوائلها وهو خطأ سيؤدي لنتائج بعيدة عن الواقع.

فاصلة: مهما اشتط المؤلف في تطبيق الأحلاف فإنه قد سجل سبقاً في هذا العنوان فكان لزاماً أن نعرض له من باب الإشادة والتقريب الذي نتوخى أن يكون مفيداً فيما لو أعاد الطبع في قادم الأيام.. ونلتقي بإذن الله في حلقة قادمة.

أقول وبالله التوفيق تعليقا على نقد المنتقد لقولي: (بل إن غالبية قبائل فيفا الحالية إن لم يكن جميعها لا تعود بعض عوائل كل قبيلة منها إلى أصل القبيلة بل هناك بعض

العمائر أو الفخوذ أو الأسر قد دخلت مع أساس القبيلة بأحلاف فأصبحت لا تعرف إلا بتلك القبيلة).

حيث قال عنه: (بعد هذا الاقتباس الطويل تتضح لنا الوظيفة الأساسية لمبحث الأحلاف . . وبالعودة لقوله (يقصد المنتقد لقوله:) (قد دخلت في أساس القبيلة بأحلاف) نجده يمثل لذلك بني هلال العامرية ولا أدري لماذا تكون العامرية تحديداً وليست بني هلال الخولانية . . وسنعرف صحة ذلك من عدمه بالتفصيل أثناء نقاشنا الأنساب في الحلقات المقبلة ويهمننا هنا أن نأخذ فكرة عن أرضية التطبيق للأحلاف بحيث أصبحت القبيلة وعمائرها وهو خطأ سيؤدي لنتائج بعيدة عن الواقع).

أقول وبالله التوفيق: هذا الأمر مشاهد ومعروف في فيفاء ولا زالت بعض تلك النقائل التي ليست من أساس بعض القبائل معروفة ولم آت بأمر يخالف الواقع مهما حاول المنتقد نفي ذلك ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

بعض الأسر الشريفة التي دخلت مع قبائل فيفية أخرى بأحلاف وأصبحت تنتمي إليها كآل مشكاع بفيفاء الذين أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من قبيلتي العمري والداثري، وآل حسين ضيف الله مع قبيلة آل سلمان، وأسرة آل التهامي المتحالفة مع آل ردة من قبيلة آل سلمان.

وخلافاً للعشائر المنتسبة للأشراف التي مر ذكرها، فهناك عشائر ونقائل أخرى قد جاءت من بعض الأماكن من خارج فيفاء ودخلت مع بعض قبائل فيفاء كنقيلة من بني خولي ونقيلة من سحار مع قبيلة آل سلمان، وآل عذابة مع قبيلة آل شراحيل، وآل السلعي من قبيلة الخسافي الذين ذكر الشيخ علي بن قاسم بأنهم يعودون في أصولهم إلى أهل قطابر والذين يقال أنهم من سلالة هاشمية، وبعض العشائر الذين انضموا مع قبيلة آل الحرب بفيفاء وهم أساساً من خارج فيفاء كآل ذياب من بني مالك وآل رمحة من منجد وآل الزغافي من بلغازي، وهناك غير ما ذكرت لبعض النقائل المتحالفة مع قبائل أخرى من فيفاء غير قبائلها الأصلية في فيفاء وذلك معروف ومشاهد.

بل أن هناك نقائل فيفية انتقلت من قبيلتها الأصلية وتحالفت مع قبائل فيفية غير قبيلتهم الأصلية ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

نقيلة من قبيلة آل بلحكم تحالفت مع قبيلة آل عمر وأصبحت لا تنتمي إلا إليها، وهناك نقيلة من آل الثويح تحالفت مع قبيلة آل بلحكم وأصبحت لا تعرف إلا بها، وهناك نقيلة من آل ظلمة يقال لهم آل حيان انتقلوا إلى قبيلة آل الثويح وتحالفوا معها وأصبحوا جزءاً من قبيلة آل الثويح، ويوجد غيرهم سواء أكانوا من النقائل الفيفية التي تحالفت مع قبائل فيفية أخرى أو من النقائل المتحالفة من خارج قبائل فيفاء مع بعض قبائل فيفاء أو بعض النقائل التي هاجرت من فيفاء وتحالفت مع قبائل مجاورة كبلغازي وبني حريص وبني منبه وهروب وهلم جراً. حتى أنه وصل ببعض القبائل أو النقائل التي رحلت من فيفاء إلى قبائل مجاورة أخرى أن تمسك هناك مشيخة

الشمّل كما حصل في منبه وكما هو حاصل في قبائل هروب حالياً حيث أن شيخ شمل قبائلهم ومنذ فترة طويلة ومتسلسلة هو الشيخ سلمان بن محمد الهروبي الذي يعود هو وقبيلته إلى قبيلة آل مخشم الفيفية التي تعود بدورها إلى قبيلة آل شراحيل الفيفية قبل الانفصال عنها والتحالف مع قبائل آل عبيد بفيفاء.

وما أدليت به هنا كان على سبيل المثال وبهدف توضيح عدم صحة ما ذهب إليه المنتقد في نقده السابق وإلا فهناك غيرهم قد فصلتهم في ثنايا كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) بالتفصيل المفيد كما سبق ووضحت لكم، فأين المشكلة أيها المنتقد؟

وبعد كل ما وضحته هنا وهو أصلاً موضح في كتابي فهل أنا أيها القارئ المتابع كما ذكر المنتقد وحاول تمريره من خلال نقده السابق؟ الذي اختصره بقوله: (ويهمنا هنا أن نأخذ فكرة عن أرضية التطبيق للأحلاف بحيث أصبحت القبيلة وعمائرها وهو خطأ سيؤدي لنتائج بعيدة عن الواقع)!!! ويقصد المنتقد بهذه الجملة إنكار ونفي ما ركزت عليه من أن هناك نقائل متحالفة قد دخلت في أساس بعض القبائل بأحلاف.

والذي دلل عليه هنا برأيي الذي أقول فيه بأنه يوجد جزء من قبيلة بني هلال العامرية مع قبيلة آل عبدل الفيفة ولم يذكر لي بقية ما ذكرته واستدللت به حول هذه النقطة مما وضحته لكم بعاليه، وركز فقط على قبيلة بني هلال العامرية التي نفاها بدوره وأكد عبر تساؤله من أن تلك النقيلة أو قولوا كامل قبيلة آل عبدل الفيفية تنتمي لجد يقال له هلال الخولاني، ولكن كما أخبرتكم من قبل، بأنه لا يوجد ما يسمى ببني هلال الخولانية في فيفاء، ولم نسمع بها من قبل ولم ترد في مرجع أو مخطوط أو إثارة من علم، وهي من استنتاج وأوهام المنتقد حيث يرى بل وصرح أن أنساب فيفاء تعود إلى جد يقال له هلال بن هاني بن خولان وليس له مستند ولا دليل ولم يقل بذلك أحد من العالمين قديماً وحديثاً سوى محمد بن مسعود بسبب تشابه مسمى هلال مع مسمى هلال الوارد في قصيدة الشاعر العبدلي يحيى بن محمد - رحمه الله - وإلا لو عاد إلى نسب هلال بن هاني كما وضحته لكم سابقاً لوجد أنه لا يوجد له سوى شرحبيل الأكبر والعلي وحذيفة ووالبة وحبيبا، فدرج ومن نسل شرحبيل قبيلة جماعة المعروفة، وليس له نسل غير هؤلاء وكل ما تخيله الأخ محمد بن مسعود من نسب لأهالي فيفاء أو بعض منهم مرتبط بهذا الجد فهو مجرد وهم لا يقوم على دليل وليس فيه شيء من الصحة، ولعله يراجع نفسه مستقبلاً في هذا النسب.

والى لقاء قريب بإذن الله في الحلقة الخامسة . .

(الجزء الأول من الحلقة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل من الله وتوفيق الجزء الأول من الحلقة الخامسة:

أولاً: قول المنتقد محمد بن مسعود: لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في الجانب التاريخي
لقبائل فيفا مدعماً بالوثائق الخطية والمشجرات ليضع القارئ في مسار لم يعهده في
كل المصنفات السابقة التي بحثت ذات الموضوع. فكان تفوقه جلياً في حشد
المصادر وجلب المستندات. بل هو أول مؤرخ في المنطقة يكشف النقاب عن هذا
الكم الوفير من الوثائق الهامة في تاريخ جبل فيفا وقبائله. وقبل أن نلج إلى الوثائق
دعوني أعرج على نقطة قد تهم الباحث بالدرجة الأولى. فبعد توزيع قبائل فيفا إلى
أصولها الحالية وهي ولد عطا وآل عبيد وآل شراحيل ينقل المؤلف ٨٤ و ٨٥ عن
كبار السن قولهم: بأن قبائل فيفا تعود إلى ثلاثة جدود إخوة وهم عطا بن أحمد وعبيد
بن أحمد ومالك بن أحمد الذي استقر في جبال بني مالك.. والحقيقة إن كبار السن
الذين نقل عنهم هذا القول خلطوا في الأمر وإنما هو خالد بن أحمد من بني مالك
الذي قالوا بأنه الأخ الثالث لعبيد وعطا ولم يقل ممن يعول عليهم النقل الصحيح من
الجانبين غير ذلك.. فليتنبه الباحث لهذه النقطة.

أقول وبالله التوفيق: الحمد لله الذي ساعدني على تتويج هذا الجهد الكبير بتحقيق
الإنجاز الذي لم يسبقني إليه أحد في كل المصنفات السابقة التي بحثت في ذات
الموضوع، وأشكره عز وجل على هذا التوفيق والنجاح، ثم الشكر لمحمد بن مسعود
الذي أقر لي وشهد بهذا التفرد، وهذا أمر حسن منه.

وأما في ما يخص (خالد بن أحمد) فقد جانبه الصواب في هذه النقطة، وهذه إحدى استعجالاته في نقد المعلومة، فقد ذكرت في نفس الباب ص ١٧١ (خالد بن أحمد) ولم أغفل عن هذا الأمر، وكذلك سبق وأن ذكرته في الطبعة السابقة من (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفا) ١٤٢٥ هـ السابقة لهذه الطبعة في صفحة (٥٤) قائلاً عندما تطرقت لمالك بن أحمد: (البعض يقول أن اسم مالك بن أحمد هو خالد بن أحمد وليس مالك). فليتنبه المنتقد لهذه النقطة التي عمي عنها أو حاول إيهام القارئ بعدم

ذكرى لها وأنه صاحب قصب السبق فيها. وستفاجئون في الحلقة التاسعة بأنه قد أقر لي بأنني قد ذكرت خالد بن أحمد دون أن يشعر بذلك وذلك أثناء نقده لمعلومة ما.

ثم يقول الناقد: ولأبدأ ما ألمحت إليه بشأن الوثائق الخطية التي زخرت بها صفحات المجلد الأول من الميساء ، وقبل الاستطراد يجب أن لا - (يقصد المنتقد ألا) - أغفل ما ذكره الباحث في صفحة ١٢٨ حيث يقول (وهناك أمور في هذه المخطوطات لا زالت بحاجة إلى دراسة عميقة كي تتضح بجميع جوانبها وبإذن الله نوفق مستقبلاً في قراءتها بدقة أكبر) ص ١٢٨.

قلت: لن ينال من جهد المؤلف ما قد يظهر للناقد من أخطاء تتفاوت في الوزن سيتلافها الباحث في الطبعات القادمة بإذن الله كما وعد بذلك.

وفيما يلي سرد للملاحظات ونقاط التقصير التي يؤاخذ عليها:

الملاحظة الأولى:

● التعريف بالوثائق.. ولم أقل التوثيق لأن ذلك سيكون عنوان حلقة مستقلة ولكن نجد كل القصاصات الخطية التي نشرها - (يقصد الناقد نشرها) - بوصفها وثائق لم يذكر مضانها سوى قصاصة واحدة ذكر في المتن أنها موجودة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة والباقي جميعها مجهولة المصدر وبلا هوامش أو إحالات تبين أماكن وجودها وهذا لا يخدم العلم والمعرفة الإنسانية بأي حال، والمتعارف عليه بين أرباب الصنعة العزو لأماكن تواجد الوثائق الخطية خصوصاً بعد أن فشى - (يقصد المنتقد فشاً) - تزوير المخطوطات تبعا لقيمتها المادية العالية وذلك من شأنه أن يسد دون الباحث (أي باحث) أبواب الاتهام في الصدق والأمانة والباحث بهذا قد نقض عهداً وتجاهل أهم أدبيات البحث العلمي وضرب به عرض الحائط.

أقول وبالله التوفيق: في الحقيقة أن الناقد قد بالغ في قوله: (كل القصاصات الخطية التي نشرها بوصفها وثائق لم يذكر مضانها سوى قصاصة واحدة ذكر في المتن أنها موجودة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة والباقي جميعها مجهولة المصدر وبلا هوامش أو إحالات تبين أماكن وجودها). أ.هـ.

فلكم تمنيت أن يكون المنتقد أكثر دقة في قوله كأن يقول: (بعض القصاصات الخطية التي نشرها في الكتاب بوصفها وثائق لم يذكر مضانها...) فقد يكون ذلك أقرب للصواب فيما يخص تلك الجزئية من القصاصات، وقد ألتبس العذر للمنتقد لأنه لم يكن يعلم أن هذا النوع من الوثائق التي ذكرتها في الكتاب لا يوجد لها إحالات تبين أماكن وجودها الرسمية، إنما هي عبارة عن مخطوطات في مكاتب خاصة حصلت

عليها بطريقة شخصية وبعد جهد جهيد، وهي مجموعة قواعد متفرقة في حوزة المشايخ من آل المقيت وآل عران وبعض المشايخ في صعدة ونواحيها، ومع ذلك فإنني لم أتجاهل التعريف بها تماماً فقد نسخ بعض تلك الوثائق التي عليها مدار هذا النقد العلامة (الهجري) تحت مسمى (التهجير الجامع لأهل رغافة)، فوثقتها في كتابي (ص ١٢٠) لوجودها في دار علمية لمن أراد الاطلاع عليها وليست محصورة في مكتبات شخصية كتلك الوثائق التي نسخها بخط يده.

ورغم كل ذلك فالناقد محق في هذه الجزئية في حال لو تلافى التعميم على كل القصاصات المخطوطة التي وردت في كتابي وكذلك لو ابتعد عن قوله: (وبالبحث بهذا قد نقض عهداً وتجاهل أهم أدبيات البحث العلمي وضرب به عرض الحائط). فالنقد سيؤخذ به من قبلي بإذن الله ولا داعي لمثل هذه الزيادة.

وبإذن الله في الطبعة القادمة للكتاب إن يسر الله ذلك سأقوم بعزو تلك القصاصات المخطوطة إلى الأشخاص الذين زودوني بها، وإن توفقت في اكتشاف أماكن علمية توجد بها تلك الوثائق فلن أتوانى في توثيقها.

الملاحظة الثانية:

• عدم تفريغ النص.. فترك القصاصات الخطية على حالها دون أن ينقل المحتوى المخطوط للنص الطباعي بل ترك هذه المهمة العويصة للقارئ يتكهنها - (يقصد المنتقد يتكهنها) - ويفك رموزها حسب اجتهاده.. وربما أضاف خطأ تحت العبارة التي يعدها شاهداً وسبباً دعاه للنشر وذلك وحده لا يكفي.

أقول وبالله التوفيق: ليس الأمر على إطلاقه أي أن الأمر لا ينطبق على كل القصاصات الخطية التي نشرتها في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) كما ظهر للناقد؛ فبالنسبة لي فإن القصاصات الخطية نوعان: قصاصات مهمة جداً قمت بتفريغ نصها بالكامل، وهي تلك القصاصات ذات الأحداث التاريخية، فليُنظر على سبيل المثال باب تاريخ فيفاء.

والنوع الثاني قصاصات اكتفيت منها بما يهمني ويهم القارئ منها وأشارت للمعلومة التي تهمنا بوضع خط تحتها كما هو حاصل في القصاصة التي تبين الجد ساهر . . وعلى كل حال لا مانع في طبعات قادمة بإذن الله من قيامي بتفريغ كامل ما ورد من قصاصات خطية لم يتم إفراغها في هذه الطبعة . . وبعد بيان ما يخص الملاحظتين الأولى والثانية فإنني أجدها فرصة لأشكر الناقد محمد بن مسعود الفيافي على هذا التنبيه الطيب الذي سوف آخذ به بإذن الله في طبعات قادمة.

الملاحظة الثالثة:

• عدم التثبت.. بحيث خرج على القارئ بتكهنات خاطئة ونتائج لا تتوافق مع مضامين القصاصات الخطية كما سنلاحظ في قراءته لاسم العلم (شاهر) الذي اعتقده خطأ (ساهر) ومثله (الشيخ محمد بن الحنبي) فكتبه (الحنبي) وقد لا يعلم المتابع أن هذه الجيم هي إحدى لوازم التذحيح التي يسعى إليها المؤلف كما سنرى ولو ركز قليلاً في أسلوب الناسخ وطريقته في الإعجام والإهمال لما قال بذلك فالقصاصة ترد بها قبل الحنبي ست كلمات بها حرف الجيم معجماً (أي منقوطة) وغير مهملة.

أقول وبالله التوفيق: فيما يخص العلم (ساهر) الذي اعتقد محمد بن مسعود أنه (شاهر) فقد جانبه الصواب في هذا الاستنتاج، وليس لطريقة الإعجام أو الإهمال رابط بالموضوع، واسم ساهر في القصاصات الخطية سواءً تلك التي أرفقتها في كتابي أو تلك التي احتفظ بها في مكتبي الخاصة اسم واضح ليس عليه غبار، ولا يحتاج لكل هذه الزوبعة التي أثارها حوله.. فساهر هذا الذي يرى المنتقد أنه شاهر هو جد معروف ومشهور لأحد فرعي قبيلة آل بلحکم الفيفية: (آل ساهر- آل المغوث).

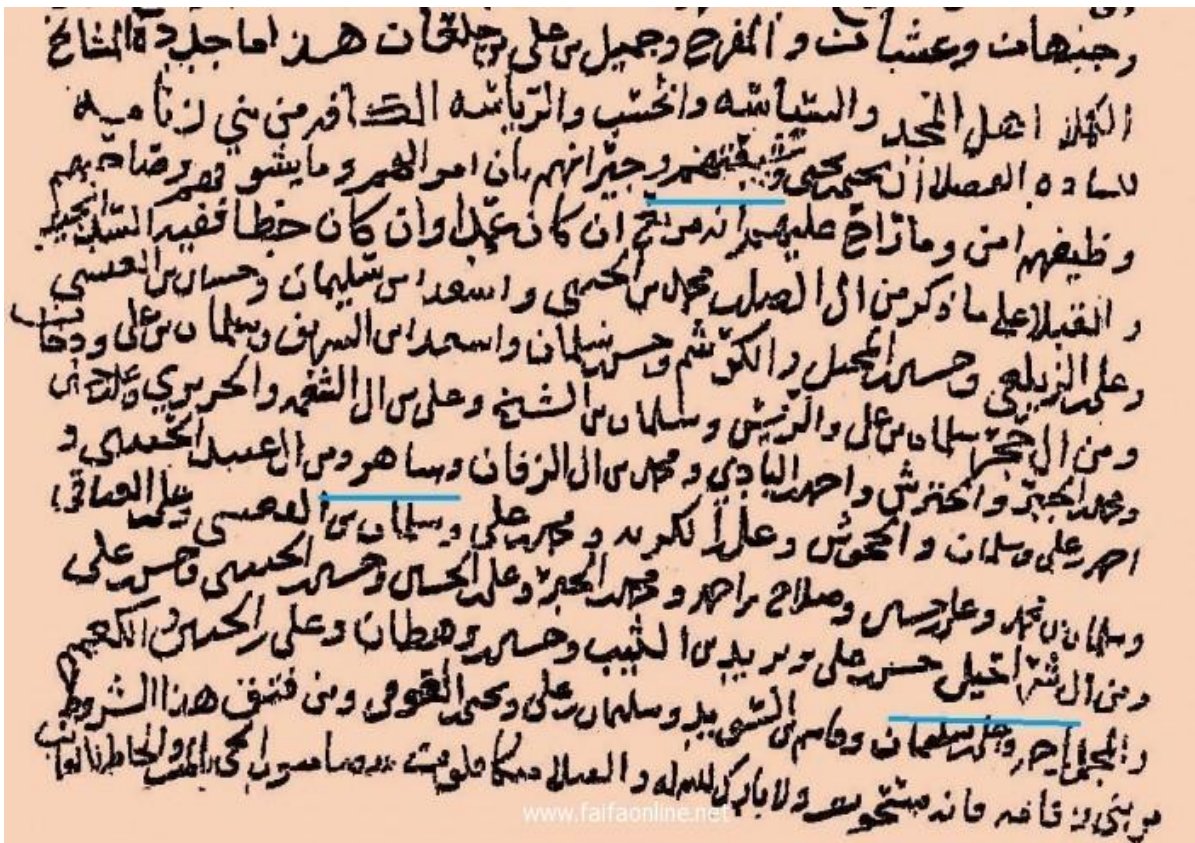
وذكرنا له وإرفاق إحدى القصاصات الخطية التي تثبت وجوده وتثبت فترته الزمنية التي عاشها من حوالي الخمسمئة (عام ٨٩٩هـ) في نهاية القرن التاسع ليست تكهنات خاطئة كما ذكر المنتقد، بل حقائق، ولو كلف المنتقد نفسه بدراسة هذه النقطة الواضحة وهذا النسب الموثق والمعروف الذي يتوافق فيه زمن جدنا السادس عشر (ساهر) مع نفس الزمن الذي ورد ذكره في مخطوط التهجير الجامع ولا لبس فيه لأراحنا وأراح نفسه من كل ما أثاره في هذا النقد ومن ذلك على سبيل المثال:

لو أنه عاد إلى القاعدة الخلدونية وإلى تقسيم علماء الأنساب للأجداد الذين وضعوا لكل جيل ثلاثة أجداد لوجد أن تاريخ جدنا ساهر أحد جدي آل أبي الحكم من آل حجر بفيفا يتوافق تقريباً وبشكل كبير جداً مع نفس التاريخ الذي ورد في الوثيقة ويكاد يكون متطابق تماماً مع نسبي الذي ذكرته في الطبعة الثانية من كتاب (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) ١٤٢٥هـ الصفحة (٤٠) وذلك قبل أن أمتلك هذه الوثائق المخطوطة والذي أكدته في الطبعة الثالثة من هذه الموسوعة في الصفحة (١٠٠) كالتالي: (حسن بن جابر بن قاسم بن جابر بن يحيى بن أسعد بن جبار بن سالم بن حسن بن سليمان بن فرحان بن ساري بن زاهر بن سائر بن قاسم بن ساهر بن أبي الحكم بن حجر بن عطا بن أحمد وأحمد من هاني بن خولان.....الخ).

وإنما اعتمد المنتقد على ما ورد في وثيقة العجري التي نقلها عن بعض نسخ مخطوط التهجير الجامع المتعددة، حيث نقل العجري - رحمه الله - العلم ساهر باسم ساهر وقد تبعه محمد بن مسعود في هذا النقل الخاطئ للاسم.

وكلنا يعلم أن بني حجر في فيفا لا يوجد لديهم علم باسم ساهر البتة، ولم نسمع به من قبل، والمتتبع لمشجرات النسب الخاصة ببني حجر لا يجد إلا الشخصية الشهيرة المعروفة باسم ساهر، ولأن الوثيقة المرفقة في الكتاب قد التبتت على المنتقد فسأزودكم هنا بوثيقة أوضح من تلك الوثيقة التي طرحتها في الكتاب تبين اسم ساهر بكل وضوح .. حيث أنني وبفضل الله أمتلك ثلاث نسخ مختلفة من تلك المخطوطات المعروفة بالتهجير الجامع مختلفة الخط والأسطر والصفحات.

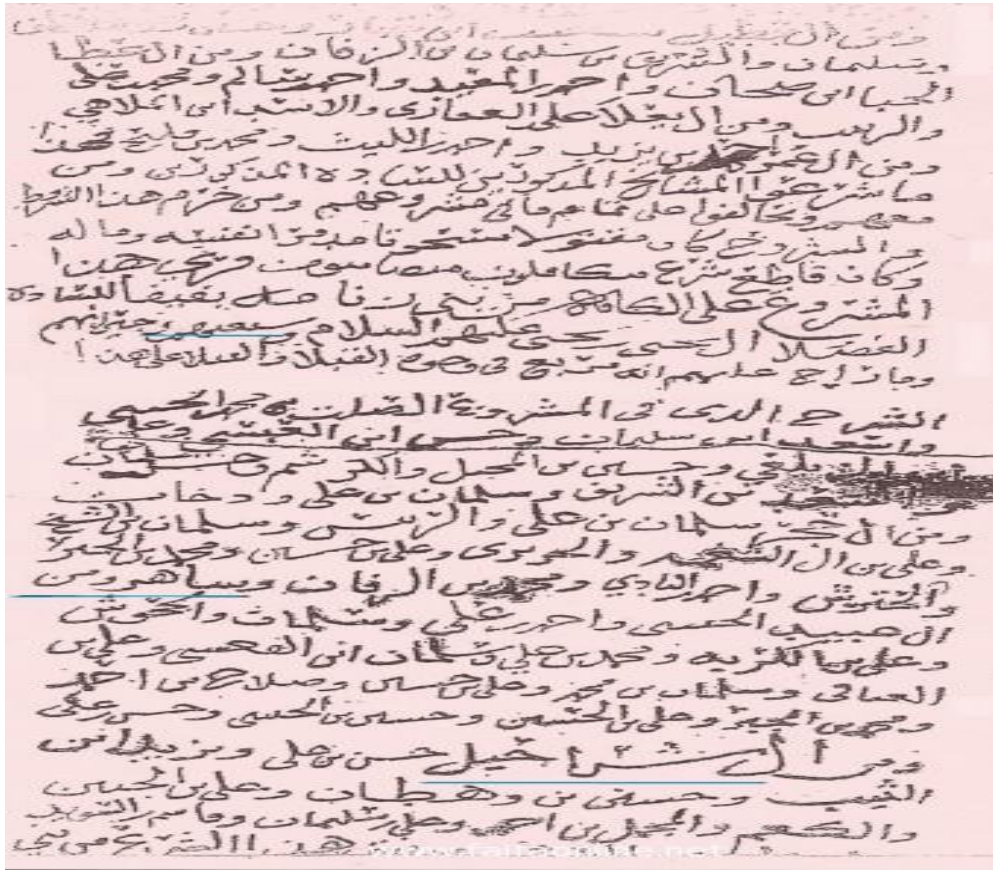
ولكن قبل إرفاقي لتلك القصاصة المخطوطة سأرفق هنا لمن لم يطلع على كتابي ولم يقرأ الوثيقة التي التبس فيها اسم ساهر على المنتقد بحيث ذهب على أنه ساهر وليس ساهر.



وكما تلاحظون فقد وضعت خطأ تحت اسم ساهر ووضعت خطأ آخر تحت اسم شراحيل لأبين لكم عدم التشابه بين حرفي السين في ساهر والشين في اسم شراحيل، وكما تلاحظون فحرف الشين منقوط في اسم (شراحيل) وأما حرف السين في اسم (ساهر) فغير منقوط، والفرق بين الحرفين واضح كل الوضوح كما ترون، ولكن كما ذكرت سابقاً فالمنتقد قد اتبع الهجري في نقله للاسم بمسمى ساهر بدلاً من ساهر

وهذا يحدث كثيراً من النساخ ويسمى (التصحيف)، ولعل محمد بن مسعود قد التبس عليه ذلك الخط الصغير ببروزه المائل الملتصق بحرف السين في اسم ساهر والذي قد يكون ناتج عن رداءة التصوير ونحو ذلك.

وهنا أرفق لكم وثيقة أخرى تبين طريقة الناسخ لها في حرف الشين كما ورد في كلمة شيعتهم وكلمة شراحيل. وتبين كذلك طريقة نسخه لحرف السين كما في كلمة ساهر.



وكما ترون فإننا نلاحظ بكل وضوح اسم ساهر الذي لا لبس فيه ومسمى شراحيل الذي لا لبس فيه والفرق بين الشين المعجمة والسين المهملة.. ولهذا فإن الوثيقة أعلاه واضحة أيضاً كوضوح الشمس في رابعة النهار وبالذات فيما يخص جدنا ساهر.. بل والله العظيم لقد عرضت هذه الوثيقة المخطوطة والوثيقة التي قبلها على أكثر من دكتور مؤلف ولديه خبرة في قراءة الوثائق المخطوطة فأخبروني بأن الاسم ساهر وهو واضح كل الوضوح ولا يحتاج لمثل هذه الزوبعة التي أثارها المنتقد، ولعل المنتقد أو من له اهتمام بالبحث أن يركز على الجد (البادي) الذي ورد في الوثيقة أعلاه فهو وبشكل كبير أحد أجداد قبيلة آل عبدل في تلك الفترة الزمنية التي كان جدنا ساهر أحد مشايخ آل حجر فيها.

وبعد كل ما ذكرته للقارئ من توضيح فليعلم المنتقد محمد بن مسعود أننا أعرف بنسبنا وبجدنا ساهر وبكل ما يحيط به أكثر من أي شخص آخر وأنه لا يعول نهائياً على ما التبس عليه في هذه النقطة.

وأختم هذه النقطة ببيت شعر من باب الدعابة موجهاً للمنتقد محمد بن مسعود الفيفي:

وليس إنكارك لساهر بضائره * * * فيفاء تعرف من أنكرت شهرته

(وأما بالنسبة للشيخ محمد الجنبي أحد مشائخ آل الصلت في تلك الفترة الزمنية (٨٩٩هـ) الذي يرى محمد بن مسعود أنه محمد الحنبي وليس الجنبي فسأرد على هذه الملاحظة التي تخصه في الحلقة الثامنة بإذن الله بهدف عدم تكرار المعلومة هنا وهناك.

وإلى اللقاء في الجزء الثاني من الحلقة الخامسة بإذن الله . .

(الجزء الثاني من الحلقة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل الله وتوفيقه الجزء الثاني من الحلقة الخامسة:

يقول المنتقد محمد بن مسعود:

الملاحظة الرابعة:

● الاستخفاف بالقارئ.. وهذا مزعج جدا بحيث يقرر شيئا وهو متيقن بعدم صحته كما فعل ١٢٢ و ١٢٣ فقد نشر قصاصة خطية في ١٢٢ من سبعة أسطر ورد فيها اسم علم كان والياً على فيفا وبني مالك وأطلق عليها الجزء الأول ثم ينشر في الصفحة التالية ١٢٣ قصاصة هي تكملة للأولى كما يقول.. وهو يعلم إن القصاصة الأولى لا علاقة لها بالقصاصة الثانية بل كتبنا في زمنين مختلفين ومن قبل كاتبين مختلفين أيضاً فالإعلال في القصاصة الأولى الأقرب عهداً لكلمة (تجديد) هو الياء (تجديد) بينما الإعلال لنفس الكلمة في القصاصة الخطية الثانية الأبعد عهداً هو الواو (تجدود) وهذا الإيهام يعد من التدليس ولا محالة.. كذلك القبائل الواردة فيها أقصد القصاصة في ١٢٣ لا علاقة لها بفيفا أو بني مالك وسنعرف ذلك عند طباعة النص في حلقات قادمة.. والاستخفاف بالقارئ لا يمكن تصنيفه في الوهم والنسيان فالرجل قصد ذلك وأصر عليه كما سنلاحظ في الصور المرفقة وفي الحلقات المقبلة بإذن الله.

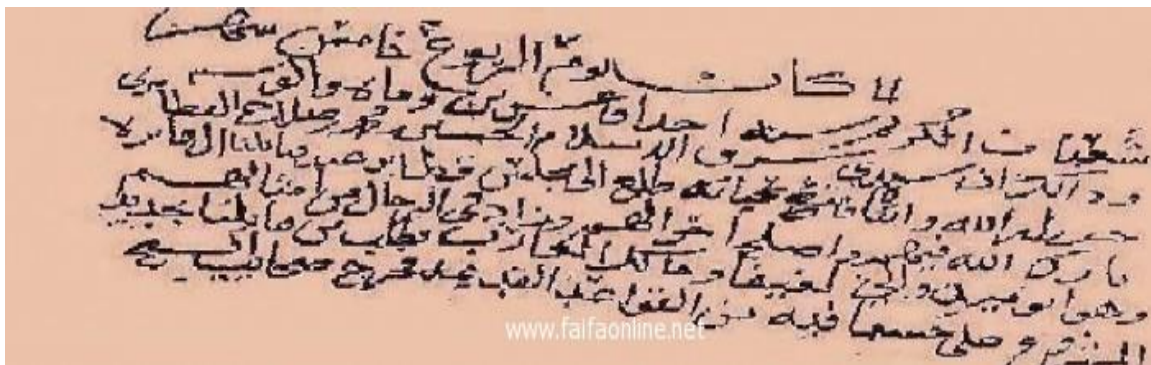
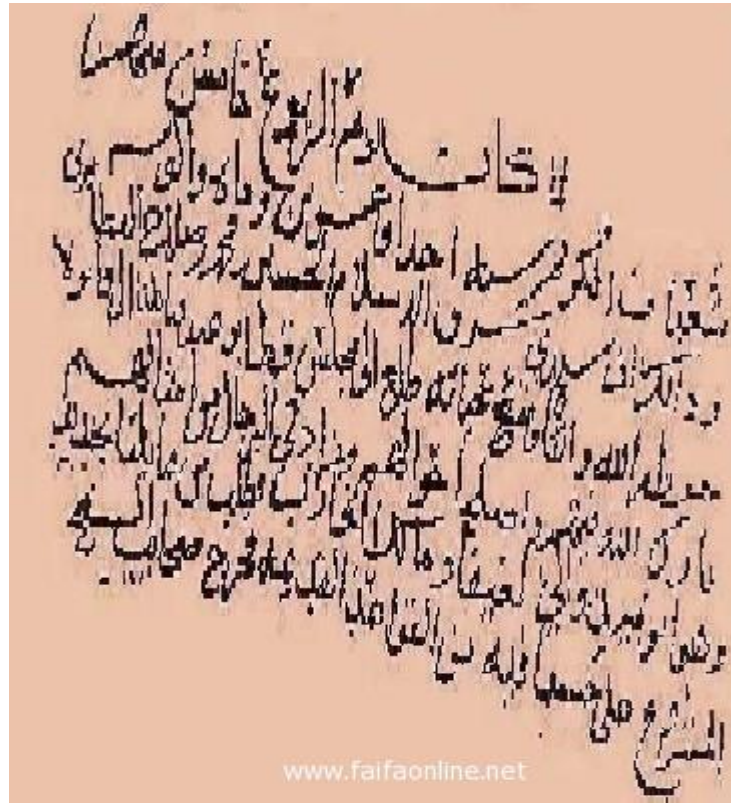
ثم أرفق المنتقد القصاصة الأولى والثانية من الوثيقتين ثم قال: (القصاصة الأولى من ١٢٢ والثانية من ١٢٣ ويتضح الفرق بينهما لاحظ الاعلال في كل منهما كما لاحظ الاسطر وطريقة النسخ ... المؤلف زعم بأن الثانية تكملة للأولى!!).

أقول وبالله التوفيق: معاذ الله أن أستخف بعقلية القارئ أو أن أكون مدلساً وهذه تهمة غير مقبولة منه، وما كنت آمل من المنتقد محمد بن مسعود أن ينزلق هذا الانزلاق المرفوض في ظل عدم قناعته ببعض المعلومات التي وردت في بعض الوريقات من بحثي فيصنفي بالاستخفاف بعقل القارئ والتدليس وغيرها من الصفات التي

سوف تشاهدونها عبر حلقاته وأنا براء منها، وليته اتصل بي وسألني عن بعض هذه المعلومات التي يرى فيها أنني أستخف بعقل القارئ ودلست فيها لكنت والله أزلت عنه حينئذ بعض الغموض الذي يجده وزودته بالنسختين المخطوطتين كاملتين خصوصاً وأنه كان على تواصل معي أثناء بعض الحلقات النقدية.

والمنتقد قد التبست عليه تلك الجزئية حيث أن نسخة القصاصات الثانية تختلف عن نسخة القصاصات الأولى، والسبب في ذلك وكما أخبرتكم بأنني أمتلك من هذه القواعد المعروفة (بالتهجير الجامع) أكثر من نسخة، فوضعت جزء مقصوص من القصاصات الأولى من إحدى النسخ وقمت بتكبير الصورة من هذا الجزء وتمديدها عرضاً عبر برنامج الرسام وبرنامج الورد بما يناسب حجم صفحة الكتاب فتوهم المنتقد بأنني قد دلست على القراء وأنها ذات خط مختلف عن القصاصات الثانية وهذا غير صحيح كما سترون، وكذلك وضعت القصاصات الثانية من نسخة ثانية متوفرة لدي ولم أتوقع أن يثار ضدها كل هذه الزوبعة وتوقعت أن القارئ سيكتفي بتلك القصاصتين ويثق في توثيق المؤلف، ولكن بسبب ما حدث سأرفق لكم هنا كلا الوثيقتين بالشرح المفيد الواضح ليعلم المنتقد والمتلقي أن تهمة التدليس والاستخفاف بعقل القارئ التي أوردها المنتقد غير مقبولة منه ولن أسامحه فيها ما حييت إلا في حال اطلع على ردي هذا واقتنع به واعتذر عبر صحيفة فيفاء أون لاين عن اتهامه لي بالاستخفاف بعقل القارئ والتدليس وإلا فالله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

ركزوا معي جيداً على القصاصات الأولى المأخوذة من وثائق (التهجير الجامع) والتي علق المنتقد على الجزء الذي استقطعت منها وأرفقته في كتابي وسأرفقه بعد هذه الوثيقة مباشرة فستجدون أن موضوع المعاهدة في القصاصات الأولى لا يختلف في هدفه وشروطه عن موضوع القصاصات الثانية حتى ولو اختلف التعبير قليلاً، ومن ثم احكموا هل للقصاصتين علاقة ببعضهما وأنها في زمن واحد وأن موضوعهما متصل ببعضه البعض أم كما ذكر المنتقد والتبس عليه، وسأطلق عليها هنا القصاصات رقم (١).



ما ورد به عليه فهو لقصاصه واحدة استطعنا تغيير شكلها ببعض برامج الحاسب الحالي ثم نختار من تلك الأشكال الشكل الذي نراه مناسباً لحجم صفحة الكتاب وللنقطة المراد توضيحها.

فضلاً ركزوا معي في القصاصه رقم (٢) من نفس وثائق (التهجير الجامع) من النسخة الثانية التي أمتلكها نقلتها هنا كاملة دون قص أو تغيير في مقاسها وحجمها:



وتلك كل الحكاية التي لم يستوعبها المنتقد ولم يُعمل فكره فيها ولم يتواصل معي لأبين له ما غمض عليه قبل أن يطرحه كحلقة نقدية تحسب عليه لا له.

واسمحوا لي أن أزودكم بالمزيد من الفائدة حول بعض النسخ المخطوطة لمخطوط (التهجير الجامع) وبالذات فيما يخص الذي عليه مدار الانتقاد في هذه الحلقة:

١. كلتا القصاصتين هما نسخ خطية متعددة لمخطوط (التهجير الجامع).
٢. كل نسخة من ذلك المخطوط تم نسخها في زمن واحد ولكن الاختلاف هو في الناسخين أنفسهم.
٣. الإعلال المذكور للياء في كلمة (تجديد) والتي وردت في نسخة أخرى هكذا: (تجدود) كان بسبب اختلاف النساخ لمخطوط (التهجير الجامع) واختلاف ثقافتهم في نطق بعض الكلمات وليس بسبب تباعد زمن النسخ.
٤. جميع نسخ مخطوط (التهجير الجامع) تتحدث عن نفس الأحداث ونفس الوقائع والاختلافات فيما بينها تتمحور حول وضوح الخط وذكر بعض التفاصيل كذكر اليوم والسنة والشهر لبعض الأحداث والتي لم تذكر في نسخ أخرى أو لم تكن واضحة للقراءة كالنسخ الأخرى.

٥. الطريقة التي اتبعتها في موضوع القصاصات هو أشبه ما يكون بالاستدلال بمصدر واحد ولكن من عدة طبعات للتوضيح والتنقيح غير أن هذه النسخ لا تحتوي على تاريخ النسخ ولا على اسم الناسخ.

٦. جميع الناسخين للمخطوط قاموا بنسخ المخطوط الأصلي والواضح أنهم يختلفون في قدراتهم عن بعضهم من حيث التمكن من قراءة جميع كلمات المخطوط والتي تصعب على بعض الناسخين قراءتها فنجد كلمات مذكورة في نسخة لم ترد في نسخة أخرى وتأريخ مذكور في نسخة ولم يذكر في نسخة أخرى وهكذا وهذا واضح وجلي من خلال قراءتي لجميع النسخ الموجودة لدي.

٧. لا يوجد ذكر لأسماء الناسخين حتى نعزو كل قصاصة لناسخها فلربما تم نسخ المخطوط من قبل نساخ كثيرين بطلب من صاحب المخطوط نفسه ليكون لديه عدة نسخ من مخطوطه لغرض الإهداء أو لضمان عدم الضياع والتلف أو لأي غرض آخر.

٨. لم أذكر في كتابي أن القصاصة الأخرى هي من نفس نسخة المخطوط ولكن حتماً هي نفس المخطوط ونفس الموضوع ونفس الأحداث والشيء الذي غفلت عن ذكره هو تعدد نسخ المخطوط لأن الهدف كان توضيح ما ورد في المخطوط مستعيناً بأوضح النسخ المصورة لكل موضوع تطرقت له.

٩. التدليس يعني تغيير الحقائق واختلاق الأكاذيب والزعم بأنها حقيقة وهذا الوصف لا ينطبق على ملاحظة المنتقد لا من قريب ولا من بعيد بل إن ادعاء المنتقد وزعمه بتباعد زمن النسخ بين القصاصة الأولى والثانية يوجب الإتيان عليه بدليل قوي وقاطع وأما الاستدلال بكلمتي (تجديد ، وتجود) فهذا استدلال عقيم ولا يؤخذ به ولا زال في عصرنا هذا من ينطق بكلمة (تجود) بدلاً من (تجديد) وخاصة في بعض قبائل صعدة وما جاورها ولا يستطيع أحد تحديد زمن اشتهاار هذه اللفظة لأنها لهجة قديمة ومعروفة ولا زالت موجودة ومتداولة ولا يعلم أحد أي الكلمتين أقدم من الأخرى والمنتقد فتح على نفسه أبواباً لن يستطيع غلقها لأن انتقاده واستدلاله ليس في محله إطلاقاً وعليه إثبات العكس بالأدلة القاطعة أو الاعتذار وخير الكلام ما قل ودل.

وختاماً لهذا اللبس الذي حصل للمنتقد فإنني تمنيت بعد أن قرأت ما كتبه حول هذا اللبس الذي حصل معه أن يتواصل معي قبل أن يطرح هذا الانتقاد وما صاحبه من ألفاظ جارحة لأشرح له الغموض الذي وقع فيه.

وإلى اللقاء في الجزء الثالث من الحلقة الخامسة بمشيئة الله . .

(الجزء الثالث من الحلقة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل الله وتوفيقه الجزء الثالث من الحلقة الخامسة:

يقول الناقد محمد بن مسعود العبدلي الفيقي:

الملاحظة الخامسة:

- الاجتزاء.. بحيث عمد المؤلف إلى تقطيع أوصال الوثائق الخطية فيظهر لك سطر في صفحة ١٢٠ وثلاثة أسطر من نفس الوثيقة في صفحة بعيدة فلا تمسك منه شيئاً وتجد نفسك في عالم زئبقي لا يكاد يستقر.

أقول وبالله التوفيق:

الناقد محق في ذلك فهي تصعب على القارئ العادي وسأعمل جاهداً على تلافي هذه السلبية في الطبعة القادمة بإذن الله.

ثم يقول:

الملاحظة السادسة:

- التجاهل التام للحقائق الجلية.. فقد أدرك الباحث – من خلال تلك الوثائق – بما لا يدع مجالاً للشك أن قبائل فيفا من (الحلقة للميثة) يطلق عليها مجتمعة (بني زنامة) في كل الوثائق التي نشرها لأول مرة وقد يستغرب القارئ كيف تجاهل ذلك ولم يسجل الأسبقية بهذه المعلومة لكنها حُمي التذحيج أعاذنا الله منها هي من أعمت بصيرته عن ذلك.

أقول وبالله التوفيق: قد بينت لكم في الحلقة الثالثة خطأ اعتقاد المنتقد أن حدود فيفا محصورة في تلك المقولة (من الحلقة للميثة)، وأعتذر للقارئ على إعادة تعليقي على المقولة التي يتشدد بها المنتقد فتحيده لجبل فيفا من الحلقة للميثة يعتبر هضماً

لمساحة جبال فيفا فهي أكبر مساحة وامتداداً مما حصرها فيه عبر هذه الجملة غير الدقيقة (من الحلفة للميثة).

ولنا أن نتساءل أين ذهب حقو فيفا والبلاد الواقعة بينه وبين الحلفة مثلاً؟ وهل نفهم من هذا التحديد أن الحقو وما بعده من مواقع تمتد إلى الحلفة وتقدر بالعديد من الكيلو مترات ليست من مواقع جبل فيفا؟

وكذلك حقّ لنا أن نتساءل أين ذهبت بقية مواطن آل شراحيل كجزء جبل المشرق الذي كانت تمتلك جزء منه قبل عام ١٤٠٦ هـ كما بينت سابقاً؟

وأين ذهبت تلك المواقع التي تقع بعد وادي الميثة إلى أن تصل إلى حدود قبائل بني مالك الأبية والتي تعد بالعديد من الكيلومترات؟.

أقول: إن هذه المقولة (من الحلفة للميثة) ليست على إطلاقها، وفيها تحجيم لمساحة لا يستهان بها من فيفا، فعلياً ألا نحصر مساحة فيفا على تلك المقولة الخاطئة، وألا نعتد بها، ويجب تصحيحها وعدم الاعتماد عليها في تحديد مساحة فيفا، وأستغرب من محمد بن مسعود وهو من يدعي المعرفة والاطلاع كيف يصدق مثل هذه المقولة ويستدل بها على حدود ومساحة جبل فيفا وتوابعه!!.

وكان من الواجب عليه أن يقوم بزيارة لسكان الحلفة، وسكان الميثة والوقوف على تلك المواقع بنفسه ومشاهدة الحدود الحقيقية لجبال فيفاء وسهولها للتأكد من تلك المقولة، خصوصاً وهو القائل: (من أراد أن يكتب ويؤرخ ويؤلف عن فيفا فليسال الأدنى من أهلها ينبيه عن حدودها) ولو فعل ذلك وسألهم عن الحدود الحقيقية لجبال فيفا وما يتبعها من سهول وأودية؟ حينها سينبيه القوم بحدود جبال فيفا الحقيقية وستسقط مقولة من (الحلفة للميثة) التي استدل بها على حدود سهول وجبال فيفا، ولأن الشيء بالشيء يذكر فيجب أن نعلم أنه من الخطأ أن نحصر فيفا في الجبل وحده، فالحقيقة أنه يجب علينا أن ننسب الجبل لفيفا لأنه جزء منها، من ضمن أجزاء أخرى كسهول فيفا وأوديتها ونحو ذلك، ولتوضيح الصورة للقارئ فنحن إذا قلنا: جبال اليمن لا يعني أن اليمن كله محصور في الجبال، بل يعني أن الجبال جزء منه فقط. وأما فيما يخص اتهامه لي بقوله:

(لكنها حمى التذحيح أعاذنا الله منها هي من أعمت بصيرته عن ذلك). فقد سبق وبينت لكم وسأبين لكم عبر هذه الحلقة وبعض الحلقات القادمة أن تهمته لي بما أسماه مصطلح (حمى التذحيح) ما هو إلا اتهام باطل هيأه له فكره وأنا براء منه، وقد يكون مصاب (بفوبيا مذحج).

يقول المنتقد: والآن أقول أنا يا مؤلف هذا المقال (١) : لكي يبقـي هذا الباحث البائس على مآقرره من تـذحيـج مـباغت لقـبائل آل الصلت الـيهنوية الخولانية لكي يدافع عن ذلك فيتحتم عليه أن يطعن في صحة تلك الوثائق ويثبت للملأ أنها مجرد أوراق مزورة لا أساس لها من الصحة طالما هي تثبت قطعاً وبلا أدنى شك ودون أي التباس انتساب جميع قبائل فيفا لزنامة بن هلال بن خولان .

نعم يلزم كل عشاق التذحيج أن يطعنوا في صحة هذه الوثائق التي تعد صفة يظل طنينها في إذن كل تذحيجي بنئيس.

أقول وبالله التوفيق: كنت والله أتمنى على المنتقد أن يربأ بنفسه عن بعض التهم والألفاظ التي لا تخدم نقده وكنت أتمنى من المراقبين في صحيفتي فيفا أون لاين وسماء فيفا ألا يسمحوا للمنتقد محمد بن مسعود بطرح مثل هذه الألفاظ التي تسيء إليه قبل أن تسيء لشخص آخر كقوله: (الباحث البائس) (تذحيجي بنئيس) ونحو ذلك من ألفاظ لا تصح وردت في بعض حلقاته التي سماها بالنقدية وكذلك وردت عبر بعض الردود على من تداخلوا معه.

وعودة إلى انتقاده أقول: الوثائق لا يجروأ أحد على الطعن في صحتها وبالذات أنا لأنني أول من آمن بصحتها وأوردها للقراء ولم يسبقني إلى ذلك أحد من العالمين في كتاب يخص جبال فيفا وبلاد فيفا.

ولكن سنرى جميعاً من خلال الأسطر القادمة جواباً لتحليله الخاطيء من أن تلك الوثائق تثبت قطعاً وبلا أدنى شك ودون أي التباس انتساب جميع قبائل فيفا (لزنامة بن هلال بن خولان) كما توهم المنتقد.

فهيا بنا نبدأ لنرى ذلك: من المتعارف عليه لدى كبار السن من أهالي فيفاء بأن قبيلة آل الصلت بفيفا تعود نسباً لعطا بن أحمد والمنتقد والمؤلف يعلمان ذلك جيداً، ولكن الذي ثبت لدي بعد دراستي لآل الصلت وما قمت به من رحلات ميدانية وما وقع بين يدي من وثائق وأخبار بأن قبيلة آل الصلت الفيفية هم وقبيلة آل الصلت المذحجية والتي لها بقايا في منطقة نجران إلى وقتنا الحاضر؛ هم نسباً يعودون إلى الجد (مذحج) كما فصلت ذلك في كتابي ويعودون إلى قبائل فيفا حلفاً.

والمنتقد هنا وفي بعض الحلقات القادمة ينسب آل الصلت بل وقبائل فيفاء قاطبة إلى (زنامة بن هلال بن خولان) وليت أنه نسبهم نسب يؤمن الجميع بصحته وأدلى بدلائل قوية على ذلك مبتعداً عن الاستعراض اللغوي وتتميق الجمل والأسلوب الإنشائي الجذاب للقارئ وشخصنة الأمور المتمثلة في بعض الألفاظ التي أطلعكم عليها والتي لا تخدم النقد في شيء، ولكنه علاوة على ذلك قد أتى بطامة كبرى

عندما نسب آل الصلت إلى جد وهمي ليس له وجود منذ أن خلق الله الأرض حتى وقتنا الحاضر أطلق عليه اسم: (زنامة بن هلال بن خولان) والصحيح أنه لا يوجد في كتب الأنساب شخص بمسمى زنامة بن هلال وكذلك لا يوجد شخص باسم هلال بن خولان، ولم نسمع من قبل بأن لخولان ولد يقال له هلالاً وبهذا فإنه لا يوجد سلسلة نسب كهذا التسلسل الذي ذكره المنتقد.

فزنامة أخ لهلال بن هاني بن خولان وليس ابناً لهلال بن خولان، وهلال هذا ابن لهاني بن خولان وليس أخاً له، وهكذا يشرق بنا محمد بن مسعود ويغرب في جد ليس له وجود إلا في مخيلته، وكل باحث مطلع يعود لكتب الأنساب المخطوطة والمطبوعة لن يجد جداً باسم زنامة بن هلال بن خولان، ولن يجد جداً اسمه هلال بن خولان.

وإنما كما سبق وذكرت لكم في حلقة سابقة فإن (هلال الخولاني) الذي يتشدد به لا يمت لأهالي فيفا بصلة نسب ولا حتى لبعضهم، وليس لهم رابط نسب مباشر معه كما توهم المنتقد في ذلك.

فَنَسَبُ هلال الخولاني والقبائل التي تعود إليه في النسب واضح جلي، وانظروا إلى قول الهمداني في كتابه الإكليل (ص ٢٨٣): " وولد هاني بن خولان: هلالاً وعلياً فولد هلال شرحبيل وجابراً بطن، فولد شرحبيل هلالاً، فولد هلال: شرحبيل الأصغر وجابراً ابني هلال الأصغر، فأولد شرحبيل الأصغر " جماعة " وهي قبيلة عزيزة وهم أهل بوصان من أرض خولان" إلخ.

وفي (ص ٢٨٤) من الكتاب نفسه قال: "وقال بعضهم: أولد هاني هلالاً، فأولد هلال: شرحبيل الأكبر والعلي وحذيفة ووالبة وحبيبا، فدرج".

وفي (ص ٣٠٥) من نفس الكتاب المذكور يقول الهمداني: "وسألت ابن أبي الجعد عن الأزنوم فقال، بنو زنامة من ولد هاني. وبعد حديث لابن أبي الجعد.... قال: أولد هاني بن خولان: هلالاً، وزنامة، وبرقيشاً، وعمرأ، وحفاشاً".

ثم يقول: " فأولد هلال: جماعة، وحذيفة، ومعاصماً، وحبيباً، (هؤلاء هم بني هلال). فأولد جماعة عامراً وناشراً ".... إلخ ما ورد من تفصيل حول نسب هلال بن هاني ونسله . . إذاً هناك شخصية باسم هلال بن هاني بن خولان وهناك شخصية باسم زنامة بن هاني بن خولان وليس هناك شخصية باسم زنامة بن هلال بن خولان وليس هناك شخصية باسم هلال بن خولان، وإنما كان هذا الجد من أوهام المنتقد، وليت أن المنتقد توقف عند هذا الجد ولكنه قد أتى بأجداد آخرين ليس لهم وجود كما سنقرأ في بعض الحلقات القادمة.

ثم يقول المنتقد: (بعد هذا لنعرج قليلاً على بعض القصاصات الخطية المنقولة وفق تسلسلها في الصفحات مع بعض التعليقات التي يقتضيها المقام فأول صورة كانت من صفحة مجهولة من مخطوط الشرفي اللآلئ التي سيقروها لاحقاً ولكن بطريقته الخاصة!! سأطلعكم عليها بالتأكيد ولكن في موضوع الأنساب).

نص القصاصة الخطية ٨٧:

(تنقسم لقبائل متعددة 'هذه بلاد بني مالك' وأما قبائل فيفا فهم آل شراحيل' وآل مغامر' وآل ظلمة' وآل علي بن عمر الجبل' والأيتام الجبل' والأيتام السهل' وآل الحرب السهل؛ وفيها سوق القزعة' وآل الحرب الجبل' ومدر' وهؤلاء تنقسم كل قبيلة منهم إلى قبائل متعددة' وإما أهل حجر الذين عابوا في أجناد الحق فهم آل عبدل بمعنى آل عبدالله وآل الثويح وآل مشنية وآل أبي الحكم). ٨٧

قلت: والقول لمحمد بن مسعود يعلق الباحث قائلاً - (يقصد المنتقد قائلاً): - (جزء من مخطوط الشرفي).

والحق أنها قصاصة من ورقة ضمن مخطوط كبير' مرقم الصفحات ومحفوظ في مكتبة ضمن مخطوطات أخرى في قسم يعرف بالتاريخ يحمل الرقم ٩٠٠ بحسب ترقيم ديوي العشري ولكن الباحث لا يوثق شيئاً ولا يكلف نفسه بتسمية شيء حسب الواقع فتتداخل لديه المسميات وتطير من بين يديه الدقة والمهارة فيشذخ هكذا شذخا كيفما اتفق. والشرفي الكذاب الأرقط يقسم كل قبيلة شطرين وأكذب شيء يمتاره هذا الباحث الجاهل سيأتي من الجرموزي والشرفي كما رأيتم فلا يرد عليه في خرفعاته وتقسيماته البعيدة عن الواقع ولا شيء من ذلك بل يعتكش النص كما تقيأه الشرفي أكرمكم الله ثم ينضحنا به ولا يجرؤ على قراءة النص المخطوط كما هو بل يدلس عندما قرأه مبتوراً؛ من جملة (وهم من عابوا في أجناد الإمام) .. ولو كان يعتقد خلافها لما صور النص وبه هذه العبارة المجحفة في قومه منذ الشرفي الأكذب إلى اليوم.

أقول وبالله التوفيق: نعم استحسننت التعبير الذي يقول فيه الناقد محمد بن مسعود: (قصاصة من ضمن مخطوط كبير) فهي أكثر دقة من قلبي: (جزء من مخطوط الشرفي) أشكر الناقد على هذه الملحوظة التي سوف آخذ بها في كتاباتي القادمة.

أما بخصوص التوثيق لهذا المخطوط الكبير فقد وثقتها كاملة في الجزء الأول من كتابي في باب التاريخ الصفحة (٤٢١) وذكرت من أخذت منهم هذا المخطوط وذكرت أنه يوجد منه نسخة في جامعة الملك سعود، وليس الأمر كما حاول المنتقد أن يوهم القارئ هنا بأنني قد تجاهلت توثيق المخطوط.

وكم كنت أتمنى للمنتقد ألا يستعجل في النقد حتى يقرأ بقية الكتاب، وأن يربأ بنفسه عن بعض الجمل المقيمة التي لا طائل من ورائها كقوله: (فيشدخ شدخاً كيفما اتفق) فهي ومثيلاتها من الجمل التي ينتهج فيها هذا النهج لا تخدم النقد ولا البحث العلمي بل قد توغر الصدور.

وتعالوا نرى مدى تهجم هذا المنتقد على صاحب الموسوعة الميساء والتي تتجلى فيها الشخصية في أقوى معانيها بأوصاف ممجوجة لا يقبلها عاقل حيث قال المنتقد: (الشرفي الكذاب الأرقط يقسم كل قبيلة شطرين وأكذب شيء يمتاره هذا الباحث الجاهل سيأتي من الجرموزي والشرفي كما رأيتم فلا يرد عليه في خرفعاته وتقسيماته البعيدة عن الواقع ولا شيء من ذلك بل يعتكش النص كما تقيأه الشرفي أكرمكم الله ثم ينضحنا به ولا يجرؤ على قراءة النص المخطوط كما هو بل يدلس عندما قرأه مبتورا؛ من جملة (وهم من عابوا في أجناد الإمام) .. ولو كان يعتقد خلافها لما صور النص وبه هذه العبارة المجحفة في قومه منذ الشرفي الأكذب إلى اليوم.

أقول وبالله التوفيق: قبل الرد على انتقاده غير المقبول دعونا نخرج قليلاً على الإمام المؤرخ العلامة أحمد بن محمد الشرفي الذي وصفه المنتقد محمد بن مسعود بالكذاب الأرقط وغيرها من الصفات الممجوجة التي لا يقره عليها عاقل: (ورد في مطلع البدور ومجمع البحور تأليف القاضي العلامة المؤرخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الزجال وغيره من المراجع كالبدور الطالع للعلامة الشوكاني وموسوعة الألقاب اليمنية للمقحفي وغير ذلك من المراجع العديدة كما يلي:

أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي (ولد في عام ٩٧٥ هـ - وتوفي في عام ١٠٥٥ هـ).

وهو: (السيد العالم العابد الزاهد شمس الدين أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن أحمد بن محمد بن القاسم بن يحيى بن الأمير داود بن المترجم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم بن سليمان بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن القاسم الحرازي، نسبة إلى حرازة قرية باليون، بن محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم.

كان خاتم المحققين (في العلوم) فصيحاً بليغاً مُطلعاً، شديد الفهم، له عناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان جليل القدر في صدور العامة والخاصة، وكان من أعيان أصحاب الإمام القاسم، وتولّى له، ثمّ صحب الإمام المؤيد بالله عليه السلام، في أوائل الدعوة المتوكلية، وكان مقصوداً بالنذور وللتبرك والأدعية ولحل المشكلات، وكان من التقشف والورع في مكان عظيم رحمة الله. (مع تحفظي على قولهم: مقصوداً بالنذور وللتبرك والأدعية).

لم يزل منتقلاً من هجرة إلى هجرة للقراءة حتى أدرك علوم الاجتهاد، فاستفاد وأفاد، ومن جملة مشايخه الإمام القاسم بن محمد وله تلامذة جهابذة أجلاء.

وكان هذا السيد عالماً، عابداً، زاهداً، خاتمة المحققين في العلوم، فصيحاً، بليغاً، مطلعاً، ذكياً، جليل المقدار في صدور العامة والخاصة، وقال غيره: جمع بين الجهاد والاجتهاد، والهجرة والفرار بدينه أيام الفترة عن دار الفساد، وكان يلحق في علمه وعمله وورعه وكرمه وفضله من سبق من قدماء آل البيت، وشهرته في المعالي تغني عن شرح حاله، قرأ فنون العلم وقت الفترات منتقلاً من هجرة إلى هجرة، ولم يزل مواظباً على الفتيا والتدريس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى توفي، أحد أعلام الفكر الإسلامي، عالم، مجتهد، محقق، أصولي، شاعر، أديب، مجاهد، عكف على التدريس، والتأليف، ونشر العلم، وأخباره كثيرة لا تستوعبها مثل هذه العجالة.

صنف في أصول الدين (شرح الأساس الكبير). و(شرحه الصغير)، و(شرح الأزهار) بشرح سماه (ضياء الأبصار) وله رسائل كثيرة، و(شرح البسامة بشرح متوسط) في أربع مجلدات كبار، و (شفاء صدور الناس في معاني الأساس) و(الشرح الكبير على الأساس في علم أصول الدين للإمام القاسم بن محمد)، وهو كتاب شهير وفير النسخ في المكتبات العامة والخاصة، منه نسخة في الأوقاف جامع صنعاء يقع في مجلدين و(عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس)، و(ضياء ذوي الأبصار في الكشف على أدلة الأزهار)، و(اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية) انتهى فيه إلى سنة - ١٠٥٣ هـ، و(ذيل البسامة)، و(شرح المطالب السنية والاعتقادات الإلهية)، وبعض الكتب الأخرى ومنها كتاب في الطب.

وله أشعار ومن ذلك ما كتبه إلى صنوه السيد العلامة التقي الرئيس الحسن بن محمد الشرفي.

من الطويل التي يقول في مطلعها:

أيا صاحُ كم بين امرئٍ ذي شهامةٍ * * * له هممٌ تعلو على الكوكبِ العَالِي

إلى آخر ما ورد في هذه القصيدة.

ومن شعره رحمه الله تعالى تمام البسامة قصيدة السيد الإمام صارم الدين، وذلك بدعوة الإمام القاسم وولده المؤيد بالله {من البسيط}:

يقول في مطلعها:

ثم ابتدئت دعوة الغراء من قمر * * * إمامنا القاسم المنصور في صفر

من قام لله لا يلوي على أحد * * * وباع مهجته من ربه فـبرى

إلى أن يقول:

فسل سيفاً على الأتراك قاطبة * * * وصب عزمًا على الفجار كالقدر

إلى آخر ما ورد في القصيدة.

وله بعض الأشعار الأخرى.

وكانت وفاته رحمه الله وغفر له في ثلث الليل الأخير من ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة عام خمس وخمسين وألف بمعمرة من جبل هنوم، وقبره مشهور مزور.

هذا هو الشرفي الذي شهدوا له هؤلاء العلماء قديماً وحديثاً، وهذا هو العلامة المؤرخ الشرفي الذي نقل عنه الشيخ علي بن قاسم الفيافي في كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم)، وأقره على معلوماته وأخباره ولم ينكر عليه، وهذا هو الشرفي الذي استدلت بكتابات ومخطوطاته في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) ببعض ما يهمننا من أخبار فيفاء ورددت عليه فيما أراه لا يصح أو قد زل فيه الشرفي بأسلوب علمي مهذب.

فقارن أيها القارئ الكريم بين شهادة هؤلاء العلماء الأفاضل للعلامة أحمد بن محمد الشرفي - رحمه الله وغفر له - وبين تهجم المنتقد محمد بن مسعود على هذا العلامة ببعض الألفاظ التي لا تليق ولا تصح مثل: وصفه له بالاستهبال، ووصفه بالكذاب الأرقط - خرفعاته - كما تقيأه الشرفي أكرمكم الله - الشرفي الأكذب - وصفه بعدم النزاهة وعدم تحرزه عن الكذب والطلسة والتدليس - اتهمه والجرموزي في مسخ مسميات القبائل.

كل ذلك في محاولة منه لإسقاطه وهز صورته أما القارئ المتابع لحلقاته التي أسماها بقراءات نقدية، وبالتالي سقوط جميع الكتابات التي كتبها ذلك العلامة المؤرخ وبالذات فيما يخص ما أثرنا به من معلومات عن بلاد فيفاء وجبل فيفاء.

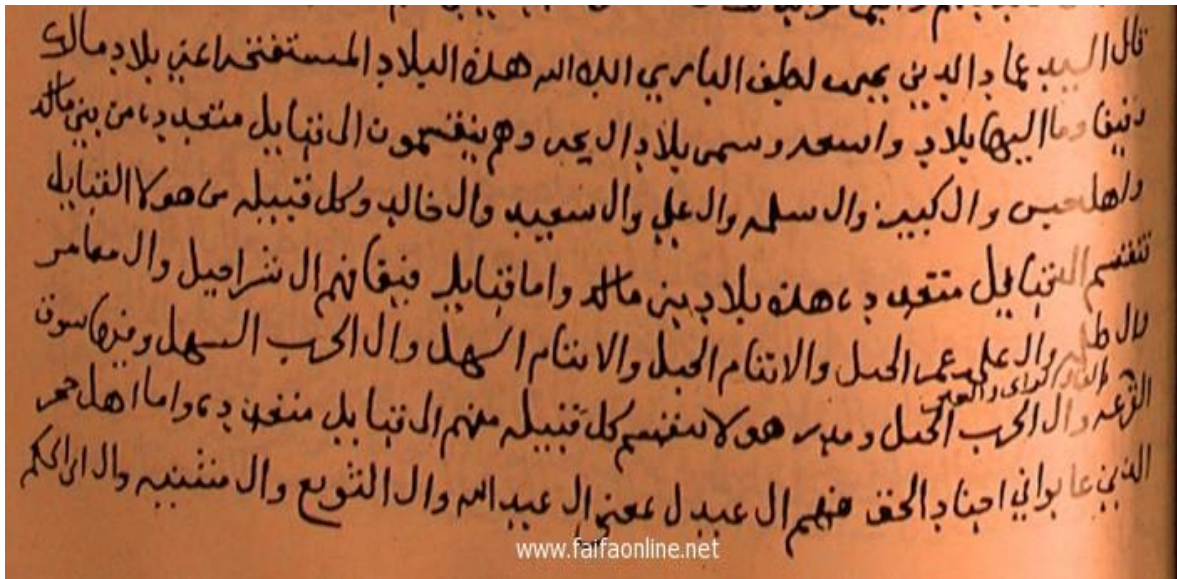
ثم يقول المنتقد عني وهذا (الباحث الجاهل) بينما في الحلقة الأولى يقول عني: باحث مجتهد وفي الحلقة الأخيرة يصفني: بالمؤرخ القدير فهل هناك تناقض أكثر من هذا؟!!!

وهل يدخل هذا في باب النقد أم في باب الشخصنة وإيغار الصدور؟! وليت شعري هل لدى هذا المنتقد تصور ثابت عني أم أنه يصنفي حسب حالته المزاجية من انشراح أو غضب.

وعودة للشرفي يقول المنتقد: (والشرفي الكذاب الأرقط يقسم كل قبيلة شطرين وأكذب شيء يمتاره هذا الباحث الجاهل سيأتي من الجرموزي والشرفي كما رأيتم فلا يرد عليه في خرفعاته وتقسيماته البعيدة عن الواقع ولا شيء من ذلك بل يعتكش النص كما تقيأه الشرفي أكرمكم الله ثم ينضحنا به ولا يجرؤ على قراءة النص المخطوط كما هو بل يدلس عندما قرأه مبتوراً؛ من جملة (وهم من عابوا في أجناد الإمام) . . ولو كان يعتقد خلافها لما صور النص وبه هذه العبارة المجحفة في قومه منذ الشرفي الأكذب إلى اليوم.

أقول وبالله التوفيق: قد رأينا ما يخص الشرفي والجرموزي من تعاريف منصفة من أهل العلم والعلماء المنصفين لهما فلا داعي للتكرار هنا في تعاريفهما.

أما بخصوص تقسيم الشرفي بعض قبائل فيفا لقبيلتين فهو الواقع والمشاهد والمعروف ولا زال لذلك أثر حتى الآن، وأستغرب من المنتقد إنكاره على الشرفي والجرموزي تقسيماتهما لقبائل فيفا قبل ٤٠٠ عام (أربعة قرون) حين قالاً: " وأما قبائل فيفا فهم آل شراحيل' وآل مغامر' وآل ظلمة' وآل علي بن عمر الجبل' والأيتام الجبل' والأيتام السهل' وآل الحرب السهل؛ وفيها سوق القزعة' وآل الحرب الجبل' ومدر' وهؤلاء تنقسم كل قبيلة منهم إلى قبائل متعددة ."



القصاصه التي عليها مدار هذا الانتقاد مأخوذة من مخطوط الشرفي اللآلى المضية.

أقول وبالله التوفيق: لنبدأ بقول الشرفي (”وهؤلاء تنقسم كل قبيلة منهم إلى قبائل متعددة“). ولنبدأ بآل المغامر أليسوا ينقسمون إلى قبائل متعددة حتى وقتنا الحاضر؟

ثم أليس هناك ما يعرف إلى عهد قريب بآل علي بن عمر الجبل وهم: (العمريون)؟ ثم أليس هناك ما يعرف إلى عهد قريب بآل علي بن عمر السهل وهم: (الدفيرون)؟ أهل الدفرة.

ألم يذكر الشيخ علي بن قاسم حفظه الله في كتابه الموسوم (فيفاء بين الأمس واليوم) وفي بعض كتاباته الأخرى في الصفحة (٢٨١) من كتابه أنف الذكر ما يلي: (قبيلة آل علي بن عمر . . . وكان يطلق عليهم عمر الجبل).

وفي الصفحة (٢٧٩) من نفس الكتاب قال: (أهل الدفرة . . . وكان يطلق عليها عمر السهل).

ألم يذكر الشيخ حفظه الله في نفس الكتاب الصفحة (٣٣٦) ما يلي: (جبل وسهل آل الحرب). وذلك يعني حرب الجبل وحرب السهل.

وكل ما ذكره الشيخ علي بن قاسم كان نقلاً عن أدركهم من كبار السن ومما عاصره بنفسه.

وبعد كل هذا، هل في تقسيمات الشرفي لقبائل فيفاء قبل ٤٠٠ عام التي ورد ذكرها في القصاصه السابقة ما هو مخالف لتقسيمات قبائلنا في الوقت الحاضر المعروفة للقاصي والداني؟

وهل هناك وجه للنقد أو الانتقاد من المنتقد محمد بن مسعود فيما يخص تقسيم قبائل فيفاء من قبل العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي قبل أربعة قرون مضت؟ أضع الأمر بين يدي القارئ المتابع.

وإلى اللقاء قريباً بإذن الله في الجزء الرابع من الحلقة الخامسة . .

(الجزء الرابع من الحلقة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

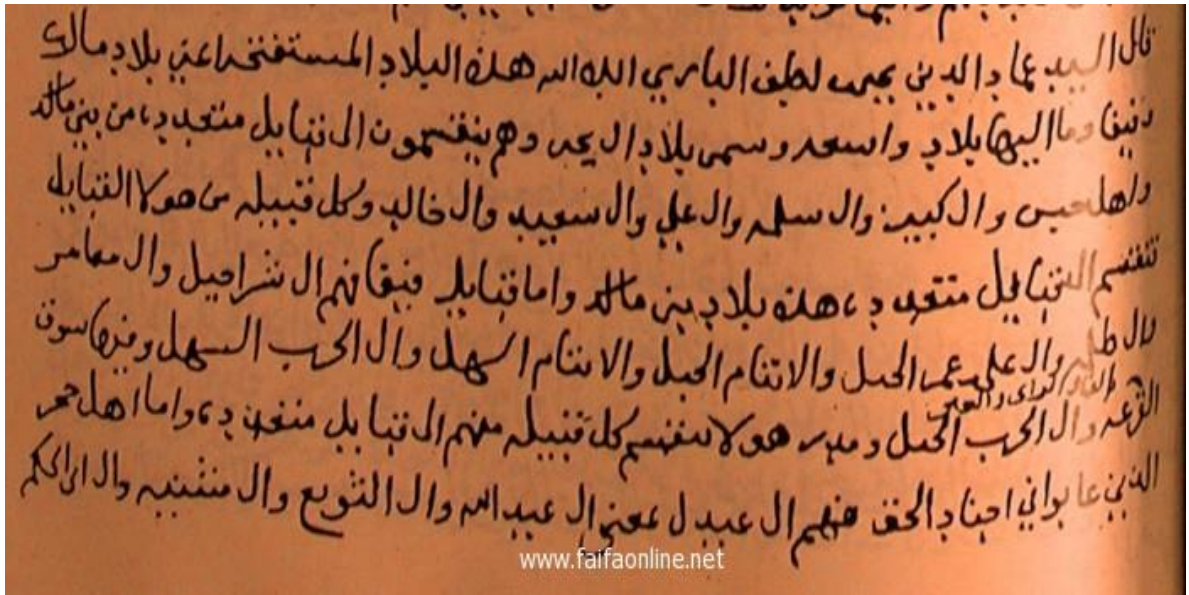
وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل وتوفيق من الله الجزء الرابع من الحلقة الخامسة:

يقول المنتقد محمد بن مسعود في كلام ممجوج مقرز ليته تجنبه فليس منه فائدة بل قد يسيء إليه قبل أن يسيء لشخص آخر، وليس بينه وبين النقد الهادف البناء أي رابط: (بل يعتكش النص كما تقيأ الشرفي أكرمكم الله ثم ينضحنا به ولا يجرؤ على قراءة النص المخطوط كما هو بل يدلس عندما قرأه مبتورا؛ من جملة (وهم من عابوا في أجناد الإمام) .. ولو كان يعتقد خلافها لما صور النص وبه هذه العبارة المجحفة في قومه منذ الشرفي الأكذب إلى اليوم).

أقول وبالله التوفيق:

يقصد المنتقد هذه القصاصة التي وضعتها في كتابي لتوضيح القبائل الفيفية في عهد العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي - رحمه الله - عام ١٠٣٥ هـ.



والمنتقد هنا لم ينصفني وأوهم القارئ بأنني قد بترت النص لأهداف سيئة منها:

مناصرتي للمؤرخ الأديب الشرفي وإقراره بما أورده من عبارة مجحفة بحق قومي، ولست كذلك والله ولن أكون كذلك ما حييت، إنما استعجال المنتقد لانتقادي ونظرته غير المنصفة تجاهي وشخصنة الأمور بيننا واتهامي بما هيأه له فكره المتعجل أوقعه في ذلك، وإلا لو أكمل القراءة حتى ينهي القراءة للصفحات (٤٢١) حتى نهاية الصفحة (٤٣٦) لوجد أنه قد تعجل في توجيه مثل هذه الجمل المقززة لي (بل يعتكش النص كما تقيأه الشرفي أكرمكم الله ثم ينضحنا به ولا يجرؤ على قراءة النص المخطوط كما هو بل يدلس عندما قرأه مبتوراً..... إلخ). والتي لا تمت للنقد الهادف البناء بصلة، وأنصحكم بقراءتها بتأني وسترون صدق كلامي في كل حرف كتبته وستشعرون بمدى فداحة ما اتهمني به محمد بن مسعود وما كونه ضدي من فكرة سيئة ونظرة غير صائبة.

فمثلاً في هامش الصفحة (٤٢٧) من كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) علقت على قول الشرفي: (فحمل عليهم جنود الحق) ورددت عليه بأسلوب علمي منصف بعيداً عن السب والشتم والتقص منه قائلاً:

(سبحان الله يرون أنهم على حق . . وهذه الجملة تواجهك في جميع المخطوطات والمراجع التي تتطرق إلى غزوات أئمة اليمن للقبائل أو البلدان المجاورة لليمن).

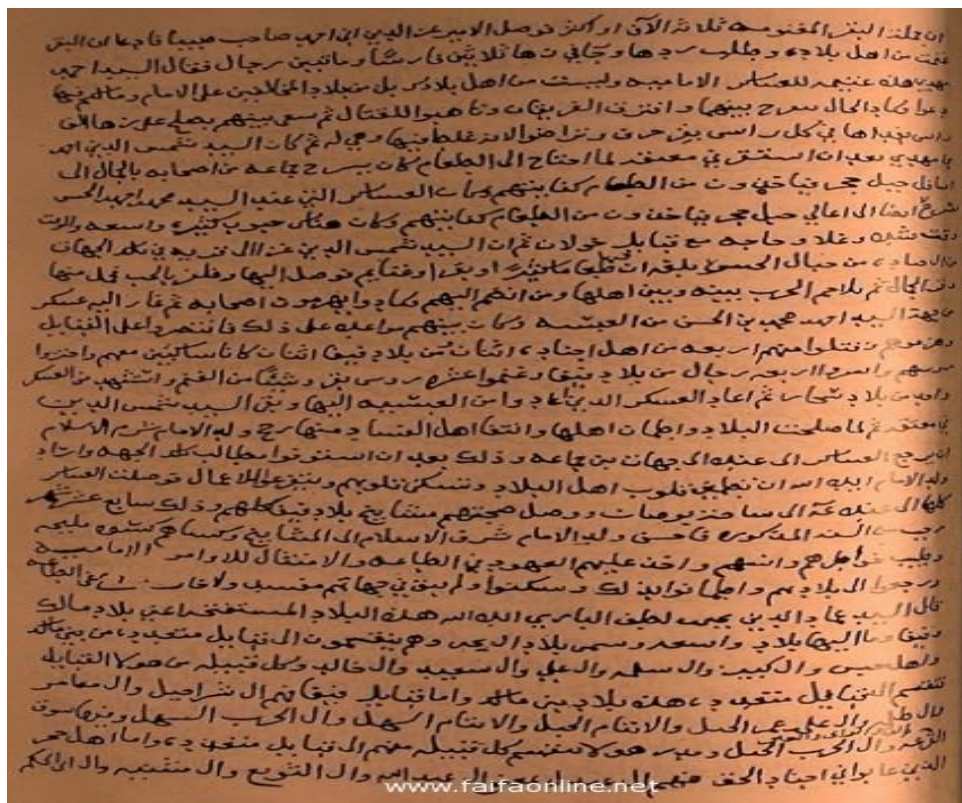
وفي هامش الصفحة (٤٣٠) رددت على الشرفي قائلاً عندما ذكر جملة (فلم ينل العدو منه شيئاً) ويقصد بالعدو أهالي فيفا: (عجبي منك يا شرفي أنتم من هاجمنا في ديارنا، وقتلنا وأحرق بيوتنا، وأخذ أنعامنا، وأتلف ممتلكاتنا ونحن آمنون مطمئنون في بلادنا؛ فكيف نصبح عدو؟ ومن هو الأجدر بأن يطلق عليه لقب عدو؟ كيف يتأتى لك وللجرموزي أن تمتدح الإمام اليمني وجنوده بهذا الفعل؟ حيث غزوا أناساً مسالمين آمنين، ففرقوهم بعد اجتماع، وشنتوهم بعد استقرار، وأخذوا أموالهم وأنعامهم، عجيب منكما هذا السياق للغزوة المعجب بها المرتاح لمجرياتهما، ولا نقول: إلا رحمكما الله).

وكذلك قولي: (وهذا مما يزيد الطين بلة، فإن اجتزاز رؤوس القتلى عارٌ وخزي كبيران في عرف القبائل المتحاربة آنذاك، وإذا كنا نلتمس العذر لبعض القبائل الهمجية فكيف لنا أن نعطي العذر لجنود الإمام وقادتهم الذين يتشبثون بنشر الفضيحة والمبادئ السامية).

وانظروا للصفحة (٤٣٨) التي دافعت فيها عن بعض النقاط الشبيهة لما ذكرته آنفاً والتي ذكرها العلامة المؤرخ الشرفي والعلامة المؤرخ الجرموزي عند وصفهم للغزوة التاريخية عام ١٠٣٥ هـ .

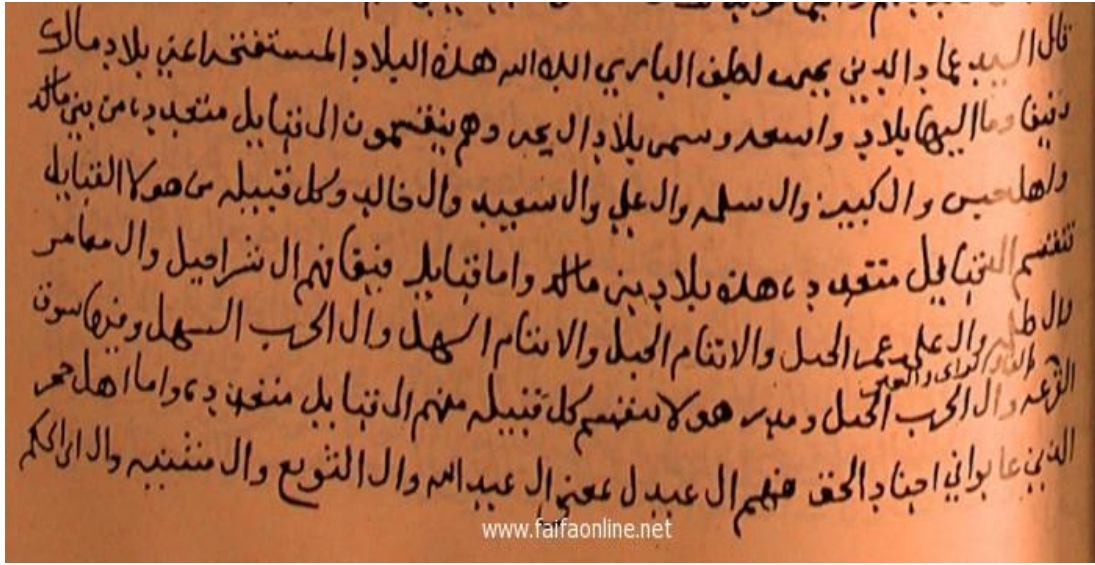
وبعد كل هذا، هل أنا كما ورد بالنص وبالحرف الواحد من محمد بن مسعود حيث قال عني: (بل يعتكش النص كما تقيأه الشرفي أكرمكم الله ثم ينضحنا به ولا يجرؤ على قراءة النص المخطوط كما هو بل يدلس عندما قرأه مبتوراً؛ من جملة (وهم من عابوا في أجناد الإمام) .. ولو كان يعتقد خلافها لما صور النص وبه هذه العبارة المجحفة في قومه منذ الشرفي الأكذب إلى اليوم).

وهنا أرفق لكم الوثيقة المخطوطة وهي واحدة من مجموعة وثائق مخطوطة متسلسلة ذكرتها في كتابي باب التاريخ من الصفحة (٤٢١) إلى الصفحة (٤٣٦) والتي اجتزأت منها ما يخص التعريف بقبائل فيفا وأرفقتها في الكتاب كما ستلاحظون في الصورة التي تأتي بعد هذه الصورة المخطوطة، وهذا قد تعدد تجاهله المنتقد!!!



صورة لكامل الوثيقة المخطوطة الموجودة في كتابي مع بقية الوثائق المخطوطة التي وضعتها متسلسلة وكاملة في باب تاريخ فيفا من الصفحة (٤٢١) إلى الصفحة (٤٣٦) عدد (٩) وثائق نقلتها كاملة من الألف للياء فيما يخص أخبار فيفا.

وأدناه الجزء المقصوص من الوثيقة أعلاه الذي وضعته في باب أنساب وقبائل فيفا لتوضيح تقسيمة قبائل فيفا في عام ١٠٣٥ هـ



وبعد كل ما أوردته ووثقته هنا وهو موجود وموثق أصلاً في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) الذي حاول المنتقد طمسه، هل حقاً أنني قرأت النص مبتوراً ودلست كما اتهمني بذلك؟

أم أوردت ما يخص تلك المعلومة لأنني أتحدث عن تلك الجزئية الخاصة بالقبائل ولا داعي لإيراد كامل الوثيقة المخطوطة لأنها مرفقة بالكامل دون اجتراء كما أريتكم في باب التاريخ من الصفحة (٤٢١) إلى الصفحة (٤٣٦).

هل حقاً أنني بتلك الصفة التي اتهمني بها وحاول إلصاقها بي وهي: التدليس (مدلس) التي وردت في تلك الجملة المقرزة التي لا تخدم النقد العلمي بل تعمل على إيغار صدور القراء عليّ؟

وأخيراً فيما يخص هذه النقطة وبعد أن رأيتم ما تجاهله من كتابة أدافع بها عن أهل فيفا هل ترونه كان صائباً في نقده أم هناك خطب ما؟

وإلى اللقاء بمشيئة الله وتوفيقه في الجزء الخامس من الحلقة الخامسة .

(الجزء الخامس من الحلقة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل الله وتوفيقه ومنه وكرمه الجزء الخامس من الحلقة الخامسة:

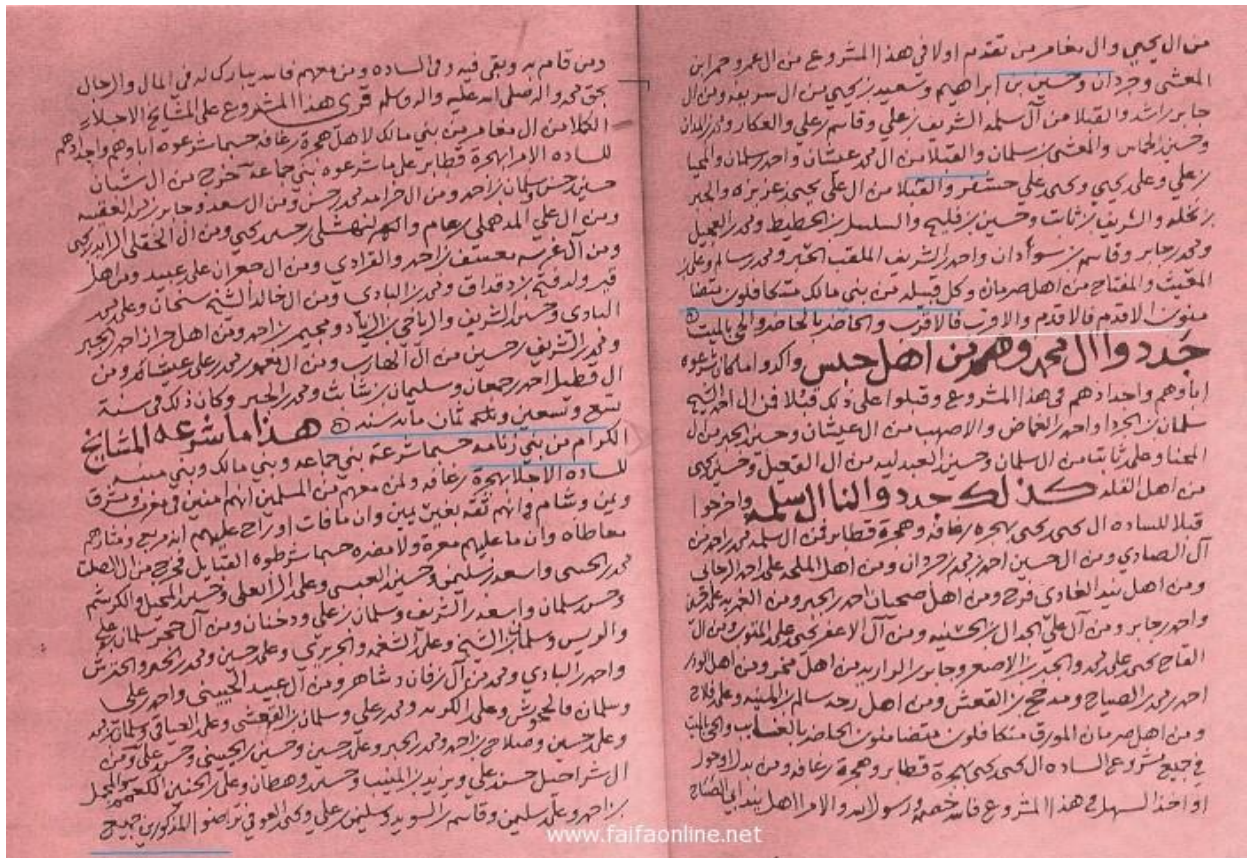
يقول المنتقد: ثم تأمل قوله هنا: (يقصدني) . . (وفي المخطوط أدناه (سيرد في الحلقة المقبلة) والمؤرخ ما قبل الألف الهجري نرى كل من عطا والحجر والصلت كل على حدة أي لم يكونوا قد تحالفوا تحت حلف ولد عطا الذي سنتطرق إليه لاحقاً فقد كانت قبيلة عطا في تلك الفترة الخاصة بالمعاهدة لازالت من قبائل بني مالك كما يظهر في جزء من المخطوط أدناه ((((وأما قبائل فيفا الرئيسة في تلك الفترة فهم بنو زنامة وآل الصلت وآل حجر وآل عبيد وآل شراحيل ((((٨٧ .

قلت: (والقول للمنتقد محمد بن مسعود) وجد آل المغامر في بني مالك وأحضرهم ووجد آل عطا واقتبسهم وهي أسماء مشابهة وما زالوا حيث هم ولا دليل على انتقالهم فيفا ولا برهان له على ذلك حتى تبحر سفينة نوح مرة أخرى.. من أين لك أيها الباحث أن مغامر الذي بفيفا هو قسم من مغامر بني مالك؟ ولادليل.. والحكاية تشابه أسماء وآل عطا في بني مالك غير ولد عطا في فيفا فرق بين (آل) و(ولد)... متى حدث هذا الانتقال؟ ما أسبابه ودواعيه؟ كيف تحول الاسم من آل عطا إلى ولد عطا؟ ولا جواب!! لا دليل..

أقول وبالله التوفيق:

اسمحوا لي أن أخذكم في رحلة سهلة مع المخطوطات ومع أقوال كبار السن في فيفا وفي بني مالك المجاورة التي تدعم قناعاتي واستنتاجي لما انتقده المنتقد في الفقرة الماضية:





ركزوا معي جيداً في هذه الوثيقة المخطوطة المسماة بـ (التهجير الجامع لأهل رغافة) والتي يوجد منه نسخة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

هذه المعاهدة بين أشراف قطابر ورغافة وبين قبائل بني مالك وقبائل فيفا كانت في عام (٨٨٩هـ) هجري، أي في نهاية القرن التاسع الهجري، وكلنا يرى في هذه المعاهدة بكل وضوح تام قبيلة آل المغامر التي وضعت تحتها خطأ باللون السماوي وهي من القبائل المعاهدة مع بقية أخواتها من قبائل بني مالك كآل يحيى وغيرهم، ثم ركزوا معي على بقية المخطوط الذي تطرق لقبائل فيفا المعاهدة في تلك الفترة الزمنية (٨٨٩هـ) وهي كالتالي: (بنو زنامة وآل الصلت وآل حجر وآل عبيد وآل سراحيل).

وهنا لا يوجد ذكر لآل المغامر على أنها من قبائل فيفا ولكن يوجد ذكر لآل عبيد.

ركزوا معي في الوثيقة المخطوطة التالية إحدى نسخ (التهجير الجامع) التي أمتلكها بفضل الله:

آل المغامر وعلم سلمان ابن احمد من آل بيسان وعلى
 ابن المثنى ومن آل خضراجه جابر ابن ال شعيد وعمر ابن
 صر باد ومن آل علي بن زيد والسهبي من آل مازبه ومحمد
 ابن الحقل ومن آل قير ثابت ابن علي ومحمد بن يحيى سلمان و
 سلمان والدماني والسهبي احمد الثواب من آل خالد واحمد
 المثنى والدعود وحسن سلمان بن الكشي ومن آل
 قلانت علي بن الشغل ومسيعود بن بخل ومن آل بشوي
 ابن الثواب وحسن بن الزبيدي والهازب واحمد الشغفة
 ومن آل قطيل سعيد ابن خبار وحسن بن يحيى والمخلاف
 وسلمان والشرقي سلمان بن الزقان ومن آل عطا
 الحسين بن صبحان واحمد المقييد واحمد بن سالم ومحمد بن
 والرهيب ومن آل بخل علي العزازي والاسدي ابن الملاهي
 ومن آل عمر بن زيد واحمد الليث ومحمد بن وليح فهد
 ما شرفوا المشايخ المذكورين للسياحة المذكورين ومن
 معهم ونخالقوا على تمام ما في قسروهم ومن خرم هذه الشرا
 والمشر ونح كان مفتولا مستحقا مبدرا لنفسه وما له
 وكان قاطع شرع مكاملون متضامنون وشي هذا
 المشر وع على الكافة من بني زنا ملة بغير الشادة
 الفضل لا الحي حتى عليهم السلام بن سعيدهم وحيثهم
 وما زادهم عليهم انه مذبذب في وجه القبلا والقبلا على هذا
 الشرح الذي في المشروعة الصلوات من محمد الحسني

ركزوا معي لو تكرمتم في الوثيقة تجدون أن هذه المعاهدة الخاصة ببعض قبائل بني مالك المجاورة وبين الأشراف من أهل قطابر ورغافة تذكر قبيلة تسمى آل عطا، والمعاهدة تمت فيما قبل الألف الهجري.

إذاً كما تلاحظون في الوثيقتين السابقتين وجود قبيلتان من قبائل بني مالك في تلك الفترة الزمنية المؤرخة ما قبل الألف الهجري وهما: (آل المغامر – آل عطا).

ولذلك ركزوا معي في الوثيقة التالية المقصودة من مخطوط اللآلئ المضيئة للعلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي التي أرفقتها في باب التاريخ كاملة والتي تتحدث عن أحداث عام (١٠٣٥) هجري:

قال اليبعد عما الديني بحمد لطف الباربي الله الله هذه البلاد المستغنى عنها بلاد مال
 دنيا وما اليها بلاد واسعد وسمى بلاد اليبعد وهم ينقسمون الى قبائل متعددة من بني مالك
 واهل حبش والكيبيد والاسلم والاعلي والاسعيد والخالد وكل قبيلة من هؤلاء القبائل
 تنقسم القبائل متعددة هذه بلاد بني مالك واما قبائل فينقاهم ال شراجيل وال معامر
 وال طلم وال اعلي عما الحمل وال انتام الحمل وال انتام السهل وال الحب السهل وفيها سون
 الزعيم وال الحب الحمل ومهر هو لا تنقسم كل قبيلة منهم الى قبائل متعددة واما اهل حبش
 الذين عابوا في اجناد الحف فلهم ال عيبدل يعني ال عيبدل وال التوبع وال مشنبيه وال ال اكلم
 www.faiifaonline.net

كما تلاحظون في هذه الفترة الزمنية (١٠٣٥هـ) (ما قبل منتصف القرن الحادي عشر) فإن تشكيلتا قبائل بني مالك وقبائل فيفا قد اختلفتا عن التشكيلتين التي كانتا تُعرفان بهما في نهاية القرن التاسع الهجري (٨٨٩هـ) حيث نرى أن قبيلة آل المغامر أصبحت من ضمن قبائل فيفا ولم تعد من ضمن قبائل بني مالك، وكذلك قبيلة آل عطا من بني مالك لم تعد موجودة في تشكيلة قبائل بني مالك الموضحة في هذه القصاصة . . ركزوا معي وفقكم الله على الوثيقة المخطوطة أدناه الخاصة بأحداث (١٠٣٥هـ) للشرفي:

ثم يتفرع الى القبائل من هناك فصار وكما ذكر يوم الخبيس تاسع وعشرين من شهر جمادى الاول
 ستة خمسين وثلاثين والى سنة ثم توجه اليبعد عما الديني بحمد لطف الباربي الله الى قبيلتين اصحا
 بسما الايتام وهم من هاتين ثلاث ما به والاخرى سما ال الحبيب وهم من هاتين ثلاث ما به ايضا وتوجه اليه
 عبيد الرحمن الى قبيلة سما مبدع وهو لا الثلاث القبائل لها اسم بعها فقال لهم ال الصلت
 يقال ان اصلهم ال الصلت من نخات من يام واسم اعلى وبقى اليبعد في راس جبل حجر موش
 بسما الحمد لله قال اليبعد عما الديني بحمد لطف الباربي الله قلت لشج الايتام ان نخات به نوملون
 الى عبيد الا واحدا واحدا او اثنين اثنين حتى يروا ما عليهم فكنت احلف كل واحد على التراب
 على راسه واتفقوا ففعلوا كما كان بلغ اليها انهم يريدون الغنم فاحترقوا منهم واستبقينا
 المشايخ عندهم وناولوا انا بنقاني منارل صغيره واما مكات متخفظا في شعب لا يبري ما فيه
 ولا يبيع صوته فلم يباعه هم الى ذلك بل اخترنا قريه مليحه فيها قصبات منيعه فجعلنا
 العسكر في القصبات وهي اربع فلما كانت اول وقت العشا سمعنا الحرب في العبد لله وهو ال
 الذي فيه اليبعد مهدي بن هادي وسكان القبائل التي حوله وجعل امرها اليه اربع قبائل
 قبيلة سمي ال عيبدل وقبيلة سمي ال مشنبيه وقبيلة سمي ال التوبع والرابع ال ال اكلم
 www.faiifaonline.net

كما تلاحظون أن قبيلة آل الصلت وقبيلة حجر لا زالتا من ضمن قبائل فيفا منذ نهاية القرن التاسع (٨٨٩هـ) وما قبله كما هو موضح في التهجير الجامع المنقول بخط الهجري الذي زودتكم به، وكذلك لا زالت موجود في مخطوط الشرفي أثناء أحداث

١٠٣٥ هجري، ولكن لا يوجد ظهور لقبيلة عطا في الوثيقة التي حددت قبائل بنو مالك وقبائل فيفا مع أنها قد ظهرت مع قبائل بني مالك التي عاهدت اشراف قطابر ورغافة في عام (٨٨٩هـ).

إذاً بدراسة جميع ما وقع تحت يدي من وثائق مخطوطة وباختصار شديد رأينا أن قبيلة آل المغامر وقبيلة آل عطا كانتا من ضمن قبائل بني مالك (فيفا) في نهاية القرن التاسع (٨٨٩هـ) ثم رأينا في غزو القوات الإمامية اليمنية عام ١٠٣٥ هجري التي تعرضت لها قبائل بني مالك وقبائل جبال فيفا أن قبيلة آل المغامر لم يعد لها وجود في بني مالك وكذلك قبيلة عطا وأصبحت قبيلة آل المغامر من ضمن قبائل فيفا.

ثم نلاحظ كما هو متعارف عليه حالياً أن قبائل آل الصلت الفيفية وقبائل آل الحجر الفيفية التي كانت موجودة في معاهدة التهجير الجامع عام (٨٨٩هـ) نهاية القرن التاسع وكذلك كانت موجودة بنفس التشكيلة عام ١٠٣٥ هجري، قد أصبحت بفرعها آل الصلت وآل حجر تعرف بولد عطا أو آل عطا، والقارئ لهذه الوثائق المخطوطة لا يجد تفسير لهذه التشكيلات القبلية الجديدة إلا أن آل عطا قد قدموا من بني مالك كآل المغامر ولكن في فترة زمنية بعد عام ١٠٣٥ هجري لا أعلمها ثم تحالفوا مع آل حجر وآل الصلت تحت مسمى ولد عطا، كما أن آل المغامر قد دخلوا بحلف مع قبائل آل علي بن عمر وآل عبيد بفيفا فأصبحوا يعرفون جميعاً بآل عبيد، وكل ذلك قد استنتجته بما ظهر لي من الوثائق المخطوطة السابقة وبما هو موجود على أرض الواقع، وكذلك اعتماداً على المقولة الشائعة التي يرى فيها كبار السن في فيفا وبني مالك بأن هناك ثلاثة أخوة وهم عبيد بن أحمد وعطاء بن أحمد ومالك بن أحمد وقيل خالد بن أحمد هم سكان جبال فيفا وبني مالك، فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي على أنني لا أنكر على المنتقد محمد بن مسعود رأيه ولا أجبره على الأخذ برأبي وقناعتي الشخصية.

ثم ما الغريب في أن الجد (مغامر) الذي تنتسب إليه مجموعة قبائل فيفية والجد (مغامر) الذي تنتسب إليه مجموعة من قبائل بني مالك، ما هو في الحقيقة إلا جد واحد انتسبت إليه تلك القبائل في أزمان قديمة، سواء كان ذلك بالنسب أم بالحلف، ومع مرور الزمان، ولعوامل تفرق القبائل التي أشرنا إليها سابقاً ووضعناها في باب قبائل فيفا وأنسابها، فقد تفرقت هذه القبائل وانشطرت إلى قسمين:

قسم استقر في جبال فيفا والقسم الآخر استقر في جبال بنو مالك، تجمعهم جميعاً بلاد فيفا الواسعة وأواصر النسب ووشائج القرى.

والحال كذلك بالنسبة لقبيلة آل المثيب الفيفية الكبيرة التي تعود إلى مغامر هذا، وكذلك قبيلة آل المثيب المالكية الصغيرة التي تعود للجد مغامر، حيث يؤكد كبار السن في بني مالك وفيما أن آل المثيب كذلك بعضهم من بعض.

ثم يعلق المنتقد على هذه النقطة مرة ثانية في الحلقة التاسعة قائلاً: (ولد عطا أطلق عليهم الباحث مسمى آل عطا.. فهل يجهل اسمهم؟ أم لسبب ما قام بهذا التغيير؟ نعم... فلقد عثر على اسم آل عطا وهم: عشيرة صغيرة كانت معروفة قديماً من آل سلمة في بني مالك، وولد عطا المعروفة لكنه استخدم اطلاقات الشرفي والجرموزي في مسخ مسميات القبائل، وحافظ على تكرار ذلك حتى سمي به ولد عطا.. فصار يطلق عليهم آل عطا!!! وهذا أقل ما يمكن أن يوصف به هو التفريط).

أقول وبالله التوفيق: غضب المنتقد على العلامة المؤرخ الجرموزي والعلامة المؤرخ الشرفي قد أعماه وطفق في أكثر من حلقة يتنقص من قدرهما ويشتمهما ويتقول عليهما بما لم يقولانه، ومنها قوله: " لكنه (يقصد صاحب الموسوعة) استخدم اطلاقات الشرفي والجرموزي في مسخ مسميات القبائل".

وقد جانبه الصواب في هذه التهمة، فإنهما كما قرأتم وشاهدتم في الوثائق المخطوطة السابقة لم يتطرقا لقبيلة ولد أو آل عطاء مطلقاً، وإنما ورد ذكر آل عطا في وثيقة التهجير الجامع المخطوطة والتي ليس لها رابط بمخطوطي العلامة الشرفي والعلامة الجرموزي.. فليتنبه المنتقد لهذه النقطة التي عمي عنها.

أما فيما يخص ملاحظته التي قال فيها: (فلقد عثر على اسم آل عطا وهم: عشيرة صغيرة كانت معروفة قديماً من آل سلمة في بني مالك).

فقد أثارني هذه المعلومة وتمنيت أن أجد ما ذكره صحيحاً ثم آتي هنا وأشكره أمام الملأ على هذا التعديل الصحيح لما أورده من معلومة عن حلف ولد عطا، وقد اجتهدت في هذه النقطة وسألت بعض أهالي بني مالك وأرسلت البعض منهم إلى قبيلة آل سلمى ليسألوهم هل يوجد لديهم عشيرة صغيرة تسمى آل عطا قديماً أو حالياً؟

فأفادوني أنهم لم يسمعوا بذلك من قبل ولا يعرفون عن عشيرة آل عطا أي معلومات. فلعل المنتقد يبين لنا ويثبت لنا كلامه هذا بأدلة واقعية وليس كلام إنشائي خال من المضمون، لأنه في حال أثبت وجود عشيرة مع آل سلمى يطلق عليهم آل عطا فهذا قد يقوي كلام المنتقد مع أنها كانت فيما قبل الألف الهجري قبيلة كبيرة تقوم بعمل المعاهدات فإن أصبحت صغيرة كما ذكر المنتقد فهذا أيضاً يعطينا احتمالية رحيل جزء كبير منها إلى جبال فيفا ومحالفته مع قبائل آل الصلت وآل

حجر، والقسم الصغير المتبقي دخل تحت قبيلة آل سلمى من بني مالك وهذا معروف ويحدث مع القبائل التي يرحل منها جزء كبير ويظل بقايا قليلة منهم في موطنها الأصلي، طبعاً هذا الاستنتاج في حال أن كلام المنتقد كان صحيحاً، مع أن آل عطا كما تبين معاهدات التهجير الجامع آفة الذكر كانت قبيلة كبيرة قبائل بني مالك الأبية فيما قبل الألف الهجري وليس كما ذكر الناقد من أنها عشيرة صغيرة من آل سلمة، ولا أعلم من أين أتى بهذه المعلومة؟

ولو عاد المنتقد لكبار السن من بني مالك لوجد أن لديهم أمر شائع ومعروف وهو أن بني مالك إخوة وأقارب لأهالي فيفا وبينهم حسن جوار، ويتداول العامة بأنهم هم وفيفا أولاد ثلاثة إخوان هم: (عطا بن أحمد ومالك بن أحمد وقيل خالد بن أحمد) وإذا دققنا في هذه المقولة فإنها صحيحة بشكل كبير، ولكنها كالأتي: فقبائل بني مالك حسب التشكيلة الحالية تنقسم إلى فرعين كبيرين، وكل فرع تحته العديد من القبائل فالفرع الأول: (آل مغامر) وتحته العديد من القبائل كآل خالد وآل مثير وغيرهم والفرع الثاني (آل كثير) وتحته العديد من القبائل كآل علي وآل يحيى وغيرهم فيصبح بذلك بنو مالك إخوة لفيفا من جهة الفرعين، ففرع آل المغامر من بني مالك وغالبية ما تحته من قبائل إخوة وأقارب لغالبية قبائل آل المغامر بفيفا. ولم لا؟ فما مغامر إلا جد واحد، وكما سبق أن شرحنا بأن ديارهم كانت ديار واحدة، وأن ما يعرف اليوم بقبائل وجبال فيفا وقبائل جبال بني مالك لم تكن تعرف قديماً إلا ببلاد فيفا، أي أنهم في الغالب بعضهم من بعض، وأملآكهم المتعددة تضمها بلاد فيفا الواسعة، وكذلك غرابة أن يظهر اثنين من الأجداد يحملان نفس الاسم مغامر وتخرج من نسلهما قبائل كثيرة في فيفا وبني مالك والذين تجمعهم بلاد فيفا الواسعة، فلم لا يكون مغامر شخصية واحدة انقسمت القبائل التي تنسب إليه إلى قسمين قسم سكن جبال فيفا المجاورة لجبال بني مالك والمحادة لها، وقسم سكن في جبال بني مالك؟. ما الغرابة في ذلك؟

وكذلك فإن آل كثير الفرع الثاني من بني مالك وغالبية ما تحته من قبائل حددناها سابقاً من أولاد شهاب بن عاقل يكونون إخوة لجزء من قبائل بني حجر في فيفا.

ولا زال البعض من قبيلة بني مالك يؤكدون أن كثيراً من بني مالك وعطا بن أحمد في فيفا بعضهم من بعض، وهذا صحيح وقد فسرنا هذه النقطة في باب أنساب وقبائل فيفا، وكذلك فإن حجر من فيفا وكثير من بني مالك إخوة ويعودون إلى أب واحد.

والمنتقد يقر بوجود وأخوة عطا بن أحمد وعبيد بن أحمد وخالد بن أحمد وقيل مالك بن أحمد.

بل قد وجدت من كبار السن من يقولون فقط أن المقولة الشائعة هي أن (عطا بن أحمد ومالك بن أحمد) هما الأخوين الذي سكن أحدهما جبال فيفا والآخر جبال بني مالك واستثنوا عبيداً من ذلك، فإذا كان الأمر كذلك فهذا يؤكد رحيل قبيلة عطا من جبال بني مالك وتحالفها مع آل الحجر وآل الصلت بجبال فيفا تحت مسمى عطا فأصبح شائعاً عطا بن أحمد ساكن جبال فيفا ومالك بن أحمد ساكن جبال بني مالك، وأما آل المغامر فقد دخلوا تحت مسمى عبيد الذي تعود إليه قبائل آل علي بن عمر وآل ظلمة ولذلك فإن عبيد من سكان جبال فيفا قبل انضمام آل المغامر.

وبعد كل هذا ما الغريب في أن بعض قبائل بني مالك الأبية المجاورة لجبال فيفا كقبيلة آل عطا قد رحلت لجبال فيفا وتحالفت مع آل الصلت وبني حجر من فيفا تحت مسمى ولد عطا؟ التي يجمعهم بها الأخوة والنسب وبالذات إذا علمنا أن هؤلاء الأجداد أخوة (عبيد وعطا ومالك وقيل خالد) أبناء أحمد (كحلف) ويجمعهم حسن الجوار في بلاد فيفا الواسعة.

بل لا زال يعيش في جبال فيفا بعض من عشائر قبائل بني مالك كعشيرة آل ذياب المنضمة منذ زمن لقبيلة الحربي بجبال فيفا، وكذلك الحال بالنسبة لبعض عشائر فيفا التي تسكن في بلاد بني مالك. وليس بعيداً عنا قبيلة آل عمرو الفيفية وهي في الأصل من قبائل بني مالك.

ثم حق لنا أن نتساءل أين اختفت هذه القبيلة الكبيرة (آل عطا)؟ بينما كل القبائل الموجودة في تلك المعاهدة التي تخص قبائل بني مالك لا زالت موجودة إلى وقتنا الحاضر وتنتسب إلى بني مالك.

أما بخصوص (عطا) من أن البعض يطلق عليه (ولد عطا) والبعض يطلق عليه (آل عطا) فهذا معروف في قبائل فيفا ولا مشكلة في ذلك.

وسأكتفي هنا بذكر ما ورد في الصفحة (٩٥) من كتاب (الحكم القبلي في فيفاء قبل العهد السعودي الزاهر) لفضيلة الشيخ العلامة قاضي فيفاء سابقاً الشيخ علي بن قاسم الفيفي الذي فرغ من تأليفه عام ١٤٢٣هـ، حيث ذكر في نفس الصفحة آل عطاء وذكر ولد عطاء أي أن التسمية جائزة سواء أكانت ولد عطاء أو آل عطاء وهو من هو في العلم واللغة والأنساب ومعاصرة كبار السن ولذلك فلا يوجد حجة لمحمد بن مسعود من أن ولد عطا هم الصحيح وأنه لا يجوز أن نطلق عليهم آل عطا.

ولأن أصل الكلمة عطاء فيجوز أن نقول ولد عطا ويجوز أن نقول آل عطا.

ولذلك فإن استنتاجي الذي أنكره على المنتقد لم يكن من بنات أفكارى بل كان مبيناً على خلاصة الوثائق المخطوطة التي أطلعتكم عليها والتي توجد في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء)، وكذلك على تداول بعض الأقوال لكبار السن في كل من فيفا وبني مالك التي نقلتها لكم آنفاً وتحليها بما يتوافق مع ما هو معروف ومشاهد، ولم يأت من فراغ.

فإن وفقت فمن الله وإن سهوت أو زللت فمن نفسي.

وإلى اللقاء في الجزء السادس من الحلقة الخامسة بإذن الله وتوفيقه . .

(الجزء السادس من الحلقة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل الله وكرمه ومثله وتوفيقه الجزء السادس من الحلقة الخامسة:

أولاً وقبل الخوض في الردود على الشبهات التي أثارها المنتقد دعوني أزودكم بنبذة مختصرة عن قبيلة (زنامة) الفيفية التي عليها مدار النقد في هذه الحلقة والحلقة القادمة وذلك لمن لم يطلع على كتابي:

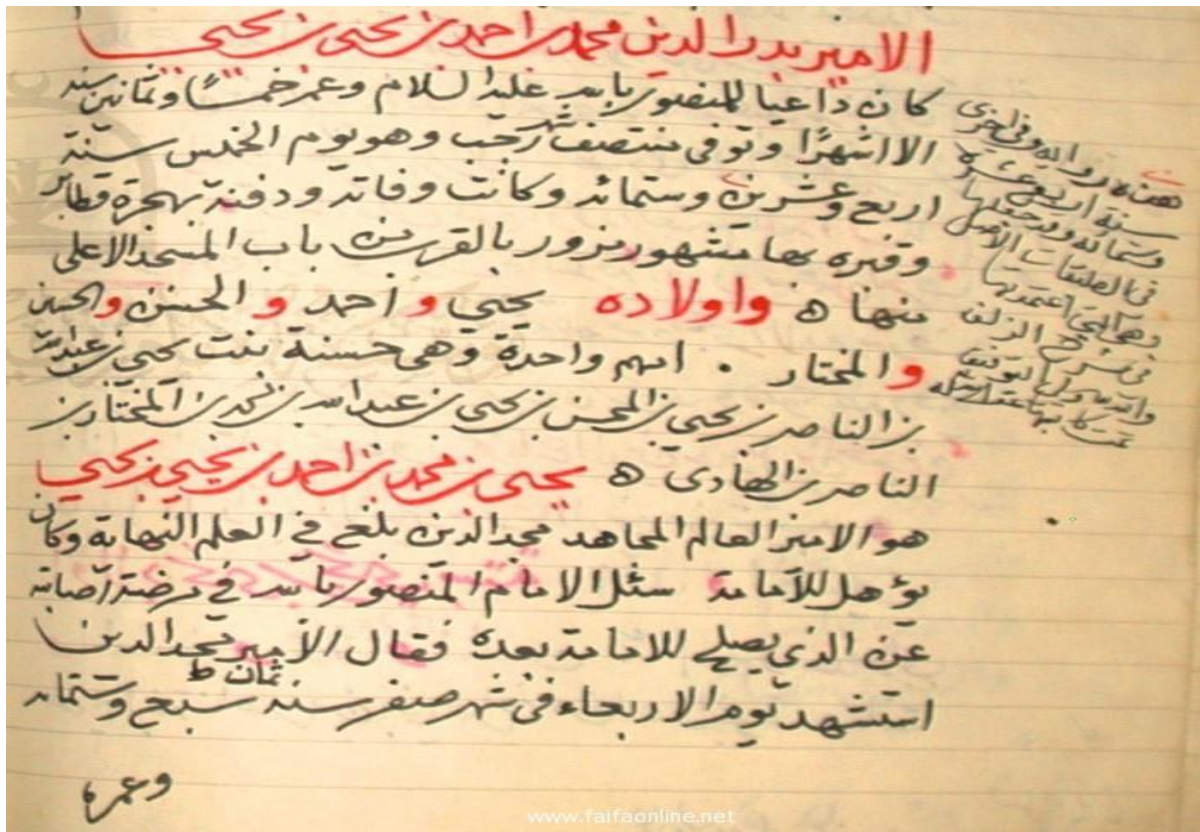
آل زنامة: لم نجد لهم تعريفاً في معاجم القبائل والمدن اليمنية الحديثة والقديمة اللهم إلا ما وجدناه في كتاب (الإكليل) للهمداني بأنهم يعودون في النسب إلى: (زنامة بن هاني بن خولان) وكانوا في زمانه يعرفون باسم الأزنوم، وذلك حسب ما ذكره الهمداني في القرن الرابع الهجري، ولكنه لم يتطرق لسكنهم في جبال فيفاء، ولم يذكر أنهم كانوا قبيلة من قبائل فيفا حينها، ولكن كما سنلاحظ في الوثائق المخطوطة المتنوعة التي أرفقتها في كتابي وسأرفقها لكم في هذه الحلقة بأن قبيلة (زنامة) كانت إحدى قبائل فيفا الخمس الرئيسية فيما قبل القرن التاسع الهجري وأنه كان لها تواجد قوي إلى نهاية القرن التاسع الهجري.

مع أنه منذ بداية القرن الحادي عشر (١٠٣٥هـ) لم يعد هناك أي تواجد لقبيلة (زنامة) بجبال فيفاء، فقد حدثت تغييرات في تشكيلة القبائل الفيفية، وحدث فيها أحلاف جديدة وانتقال قبائل جديدة منها وإليها كما سنرى في إحصائية قبائل فيفاء القديمة المتواجدة في هذا التاريخ وفي بعض المخطوطات الأخرى.

وحول اختفاء قبيلة زنامة الفيفية هناك العديد من الاحتمالات، فمن المحتمل أن فرع قبيلة زنامة الفيفية الموجود في بلاد فيفاء قد رحل إلى مكان آخر، ورحيل القبائل معروف وثابت، وقد يكون في بلاد صعدة أو ما جاورها، وقد رأينا في بحث القبائل وجود بعض الفخوذ من بعض قبائل فيفاء المشهورة يقطن في بني منبه، بل هناك من أصبح له شيخة شمل هناك كأهل الدوشة من قبيلة الحكمي بفيفاء، وبعض فخوذ قبيلة الدفري، فلا يستبعد أبداً أن قبيلة زنامة الفيفية قد رحلت قديماً إلى اليمن أو صعدة أو أي مكان آخر ودخلت بالحلف مع قبيلة أخرى وذابت وتلاشت فيها فأصبحت لا تُعرف إلا بمسمى تلك القبيلة التي تحالفت معها واختفى مسمى زنامة.

والاحتمال الآخر أن هذه القبيلة عندما رحل جزء كبير منها قد ضعفت وقلَّ عدد أفرادها ومن ثم دخلت تحت قبيلة فيفية أخرى كقبيلة (آل عمر وأهل الدفرة وربما آل إسماعيل من أهل مدر) فذابت وتلاشت معهم ولم تعد معروفة باسم زنامة وغلب عليها اسم القبيلة التي دخلت معها، خصوصاً بعد تعرض جبال فيفا لبعض الغزوات ومنها غزوة ٩٤٢ هجري، واختفاء بعض القبائل وتلاشيها حتى وإن كانت ذات شهرة وقوة وهذا وارد ومعروف وله أسباب عديدة تطرقنا لبعض تلك الأسباب في ثانيا هذا البحث، وإذا ركزتم قليلاً في الوثائق المخطوطة التي أرفقتها هنا وقبلها في كتابي ستجدون ما يشير إلى هذه الحقيقة.

وأما أول ذكر وجدته لقبيلة زنامة الفيفية كقبيلة قائمة فقد كان في (مشجرة الجلال) للعلامة صلاح بن الجلال حوالي القرن الثامن الهجري (٧٤٤ - ٨١٠ هـ) حيث أشار إلى أن (بني زنامة) كان لهم تواجد قديم في القرن السابع وما قبله مع أهل الدفرة في جبال فيفا ومع آل عمرو ومع أهل مدر. وكانت زنامة حينها وإلى نهاية القرن التاسع الهجري من أشهر قبائل فيفا، وقد تزوج العديد من الأشراف ببعض الزناميات من أهالي جبل فيفا.



وعمره ثمانى وعشرون سنة في دولة الامام المنصور عليه
 وقبره في الجوش مشهور بمرور **وله من الولد** حسن وادريس
 الحسن بن محمد الدين ، أمه نفيسة بنت الامير الكبير
 الشهيد علي بن الحسن بن يحيى **وقبره** بهيعة تاج
 الدين علي باب المسجد وهو القبر المنفرد الى ناحية الشام
 مما يلي البيت فيه حجرين عليه السلام وكان
 من العظماء الفضلاء على ما سمعت **له من الولد**
 يحيى واحد . مات يحيى صغيراً . وام احمد فاطمة
 بنت الوائى داود بن مهدي القاسمى **ولاحد الحسن**
من الولد . ابراهيم والمهدي والهادي ومحمد حسن
 أم ابراهيم ومحمد حسن شريفة اسمها فاطمة من الهادي
 وأم الهادي والمهدي عاتكة بنت الهادي الامير
 الحسن بن محمد الدين **ابراهيم** **احمد** **الحسن** **بن محمد الدين**
 له من الولد **محمد حسن** اسمها عاتكة بنت الفقيه حسن
 بن الفقيه العالم كمال الدين علي بن سعد بن اولاد الدعام
 في الجوف **محمد بن ابراهيم** له من الولد **احمد** **وعلي** **ويحيى**
 امهم وادعية من بني زينة ومحلهم في يد رفي من بلاد

www.falifaonline.net

بني زينة **حسن بن ابراهيم** له من الولد
الحسين **وصلاح** اسمها زنامية . مات صلاح بعليلوخ
 ولا عقب له **واما حسين** فكان عظماء . وله
 من الولد **محمد** وامه بنت محمد بن ابراهيم بن احمد بن الحسن
 بن محمد الدين . محله في الدفرة من جبل فيفا .
المهدي بن احمد بن الحسن بن محمد الدين قد سبق ذكر
 امه **وله من الولد** **داود** **والعباس** **واحد**
 امهم عاتكة بنت الامير جمال الدين المؤيد بن احمد ، **داود**
بن المهدي بن احمد وكان ذاك دين وخير . له من الولد
محمد **والمؤيد** امهم امه بنت احمد بن محمد بن الحسن بن محمد الدين
والعباس له من الولد **احمد** **والمهدي** **وعلي**
وعبد الله **ويحيى** امهم مريم بنت احمد بن محمد بن الحسن بن احمد
بن الحسن بن محمد الدين **احمد** **بن المهدي بن احمد**
 له من الولد **محمد** **وداود** **وصلاح** **وحسين** . امهم
 مريم بنت محمد بن حسين بن احمد بن الحسن بن محمد الدين **الحادي**
بن احمد بن الحسن بن محمد الدين له من الولد **حسن** **الحادي**
 امه عامية يقال لها فاطمة بنت جابر . له من الولد

محمد يحيى

www.falifaonline.net

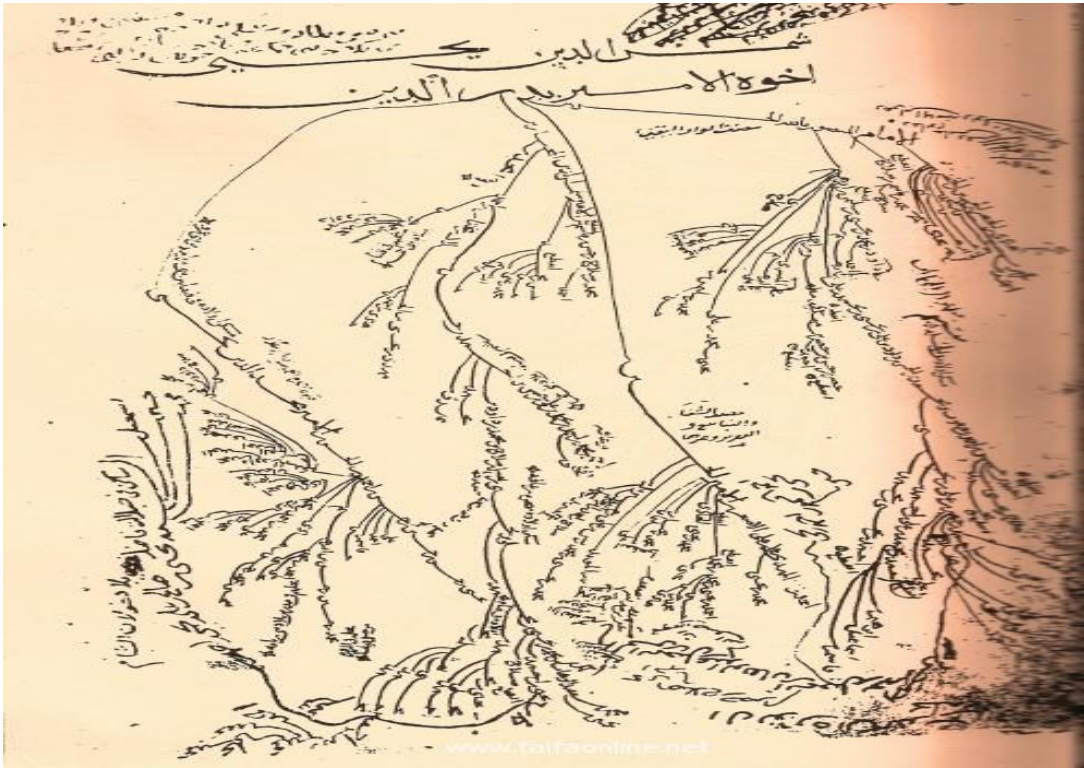
محمد ويحيى . واماها فاطمة بنت المهدي بن احمد بن محمد بن علي
 محمد بن احمد بن الحسن بن محمد الدين . له من الولد جبريل
 واحمد والهادي واماها اممة بنت حسين . مات جبريل
 وله من الولد محمد واحد وعاس واماها منتهى ابنة
 علي بن ابي طالب بن احمد بن الامير محمد بن علي بن احمد بن يحيى
 مات . احمد بن محمد بن احمد بن الحسن بن محمد الدين . وله من الولد
 محمد وعلي واماها زنامية ه الهادي بن محمد بن احمد بن
 بن محمد الدين . له من الولد احمد وقاسم وعلي وسليمان
 اماها زنامية من عمرو ه حسن بن احمد بن الحسن
 بن محمد الدين . له من الاولاد علي واحمد وحسين
 وحسن وقاسم . لحسين بن الحسن من الولد يحيى احمد
 يدرك بنت المهدي بن احمد بن الحسن بن محمد الدين ه
 هو لاء اولاد الامير الشهيد محمد الدين يحيى بن محمد بن احمد
 بن يحيى بن يحيى ومما لهم في جبل قنبا بين بني زنامة ه
 فاما ادريس بن محمد الدين فامه ام ولد . واعقب ولدين
 محمد واحمد واماها من بنت الامير تاج الدين احمد بن محمد بن يحيى

www.falifaonline.net

وقد ورد التأكيد لهذه المعلومات الواردة في مشجر الجلال في الكتاب المخطوط
 (روضة الألباب وتحفة الأحاب ... لمعرفة الأنساب) المرفق صور منه؛ لمحمد بن
 عبدالله بن علي المؤيدي الشهير بأبي علامة. المتوفى عام ١٠٤٤هـ.

كتاب روضة الألباب وتحفة الأحاب وبغية الطلاب
 ونخبه الأحياء لعرفه الأنساب جمع ما تعدد من متفرقاته
 ونظم ما تبدد من متفرقاته وقيد الشواهد من متفرقاته
 وضم ما ندد من متفرقاته أسير دنيته ورهين
 كسبه الشراج عفو ربه محمد بن الامام
 عبد الله بن علي بن الحسين بن الامام
 محمد بن الحسين بن الامام علي
 المؤيد بن علي بن الحسين بن الامام
 وعلمه وعظمه
 امير المؤمنين

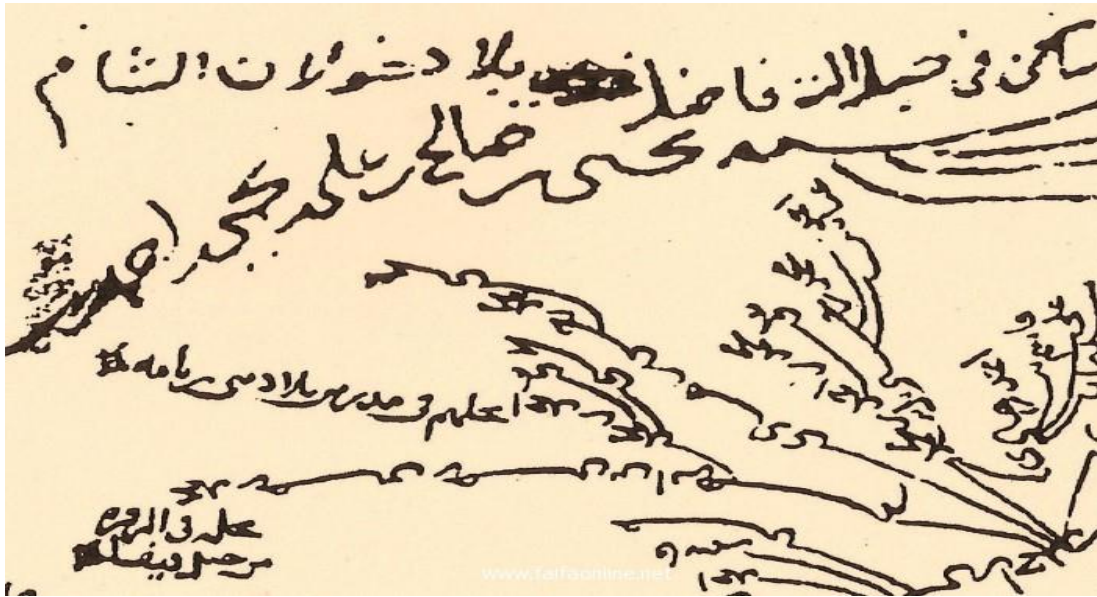
www.falifaonline.net



كما نرى في أعلى يسار المشجر المخطوط أن صاحبه قد ذكر أن بعضاً من أولاد الشريف مجد الدين يسكنون في فيفا من بني زنامه من بني عمرو، ثم ذكر في أسفل المخطوطة يساراً أن من ذريته من يسكنون أيضاً في الدفرة ومدر من جبل فيفا، وذلك في القرن السابع الهجري.

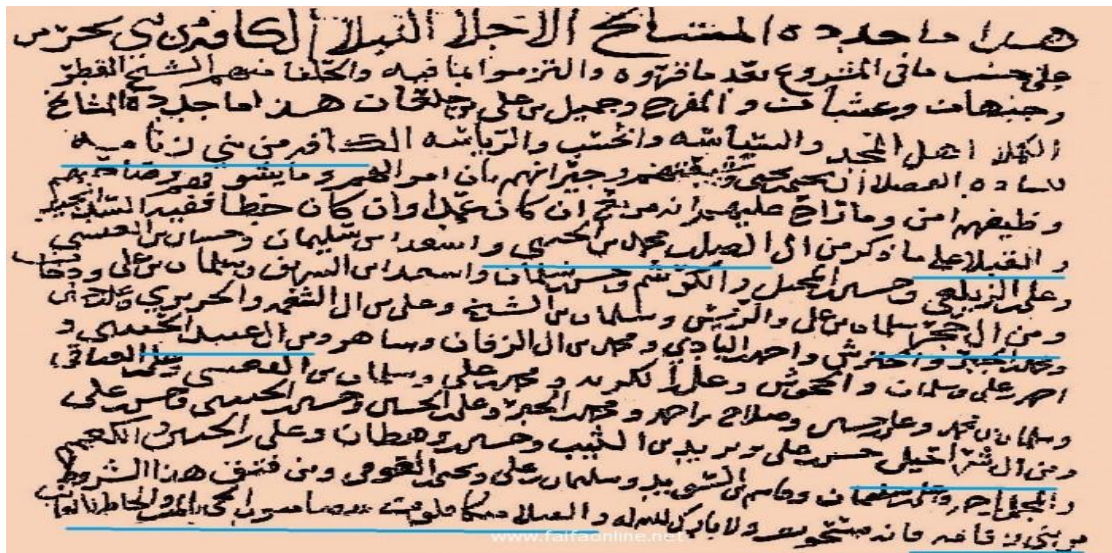


مسكن أولاد الأمير الشريف مجد الدين بن يحيى بن الأمير أحمد بدر الدين بن محمد بن أحمد بن يحيى العالم في فيفا بين بني زنامه من بني عمرو، وهذا قد يعطينا إشارة إلى أن بني زنامه يعودون في أصولهم إلى بني عمرو كما هو مكتوب في المخطوط وأن قبائل جبال فيفا لا تعود إلى بني زنامه كما توهم والتبس على المنتقد محمد بن مسعود، وكذلك فإن بعضاً منهم يعيش في بلاد أهل مدر بجبل فيفا والبعض الآخر كان يسكن في الدفرة من جبل فيفا كما ورد في مخطوط (مشجر الجلال) ومخطوط (تحفة الألباب).



(محلّه في الدفرة من جبل فيفا) و(محلهم في مدر من بلاد بني زنامة) كما ورد في مشجر تحفة الألباب.

وقد ورد لزنامة ذكراً في الوريقات المخطوطات التي أرفقناها لمعاهدة القبائل مع آل يحيى بن يحيى عند ذكر بعض الشيوخ الكفلاء والقبلاء أي ضمناء المعاهدة والاتفاقية الأقوياء عام (٨٨٩ هجري) كما سنرى.



هذا كل ما يخص قبيلة زنامة الفيفية وكل ما كتبت عنها في كتابي على وجه التقريب.

وهناك أمور في هذه المخطوطات لا زالت بحاجة إلى دراسة عميقة كي تتضح بجميع جوانبها، وبإذن الله نوفق مستقبلاً في قراءتها بدقة أكبر وأوضح، لأنها ما زالت بحاجة إلى دراسة كبيرة جداً حتى تتضح جيداً.

وبعد أن قرأنا كل ما يخص قبيلة زنامة الفيفية القديمة والتي لم يعد لها أي وجود في جبال فيفا فلنعد إلى المنتقد محمد بن مسعود حيث يقول:

(ثم تأمل بتركيز شديد لما بين الأقواس الأربعة عاليه وهو قوله (يقصد صاحب الموسوعة) ونسي المنتقد أن يضع نقطتين بعد كلمة قوله:

(وأما قبائل فيفا الرئيسية في تلك الفترة فهم بنو زنامة . . وآل الصلت وآل حجر وآل عبيد وآل شراحيل) مرة أخرى لو سمحتم ركزوا:

- ١- بنو زنامة
- ٢- آل الصلت
- ٣- آل حجر
- ٤- آل عبيد
- ٥- آل شراحيل

كمان مرة تركيز أشد!!! (هذه جملة عامية من المنتقد، ولا أعتقد أنه يوجد في اللغة العربية الفصحى كلمة – كمان-).!!!.

أقول وبالله التوفيق: إلى هنا وكلام المنتقد ليس عليه غبار وهذا قد ذكرته حقاً في الموسوعة فيما يخص هذه المعلومات وقراءتي لمخطوط (التهجير الجامع لأهالي رغافة).

ثم يتابع المنتقد قائلاً:

(قبائل فيفا الرئيسية في تلك الفترة بحسب الباحث هم:

أولاً: بنو زنامة؟؟؟ (؟؟؟)

ثانياً: آل الصلت: حربي - مدري - يتيمي - آل محمد ثم أصبحت حربي ومدري.

ثالثاً: آل حجر: ثويحي - حكمي - عبدلي- مشنوي.

رابعاً: آل عبيد: مغامري (قبائل عدة) - ظلمي - عمري - دفري.

خامساً: آل شراحيل.

فهل تعرفون في فيفا قبائل رئيسية غير هذه؟

أقول وبالله التوفيق:

للأسف فإن المنتقد محمد بن مسعود لم ينصفني ولم يقل الحقيقة وقد تقول عليّ عندما ذكر أن قبائل فيفا الرئيسية في تلك الفترة بحسب الباحث هم:

(أولاً: بنو زنامة؟؟؟) (؟؟؟)

ثانياً: آل الصلت: حربي - مدري - يتيمي - آل محمد ثم أصبحت حربي ومدري.

ثالثاً: آل حجر: ثويعي - حكمي - عبدلي - مشنوي.

رابعاً: آل عبيد: مغامري (قبائل عدة) - ظلمي - عمري - دفري.

خامساً: آل شراحيل).

وهذه التقسيمة للقبائل الفيفية في تلك الفترة الزمنية (القرن التاسع الهجري) حسب ما ورد في قصاصة معاهدة التهجير الجامع لم أذكرها بالصيغة التي تقول عليّ فيها المنتقد وحاول إيهام المتلقي بأنني ذكرتها كما وردت بعاليه، وهي من تأليف المنتقد وحده، والذي ذكرته عن تقسيمة القبائل في تلك الفترة الزمنية كما هو مثبت وموثق في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) الصفحة (١٢٢) كان كالتالي:

وأما قبائل فيفا الرئيسية في تلك الفترة فهم: (بنو زنامة وآل الصلت وآل حجر وآل عبيد وآل شراحيل)، ولم أنقل أو أقل غير هذا.

وإلى اللقاء قريباً في الجزء السابع والأخير من الحلقة الخامسة بإذن الله والتي سوف أكمل فيها الجزء الثاني من مبحث زنامة . .

(الجزء السابع والأخير من الحلقة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل الله وتوفيقه الجزء السابع والأخير من الحلقة الخامسة:

بالعودة إلى انتقاد المنتقد في قوله:

(إنما هل لاحظتم أن بني زنامة ليس لها فروع بينما الباحث يعدها من قبائل فيفا الرئيسية .. والآن تأملوا القصاصة التالية التي تحمل التفاصيل لما أسماها الباحث قبائل فيفا الرئيسية بعد أن نقلته طباعيا .. اقرؤا وتأملوا ولكن تذكروا بأنني سأطالبكم بذكر اسماء —(يقصد المنتقد أسماء)— مشايخ بني زنامة الضامنين على التزام رعاياهم ويسمون (القبلا). طالما وقد زعم المؤلف أنها من قبائل —(يقصد المنتقد قبائل)— فيفا الرئيسية فإذا لم تعثروا عليهم فاعلموا أن الوثيقة تطلق على كل قبائل— (يقصد المنتقد قبائل)— فيفا (بني زنامة).

ثم يتابع المنتقد قائلاً: إليكم النص الكامل من ٨٨.

(وجبهان؛ وعشبان؛ والمفرح؛ وجميل بن علي بن جلعان' هذا ما جدده المشايخ الكملا' أهل المجد والسياسة ' الكافة من بني زنامة للسلادة الفضلا آل يحيى بن يحيى وشيعتهم وجيرانهم بأن أموالهم وما يشوفهم وصاحبهم وضيئهم آمن وما راح عليهم أنه مربع إن كان عمدا وإن كان خطأ ففيه السد يبحث والقبلا على ما ذكر من آل الصلت: محمد بن الحنبي وأسد بن سليمان وحسين بن العبسي وعلي بن الزيلعي وحسين بن المحيل والكوشم وحسن بن سلمان وأسد بن الشريف وسلمان بن علي (ودفان). ومن آل حجر: سلمان بن علي والدبش وسلمان بن الشيخ وعلي بن آل الشعمة والحريري وعلي بن حسين ومحمد بن جبر والحرث وأحمد بن البادي ومحمد بن آل الزفان وشاهر. ومن آل عبيد: الحيني وأحمد بن علي وسلمان والحموش وعلي بن الكرية ومحمد بن علي بن القعبي وعلي العتافي وسلمان بن محمد وعلي بن حسين وصلاح بن أحمد ومحمد بن الجبر وعلي بن الحسين وحسين بن الحيني وحسن بن علي. ومن آل شراحيل: حسن بن علي ويزيد بن مثير (كتبه الناسخ الثيب — خطأ) وحسين بن وهطان وعلي بن الحنين والكعمم' والمجمل بن أحمد وعلي بن سليمان وقاسم بن السويد وسليمان بن علي ويحيى بن العوفي. ومن

فتق هذا الشروط من بني زنامة فإنه مسحوت ولا بارك الله له. والقبلا متكافلون متضامنون الحي بالميت والحاضر بالغائب). انتهى.

هل رأيت عبارة صادمة لجوقة التذحيج كهذه (ومن فتق هذه الشروط من بني زنامة) ولم يقل من آل الصلت أو آل شراحيل أو آل حجر أو آل عبيد. بل قال من بني زنامة!!.

وحظا أوفر للحسنين!!.

تحذير: يتكرر هذا النص في أكثر من ١١ مناسبة على صفحات الموسوعة فمن رغب مناقشته فلا يأتي إلا مليئاً متشبعاً به مستمخاً ولا يأتي خرشاية فارغة ينوح على التذحيج الذي فات أوانه وأهيل عليه التراب.(١): لفظ مستعار من الموسوعة!! - (يستخدم المنتقد ألفاظاً محلية ليس هذا مكانها في النقاش والنقد العلمي، وهذه الألفاظ أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها تدخل في باب التهكم والسخرية).

أقول وبالله التوفيق: إن (فوبيا مذحج) التي أصيب بها المنتقد محمد بن مسعود، و(حمى الخولانية) التي لم يعد يرى سواها قد أعمت نظر المنتقد وطمست تفكيره في قراءة الوثائق الخاصة بزنامة، وإلا لو قرأها بتمهل وتركيز لرأى وتيقن أن زنامة ما هي إلا إحدى قبائل فيفا في تلك الحقبة الزمنية عام (٨٩٩هـ)، وأن أهالي قبائل فيفا لا يعودون إليها نسباً حيث يرى المنتقد أن جميع قبائل فيفا تعود في نسبها (لزنامة بن هلال بن خولان) ولا داعي للتعليل على هذا الجد الأسطوري الذي ليس له وجود إلا في مخيلته لأنه سبق وأن علقت عليه في حلقة ماضية.

دعوني وأنا أول من نشر هذه الوثائق أن أقرأها عليكم بتمهل وروية مبتعداً عن مصطلح (حمى التذحيج) الذي يصفني به محمد بن مسعود ومبتعداً كذلك عن اللعن والشتم الذي ذكره في بعض الردود، ومترفعاً عن الرد عليه بنفس أسلوبه الذي لا يمت للنقد الهادف بصلة مراقباً الله عز وجل الذي أسأله أن يوفقني للصواب.

ولنعد إلى إجابة سؤال المنتقد: (فهل تعرفون في فيفا قبائل رئيسية غير هذه؟).

إنما هل لاحظتم أن بني زنامة ليس لها فروع بينما الباحث يعدها من قبائل فيفا الرئيسية .. والآن تأملوا القصاصة التالية التي تحمل التفاصيل لما أسماها الباحث قبائل فيفا الرئيسية بعد أن نقلته طباعياً .. اقرؤا وتأملوا ولكن تذكروا بأنني سأطالبكم بذكر أسماء مشايخ بني زنامة الضامين على التزام رعاياهم ويسمون (القبلا).

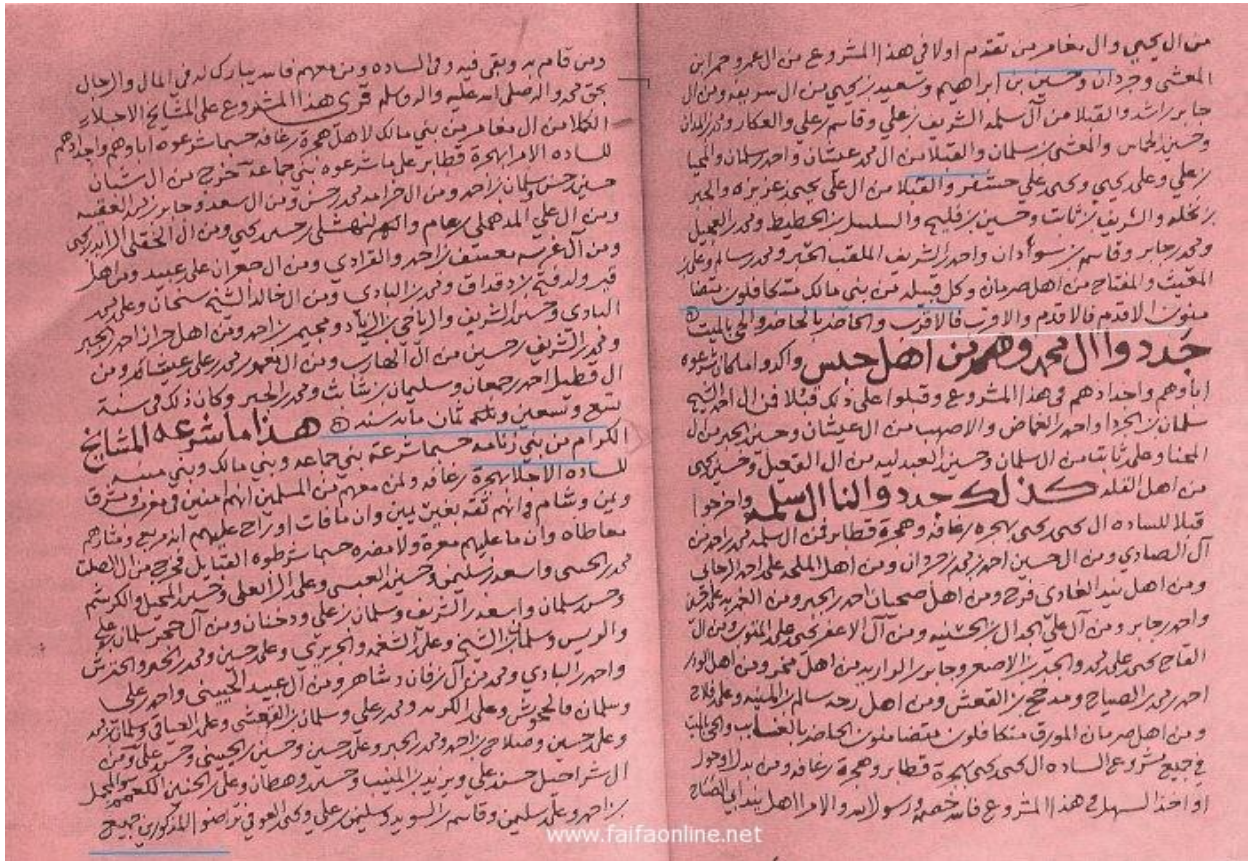
طالما وقد زعم المؤلف أنها من قبائل - (يقصد المنتقد قبائل) - فيفا الرئيسية فإذا لم تعثروا عليهم فاعلموا أن الوثيقة تطلق على كل قبائل - (يقصد المنتقد قبائل) - فيفا (بني زنامة).

أقول وبالله التوفيق: الجملة التي ذكرها دليل ضد استنتاجه الخاطئ هذا وليست شاهدة له وهي قوله: (هل رأيتم عبارة صادمة لجوقة التذحيج كهذه (ومن فتنك هذه الشروط من بني زنامة) ولم يقل من آل الصلت أو آل شراحيل أو آل حجر أو آل عبيد. بل قال من بني زنامة!!.

وحظا أوفر للحسنين!!.

وسأريكم ذلك بالتفصيل الواضح والمفيد والمقنع بإذن الله.

دعونا نخرج هنا على وثيقة مهمة من وثائق (التهجير الجامع) الذي ورد فيه ذكر فيفا وزنامة وقبائل بني مالك المجاورة وفي نفس الفترة الزمنية.





أمل التركيز على الجمل التي وضعت تحتها خط بلون مختلف الخاصة بمعاهدة قبائل بني مالك المجاورة وأولها (خرج قبلا من بني مالك) والثانية في نهاية المعاهدة قال: (وكل قبيلة من بني مالك متكافلون متضامنون). ولم يقل وبني مالك ولم يقل قبلاء لأنهم هم الكفلاء على بعضهم.

ثم ركزوا معي قليلاً في الصيغة الثانية الخاصة ببني زنامة وقبائل جبال فيفا (هذا ما شرعه المشايخ الكرام من بني زنامة).

وانظروا إلى النهاية تراضوا الجميع أي -المذكورين جميعاً- أن من محق هذا المشروع (يقصد من قبيلة زنامة) أنه مسحوق مقتول مدمر والقبلا متكافلون متضامنون أي (آل الصلت وبقية القبائل الفيفية التي قامت بالقبالة على قبيلة بني زنامة). فمشايخ زنامة قد عاهدوا الأشراف وزنامة كانت ذات فروع كما رأينا في قول صاحب مخطوط مشجر الجلال الذي أنزلته في الحلقة السابقة كقوله: (أهمهم وادعية) من زنامة، والقبلاء عليهم الضامنون لهم الذين هم من القوة بمكان ويستطيعون إجبار قبيلة زنامة على تنفيذ بنود المعاهدة حال إخلالهم بها هم مشايخ قبائل فيفا (آل الصلت وآل حجر وآل عبيد وآل شراحيل). وانظروا إلى قوله في المعاهدة (والقبلا متكافلون متضامنون) أي القبائل الفيفية الضامنة ولم يقل في المعاهدة وكل قبيلة من بني زنامة على غرار معاهدة قبائل بنو مالك التي انتهت بقول كاتب المعاهدة وكل قبيلة من بني مالك متكافلون متضامنون).

ثم ركزوا معي أيضاً في المعاهدة ذاتها ولكن بصيغة تختلف قليلاً وبخط أقدم من هذه المعاهدة.

هذا ما جدد به المشايخ الأجل الأجل الكافري بني حزم
 على جنب ما في المشروع بعد ما قهره والتزموا بما فيه واختلفوا منه الشيخ القطر
 رجبهاث وعشبات والمفرج وجعل على خلقان هذا ما جدد به المشايخ
 الأجل أهل المجد والسياسة والحسب والرياسة الكافري بني زنامة
 لسا ده الصلا ان يحكي شي يتصور جيرانهم بان امرهم وما يشقوهم وصاحبهم
 وظيفهم امن وما تراج عليه من مخرج ان كان يحل وان كان خطا فغير السبيل
 والقبلا على ما ذكر من الى الصلا محمد بن يحيى واستعد من سليمان وحسان بن العسي
 ر علي الزيلعي حسان الجليل والكرشم حسان بن شمان واستعد من الشرف وسلمان بن علي ودخان
 ومن الى الجليل سلمان بن علي والكرشم وسلمان بن الشرف والحسين بن علي
 وحسين بن علي واحمد اليادي ومحمد بن الزقان وساهر من العبد الجليلي
 احمر علي وسلمان والكرشم وعلي لكرمه ومحمد علي وسلمان بن العسي
 وسلمان بن محمد وعار حسان وصالح راجد ومحمد الجليلي وحسن الجليلي وحسن علي
 ومن الى شرا حيل حسان علي بن زيد بن القليب وحسن وهرطان وعلي الحسان الكعبي
 والجليل احمر ومن حسان وحسن بن الشوب وسلمان بن علي وحسن القوي ومن فتق هذا الشرط
 من بني زنامة فانه متجوز ولا يابك للملح والصلا حكامه من بني زنامة والحكامه

هذا ما جدد المشايخ.... أهل المجد والسياسة والحسب والرياسة الكافة من بني زنامة
 للسادة الفضلاء آل يحيى بن يحيى (...). والقبلا على ما ذكر (من آل الصلت.....
 وآل حجر..... وآل عبيد..... وآل شراحيل.....).

ثم ركزوا معي على نهاية المعاهدة (ومن فتق هذا المشروع من بني زنامة فإنه
 مسحوت لا بآرك الله له والقبلا متكافلون متضامنون الحي بالميت.....). فال
 الصلت وآل عبيد وآل حجر وآل شراحيل قبلا متكافلون متضامنون على من فتق
 هذا المشروع من بني زنامة إحدى قبائل فيفا التي عملت معاهدة مع الأشراف.

دعوني أذكركم ماذا يعني مصطلح القبيل أو القبالة والذي تجاهله المنتقد محمد بن
 مسعود أو لنقل لم يعره اهتماماً، حيث تعرف القبالة: على أنها ضماننة تنفيذ الاتفاق،
 إذ يقوم أشخاص أو شيوخ مختارون، يختارهم شخص أو أشخاص أو جماعة أو
 قبيلة مستفيدون من الاتفاق بضمان الاتفاق، وكانت القبالة تستخدم في إقليم عسير
 وصعدة وما جاورها كجبال فيفا بشكل واسع في جميع الاتفاقات والحقوق، وفي
 العادة يتم اختيار أشخاص يملكون مقومات إنفاذ الاتفاق، وفي كل اتفاق يتم اختيار
 ضمناً خاصين أو داخلين يسمون لدينا (ضمناً أو كفلاء)، وضمناً عامين أو
 خارجيين، يسمون (قبلاء)؛ فعلى سبيل المثال إذا كان الاتفاق بين قبيلة رئيسة معينة
 فإنه يتم اختيار لحمة قوية أو قرية قوية من كل قبيلة فرعية لتكون ضامنة داخلية
 (كفلاء) ومهمة (الكفيل أو الضامن) استخدام جميع الوسائل المتاحة للضغط على
 الطرف غير الملتزم بالاتفاق بدءاً من وسائل الإقناع، فالمقاطعة، فالسجن، فالقوة؛

أما الضامن العام للاتفاق (القبيل) فعليه القيام بإنفاذ الاتفاق بعد عجز الضامن الخاص (الكفيل) عن إنفاذه، وفي العادة يقوم (الضامن أو الكفيل) ببذل جميع المساعي الممكنة لتنفيذ الاتفاق، وحين يعجز عن ذلك يقوم باستدعاء الضامن العام (القبيل) لإنفاذ الاتفاق، ويقوم القبيل باستخدام جميع الوسائل المتاحة لإنفاذ الاتفاق (القبالة) فيبدأ بمحاولة الإقناع ثم التهديد، وقد يصل إلى استخدام القوة والحرب، واستدعاء القبيل (تثوير القبيل) هو في الغالب حق من حقوق (الكفيل) عند عجزه عن إنفاذ الاتفاق.

ويحتفظ التاريخ بكثير من الحوادث في بلاد عسير وما جاورها من البلاد التي قام فيها القبلاء باستخدام القوة لإنفاذ مضمون الاتفاقات التي ضمنوها ولو أدى ذلك إلى قيامهم ضد السلطة السياسية أحياناً، لأن القبالة مرتبطة بمسألة الشرف والكرامة والهيبة والمكانة الاجتماعية في تلك البلدان، ولذلك يحرص (القبيل) على تنفيذ الالتزام الذي قطعه على نفسه بضمانة أي اتفاق، لأن الفشل في ذلك يحط من قدره.

وكان للقبالة شأن عظيم لدى السكان في إقليم عسير والأقاليم المجاورة لكونها عماد أعرافهم وعوائدهم التي تنظم حياتهم، ولذلك كان إنفاذ القبالة أمراً مسلماً به لعدد من الاعتبارات منها:

١. أن الجميع كانوا أوفياء لإنفاذ التزاماتهم وتعهداتهم بشكل عام.
٢. أن من واجب الرجل أو القبيلة أن يحترموا القبيل سواء كان شخصاً أم قبيلة وبلا شك أن من دلائل احترامه عدم وضعه في موقف محرج بعد إنفاذ قبالاته مما قد يضطر القبيل إلى استخدام وسائل قد تسيء إلى العلاقة بين الطرفين.
٣. أن من يفكر في الإقدام على عدم إنفاذ القبالة يخشى من عواقب ذلك، فإضافة إلى ما ذكرنا من أن هناك وسائل مختلفة لإنفاذ القبالة يخشى الإنسان الذي قد يقدم على عدم إنفاذها من أن يفعل به نفس الشيء، بأن يصبح قبيلاً في يوم ما ثم لا تنفذ قبالاته مما يجعله في موقف معيب بين القبائل، وقد كان القبيل مطالباً بإنفاذ قبالاته، وإذا لم يقدّم بذلك تساهلاً فإنه يعدّ معيباً (أسود الوجه) وترفع له إشارة العيب (الراية السوداء)، ويعد ذلك عاراً ملازماً له، ويسقط وجهه بين القبائل، ولا يوثق به لضمان أي اتفاق في المستقبل.

وعلى هذا، كانت القبالة تشكل مسؤولية كبيرة على كاهل حاملها، ولم يكن يتحمل القبالة (يشل القبالة) إلا رجال أو لحام أو قبائل قادرون على إنفاذها، وإذا كان حق الرجل (أو القبيلة) رفض حمل القبالة إذا اختير وهو حاضر لأسباب يوضحها في حينها، فالمشكلة التي كانت تواجه القبيل أنه لا يستطيع رفض القبالة التي تسند إليه غيابياً، فقد كانت العادة لدى أغلب قبائل إقليم عسير إذا تقبل رجل برجل آخر غير موجود (غائب) أن يجبر الغائب على أن يحمل مسؤولية القبالة حين يعلم بها،

وعلى هذا كان الجميع يحرصون على إنفاذ التزام القبالة خوفاً من المعاملة بالمثل، عن طريق إسناد القبالة في حالة الغياب، ثم العيب في القبيل بعدم إنفاذ مضمون الاتفاق. أ.هـ.

وهذا التعريف للقبالة يتصرف عن كتاب العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير لصاحبه عبد الرحمن آل حامد ص ٥٥٤ - ٥٥٧.

ولا زال لدينا في فيفا مصطلح (الله قبيلشا) والله أعلى سلطة من الكافل والضامن وغيرهم فتعتبر القبالة أقوى شيء.

والفرق بين ما يُعرف بالكفالة أو الضمانة وبين المصطلح الأقوى والأكبر (القبالة) لم يركز عليه المنتقد وإلا لكان خرج من الوثائق بقراءات مختلفة عما أدلى به هنا.

ولنعد لقراءتنا للوثائق السابقة ونعمل مقارنة بسيطة.

دعونا نتذكر الصيغ التي كتبت بها معاهدة بني مالك:

وأولها: (خرج قبلا من بني مالك) والثانية: (وكل قبيلة من بني مالك متكافلون متضامنون). نلاحظ أن صيغة المعاهدة الخاصة بقبائل بني مالك المجاورة مختلفة تماماً عن الصيغة التي وردت لقبيلة بني زنامة المجاورة.

خرج قبلا من بني مالك بينما في معاهدة فيفا (هذا ما شرعه المشايخ الكرام من بني زنامة) وفي صيغة ثانية للمعاهدة: (هذا ما جدد المشايخ.... أهل المجد والسياسة والحسب والرياسة كافة من بني زنامة للسادة الفضلاء آل يحيى بن يحيى...).

هنا نلاحظ أن المعاهدة لم تنص على أنه خرج قبلا من بني زنامة كما حدث مع قبائل بني مالك بل ورد بالصيغة التالية: هذا ما شرعه أو هذا ما جدد المشايخ من بني زنامة.

تعالوا ننظر ونحلل نهاية الصيغ التي وردت بتلك المعاهدات الخاصة بقبائل بني مالك وبني زنامة: (وكل قبيلة من بني مالك متكافلون متضامنون). هنا تنص المعاهدة بوضوح أن كل قبيلة من بني مالك متكافلون متضامنون ولم ترد صيغة والقبلا على بني مالك....). فلنسأل أنفسنا لماذا كانت صيغة المعاهدة مختلفة عن صيغة المعاهدة الخاصة ببني زنامة وقبائل فيفا المجاورة لهم وفي نفس تلك الفترة الزمنية؟

ولنرى الصيغة التي انتهت بها معاهدة بني زنامة وقبائل فيفا. (ومن فتنق هذا المشروع من بني زنامة فإنه مسحوت لا براك الله له والقبلا متكافلون متضامنون الحي بالميت.....).

لا حظوا معي هنا أن المعاهدة لم تكتب بالصيغة التي انتهت بها معاهدة بني مالك أي وكل قبيلة من بني مالك متكافلون متضامنون بل وردت ومن فتنق هذا المشروع من بني زنامة فإنه مسحوت لا براك الله له وهنا انتهى ما يخص زنامة بحيث لم يقال: وكل (قبيلة من بني زنامة) لأن زنامة قبيلة واحدة من ضمن قبائل عديدة تسكن جبال فيفا على العكس من قبائل بني مالك التي تعود للجد مالك؛ فنلاحظ أن المعاهدة الخاصة ببني زنامة ذكرت القبلاء الأقوياء المتكافلون المتضامنون وهم القبائل التي بيدها القوة لإجبار بني زنامة على تنفيذ المعاهدة وهم: (آل الصلت وآل عبيد وآل حجر وآل شراحيل) قبلا متكافلون متضامنون على من فتنق هذا المشروع من بني زنامة، والقبلاء كما رأينا أنهم من القوة بمكان لإجبار أي قبيلة يرضون بالقبالة عليها لتنفيذ بنود المعاهدة التي وافقت عليها تلك القبيلة في حال لم تلتزم بالمعاهدة؛ بينما نهاية المعاهدة الخاصة ببني مالك كتبت هكذا: (وكل قبيلة من بني مالك متكافلون متضامنون) بسبب أنهم كفلاء على قبائلهم وليس عليهم قبيل أو قبلاء من قبائل ثانية، وهذا الفرق الدقيق لم يفتبه له المنتقد محمد بن مسعود بسبب تعجله بالنقد والانتقاد دون تمحيص أو تدقيق للمعلومة بل يأخذ الأمور على عواهنها دون ضبط أو ربط.

ثم تعالوا لنسأل أنفسنا ذلك السؤال الكبير ألا وهو: كيف لقبائل بني مالك المجاورة العديدة أنها لم تنس جدها مالك ولا زالت من قديم الزمان إلى هذه اللحظات ينتسبون إلى الجد مالك مع وجود أجداد أحدث منه كخالد وسعيد ويحيى وعلي وغيرهم فلم يتناسوا الجد مالك وهم يقولون الخالدي المالكي وآل سعيد من بني مالك وهلم جرا؟ بينما قبائل فيفا المجاورة قد تنكرت لما يزعم ويتوهم المنتقد بأنه الجد زنامة بن هلال بن خولان الجامع لقبائل فيفا؟

كيف لقبائل فيفا أن تنسى جدها زنامة وهو في فترة زمنية قريبة لا تتجاوز الخمسة قرون وأصبحت متكررة لهذا الجد فلا تجدهم يقولون إلا فيفي ولا تجدهم يقولون إلا المغامري الفيفي أو الحكمي الفيفي ولم نجد قديماً أو حديثاً من قال أو كتب المغامري الزنامي أو الحجري الزنامي أو العبدلي الزنامي أو الزنامي الفيفي أو الفيفي الزنامي؟

أليس غريباً أن أهالي فيفا قديماً وحديثاً يتناقلون النسب الشائع المعروف الصلت بن عطا بن أحمد اليهنوي الخولاني أو عبيد بن أحمد من هاني بن خولان ولم يتطرق أحدهم من قريب أو بعيد عن الجد زنامة، وليس له مكان في أنسابهم ولا كتبهم ولا

أي أمر يشير إليه من قريب أو بعيد البتة حتى نسابة فيفا الشيخ علي بن قاسم لم يعلم عنه أو يكتب عنه أو ينقل عن كبار السن أي شخصية بمسمى (زنامة)؟

أليس هذا أمر يدعوا للاستغراب؟

ثم أليس من حقنا أن نسأل أين اختفى ذلك الجد وأين اختفت تلك القبيلة التي كانت قبائل فيفا تنتسب لها وكيف..... وكيف ولماذا..... ولماذا؟

أعود فأقول:

كيف للمنتقد وهو يدّعي البحث وينسب نفسه لعالم البحوث عدم تساؤله عن اختفاء تلك القبيلة (زنامة) التي يزعم أن قبائل فيفا تعود إليها نسباً وأنها الجامعة لقبائل فيفا؟

كيف به لم يقارن في المعاهدة بين قبائل بني مالك التي لا زالت كما هي حتى وقتنا الحاضر وبنفس مسمياتها ولا زالت تنتسب إلى الجد مالك وبين جاراتها من قبائل فيفا التي لا زالت تحتفظ بمسمياتها القديمة التي تعود إلى فترة زنامة وما قبلها إلى وقتنا الحاضر كآل (الصلت وحجر وشراحيل وعبيد)؟ فهل تتصلت من الجد زنامة ومن القبيلة زنامة ومحتها من الوجود؟ فيا للعجب!

يا ترى لماذا لم يسأل المنتقد نفسه عن أسباب ذلك التنصل المفترض وذلك الجحود والعقوق من قبائل فيفا التي تنكرت لتلك القبيلة الأم التي تعود إليها نسباً وهي الجامعة لقبائل فيفا كما توهم المنتقد؟

وكيف تنصلت تلك القبائل الفيفية لنسبها القديم وقضت عليه وأصبحت تنتسب لهاني مباشرة أو للجد الأعلى خولان وأسقطت الجد المزعوم زنامة؟

وأما بالنسبة لقوله: إن كل قبائل فيفا تعود لقبيلة زنامة اليهنوية الخولانية (الصلت بن زنامة بن هلال بن خولان) بعد كل ما رأينا فمن العجب قوله ذلك القول الذي ليس له وجود على أرض الواقع!! شيء عجيب غريب!. وقد سبق وشرحت عن هذا النسب بالتفصيل في حلقة سابقة.

وفي الحقيقة أن قبيلة زنامة كما يتضح للقارئ والمهتم والمحلل أنها لا تعدو كونها مجرد قبيلة مثلها مثل أخواتها من قبائل فيفا، كانت تسكن جبال فيفا في فترة زمنية قديمة في القرن التاسع الهجري وما قبله تشاركهم سكنى الجبل ثم اختفت هذه القبيلة لسبب أو لآخر أو ربما ضعفت ودخلت تحت قبيلة أخرى من قبائل فيفا وأصبحت فيما بعد لا تعرف إلا بها وأخذت مسماهها وهذا يحدث كثيراً في القبائل العربية.

وهذا كل ما يمكن أن يقال عن هذه القبيلة القديمة ليس أكثر، وليت أن المنتقد قد أتى لنا بما يوضح كل ما يدور من أسئلة حول هذه القبيلة، وليت أنه أتى لنا بنسب ثابت واضح لا غبار عليه ولا شبهة فيه لقبائل فيفا التي زعم أنها تعود في نسبها للجد زنامة أو ليته جاء بمرجع أو مستند صحيح.

ولا زلت أتعجب وسأظل أتعجب كيف أن المنتقد قد خرج لنا بنسب جديد وأن آل الصلت وبقية قبائل فيفا تعود إلى زنامة بن هلال بن خولان ومرة إلى زنامة بن هلال بن هاني بن خولان الذي شرحت لكم سابقاً عن ضعف هذا الاستنتاج وأنه غير صحيح بل سترون في حلقة قادم أنه ينسب زنامة لجد آخر غير هلال.

وأخيراً:

أحب أن أذكر المتابع الكريم بأنني أول من أثبت قبيلة زنامة في كتاب يُقرأ بناءً على ما توفر لدي من وثائق معاهدات مخطوطة تسمى (التهجير الجامع) وأنني أول من نسبها إلى زنامة بن هاني بن خولان نظراً لما وجدته في كتاب الإكليل من أن من أبناء هاني بن خولان ولد يقال له زنامة، ولأن القبائل التي تنتسب لهاني بن خولان سواءً أكان ذلك من صلب النسب أو عبر التحالف يطلق عليهم (يهانية) مفردها يهنوي، ومنها قبائل فيفا وبعض القبائل المجاورة التي يطلق عليها لقب اليهنوي، ولأن ذلك الجد المسمى زنامة من صلب هاني بن خولان، فقد دفعتني كل هذه الأسباب لأنسب قبيلة زنامة التي وردت في تلك المعاهدة والتي كانت تتواجد في يوم من الأيام في جبال فيفا وذلك فيما قبل الألف الهجري، لهاني بن خولان ليس لدي أكثر من ذلك لأعتمد عليه في هذه النسبة التي توصلت إليها، وقد تكون هذه النسبة صائبة بشكل كبير وقد تكون غير ذلك لأنني أحب أن أهدي للمنتقد والقارئ معلومة مهمة يستطيع الانطلاق منها لإجابة كل التساؤلات حول قبيلة زنامة.

حيث ذكرت في كتابي معلومة لم يعرها البعض اهتماماً واضحاً وهي أن هذه الوثائق لا زالت بحاجة إلى دراسة أعمق وأكبر، وكنت أعني ذلك حقاً خصوصاً إذا علمنا أنه لا زال في جبل العبادل بقايا لزنامة.

وهذه المعلومة قد خفيت على المنتقد لأنه لم ينطلق في بحثه وكتابه إلا من خلال ما نقلته في كتابي ولم يكلف نفسه أو يتعبها لبحث بتعمق في قبيلة زنامة.

فعلى المنتقد وكل من يهمه الأمر الذهاب لجبل العبادل ليتقابل مع قوم يقال لهم آل نشوان من أيتام العبادل الذين أكدوا لي بما لم أنشره في كتابي حتى أتيقن منه من أن آل نشوان من أيتام العبادل قد رحلوا من فيفا في زمن قديم وهم أصلاً من أيتام فيفا،

وأن الأيتام بفيفا قد قدموا لفيفا في زمن قديم من ضواحي وادي فاطمة بمنطقة مكة المكرمة واستقروا فترة من الزمن بجبال فيفا ثم رحل منهم فيما بعد إلى جبل العبادل بطن يقال لهم: (آل نشوان) والذين ذكروا لي بأن أمهم في فيفا كان اسمها زنامة وأنه لا زالت لديهم حيفة - مدرج زراعي- في جبل العبادل تسمى حيفة زنامة.

وإنني على يقين تام بأن المنتقد محمد بن مسعود أو أي مهتم آخر لو ذهب إلى هناك وعمل دراسة حول هذا الموضوع سيجد بعض الإجابات عن ماهية قبيلة زنامة؟

ومن أين قدمت إلى فيفا؟

وما سبب رحيلها من فيفا؟

وأيّن استقرت بعد رحيلها المفترض عن فيفا؟

ومن هي القبيلة التي لا زالت تؤكد الانتساب إليها؟

وقد يجد غيرها من الفوائد والإجابات التي قد تفتح له آفاق واسعة وقد تغير فكرته الخاطئة من أن قبائل فيفا جمعاء تنتسب لزنامة بن هلال بن هاني بن خولان أو زنامة بن هلال بن خولان أو زنامة بن كما سنرى في حلقة قادمة، والتي هي في الأساس لا تعدو كونها إحدى قبائل جبال فيفا في فترة من الفترات الماضية.

وإلى اللقاء قريباً في الجزء الأول من الحلقة السادسة بإذن الله . .

(الجزء الأول من الحلقة السادسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بتوفيق الله وفضله ومثله وكرمه الجزء الأول من الرد على الحلقة السادسة . . فأقول وبالله التوفيق:

ورد في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفا) من الصفحة ١٠٨ إلى الصفحة ١١١ مايلي:

ثانياً: آل المثيب.

إن القبائل الحالية آل عبيد التي دخل تحتها القبيلة الكبيرة آل المثيب ما هم في نظرنا إلا حلف بين قبائل آل إمغامر بقبائلها الست المعروفة، وبين قبائل آل ظلمة وآل علي بن عمر بفرعيها العمري والدفري تيمناً بالجد القديم لبعض من هذه القبائل (عبيد)، حيث لم تكن قبائل عبيد هذه بقبائلها التسع الحالية كما هو متعارف عليه الآن؟ بل كانت أصغر من ذلك وحدث معها أحلاف وحسن جوار إلى أن أصبحت بقبائلها التسع الحالية؟

وقد رأينا تقسيمة القبائل عام ١٠٣٥ هـ أن قبيلة (آل المغامر) منفردة وقبائل البيتين آل علي بن عمر وآل ظلمة على حدة ثم اتحدت قبائل البيتين وقبائل آل المغامر وتحالفوا تحت اسم آل عبيد القبيلة الأساسية والأقدم في فيفا من آل المغامر. [١] مع ملاحظة أنه قد دخل أيضاً مع قبائل آل عبيد أسر وفخوذ من قبائل أخرى، سواء من اليمن أو البلدان المجاورة وبعضها معروف وأصبحت جزءاً من تلك القبائل، سواءً بالحلف أو بالزواج فيما بينهم، واختلاط الدماء وهكذا؛ مما يقوي أواصر المحبة والقربى.

[١] - طوال بحثنا المضمني عن مغامر لم نجد إلا مغامر بن مالك كما هو في مشجرة بيت الغالبي بصعدة ومغامر الذي يعود إلى مغامر من حمير وفرع صغير في قحطان كما سنشرح ذلك في بحث قبائل آل المغامر. ولذلك فالجد مغامر قد انقسم إلى فرعين كبيرين أحدهما في بني مالك والآخر في فيفا، وكل فرع يضم تحت العديد من القبائل، ولا ندري على وجه التحديد لمن يعود مغامر هذا؟ هل هو كما هو مثبت في المشجرة إلى مالك من خولان نسباً أم حلفاً؟ ولا ندري كذلك هل الجد الغمر بن شهاب بن العاقل بن الأزعم بن خولان هو تحريف لكلمة مغامر، كما أشرنا سابقاً؟

ولكن نظراً لعدم التدوين، وذهاب الحفاظ للأنساب، ومرور الزمن، فقد تلاشت تلك الأسر والفخوذ، وانصهرت مع قبائل آل عبيد، وأصبحت جزءاً منها مما أدى إلى صعوبة التفصيل فيها ومعرفتها. والأمر ينطبق على غالبية قبائل فيفا. ولذلك يقر علماء الأنساب، بأن تشابك أنساب القبائل وتداخلها من أصعب ما يتعرض له دارس أنساب العرب، وخاصة إذا نشأ هذا التداخل من تقارب في المنازل وتوافق في الزمن، ولا شك أن غالبية قبائل فيفاء قد مازجتها أفخاذ ونقائل من قبائل أخرى، عن طريق الحلف أو الجوار أو الولاء، وليس الأمر بخاص فقط في قبائل آل عبيد. ([٢])

والدارس لعلم الأنساب والتاريخ يجب عليه عدم التهاون فيما يقرأه وعليه أن يستخرج ما بين السطور وأن يحلل الأمور فربما خرج من تلك القراءة غير السطحية بنتيجة مهمة قد تبنى عليها الدراسات الكبيرة والكثيرة. على سبيل المثال: ليس الهمداني - رحمه الله - وحده هو من أنار لنا الطريق بعد الله، وحافظ على جزء من أنسابنا وتواريخنا، بل هناك أيضاً ممن قد وقع تحت أيدينا من مراجع وإن كانت فقيرة جداً في هذا المجال، ولكنها لا تخلو من فائدة بأي حال من الأحوال.

فلقد أوجز لنا القاضي الفقيه والأديب والشاعر والمؤرخ عمارة الحكمي رحمه الله بعضاً من جوانب حياته، في بعض من مؤلفاته التي وقعت تحت أيدينا. ([٣]) حيث يقول نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن الحكمي ذاكراً لنسبه: فأما جرثومة النسب، فقحطان ثم الحكم بن سعد العشيرة المذحجي، وأما الوطن فمن تهامة باليمن مدينة يقال لها اليوم (مرطان) من وادي وساع.

[٢]- فلو تتبعنا غالبية قبائل فيفاء، لوجدنا فيها نقيلة أو أكثر ليست من أصل القبيلة، أي لا تعود إلى جد القبيلة، ولكنهم مع مرور الزمان وعدم التدوين أصبحوا لا يعرفون إلا باسم القبيلة التي انضموا إليها، ويلزم لمعرفة ذلك جهد كبير، ووقت طويل، وتضافر الجهود مع أن بعضها معروفة حالياً. وفي الحقيقة أن بلاد فيفاء، والمناطق المجاورة بل وفي جميع أنحاء العالم العربي، داخل الجزيرة العربية وخارجها، تعج بالرحلات والتنقلات لبعض القبائل والعوائل والفخوذ إضافة إلى التحالفات. ولماذا نذهب بعيداً؟! فهناك من قبائل فيفاء وعمائرها وفخوذها، من قد رحل عن فيفاء، واستقر في أماكن أخرى، كما رأينا وسنرى في ثنايا هذا البحث.

إذن ما المانع وما المستغرب أن يكون هناك في قبائل فيفاء قبائل وفخوذ وأسر قادمة من خارج فيفاء كاليمن المجاور أو بعض القبائل المجاورة كبني الغازي وبني مالك وغيرهم؟ إن فيفاء لمليئة بمثل هذا. وإن هذه الأسر والقبائل الداخلة مع قبائل فيفاء الأصلية لذات أصول عظيمة وكبيرة، اندمجت في قبائل فيفاء الأصلية، وأصبحت لا تعرف إلا بقبائل فيفاء.

[٣]- ككتابه الممتع النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، وكذلك في كتابه تاريخ عمارة وتاريخ اليمن؛ المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وديوانه الشعري.

إلى أن يقول: وبها المولد والمربي وأهلها بقية العرب في تهامة؛ لأنهم لا يساكنهم حضري، ولا يناكحونه، ولا يجيزون شهادته، ولا يرضون بقتله قوداً بأحد منهم؛ ولذلك سلمت لغتهم من الفساد.

وفي كتاب آخر يقول عن مدينته التي ولد بها: الزرائب من أعمال ابن طرف وهو الوطن الذي ولدت فيه وبها أهلي إلى اليوم.

ويعتقد بعض مؤرخي المنطقة أن الزرائب في جبل مصيدة من جبال بني الغازي، حيث لا زالت هناك مجموعة من البيوت في بقعة يطلق عليها اسم الزرائب.

ويرجح أولئك المؤرخون وعلى رأسهم محمد العقيلي، أنها البقية الباقية من مدينة الزرائب التاريخية، خصوصاً بأنه يوجد في بني الغازي قبيلة كبيرة باسم آل زيدان التي ينتسب إليها عمارة الحكمي.

وكذلك فهناك موقع آخر قريب من ذلك الموقع ولا يبعد عنه كثيراً يقع في جبل الحشر يطلق عليه الزرائب وبه آثار قديمة دامرة.

وليس هناك مسافة كبيرة بين الزرائب ووادي وساع فالمسافة بينهما لاتصل إلى أربعة فراسخ أي أقل من عشرين كم.

ثم يقول عمارة: وكانت رئاستهم وسياستهم تنتهي إلى المثيب بن سليمان وهو جدي من جهة الوالدة وإلى زيدان بن أحمد وهو جدي لأبي وهما ابنا عم ([٤]) وكان زيدان يقول: أنا أعد من أسلافي أحد عشر جداً ما منهم إلا عالم مصنف في عدة علوم.

[٤] - وعن الجد المثيب الذي يهمننا في بحثنا هذا ذكر عمارة - في كتابه النكت العصرية: بأنه أي جده المثيب يعود إلى آل الخطاب حيث قال: (وأخبرني خالي محمد بن المثيب وكان في أخوالي بني الخطاب مثل والدي في بني زيدان بن أحمد).

وقد تتبعنا آل خطاب هؤلاء فلم نجد أي بطون أو قبائل في مشجرات الحكم بن سعد العشيرة باسم آل الخطاب الذي ذكر المؤرخ العلامة عمارة الحكمي أن المثيب يعود إليهم، وبمزيد من البحث والمقارنة والتحليل خرجنا بأن المثيب هذا قد لا يخرج عن أمرين الأمر الأول وهو ضعيف بالنسبة لي أن المثيب بن سليمان قد يعود في نسبه إلى القائد الحكمي الشهير في القرن الثالث عبدالله بن الخطاب الحكمي أحد قادة أمير خلافة الحكم حينها الغطريف بن محمد الحكمي، وذلك في زمن الإمام الهادي إلى الحق. وأما الأمر الآخر وهو الأقوى بالنسبة لي فهو أن المثيب بن سليمان الذي لعله جد قبيلة آل المثيب الخولانية بفرعيها المتواجد أحدهما في جبال فيفا والآخر في بني مالك المجاورة، يعود في النسب إلى الخطاب الذي ربما كان يعود في نسبه إلى الجد الجاهلي خولان بن عمرو بن سعد العشيرة. وحجتنا في ذلك ما سوف نراه من معلومات قادمة زودنا بها الأديب المؤرخ العلامة عمارة الزيداني الحكمي.

ولقد أدركت عمي علياً بن زيدان، وخالي محمداً بن الميثيب ورئاسة حكم بن سعد
العشيرة تقف عليهما وتنتهي إليهما. [٥]

[٥] - ثم يذكر عمارة مدى قوة ملك جديده وأعماله في زمنهم، ومدى اتساع أراضيهم وكثرة أنعمائهم
وغناهم، ومدى تدينهم وعلمهم، حتى أنه ليشعر القارئ بأن أولئك الأجداد والأعمام والإخوان لعمارة كانوا
عظماء زمانهم وهم فعلاً كذلك.

يقول عمارة: وما أعرف فيمن رأيت أحداً يشبه علياً بن زيدان في السؤدد وهذه اللفظة وهي السؤدد يدخل
تحتها كل ما يوصف به سادات أشراف العرب من كل فضيلة.

يقول عمارة: حدثني أخي يحيى بن أبي الحسن وكان عالماً بأيام الناس وكان عهدي بيحيى هذا ومشايخنا
مثل خالي محمد بن الميثيب وأبي زيدان بن أحمد ونظرانئهما يمشون إلى منزل هذا يحيى ولا يردون ولا
يصدرون إلا عن رأيه ومشورته.

قال لي: لو كان عمك علي بن زيدان في زمن نبي لكان حوارياً أو صديقاً لفرط سؤدده؛ قال عمارة: وحدثني
الفقيه محمد بن حسين الأوقص وكان صالحاً قال: والله لو كان علي بن زيدان قرشياً، ودعانا إلى بيعته تحت
رايته لاجتماع شروط الخلافة فيه ما عدا النسب، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الأئمة في قریش.

ثم أسهب في وصف عمه علي بما يفوق الوصف وأن عمه علياً ذو شجاعة كبيرة، وضرب بعض المواقف
البطولية التي قام بها، وأخبرنا كيف أن الناس يلهجون بتفضيل الميثيب بن سليمان من آل خطاب وزيدان بن
أحمد بن محمد الحكمي على كثير من أسلافهما وكيف أن البعض يفضل علي بن زيدان عليهما.

أنظر كتابه النكت العصرية ص ٨ - ٢١. لمزيد من التفصيل.

يقول عمار الحكمي قلت لأخي يحيى يوماً: من القائل في جديك الميثيب بن سليمان وزيدان بن أحمد:

إذا طرقتك أحداث الليالي * * * ولم يوجدد لعلتها طبيباً

وأعوز من يجيرك من سطاها * * * فزيدان يجيرك والميثيب

هما ردا علي شئت ملكي * * * ووجه الدهر من رغماً قطوب

وقام عند خذلاني بنصري * * * قياماً تستكين به الخطوب

فقال: هو السلطان علي بن حبابة الفرودي، كان قومه قد أخرجوه من ملكه وأفطروه من ملكه وولوا عليهم
أخاه سلامة. فنزل بهما. أقول: (أي لجأ إليهما طالباً النجدة والمساعدة منهما على ارتداد ملكه المسلوب منه،
وهذا فيه دليل على أن الميثيب وزيدان كانا عظيمين وفيهما كل الصفات التي لا توجد إلا في الحكام
والسلطين العظام، من قوة وإغاثة الملهوف وما شابه). يقول عمارة: فسارا معه في جموع من قومهما حتى
عزلا سلامة وولي علي فأصلح له قومه وكان الذي وصله له من برهما وأنفقاء على الجيش في نصرته،
وحمل إليه من خيل ومن إبل ما ينيف عن خمسين ألف من الذهب، قال أخي يحيى: وفي أبي وخالي أي
الميثيب وزيدان يقول مدبر الشاعر الحكمي من قصيدة طويلة:

أبواكم ردا على ابن حبابة * * * ملكاً تبدد شمله تبديدا

كفل الميثيب عن الحسام بعدوة * * * مذ صار زيدان به فأعيد

وبنيتما ما شيدا من سودد * * * قدما فأشبهه والد مولوداً

قلت ليحيى فهل لعمك علي مثل هذه النقبة العظيمة؟ قال: أنت صبي جاهل، بل والله أمثال في فنون لسؤدد
ومكارم في سبيلي الدين والدنيا لا يصبر على احتمالهما أحد، وذهب في وصف عمه علي إلى أن قال من
قصيدة لسلم بن شافع الحارثي:

إذا أودى ابن زيدان علي * * * فلا طلعت نجومك يا سماء

ولا اشتمل النساء على جنين * * * ولا روى الثرى للسحب ماء

على الدنيا وساكنه جميعاً * * * إذا أودى أبنا الحسن العفاء

إن الهدف من نقل المعلومات السابقة، وما سيأتي من معلومات أخرى وردت في بعض من كتب عمارة الزيداني الحكمي من آل زيدان ببلغازي، أن هناك بلا شك رجلين عظيمين هما المثيب وزيدان الذي سبق وأن تطرقنا لهما.

ورجلان عظيمان مثل هذين الرجلين لهما مثل هذه الرئاسة والقوة والغنى، لا بد وأن يستمر ذكرهما، وأن تخرج من تحتها قبائل كبيرة، فلو عُدنا إلى زيدان جد عمارة من جهة أبيه الذي يعود إلى حكم بن سعد العشيرة؛ لرأينا أن ذريته قد تناسلت، وكونت قبيلة آل زيدان المذحجية، والموجودة إلى وقتنا الحاضر من ضمن قبائل حلف بلغازي؛ الذي يجمع تحته العديد من القبائل، ومن ثم يجمعهم مع إخوانهم من بقية القبائل المجاورة حلف فرود (الفرودي).

وهناك قبيلة خولانية من قبائل آل عبيد بفيفا، وبالأخص من آل المغامر تسمى آل مثيب (المثيبي)، وهي قبيلة كبيرة ذات سيادة ورئاسة، فلعل أساس تلك القبيلة هم أحوال ذلك القاضي الفقيه، والأديب المؤرخ الشاعر عمارة بن الحسن الحكمي، وبالرغم مما كان يجمع آل المثيب وآل زيدان قديماً من قرابة ونسب ومصاهرة واشتراك في حكم قبيلة الحكم بن سعد العشيرة وأنهما أبناء عم، ولكن بسبب تباعد الزمان، وما يحدث على القبائل من تفرق وتنقلات فقد أصبح آل المثيب في جبال فيفا، وآل زيدان في ديار بلغازي. مع أن المسافة متقاربة جداً ولا زالوا جميعاً في نفس المنطقة القديمة تقريباً.

وربما واجهنا إشكالية بسيطة أيضاً في ذكر عمارة الحكمي أن جديه المثيب بن سليمان وزيدان بن أحمد أبناء عم، فحق للبعض أن يتساءل كيف أصبحت قبيلة آل المثيب بفرعيها الفيفي والمالكي خولانية النسب مع أنه من المعروف أن آل زيدان مذحجية النسب وهما أبناء أعمام؟

=

يقول عماره: وأخبرني خالي محمد بن المثيب وكان في أخوالي بني الخطاب مثل والدي في بني زيدان بن أحمد قال: أجذب الناس في بعض السنوات، وهلك المواشي، وانقطعت الخضر من نبات الأرض، فلا تعلم ومررت علينا فرقانات سيارة وكان بعضها لعلي بن زيدان، فأخذ منها مئتي ناقة لبون وأربع مئة بقرة ففرقها على المقلين من الناس على جهة المنحة دون التملك، والمنحة عند العرب: عارية الحيوان اللبون والإباحة لدرها دون ملكها فلما أخسر الناس واستغنوا شرعوا في ردها إليه، فوهب لكل إنسان ما كان منها في يده. ثم توفي عمه علي بن زيدان سنة ٥٢٦ هـ وتبعه خالي محمد بن المثيب سنة ٥٢٨ هـ يقول عمارة: وكان أبي يتمثل بعدهما بقول الشاعر: ومن الشقاء تفردني لسؤدد.

أقول: لعل المثيب يعود في أجداده القدامى إلى خولان بن عمر بن سعد العشيرة، وزيدان يعود في أجداده القدامى إلى الحكم بن سعد العشيرة، وبهذا فهما أبناء عم، ولأن قبائل فيفا كما هو متعارف عليه يغلب عليها النسب الخولاني فكيف نفسر خولانية آل المثيب ومذحجية آل زيدان مع أنهما أبناء عم.

أقول: قد فسرنا ما يخص خولان في بداية بحثنا هذا، ولعل خولان بن سعد العشيرة وخولان بن عمرو إلحاف قضاعة قد تحالفا مع بعضهما البعض وأصبحوا جميعاً يعرفون بخولان بن عامر، ولذلك ليس بالضرورة أن تكون غالبية تلك القبائل الفيفية تعود إلى خولان بن عمرو إلحاف قضاعة فقط بل ربما كان فيها من يعود إلى خولان بن عمرو بن سعد العشيرة، الذي يجمعها الحلف اليهنوي الكبير العائد إلى هاني بن خولان بن عامر.

وهناك نقطة جديرة بالاهتمام حول زمن الجد المثيب حيث أكد لنا الشيخ القاضي حسن بن جبران السنحاني المثيبي الفيفي في نسبه الذي تطرقنا إليه سابقاً الذي أثبت فيه أن زمن جدهم المثيب كان قريب جداً من نفس الفترة الزمنية التي تطرق فيها عمارة الحكمي لزمن تواجد جده المثيب.

وفي ختام هذه الإلماحة حق لنا أن نتساءل ونقول: إذا كانت قبيلة آل زيدان آنفة الذكر لا زالت متواجدة حتى أيامنا هذه ومعروفة، فأين ذهبت قبيلة آل المثيب التي كانت تضاهيها في القوة والعدد قديماً؟

ولنا أن نتساءل أيضاً من هي تلك القبيلة الكبيرة ذات السيادة والرئاسة في جبال فيفا؟ ولمن تعود في النسب؟

أليس الأمر يستحق الدراسة والتدقيق من المهتمين في هذا المجال؟ وقد رأينا أيضاً في متن سابق وبعض حواشيه ذكر لرجل عظيم كاد أن يتفوق ذكراً ومنزلة على المثيب بن سليمان وزيدان بن أحمد وهو عم عمارة (علي بن زيدان). ولدنا في بني مالك المجاورة قبيلة كبيرة يقال لهم: آل علي (آل عَليْن)، لا يستبعد أبداً أن جزءاً منهم من ذرية ذلك الرجل العظيم، وإن كانوا اليوم لا يعرفون أنفسهم إلا على أنهم جزء من قبائل بنو مالك الخولانية ببلاد فيفا المجاورة لقبائل جبال فيفا والتي يجمعها مع غالبية قبائل فيفا رابط نسب.

والأمر بحاجة إلى دراسة من المهتمين ومن أبناء تلك القبائل بالذات، فربما ثبت لديهم صحة استنتاجي هذا.

وإذا كنا قد سبق وأن تساءلنا أين ذهب ملك ذلك الرجل العظيم المثيب بن سليمان وأين ذهبت ذريته؟ فإنه حق لنا أن نتساءل أين ذهب ملك ذلك الرجل العظيم على وأين ذهبت ذريته؟ مع ملاحظة أن زيدان المصاحب لهما لا تزال ذريته وقبيلته متواجدة حتى أيامنا هذه وبالقرب من مواقع تلك القبيلتين.

ولكن كما سبق وأن ذكرنا ليست كل قبائل جبال فيفا وبعض ممن جاروها خولانية من صلب النسب، بل إن هناك بعض القبائل المذحجية والأزدية كما بينا وكما سنبين لاحقاً أصبحت خولانية النسب كحلف.

يقول المنتقد: هذه الحلقة ستكون مخصصة لاستعراض منهج الباحث في التدحيح الذي أقل ما أصفه به أنه السهل غير الممتنع ولننطلق حسب عرضه على صفحات الموسوعة.

أولاً: آل المثيب (الأمراء).. خصص لهم مبحثاً مستقلاً من (١٠٨ - ١١١) ينسبهم فيه لمذحج!! فكيف تم له ذلك؟ وماهي البراهين؟ للنظر: يلتقط من أخبار عمارة الحكمي اسم علم هو المثيب - يلتقط منه تقريراً إن المثيب هذا كان أميراً وزعيماً كبيراً - يربط بين زعامة آل المثيب في قبائل فيفا المعاصرة وبين زعامة المثيب التي حكاها عمارة القرن الخامس الهجري. بعد ذلك يقول الباحث (وهناك قبيلة خولانية من قبائل آل عبيد وبالأخص من آل امغامر تسمى آل مثيب (المثيبي) وهي قبيلة كبيرة ذات سيادة ورئاسة، فلعل أساس تلك القبيلة هم أحوال ذلك القاضي الفقيه والأديب المؤرخ الشاعر عمارة بن الحسن الحكمي). ص ١١٠.

قلت: هو يقول (فعل)!! وهذا الـ (لعل) حرف مشبه بالفعل يفيد التوقع والترجي والإشفاق ولا يغني عن الأمر شيئاً في نقل أمة من خولان بن عامر إلى مذحج!! رغم حشد الألقاب أمير .. زعيم .. قاضي .. فقيه .. أديب .. مؤرخ .. شاعر!! هل ترونها ثمناً كافياً لهذا الاعتساف؟!

بعد لعل التي رأيتموها يمضي منطلقاً لا يلتفت معتقداً أنه قدم برهاناً نافعاً .. فيقول (وهناك نقطة جديرة بالاهتمام حول زمن الجد مثيب حيث أكد لنا الشيخ حسن بن جبران السنحاني المثيبي في نسبه الذي أثبت فيه أن زمن جدهم المثيب كان قريب جداً من نفس الفترة الزمنية التي تطرق فيها عمارة الحكمي لزمن جده المثيب). ص ١١١.

قلت والقول لمحمد بن مسعود: لقد نقلت لكم هنا كلام الباحث ليس لأنه ذريعة أو حجة وإنما لترون بأعينكم مدى عبثه واستهتاره بقومه الذين يفترض أن يصدقهم القول وفلا (يقصد المنتقد فلا) يستخف بعقولهم ويدلس عليهم .. فلم يكلف نفسه بجلب السلسلة التي ساقها القاضي الراحل حسن بن جبران لنسبه طالما وقد عدها قرينة قوية .. بل تركها حيث هي في هامش صفحة ٩٨ حيث ذكر أن المتفق عليه بين المؤرخين والنساب أن يعطى لكل ثلاثة جودود (١٠٠) سنة. ولنتأكد من دقته فيما اقتبسناه أعلاه من ١١١ فإننا نجد (المثيب) المذكور عند عمارة الحكمي ولد سنة ٤٦٠ هـ تقريباً لأن الخال محمد بن المثيب كانت وفاته سنة ٥٢٨ هـ بحسب ما نقله الباحث في حاشية ١١٠ ويكون ميلاده حوالي ٤٩٠ هـ على سبيل الجدول وتكون ولادة المثيب ٤٦٠ هـ أيضاً على سبيل الجدول .. أما (المثيب) المذكور في سلسلة نسب القاضي حسن بن جبران فقد ولد على نحو تقريبي سنة ٧٦٤ هـ. فهذا المثيب هو

الجد الثامن عشر وإذا استخدمنا ذات الميزان وهو وضع ثلاثة جود لكل مئة سنة فإن الناتج سيكون ٦٠٠ عام فنطرحه من ١٣٦٤ هـ الذي هو تاريخ وفاة القاضي وعندها يكون الناتج ٧٦٤ وهو الرقم التقريبي الذي ولد فيه (المثيب) جد القاضي ثم نطرح منها ٤٦٠ الذي هو تاريخ ولادة المثيب صاحب عمارة الحكمي فيكون الناتج ٣٠٤ سنوات وهو فرق بمقدار تسعة أجيال وبضع سنين. هل رأيت دقة الباحث وهو يقول (أكد لنا الشيخ حسن بن جبران المثيب في نسبه الذي أثبت فيه أن زمن جدهم المثيب كان قريب جداً من نفس الفترة الزمنية التي تطرق فيها عمارة الحكمي لزمن جده المثيب). ص ١١١.

قلتُ والقول لا زال لمحمد بن مسعود: أي تأكيد وأي إثبات عناه الباحث؟ ولم نعثر على ذلك عند الفحص والاختبار.. إذن نحن أمام منهج حسابي متضعع غير دقيق فلا يصلح لقياس شيء أبداً.

وعلى سبيل المثال ماذا ستحكمون على من قال:

(عاشا في فترة مقارنة جداً يفصل بينهما ٣٠٤ سنوات فقط!!)؟

أو قال: (لقد سكنا في دارين شبه متجاورين يفصل بينهما حوالي ٣٠٤ كيلو مترات فقط!!)؟

أو قال: (حطم صخرتين شبه متساويتين في الوزن إنما بفارق زهيد جداً قدره ٣٠٤ أطنان!!)؟ ماذا سيكون حكم العقلاء على من قال بهذا؟؟!!.

أقول وبالله التوفيق: فيما يخص نسب الشيخ حسن بن جبران المثيب فقد ذكرته في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) الصفحة (٩٨) الجزء الأول، وعندما احتجت للاستدلال به في هذا المبحث في الصفحة رقم (١١١) من نفس الكتاب أشرت إلى الصفحة المثبت فيها نسبه، ولا أعتقد أن هناك إشكالية في عدم تكراره حرفياً في هذا المبحث فالمعلومة وردت في مرجع واحد ولم أرد أن أشعب القارئ وأحيله على مرجع آخر قد يتعب في الحصول عليه، وغريب أمر المنتقد فيما يخص هذه الملاحظة.

ونسب الشيخ القاضي حسن بن جبران المثيب كان كالتالي: (حسن بن جبران بن جابر بن علي بن جابر بن علي بن جابر بن جبار بن مفرح بن فرحان بن سلمان بن قاسم بن سنان وفيه يتصل نسب آل (سنان) بن ثابت بن أحمد بن حسين بن أحمد بن مثيب وفيه يتصل كافة فخذ آل (امثيب) بن ترار وفيه يتصل نسب آل امثيب وآل سلمان).

وأما فيما يخص العمر الزمني والفرق الذي حدده المنتقد بحدود الثلاثة قرون ورأى أنها مسافة زمنية بعيدة جداً في علم الأنساب؛ فهي في الحقيقة تعتبر فترة قريبة جداً في علم الأنساب خاصة إذا علم المنتقد بأنه هناك ما يسمى بسقوط الأجداد فيضطر علماء الأنساب إلى القفز لجد مشهور وهكذا، وقد غفل المنتقد عن هذه النقطة، ولو

طلبت من المنتقد مثلاً أن يثبت أن عطا بن أحمد أو عبيد بن أحمد من صلب هانيء بن خولان مباشرة لأدرك هذه النقطة ووعاها جيداً وعلم أن هناك قرون كثيرة بين هؤلاء الأجداد، ولكن قد ألتبس العذر للمنتقد لعدم التخصص وضعفه في مجال علوم الأنساب وما يحيط بها، وتعجله في النقد!

إذاً كم نحتاج من الأجداد الفعليين ليتصل نسبنا مباشرة مع خولان إذا أعطينا لكل قرن ثلاثة أجداد كما هو معروف لدى النسابة، وحسب القاعدة الخلدونية المعروفة؟ حتماً سنحتاج إلى ما يربو عن الخمسين جداً لنتصل على حد التقريب بالتسلسل الذي يكاد لا ينقطع إلى خولان بن عامر المتواجد في العصور الجاهلية وما قبل خراب سد مأرب التاريخي.

فلو عدنا لأنسابنا المحفوظة والمتعارف عليها في فيفا فهي في الغالب لا تتجاوز (الستة عشر جداً على الأكثر) وقلّ أن تجد من يتجاوز ذلك!

وعند عمل مقارنة بين هذين العددين لاتصال النسب بخولان وبين اتصال نسبنا إليه عبر آخر جد مؤكد لدينا وهو عبيد أو عطا ابني أحمد لوجدنا قرون كثيرة جداً تفصل بيننا وبينه، أقل ما نقدرها به أحد عشر قرناً، وهذا قد تجاوزه المنتقد وأقام الدنيا ولم يقعدّها عندما اكتشف بفطنته وذكائه أن بين الجد المثير العائد لفيفا وبين الجد المثيري المذحجي ثلاثة قرون فقط.

فيا للعجب كيف أجاز لنفسه ربط النسب بخولان وبيننا وبينه قرون كثيرة جداً وسكت عن ذلك ولم يثره أو يتطرق إليه! وكيف ينكر الفترة الزمنية البسيطة بين المثيري الخولاني والمثيري المذحجي التي حسب كلامه لا تتجاوز الثلاثة قرون، خصوصاً إذا ما قمنا بالمقارنة بين هذه القرون الثلاثة وبين تلك الفترة الزمنية التي تتجاوز العشرة قرون على أقل تقدير مع أنها أكثر من تلك القرون.

وسأضرب عن سكوته ذلك بالمثال التالي: (يؤكد المنتقد محمد بن مسعود ويدور تأكيده حول أن قبائل فيفا تنسب إلى عطا وعبيد ابني أحمد بن زنامة بن هلال بن خولان) ومع تحفظنا على تسلسل هذا النسب وقد بينت عدم صحته في حلقات سابقة وسأبين ذلك في حلقات قادمة بمشيئة الله وتوفيقه، ولكن دعونا نجاري المنتقد في هذه النقطة حتى أريكم كم من القرون أجازها لنفسه وسكت عنها لتمرير كلامه ومن ثم نرى هل تقارن بالقرون الثلاثة التي جعلها سبباً كبيراً في نفي عودة أصول آل المثيري بفيفا إلى الملك المذحجي المثيري ولننظر للأمثلة التالية المباشرة والواضحة فنحن نقول مثلاً:

(حسن بن جابر بن قاسم بن جابر بن يحيى بن أسعد بن جبار بن سالم بن حسن بن سليمان بن فرحان بن ساري بن زاهر بن ساتر بن قاسم بن ساهر، وإلى الجد ساهر الذي كان حياً عام ٨٩٩ هجري فالنسب مؤكد وثابت ومتصل، ولكن هناك سقط من الأجداد بين ساهر وبين أبي الحكم بن حجر أجداد لا يعلمهم إلا الله، وكذلك سقطت (قرون عديدة) بين الجد حجر وبين الجد عطا بن أحمد الذي ما هو في الغالب إلا

حلف، وهناك قرون كثيرة سقطت بين الجد أحمد والجد خولان لا يعلمها إلا الله.....(الخ).

اسمحوا لي أن أخذكم في أمثلة أخرى على سقوط الأجداد ووجود قرون كثيرة فيما بينهم، ولنبدأ على سبيل المثال بقول الشيخ علي بن قاسم الفيفي عندما نسب وأقر بهذه الحقيقة التي يعلمها جيداً، حيث يقول عن نسبه في نهاية ديوانه الشعري ومض خاطر ما يلي: (علي بن قاسم بن سلمان بن جابر بن جبران بن ساتر بن أحمد بن طارش بن أحمد بن حسن بن أحمد بن شريف بن خساف بن مغامر بن عبيد).

ثم يؤكد الشيخ ويخبرنا أن هناك سقط في سلسلة النسب الخاصة به بحوالي (٢٠) جداً تتخلل ما بين المودحي ومغامر، وما بين مغامر وعبيد، ولو حسبنا عمر أولئك الأجداد لوجدنا تلك الفترة تحدد بنحو ٧ قرون أي حوالي ٢١ جيلاً؛ فكيف لو حسبنا ما بين الجد عبيد والجد خولان بن عامر وأضفناها للسبعة القرون التي ذكرها الشيخ علي بن قاسم؟ وهكذا قيسوا مع بقية الأنساب في سائر قبائل فيفا.

ونستنتج كذلك من المثال الماضي معرفة وإمام الشيخ علي بن قاسم بسقوط الأجداد في علم الأنساب على العكس من المنتقد محمد بن مسعود الذي يبدو لي أنه غير ملم بها.

وسأختم هذه الاستدلالات التي تؤكد سقوط الأجداد عبر قرون عديدة وهي قاعدة معروفة ومشهورة في علم الأنساب ولا يعرفها إلا أصحاب البحث والاختصاص وهي كذلك معروفة لبعض الرحالة الأجانب فانظروا إلى قول الرحالة المسلم عبدالله فيلبي عندما ذكر نسب قبائل فيفا ثم قال: (يعود نسب الشيخ علي نفسه إلى أربعة أجيال إلى الوراء عبر أسرته الخاصة وهو: علي بن يحيى بن شريف بن جابر بن علي، ومن هؤلاء قفز النسب عبر القرون إلى سنحان بن فرحان، ثم قفز عبر (قرون أكثر) إلى خولان بن عامر وهكذا.... إلخ). أ.هـ.

وبعد كل ما ذكرته باختصار شديد عن قاعدة سقوط الأجداد في علم الأنساب ووجود قرون كثيرة فيما بين بعض الأجداد، والقفز إلى جد مشهور، وتجاهل ما ورد بينهما من أجداد، فلعله قد اتضح للقارئ تلك القاعدة، ولا أريد الاسترسال كثيراً في هذه القاعدة بل سأكتفي بهذه الأمثلة.

ولكن حق لي أن أتساءل بماذا ستحكمون على من قال أن عطا وعبيد من خولان بن عامر: (عاشا في فترة متقاربة جداً يفصل بينهما أكثر من ١١٠٠ (ألف ومئة) سنة فقط!!). أو قال: (لقد سكنا في دارين شبه متجاورين يفصل بينهما حوالي ١١٠٠ كيلو متر فقط!!). أو قال: (حطم صخرتين شبه متساويتين في الوزن إنما بفارق زهيد جداً قدره ١١٠٠ طن!!). بماذا سيكون حكم العقلاء على من قال بهذا؟؟!!.

ختاماً لهذه النقطة أتمنى من المنتقد تعلم ودراسة علم الأنساب جيداً والتركيز فيه ومحاولة الإلمام بكافة جوانبه، حتماً ستتغير نظرتة المتحجرة وإطاره الفكري المحدود الذي لا يرغب بالخروج منه.

ثم يقول المنتقد: (وبناء على ما تقدم فالباحث بلا أدنى أدلة قد تحمله على مجرد الشك في وجود علاقة بين الاسمين: الميثيب الخولاني والميثيب المذحجي).

أقول وبالله التوفيق: قد وجدنا شخصية عظيمة حاكمة ومن نسلها ذرية حاكمة يقال له الميثيب في الجوار من بلاد فيفا في القرون الإسلامية الأولى تعود لمذحج كما بينت لكم في بحثي، ولكننا على مر العصور وعبر كل المراجع والمخطوطات لم نجد في سلسلة نسب قبائل خولان بن عامر جد مثبت يعود لتلك السلسلة الخولانية اسمه الميثيب فتأمل في ذلك أخي القارئ.

ثم يقول المنتقد: (ولن يخفى دورانه وركضه المحموم خلف أسماء-) (يقصد المنتقد أسماء-) الأعلام التي يصادفها ضمن المجال الجغرافي المتاح من أجل التذحيج يمنية ويسرة بل يوظف أسماء-) (يقصد المنتقد أسماء-) الأمكنة وتطابقها مع غيرها في أي نقطة في جزيرة العرب من أجل رسالته الغريبة. فذحج كل شيء من القلل والشعاب والأودية والقبائل فنقل عامر أسفل طريق ١٢ تم تذحيجة-) (يقصد المنتقد تذحيجه-) بسهولة ودون عناء على هذا الباحث العجيب وتأمل قوله):

أقول وبالله التوفيق: هذه من افتراءات المنتقد وتهويلاته للقارئ بحيث يوهم المتابعين له ممن لم يقرؤوا كتابي بأنني فعلاً قد كتبت ومذحجت كل شيء من القلل والشعاب والأودية والقبائل كما ذكره هنا، محاولاً ولو عن طريق الكذب إيهام القارئ بأنني صاحب رسالة غريبة، وأما المطلع على كتابي أو ردي هذا فسيرى بكل سهولة مدى ما انتهجه محمد بن مسعود من أقاويل وافتراءات وأكاذيب وعند الله يتقابل الخصوم.

(الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) أيها القارئ المهتم: تعج بمئات من أسماء الأعلام وأسماء المواقع والأمكنة وعشرات الأودية والقلل والشعاب وعشرات القبائل، ولم أتطرق البتة إلى مذحجيتها عدا: (موقعي الرزم والردم من مواقع قبيلة آل شراحيل الأبية، ونسبة مسمى وادي ضمد لضمد بن يزيد المذحجي، وأما القبائل الفيفية فلم أتطرق إلا إلى مذحجية آل الصلت وآل البشري بفيفا)، ولم أقل بمذحجية غيرها من القبائل البتة اللهم إلا ما طالبت بدراسته في بحث آل الميثيب.

بل لقد تجاهل المنتقد رأيي في أنساب قبائل جبال فيفا الذي ذكرته في بداية فصول الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء الصفحة (٥١) الذي ذكرته حرفياً كما يلي:

(هناك بعض من كتب عن بلاد فيفا، وبالذات من أبنائها ممن يبالغون في أرائهم، فمنهم من ينسب جميع قبائل جبال فيفا، بل وجميع قبائل بلاد فيفا الواسعة إلى خولان بن (عامر) عمرو إلحاف قضاة كجد جامع لهم؛ على النقيض من الآخرين الذين يرون أن كل تلك القبائل تعود في نسبها إلى (مذحج) كاملة مع عدم استبعادهم وجود بعض النقايل الصغيرة من خولان وغيرها دخلت مع تلك القبائل المذحجية، وهناك

من يبالغ من غير أبناء فيفا في أزدية قبائل هذه البلاد، بينما هي في الواقع مجموعة قبائل متحالفة من كل تلك القبائل كما رأينا وكما سوف نرى بمزيد من الإيضاح في باب الأنساب).

وكذلك تجاهل محمد بن مسعود قولني في الصفحة (٧٣) (من كتابي الموسوعة الميساء) حيث قلت: (يسكن جبال فيفا وما حولها مجموعة من القبائل تتحدر في الغالب من أصل واحد، وهو خولان بن عامر سواءً أكان ذلك من صلب النسب أو بالتحالف) وقد بينت للقارئ المتابع بعض من ذلك في الحلقات السابقة.

والمنتقد هنا وفي بعض الحلقات يصفني بأنني مصاب بما يسميه (حمى التذحيح) ويؤكد أنني قد (ذحجت!!) كل شيء من القل والشعاب والأودية والقبائل، وقد صدّقه في هذه الافتراءات المكشوفة بعض متابعيه في هذه الحلقات التي طرحها دون أن يكلفوا أنفسهم عناء قراءة الكتاب لينظروا صحة ما ذكره من عدمه في هذه النقطة التي افترأها على صاحب الموسوعة، والموسوعة والله الحمد موجودة، وأطالب القراء الكرام وذوي الاختصاص الاطلاع عليها كاملة ومن ثم يقومون بالحكم بيني وبين المنتقد، وسوف يصاب بالذهول كل من اطلع على الموسوعة من جرأة هذا المنتقد في اتهامه لي والتقول عليّ بما لم أقل وبما لم أكتب.

وعلى ما يبدو أن محمد بن مسعود مصاب (بفوبيا مذحج) حتى أنه أصبح لا يفرق بين بني عامر العدنانية التي تطرقت لها في كتابي وبين قبائل مذحج بقوله قاصداً إياي:

(فذحج كل شيء من القل والشعاب والأودية والقبائل فنقل عامر أسفل طريق ١٢ تم تذحجة - (يقصد المنتقد تذحيجه) - بسهولة ودون عناء على هذا الباحث العجيب). وبالتجاوز عن وصفه لي بالباحث العجيب!!! فأنا لم أمذحج نقيلاً عامر البتة، بل نسبته إلى الفارس العربي عامر بن الطفيل القيسي العدناني وليس إلى مذحج، وأنا لم أشر إلى ذلك لا بالتصريح ولا بالتلميح، ولكن ماذا أقول فمحمد ينتقد كيفما اتفق مندفعاً ومستعجلاً ومهولاً ومبالغاً دون تدقيق أو تمحيص، والكتاب بين أيديكم وسترون صدق كلامي.

ثم يقول محمد بن مسعود: وتأمل قوله: (يقصدني أنا) وقد رأينا (في السابق) ذكر لرجل عظيم كاد أن يتفوق ذكراً ومنزلة على الميثب بن سليمان وزيدان بن أحمد وهو عم عمارة (علي بن زيدان) ولدنا في بني مالك المجاورة قبيلة كبيرة يقال لهم (آل علين) لا يستبعد أبداً أن جزء منهم من ذرية ذلك الرجل العظيم وإن كانوا لا يعرفون أنفسهم إلا أنهم جزء من قبائل بنو مالك الخولانية.... والأمر بحاجة إلى دراسة من المهتمين من تلك القبائل... فربما ثبت لديهم صحة استنتاجي هذا). ص ١١١.

قلتُ: (ولا زال القول لمحمد بن معود): ما هذا؟! وما الداعي لما قرأنا؟ لا يستبعد؟!! وهل أنسابنا إلا تستوعبنا قسراً؟ - (يقصد المنتقد لا تستوعبنا إلا قسراً) - أم نحن من يختارها على روج واستعراض لقوائم المشاهير؟!.. وكلي رجاء من المقربين ومحبي هذا الباحث أن (يقرعوه بالله يثوب) من بعض التأليف (يقصد المؤلف بهذه الكلمة جمع تأليف) التي تكاد تذهب بتاريخه الكتابي السامق وهذا رجاء محب صادق.

فتوفر العظمة والمجد والتميز بالمواهب الفذة والقيم الرفيعة في أحد الأعلام؛ لم تكن في يوم من الأيام مدعاة لعربي أصيل أن ينتسب إليه وينبذ أباه..
أقول وبالله التوفيق: لا تعليق.

وفيما يخص بحث آل المنيب أذكركم بأنه مجرد دراسة لا أجزم بها ولا زلت أطالب بدراسة ما ذكرته من نقاط من قبل من لديهم اهتمام وحب للبحث.
وكم كنت أتمنى أن يخبرنا المنتقد عن نسب هذه القبيلة الأبية ليريحنا من عناء الدراسة ونقر له بالنسب، أما وهو ينسب كل قبائل فيفا وبالطبع ستكون هذه القبيلة من ضمن تلك القبائل إلى جد أسطوري ليس له وجود في الواقع (زنامة بن هلال بن خولان) الذي سبق ووضحت لكم عدم وجوده نهائياً في حلقة سابقة فلا أقول إلا: (لاحول ولا قوة إلا بالله).

وإلى اللقاء بإذن الله في الجزء الثاني من الحلقة السادسة . .

(الجزء الثاني من الحلقة السادسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل الله وتوفيقه الجزء الثاني والأخير من الحلقة السادسة.

يقول المنتقد: ثم ماذا بعد؟ لننتقل يقصد (لننتقل) إلى:

ثانياً: آل الصلت (أبناء الملك) لنرى منهجه في تذحيجهم هل كان قوياً صلباً أم غير ذلك؟ والعنوان الأكثر جذباً تراه في ٢٤٨ هو (أولاد الملك معاوية بن الحارث المذحجي) ولم يجعل العنوان آل الصلت أو قبائل آل الصلت .. والحقيقة إن العنوان مغر جداً فأولاد الملك هم الأمراء فأى ترف ورخاء ومجد هذا الذي حازوه آل الصلت على آخر عمر!! ولو كنت سأحسدكم هذه الرتبة الرفيعة والمكانة المرموقة لاحتلت بأي وسيلة للطعن في أدلة الباحث مهما كلفني الأمر .. لكني رأيت أن التقرب من الأمراء ومداھنتهم خير من الطعن في صحة القرائن التي جلبت لهم المكانة الرفيعة والنسب المرموق .. أولاد الملك معاوية الخير وصاحب لواء مذحج وأهمهم هي صاحبة السمو الأميرة عبيدة بنت الزير سالم والطعن في صحة مجد كهذا يعد من الحسد والنفاسة .. فال الصلت أمراء أبناء ملك .. خالهم الفارس الشهير الزير سالم (يقصد المنتقد جدهم لأهمهم وليس خالهم) أخو .. أخو مين؟ - (يقصد المنتقد أخو من؟) - شفت - (يقصد المنتقد رأيته) - مسلسل الزير من زمان - (يقصد المنتقد منذ زمن) - الظاهر نسيت اسمه .. اعتقد كليب - (يقصد المنتقد أعتقد) - بل هو كليب فعلاً .. لا بأس مبارك عليكم أيها الأمراء ما نالكم من رفعة ومجد .. وكنت قد قصصت ونسخت عدة طعون وتراجعت عنها وبدأت في نظم قصيدة أمدح فيها أصحاب السمو الأمراء أبناء الملك معاوية الخير وإذا ما صدقتموني - (يقصد المنتقد فإذا لم تصدقوني) - راجعوا صفحة ٢٦٧. ولننتقل لشأن آخر غير الملك وأبنائه الأمراء وهو القصاصات الخطية ففي صفحة ٢٦٧ نشر الباحث أربعة أسطر من ورقة مجهولة لم يشر لرقمها من مخطوط الشرفي تحمل النص التالي: (ثم توجه السيد عماد الدين يحيى بن لطف الباري إلى قبيلتين أحدهما تسمى الأيتام وهم زهاء ثلاث مئة والأخرى تسمى آل الجرب بالجيم (١) هناك معروفة.

(١) - فراغ لكلمة م .

وهم زهاء ثلاث مئة أيضاً وتوجه السيد عبدالرحمن إلى قبيلة تسمى أهل مدر وهؤلاء الثلاث القبائل لها اسم جمعها يقال لهم آل الصلت يقال أن أصلهم آل الصلت من نجران من يام والله أعلم وبقي السيد في رأس جبل حجر في موضع). انتهى ص ٢٦٧.

ثم يعلق الباحث تحت صورة القصاصة الخطية بقوله –(يقصد المنتقد بقوله:)- (جزء من أول مخطوطة تطرقت لآل الصلت وأنهم من منطقة نجران) نفس الصفحة .

قلتُ: معاذ الله أن يكون إيراد هذا النص هو التشكيك في صحة انتساب الأمراء من آل الصلت إلى أبيهم الملك معاوية الخير وإنما لسبب آخر يهمني حقاً فالمؤرخ الدقيق البحر الزخار الحبر النحرير صاحب الصدق والأمانة مرجع صاحبنا مؤلف الموسوعة الميساء ذكر في النص أعلاه قبيلة تسمى آل الجرب وحتى لا يلتبس علينا الأمر ذكر أنها بالجيم ثم ذكر أنها زهاء ثلاثمائة رجل فأين اختفت تلك القبيلة العظيمة؟ والرجل يصدق دوماً فيما كتبه عن فيفاء ولا يمكن التشكيك في صحة رواياته واسألوا الباحث الذي قال معلقاً (وكما تلاحظون بأن الشرفي قال: ويقال أن آل الصلت من يام .. وبالتأكيد فقد استقى هذه المعلومة من أهالي فيفاء حينها) ص ٢٦٧.

قلتُ: لا فض فوك من باحث فطن .. نعم لقد استقى معلوماته من أهالي فيفاء حينها وقد صدق في أن آل الصلت من نجران هذا لا أحد ينكر نسبهم وقد حفظته إنهم أبناء الملك معاوية وأمههم صاحبة السمو الأميرة عبيدة وخالهم الزير سالم المشهور بالمهلل –(يقصد المنتقد جدهم عن طريق والدتهم الزير سالم)- هذا كله محفوظ عن ظهر قلب ولا نزاع فيه ولكن قبيلة آل الجرب بالجيم ضاعت بامحشي –(لعل استخدام المنتقد لبعض الكلمات العامية أثناء كتابته بعض الحلقات التي عنون لها بقوله: (مراجعات نقدية في الموسوعة الميساء) إما من باب التهكم والسخرية أو لضعف مخزونه اللغوي في التعبير بالفصيح)- وقد ذكرها هذا المؤرخ الصادق وضبط أحرفها حتى يمنع عنها التصحيف فلا يقرؤها أحد الحربي بالحاء مثلاً .. أو الحربي بالحاء فقال (الحربي بالجيم) لشدة نزاهته وتحريزه عن الكذب والطلسة والتدليس فأين ذهبت قبيلة آل الجرب ياترى؟! هذا السؤال موجه للباحث الذي قرأ النص ووجده سليماً من الأذى لا غبار عليه فجلبه لنا شاهداً على أن آل الصلت أمراء من ظهر ملك والذي أقصده تماماً هل عند باحثنا النزيه الفطن فكرة عن هذه القبيلة (آل الجرب بالجيم) فالشرفي لا يكذب فذكر عددها وعدتها من الرجال .. كما ذكر جبلاً يسمى حجر وهو لا يكذب ولا يلغظ ولا يرخدل .. فليت شعري أين هذا الجبل؟ صحيح أنا أعرف قبيلة آل الحرب (آل امحرب) وأجهل تلك القبيلة التي ذكرها الشرفي وهي آل الجرب... كما أعرف جبال آل حجر .. وأجهل ذلك الجبل

الذي ذكره الشرفي باسم جبل حجر ولا يعني أنني أخالفه فوق كل ذي علم عليم والباحث لن يجلب شواهد في غاية التهافت مليئة بما لا يصح كنسب قبيلة أو اسم قبيلة أو اسم جبل فالباحث سيتصدى له من أول نقرة ويلغيه تماماً من قائمة مصادره وإنما والله الحمد لم يحصل شيء من ذلك.

أقول وبالله التوفيق: كم كنت أتمنى من المنتقد أن يصرف اهتمامه وأوقات فراغه إلى البحث عن الأدلة والشواهد التي تثبت ما ذهب إليه من رأي مخالف لي؛ هذا إن وجدت، وذلك عوضاً عن محاولة النيل من الآخرين وتسفيه آراءهم دون بينة وما يصف به مخالفه ومن نقلوا عنهم من جمل وألفاظ لا تليق!!!!.

بخصوص ما أثاره الناقد وضخمه عندما قرأ ما ورد في الوثيقة الخاصة بالشرفي حين ذكر الشرفي قبيلة آل حرب بآل الجرب، فقد تجاهل آفة (التصحيف) مع علمه به ولعله لم يدرك تلك الآفة التي منيت بها بعض المخطوطات وبعض الكتب التي حُقِّقَتْ فيها بعض تلك المخطوطات، والعائد للمراجع المختصة في مناقشة وتوضيح عيب التصحيف التي منيت بها الكثير من المخطوطات والكتب يرى أن الحروف المتشابهة المنقوطة يحصل فيها ما يسمى بالتصحيف كتصحيف الحاء جيماً.

ومن الحروف المنقوطة القابلة للتصحيف الباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء، والذال والذال إلخ.

وقد يحصل التصحيف لخطأ السمع لا لخطأ القراءة، كأن يملئ المؤلف كلمة (ثابت) فيسمعها الكاتب ويكتبها (نابت) ونحو ذلك.

وقد يحصل التصحيف أيضاً بسبب رداءة الخط في المخطوط فلا يميز الناقل أو الناسخ بين حرف الحاء والجيم ونحو ذلك، كما حصل في مخطوط الشرفي الذي نسخ الحاء جيماً في كلمة آل الحرب فأصبحت آل الجرب مع أنه في مواقع أخرى من المخطوط يكتبه آل حرب وليس آل الجرب وسلمت تلك الكلمة من التصحيف.

ولذلك يوجد تعليق على كلمة الجرب من قبل الناسخ لتلك المخطوطة وضعه فوق كلمة آل الجرب لم أستطع قراءته، وهكذا حدث مع الشرفي في كلمات عديدة من المخطوط مثل كلمة جبل حجر التي رأيناها مكتوبة في مواقع أخرى من المخطوطة (حجر) وهكذا كما سألين لكم بالتفصيل عند إرفاقي لبعض القصاصات من المخطوط.

وموضوع التصحيف أطول مما ذكرته في هذه الإلماعة بكثير حتى أنه قد ألفت فيه الكتب، وما ذكرته لكم هنا عن التصحيف كان شرحاً مختصراً لتكونوا على إلمام

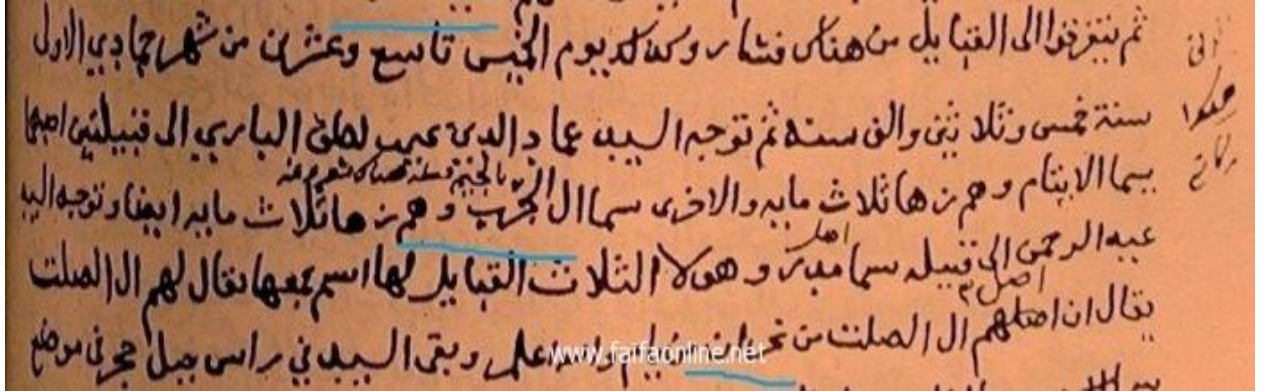
سريع ومختصر بموضوع التصحيف في المخطوطات والكتب ولتصبحوا على بينة قبل الخوض في الرد على تهويل المنتقد لكلمة آل الحرب المصحفة لآل الجرب.

ولمزيد من الفائدة فإنه يوجد بعض المراجع والمواقع التي تبين التصحيف وتعطي عنه صورة واضحة لكل من يحب المعرفة والتعمق في مجال التصحيف.

ولأن الناقد ينقصه معرفة التصحيف كاملاً أو أنه قد ضرب عنه صفحاً في محاولة لنفي تقسيمة القبائل للشرفي والتي لا تختلف عن تقسيمة قبائلنا الحالية كثيراً.

فمن المؤكد الذي لا غبار عليه أنه يقصد آل (الحرب) لا آل (الجرب) وكل ما في الأمر أن الكلمة مصحفة.

وهنا أكرر القصاصة من مخطوط الشرفي التي سنلاحظ فيما بعد أن الشيخ علي بن قاسم - حفظه الله - قد فهم موضوع التصحيف، وعرف أن الكلمة مصحفة، وأقر الشرفي على أنها كلمة آل الحرب، على العكس تماماً من المنتقد الذي أقام الدنيا ولم يقعدّها بسبب أنها وردت منقوطة فكانت في المخطوط (آل الجرب) وليس (آل الحرب) وقد بينا أن هذا من باب التصحيف التي مُنيتْ به غالبية المخطوطات.



إذاً فتقسيمات الشرفي لبعض القبائل في تلك الفترة الزمنية التي تقدر بأربعة قرون ليس عليها غبار ولا تخالف الواقع كثيراً ولكن لعل إطار الناقد الفكري الذي لا يرغب الخروج عنه قد أثر عليه في هذه النقطة.

هنا مرفق بعض القصاصات من مخطوط الشرفي تبين ما حصل فيه من تصحيف.

كما نرى في التحديدات التي وضعت تحتها خطأ باللون الأزرق فإنه يكثر التصحيف في هذه القصاصة من المخطوط الذي أرفقت منه في بحثي بعض الصفحات التي تستدعي ذلك.

التوجه واليه جمال الذي عبده الرحمن بن محمد عنده الموهبي وعين مع كل واحد من هؤلاء
 الثلاثة من هاهنا بنين رجلاً وامرهم ان يسيروا كلهم الى جبل حجر وان تعشروا بالبناء حتى من ههنا
 ثم ينزلوا الى القبائل من ههنا فساروا وكذا كديوم الجيسى تاسع وعشرين من شهر جمادى الاول
 ستة وخمسة وثلاثين والى مسنة ثم توجه اليه عباد الذي عبيد لطف الباري الى قبيلتين اصحاب
 سيما الايتام وهم من ههنا ثلاث مائة والاخرى سيما الى الحرب وهم من ههنا ثلاث مائة ايضا وتوجه اليه
 عبيد الرحمن الى قبيلة سيما مبدى وهؤلاء الثلاث القبائل لها اسم جمعها فقال لهم الاملت
 يقال ان اهلهم الاملت من غارات من يام واسم اعلى وبنى اليبى في راس جبل حجر في موضع
 سيما المبدى قال اليبى عباد الذي عبيد لطف الباري قلت لشج الايتام ان اصحابه لا يصلون
 الى عبيد الا واحداً واحداً او اثنين اثنتين حتى يوفوا ما عليهم فكنت احلف كل واحد على التزاد
 على رعيته وانفاسه حتى يكملتهم وكانت تبلغ اليها اثم يريون الغيب بما فاحت فامتهم واستبينا
 المشايخ عندهنا وحاولوا ان يبقوا في منازل صغيرة وما كانت متخفا في شعب لا يري ما فيه
 ولا يسمع صوته فلم يساعدهم الى ذلك بل اختارنا قريه مليحة فيها قصبات منيعه فعملنا
 العسكر في القصبات وهي اربع فلما كانت اول وقت العشاء سمعنا الحرب في المبدى وهلم
 الذي فيه اليبى مهدي بن هادي وكانت القبائل التي حوله وجعل امرها اليه اربع قبائل
 قبيلة سى الابدل وقبيلة سى ال مشنبيه وقبيلة سى ال الثوبج والرابع ال الكم

ولنبداً فيما كان يعرف قبل أربعة قرون بجبل حجر والذي يعرف حالياً بالجبل
 الأسفل (وتسكنه منذ تلك الحقبة الزمنية وما قبلها قبائل الحجر ال عبدل وال الثويج
 وال المشنية وآل أبي الحكم، ولا زالت تسكنه إلى وقتنا الحاضر وإلى ما شاء الله).

حيث ورد جبل حجر في هذه القصاصة مصحفاً في بعض الأسطر وورد سليماً في
 بعض الأسطر الأخرى.

أنظر بداية التحديد ورد بجبل (حجر) مصحفاً أي (حجر) حيث لم يكتب الناسخ
 النقطة تحت حرف الجيم، وانظر أخي القارئ إلى التحديد الآخر في نفس القصاصة
 حيث وردت الكلمة سليمة من التصحيف (جبل حجر). حيث ذكر الناسخ النقطة
 تحت حرف الجيم.

وكذلك وردت كلمة نجران مصحفة (نحران). حيث لم يضع الناسخ نقطة تحت
 حرف الجيم.

ووردت كلمة ال حرب مصحفة (آل حرب) حيث وضع الناسخ للمخطوط نقطة
 تحت حرف الحاء وهذا تصحيف من الناسخ مع أنه علق على الحرف في أعلى
 الكلمة كما تشاهدون في القصاصة ولكن يصعب قراءة تلك الملاحظة التي علق بها،
 ولعله قد شك في الأمر فأوضح ذلك في تعليقه غير المفهوم بينما ترد نفس الكلمة في
 أماكن ثانية من المخطوط بآل (الحرب) بلا لبس في ذلك ولا شبهة ولا تصحيف.

وهكذا فالمخطوط شأنه شأن أي مخطوط آخر ترد فيه بعض الكلمات المصحفة ولننظر على سبيل المثال إلى القصاصة المجتزأة من نفس المخطوط التالي التي تظهر فيه كلمة آل (حرب) بوضوح وفيه تصحيف لكلمات أخرى كما وضحت بالخط الأزرق تحت كل كلمة:

- آل مغامر وردت مصحفة ال (مغامر). حيث لم يضع الناسخ نقطة فوق حرف العين فأصبح عيناً بدلاً من الغين وهذا تصحيف منه.
- آل ظلمة وردت مصحفة آل (ظلمة). حيث لم يضع الناسخ نقطة فوق حرف الطاء فأصبح طاءً بدلاً من الظاء وهذا تصحيف منه.
- الجبل وردت مصحفة (الحل). كلمة الجبل مصحفة كما ترون؟
- الأيتام وردت مصحفة (والإتنام). حيث وضع الناسخ نقطتين فوق الحرف فأصبح الحرف تاءً بدلاً من حرف الياء وهذا تصحيف منه.
- آل الحرب وردت سليمة ولكن صحف الناسخ سوق القرعة إلى (القرعة). حيث لم يضع نقطة على حرف الراء ليصبح زاءً.

[illegible]

• حسن بن سيلة ورد مصحفاً (حسن بن شمله) ثم صححه سيلة. وكذلك كلمة (آل الجرب) علق عليها ولكن للأسف يصعب قراءة التعليق كما ورد في القصاصة السابقة.

• آل عبدل وردت مصحفة بدون تنقيط (آل عدل).

• آل الثويع وردت مصحفة (آل النويع).

ولتوضيح أكثر فلننظر إلى كلمة (معتقة) التي وردت صحيحة وفي آخر سطر من القصاصة وردت مصحفة إلى (معبقة)، ولن أزعج القارئ بكثرة التصحيفات التي وردت في المخطوط ولكن أحببت أن أوضح له خطأ ما ذهب إليه الناقد وما ركز عليه في كلمة (آل الحرب) وتجاهل ما يعرف باسم التصحيف في محاولة منه لتكذيب الشرفي وبالتالي تجهيل المؤلف والذي يظهر لي من كل ذلك؛ هو عدم الإلمام الكافي من قبل محمد بن مسعود بما يعرف بالتصحيف.

ولقراءة المخطوط كاملاً مصححاً من كل التصحيفات التي وردت فيه فإنني أحيل القارئ إلى الصفحات التي بذلت فيها جهداً والتي أفرغت فيها المخطوط وقمت بتصحيح جميع ما ورد فيه من تصحيف وهي الصفحات من (٤٢١) إلى الصفحة (٤٣٤) باب تاريخ فيفا الجزء الأول من (كتاب الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء).

والمخطوط يحمل غير ذلك من التصحيف الذي لا يخلو منه أي مخطوط في الدنيا قديماً كان ذلك أم حديثاً، وهذا نواجهه كثيراً نحن الباحثين ويأخذ منا مجهوداً ووقتاً وصعوبة حتى يتم تحقيق المخطوط، ومن ثم نقدمه للقارئ على طبق من ذهب.

وبعد أن أعطيتكم نبذة مختصرة عن التصحيف وكيفية تجاهل المنتقد لهذه الكلمة (المصحفة) وأقام الدنيا ولم يقعدا في محاولة لتكذيب العلامة الشرفي، فلنفرض جدلاً أنه أورد كلمة (آل الجرب) في المخطوط فما المشكلة في ذلك؟ ولماذا هذا الزخم والتضخيم؟ ومع أن الكلمة هي تصحيف لكلمة (آل حرب) لا شك في ذلك، ولكن أليس هناك أجدام في فيفا لا زالت إلى الآن تحمل لقب (الجرب) ولننظر على سبيل المثال ما ذكره الباحث الشيخ علي بن قاسم الفيفي في كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) (ص ٢٥٤): (جذم أهل (الجرب) الذين يعودون إلى سلالة حسن بن جبران بن سيار بن معصف من آل اليتيم إحدى عشائر الأبيات).

ألم يذكر في (ص ٢٨٥): جذم أهل (الجرب) من عمارة آل اللبث من آل علي بن عمر بفيفا؟ الذين ينقسمون إلى فخذين؟ ألم يذكر في (ص ٢٦٨) اسم شبيه أيضاً وهم: (أهل الجربتين من آل حسن بن عذابة من قبيلة آل مخشم بفيفا)؟

ألم يذكر حفظه الله في (ص ٣٠٠) من كتابه المذكور اسم شبيه وهم: (بطن آل جربان) من عمارة آل مهطل إحدى عمائر قبلية آل عبدل بفيفا؟

إذاً فالاسم لا زال منتشراً في جبال فيفا وكذلك بعض الأسماء المشابهة له: (أهل الجرب – أهل الجربتين – آل جربان) وإن كان الصحيح هو (آل الحرب) التي صحفها ناسخ المخطوط إلى (آل الجرب) في تلك الصفحة المخطوطة مع أنه قد قال: (آل الحرب) بمسماهم الصحيح في صفحة ثانية، وقد قمنا ببيان ذلك وتوضيحه والله الحمد.

ثم يأتي محمد بن مسعود ويحاول أن يعيب في الشرفي وتقسيماته لقبائل فيفا قبل أربعمئة سنة وينكر عليه ذلك حيث يقول: (أن الشرفي يقسم القبائل إلى قبيلتين).

يقصد فيها الناقد عندما قال الشرفي: (أيتام الجبل وأيتام السهل وحرب السهل) وهذا الإنكار من الناقد غريب أو أنه يدل على قصر نظره لتقسيمات القبائل وتفرعاتها ومواقعها، ولماذا نذهب بعيداً أليس هناك إلى وقتنا الحاضر ما يعرف بعمر الجبل (العمريين) وعمر السهل (الدفيين)، وكلتا القبيلتين تعودان إلى الجد علي بن عمر كما هو معروف، ولا زالت هذه التسمية عمر الجبل وعمر السهل معروفة إلى الآن وقد أثبتتها كذلك الشيخ علي بن قاسم في كتابه فيفاء بين الأمس واليوم (ص ٢٧٩) و(ص ٢٨١).

بل إن الشيخ علي بن قاسم الفيفي حفظه الله قد أشار إلى ذلك في كتابه فيفاء بين الأمس واليوم حيث قال في (ص ٣٣٦) بعد كلام: “..... جبل وسهل آل الحرب والأيتام وآل محمد”. أ.هـ

وهذا الأمر معروف لدى أبناء قبيلة الحربي واليتمي والمحمدي، ومواقعهم لا زالت في الجبل والسهل حتى وقتنا هذا، والشرفي لم يخرج عن ذلك عندما قال: “أيتام الجبل وأيتام السهل”.

وفي اعتقادي أن المنتقد قد عميت بصيرته فأصبح ديدنه محاولة إيجاد أي ملحوظة لإسقاط الشرفي والجرموزي وتقوية اتهامه لهما بالكذب والوضع ونحو ذلك.

ولكن حتماً سيثير استغرابكم عدم تطرق الناقد لهذه المعلومات التي سبقني بها الشيخ علي بن قاسم الفيفي في كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) والتي أقر فيها بمخطوط الشرفي ونقل عنه ما يخص فيفا ولم يُدَّ الشرفي علي بن قاسم الفيفي أي ملاحظات على العلامة المؤرخ الشرفي، وبالذات تلك الملاحظات التي أثارها الناقد محمد بن مسعود في بحثي هذا؛ فأين محمد بن مسعود عن نقد الشرفي منذ ذلك الوقت الذي نزل فيه كتاب الشيخ علي عام ١٤٣٢ هـ إلى حين نزول كتابي ١٤٣٥ هـ؟

هذا حقاً يثير الاستغراب والتساؤل؟؟؟

وكذلك لا أدري تحديداً علامَ كل هذا التركيز على هذه الكلمة المصحفة (آل الجرب) وعمل كل هذا الضجيج ولمَ معي بالذات؟

فقد سبقنا إلى إقرارها من هو أفضل منا علماً ومكانة وهو فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيافي في كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) حيث أقر كلمة آل الحرب بدلاً من (آل الجرب) لعلمه بتصحيفها في المخطوط الذي يمتلك نسخة منه فقال في الصفحة ٣٣٣: " آل الحرب والأيتام، وهما تمثلان الشطر الثاني من قبائل آل الصلت وقد كان لكل قبيلة منها رئاسة مستقلة " ثم أكد كلام الشرفي وتقسيمه للقبائل كما ورد في قصاصة المخطوط أدناه حيث نقل الشيخ علي حفظه الله ما يلي طبقاً لما ورد في مخطوط الشرفي (ص ٧١) قائلاً: " ثم توجه السيد عماد الدين إلى قبيلتي (الأيتام) وهي زهاء ثلاثمائة رجل، وآل (حرب) وهي زهاء ثلاثمائة رجل أيضاً وتوجه السيد عبد الرحمن إلى قبيلة أهل مدر، ويطلق على هذه القبائل (آل الصلت) ويقال أنها من نجران".

هذا ما أقره الشيخ المؤرخ علي بن قاسم الفيافي في كتابه أنف الذكر ولم ينكر على العلامة المؤرخ الشرفي تصحيف الناسخ لمخطوطه كلمة (آل الحرب) إلى (آل الجرب) لعلمه المسبق بأنها مجرد كلمة مصحفة وأن الصحيح هو كلمة (آل الحرب)، بل وكما تلاحظون في نقل الشيخ أنه أقر الشرفي ضمناً على مقولته أن (آل الصلت) من نجران حيث نقلها ولم يعلق على هذه الجملة ولم ينفها، وبالمقابل لم يقر الشرفي على نقله أن (آل الصلت) من يام، ولذلك تجاهل الشيخ علي الجملة ولم يكتبها مع ورودها في مخطوط الشرفي (اللائي المضية).

أكرر وأقول: أين أنت يا محمد منذ نزول كتاب الشيخ عام ١٤٣٢ هـ إلى الأسواق؟ ولماذا لم تُنثر هذه الضجة الإعلامية والانفعال المحموم إلا ضدي فقط؟

قد يكون هناك أمر ما لا أعلمه في مكنون نفس هذا المنتقد والعلم عند الله وحده !!!

وإلى اللقاء في الحلقة السابعة بمشيئة الله . .

(الجزء الأول الحلقة السابعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل الله وتوفيقه الجزء الأول من الحلقة السابعة:

يقول المنتقد:

١- قبيلة آل الحرب:

• رغم أن عصر التذحيج قد ولى إلى غير رجعة منذ الحلقة الخامسة إلا أننا سنضطر اضطرار –(يقصد المنتقد اضطراراً)– لاستكمال منهج المؤلف في التذحيج الذي بدأناه في حلقة ماضية ورأينا كيف يختار الأعلام والمشاهير كمفاتيح أساسية لتحويل النسب من خولان وكأنما يجدها مغمورة لا تغري بالانتساب في معرض التفاخر فيجلب لهذه المهمة –(يقصد المنتقد المهمة)– الملوك والأمراء والشعراء والوزراء والقادة من مذحج فهل كان فعلاً يعول على نجاح مثل هذا الأسلوب الذي بدى – (يقصد المنتقد بدا)– ركيكاً ضعيفاً واهناً خائر القوى إذ كانت أدلته التي ساقها متهاكة متناقضة يلعن بعضها بعضاً كالشاهد الذي عثر عليه لدى الجرموزي والشرفي ولأن الحديث عن قبيلة آل الحرب يحسن بي توضيح بعض الأمور... ولننطلق إليها من الاقتباس التالي حيث ورد في ١٧٣ قول الباحث مستدلاً على انضواء قبيلة تحت أخرى –(يقصد المنتقد أخرى)– ... قال –(يقصد المنتقد قال:)- (فلدينا في الوقت الحاضر وعلى سبيل المثال الواضح قبيلة آل الحرب من آل الصلت المذحجية (الحربي الفيفي) فإنما هي مجموعة قبائل ونقائل متحالفة أصبحت تحت حلف الحربي وهو ليس جداً جامعاً لها كلها بل هو جد قبيلة حرب الأصلية فقط. فنجد أن الأيتام (اليتيمي) من آل الصلت المذحجية)... (قد دخلوا بحلف مع قبيلة الحربي وانضوا تحت لوائها وأصبحوا لا يعرفون إلا بالحربي الفيفي) ... (والأمر ينطبق على قبيلة آل محمد (المحمدي) الذين أصبحوا لا يعرفون الآن إلا بالحربي وكذلك على نقيلة آل ذياب من آل امزغلي ببني مالك المجاورة وآل الزغافي من بني الغازي المجاورة ونقيلة آل رمحة من بني قراد وغيرهم فلا يعرفون إلا بالحربي... وأصبح من هذه

القبائل –(يقصد المنتقد القبائل)- المتحالفة مع قبيلة الحربي من يترأس شملها... بجميع عماثرها وهو من قبيلة أخرى.. وليس من أساس قبيلة الحربي كالمحمدي مثلاً)...(والمهم أنه لولا أن أثبتنا مثل هذه الأحلاف في كتابنا هذا لنسيت بعد مرور مئات السنين وأصبح ممن هم في تلك الفترة لا يعرفون آل محمد ولا آل ذياب أو آل الترابي ولا غيرهم إلا بالحربي ضناً (!؟) (يقصد المؤلف ظناً) منهم بأنهم يعودون جميعاً في النسب إلى قبيلة حرب الفيفية وماهم إلا عماثر أو بطون من قبيلة الحربي مع أنهم وكما هو معروف مجرد أحلاف). ص ١٧٣ و ١٧٤.

قلتُ (ولا زال القول للمنتقد): أثقلت عليكم بالمقتبس عاليا لكنها ضرورة ومع ذلك فقد اختصرته وما قاله الباحث يحتاج إلى إعادة نظر وتفصيل ومقاربة بحسب ما يلي:

أولاً: فجميع القبائل الثلاث تعود نسباً في حرب الخولانية وليس فيها مذاحجة إلا من قالوا نحن من مذحج ولم يؤثر عن قبيلة منهم أذاعت مذحجيتها لا في شعر ولا في نثر بحسب علمي.

ثانياً: قبيلة الأيتام بفيفا هي أقدم –(يقصد المنتقد أقدم)- عهداً في هذا الجبل إذ أنهم في الحقيقة أيتام حرب الذين استقروا بعد هجرتها الكبرى التي انطلقت من ديار خولان وهي النقلة الثانية التي امتدت للحجاز ووادي القرى.

ثالثاً: تأتي قبيلة آل محمد (المحمدي) في الترتيب الثاني حيث يعود أصل هذه القبيلة ونسبها في حرب الأم .. وتوزع هذا الفخذ في كل أشات حرب على امتداد مهجرها الذي استقرت به وقد نفرت من سهل صعدة في هجرة ثانية.

رابعاً: قبيلة حرب في فيفا تعد الأحدث استقراراً بفيفا حيث لحقت بأخواتها في الجبل مع الهجرة الأخيرة من سهل صعدة تزامناً مع فرق أخرى نزلت واحدة منها بقريتي البديع والقرفي من ضفاف وادي جازان الخصيب حوالي القرن الخامس.

خامساً: فإذن –(يقصد المنتقد فإذاً)- يحسب للباحث إثارته لهذه النقطة بغض النظر عما ساقه ولكن ليتسنى تصحيحها حسب ما يُعلم من أمر حرب بفيفا.

سادساً: النقائل كما ترى لا تذوب ولا تتلاشى ولا تفقد مسارها ولا تنسى نسبها ومثل ذلك ما ساقه الباحث من أمثلة كآل ذياب وآل رمحة ولم يكلف نفسه تكهن تاريخ انضوائهم لآل الحرب على كلفه بالتكهن فلم يشر إلى أن جد آل رمحة الثاني عشر ولد بفيفا ويعني أن مدتهم بفيفا أكثر من ٣٠٠ سنة فهل نسوا جدهم كما يزعم الكاتب ومثلهم آل ذياب وآل امزغافي.

وعلى هذا فليس صحيحاً أن شيخ قبيلة آل حرب ليس منها فـ (المحمدي) فرع ينتسب لقبيلة حرب الأم .. وليس فقط في فيفا بل وحيث وجدت حرب .. والأيتام ينتمون نسباً لقبيلة الحرب الأم .. فيكون الشيخ والرعية كلها ترجع من حرب وبموجب دواعي هذا النسب المتعارف عليه فقد توحدوا فحسب دونما حلف .. فكيف تجاوز الباحث هذه الحقائق الواضحة ولم يكلف نفسه الاستيضاح من أهل الشأن وخرج علينا بهذا التخليط؟.

وللاستئناس بما يخص النسب الذي ساقه المؤلف توجهت بسؤال لسعادة شيخ قبائل آل الحرب والأيتام وآل محمد التي اجتمعت تحت مسمى (آل الحرب) وهو محمد ابن زاهر الحربي الفيفي وهذا نص السؤال: نشر مؤلف الموسوعة الميساء أن آل الصلت هم أبناء الملك معاوية بن الحارث المذحجي وأمهم هي الأميرة عبيدة بنت ربيعة وخالهم الزير سالم.

فهل سمعتم من آبائكم وأجدادكم تأكيداً لصحة هذا النسب؟ وهل علاقتكم بهاني بن خولان مجرد حلف أم غير ذلك؟.

الجواب: بالتأكيد لم نسمع من آبائنا أو أجدادنا عن هذا الملك ولا هذا النسب الذي ذكرته في سؤالك .. بل سمعنا منهم إننا نعود في آل الصلت إخوة آل حجر ويطلق علينا جميعاً ولد عطا بن أحمد أخو عبيد بن أحمد ويذكر لنا الآباء والأجداد أننا نعود نسباً لليهانية من خولان هذا يعرفه الجميع بلا استثناء. - (يقصد المنتقد بلا استثناء) -.

قلتُ: (والقول هنا لازال للمنتقد): فهذا الرد المقتضب من قبل أحد شيوخ آل الصلت يسد الذرائع أمام أي عابث بأنسابهم بل وكل قبيلة في فيفا وعلى الباحث أن يعود للقبيلة التي يود تسجيل أنسابها (يقصد المنتقد أنسابها) ويذكر أسماء الذين نقل عنهم من القبيلة نفسها فلا يُسأل عن النسب إلا أهله وعدى (يقصد المنتقد وعدا) ذلك فهو العبث والفوضى.

أقول وبالله التوفيق: ركزوا جيداً في الكلمات التي سوف أضع تحتها خطأ التي وردت في سؤال المنتقد محمد بن مسعود للشيخ محمد بن زاهر الحربي زاعماً بل ومدلساً أن هذا القول ورد عني في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء فأوهم الشيخ وأوهم القارئ بذلك حيث قال: (نشر مؤلف الموسوعة الميساء أن آل الصلت هم أبناء الملك معاوية بن الحارث المذحجي وأمهم هي الأميرة عبيدة بنت ربيعة وخالهم الزير سالم).

أليست هذه الجملة هي التي نقلها عني بصيغة سؤال للشيخ محمد بن زاهر وأكد أن هذا نص كلامي كما قرأتم؟

أولاً: والله وبالله وتالله أنني لم أكتب هذه المعلومة في كتابي أي (وأهمهم هي الأميرة عبيدة بنت ربيعة وخالهم الزير سالم) وأنها لم ترد في كتابي والقارئ له لن يجد مثل هذا القول الذي افترى به المنتقد علي، ولم أكتب مثل ذلك البتة، وهذا تقول غير مقبول من المنتقد وخط للحقائق بل هو من التدليس الواضح للعيان!!.

على سبيل المثال انظروا قولي في هامش الصفحة (١٧١) قائلاً: (وقد فسر سبب نسبته إلى جنب مع أنه من عنز بن وائل كما أسلفنا، الملك الرسولي في كتابه طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب قائلاً: لأنه دخل في نسب جنب لأن أهمهم عبيدة بنت مهلهل من تغلب بن وائل أخي عنز بن وائل، تزوجها روح بن مدرك من بعد معاوية الجنبى).

وكذلك انظروا إلى ما كتبت في الصفحة (٢٦٧) قائلاً: (حيث انتهت رئاسة هذا الحلف إلى الملك معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك (مذحج بن أدد، الذي كان له الملك في قبيلة جنب، الذي يطلق عليه معاوية الخير وصاحب لواء مذحج يوم الكلاب، والذي تزوج عبيدة بنت الزير سالم المهلهل بن ربيعة التغلبى، أحد أبطال وشجعان العرب وذلك في منطقة نجران عندما جاء مستجيراً بقبيلة جنب بسبب طول حروبه مع أبناء عمومته من قبيلة بكر بعد مقتل أخيه كليب من جساس، والقصة مشهورة ومعروفة لدى الجميع، ثم تكون بعد ذلك حلف عبيدة من أبناء عبيدة أنفة الذكر لأنها أنجبت من الملك معاوية بن الحارث عدداً من الأبناء، أصبحوا فيما بعد قبائل، ومنهم آل الصلت المعروفين حينها بمنطقة جنب ونجران، والذين أصبح فيما بعد آل الصلت بفيما جزء منهم، وعلى ذلك فإن آل الصلت في فيفا يعودون إلى الملك معاوية وزوجته عبيدة بنت الفارس المشهور الزير سالم).

ثانياً: يظهر من هذه المقولة التي تقولها عليّ المنتقد عدم إلمامه الكافي بعلم الأنساب، والكتابة فيه كيفما اتفق! وإلا فمتى كانت عبيدة ابنة للربيعه؟

ومتى كان الزير سالم خال لآل الصلت وهو جدهم لأهمهم؟

ومن علماء الأنساب أو غيرهم قد قال بذلك؟

ألا يعلم المنتقد أن الصحيح والمتفق عليه من قبل علماء الأنساب وهو المعروف والمشهور أن عبيدة هي ابنة الزير سالم وأنه ليس خالها؟ وبالتالي فهو جد لآل الصلت من ناحية أهمهم وليس بخال لهم!!!! عجبى!!!!.

أما فيما يخص سؤال المنتقد للشيخ محمد بن زاهر الحربي الفيافي – حفظه الله – على ما فيه من علل قد وضحتها، فإن جواب الشيخ محمد بن زاهر هو الجواب

الطبيعي والمتوقع منه وقد ذكرت نحو ذلك سابقاً في الصفحة (٧٣) قائلاً: (يسكن جبال فيفا وما حولها مجموعة من القبائل تنحدر في الغالب من أصل واحد، وهو خولان بن عامر سواءً أكان ذلك من صلب النسب).

وفي الصفحة (٨٤) و (٨٥) ذكرت ما يلي: (ويتناقل بعض كبار السن لدينا في فيفا أن قبائل فيفاء تنقسم إلى أقسام، وهذا القول على المشهور، حيث يذكرون أنه أتى إلى جبال فيفاء في الزمن القديم ثلاثة من الإخوان وهم: عطا بن أحمد وأخوه عبيد بن أحمد اللذان استقرا في جبل فيفاء، ومنهم تناسلت غالبية قبائل فيفاء، بينما يؤكدون أن لهما أخاً ثالثاً هو مالك بن أحمد الذي استقر في جبال بني مالك المجاورة لفيفاء، والذي تنسب إليه قبائل بني مالك هناك، وسنرى في بحث الأنساب توضيحاً هاماً لهذه المقولة، حيث أنها ليس على إطلاقها، وفيها بعض التفصيل).

إذاً فإجابة الشيخ محمد بن زاهر الحربي الفيفي قد أتت مؤكدة لما نقلته هنا من أن كبار السن في فيفا يتناقلون هذه المعلومة، وهو بدوره قد سمعها من بعضهم وأدلى بها في جوابه على سؤال المنتقد محمد بن مسعود ولكن كما وضحت لكم فقد ذكرت ذلك في كتابي الموسوعة (الميساء لجارة القمر فيفاء) قائلاً: (حيث أنها أي - تلك المقولة - ليست على إطلاقها وفيها بعض التفصيل)، ومن ثم وضحت لكم عبر صفحاتها أن هناك قبائل وعشائر لا تنتمي إلى خولان كجد وهم ليس من صلب نسبه بل إنها تنتمي لخولان بالحلف فقط.

وهذا دليل على قاعدة الأنساب الشائعة والمعروفة التي تجعل من بعض القبائل المتحالفة تحت مسمى واحد ومع مرور مدة من الزمن وتقادم العهد وعدم التدوين يذهب البعض منهم على أنه اسم لجد جامع لهم بينما هو في الحقيقة اسم لحلف فأصبحوا يعتقدون للأسباب آنفة الذكر أنه جد فقط، والأمثلة في الجزيرة العربية ومنها المنطقة الجنوبية متعددة وقد ذكرت بعضاً منها في كتابي (كحلف فاطمة) في نجران والذي يعتقد البعض أنه (اسم لجدة لهم) بينما هو حلف جمع عدة قبائل من منطقة نجران بعد أن (فطموا) ما بينهم من إحن وعداوات.

وعودة لصلب الموضوع . . أقول وبالله التوفيق:

فيما يخص نسب قبيلة حرب الفيفية وما أخبرنا به المنتقد من أن قبيلتي (الأيتام وآل محمد) ما هم إلا فرع منها، ولم يثبت ذلك بمرجع معتمد أو مخطوط أو أثارة من علم وإنما كل ذلك كان مجرد كلام إنشائي لا غير، فقد أوقع المنتقد نفسه في مأزق لن يستطيع الخروج منه بسهولة حيث يظهر لنا مدى اضطراب المنتقد وعدم الاستقرار على نسب واضح صريح بل هو يتخبط خبط عشواء حين نسب (آل الصلت) إلى ثلاثة أجداد عبر هذه الحلقات التي أسماها بالنقدية دون أن يتنبه لذلك،

وكما قرأتم فقد ذكر وأقرّ هنا أن قبيلة (آل حرب) الفيفية تعود نسباً إلى آل الصلت بفيفا، حيث صادق الشيخ محمد بن زاهر الحربي على المقولة المشهورة في فيفا بأن قبيلة (آل حرب) يعودون في نسبهم إلى الصلت من آل عطا ثم هاني بن خولان وذلك عندما أجابه الشيخ على سؤاله الذي علقت عليه سابقاً.

قال محمد بن مسعود مؤكداً هذا النسب: (فهذا الرد المقتضب من قبل أحد شيوخ آل الصلت يسد الذرائع أمام أي عابث بأنسابهم بل وكل قبيلة في فيفا وعلى الباحث أن يعود للقبيلة التي يود تسجيل أنسابها (يقصد المنتقد أنسابها) ويذكر أسماء الذين نقل عنهم من القبيلة نفسها فلا يُسأل عن النسب إلا أهله وعدى (يقصد المنتقد وعدا) ذلك فهو العبث والفوضى).

أعود فأقول: دعونا نرى تناقضات محمد بن مسعود وتخطئه وضعفه الواضح في علم الأنساب، حيث يؤكد المنتقد هنا وفي حلقة سابقة أن قبيلة (حرب الفيفية) تعود إلى الجد:

١. (الصلت من ولد عطا بن أحمد العائد نسباً لهاني بن خولان) وآل الحرب كما تعلمون جميعاً أحد فروع آل الصلت الفيفية، وهذا النسب شائع ومعروف في فيفا.

٢. الجد الثاني الذي ينسب محمد بن مسعود قبيلة آل حرب الفيفية إليه هو: (زنامة بن هلال بن هاني بن خولان)، وكما تشاهدون فإن هذا النسب غاية في التناقض مع النسب الأول، مع التذكير أنني قد بينت لكم في حلقة سابقة بالتفصيل خطأ نسبه قبائل آل الصلت لشخصية خرافية لا توجد على أرض الواقع وهو قوله: (الصلت بن زنامة بن هلال بن هاني بن خولان). وتخطئه الواضح في تسلسل هذا الجد.

٣. الجد الثالث: سرعان ما ينقض ذلك النسب دون أن يتنبه أنه قد أوقع نفسه في مأزق ليناقض نفسه بنفسه فغير نسب قبيلة آل حرب الفيفية بكل سهولة إلى جد آخر، وهذا الجد الجديد الذي نسبها إليه هو: (حرب بن سعد بن سعد بن خولان) (الجد الشهير للقبيلة الحجازية المشهورة) (حرب)، وبذلك أخرج قبيلة آل حرب من انتمائها لآل الصلت الفيفية العائد لعطا بن أحمد والذي سبق وأقره، وكذلك أخرجهم من الجد الذي كان يتشدد به في حلقات سابقة وهو: (الصلت بن زنامة بن هلال بن خولان)، وها هو كما ترون يشرق بنا ويغرب دون أن يستقر على نسب واحد.

ليس ذلك فحسب بل هو يُقر بهذا النسب الجديد بطريقة لم يتنبه لها البتة بما يُعرف (بالحلف) ويؤكد ما نقلناه في كتابنا الموسوعة الميساء على أن بعضاً من قبائل فيفا تعود لهاني بن خولان حلفاً وليس من صلب النسب، حيث أنه قد أخرج قبيلة آل

الحرب الفيفية من آل الصلت بن عطا بن أحمد من النسب البعيد المتعارف عليه والعائد إلى هاني بن خولان والذي سبق وأن أقرّه ووضعهم في جد آخر وهو حرب بن سعد بن سعد بن خولان الذي لا يعود في نسبه إلى هاني بن خولان، فأصبحوا بذلك من ضمن القبائل المتحالفة تحت هاني بن خولان والذي يعرف (باليهانية) مفردها يهنوي؛ ليس ذلك فحسب بل هو بهذا النسب الجديد قد أخرج قبيلة (حرب) من آل الصلت ذلك الجد الذي يجمع (مدر وحرب والأيتام وآل محمد).

أرأيتم أكثر من هكذا تضعضع وضعف في علم الأنساب؟ وعدم استقرار المنتقد على جد حقيقي واحد!.

وكل هذا اللغط والتخليط منه بسبب أنه لا يرى أن آل الصلت بفيفا وبقايا آل الصلت بمنطقة نجران بعضهم من بعض؛ لأنه يرى أن الاستناد في هذا القول يعتمد على مخطوط اللآلئ المضيئة للشرفي والشرفي غير موثوق به عنده.

مع أن الشرفي والجرموزي ثقة عند أهل عصره وما بعده من عصور وحُقِّقَت فيهم وفي مخطوطاتهم الرسائل العلمية ولم أرَ من يخالفهما أو يتهمهما بالوضع والكذب ونحو ذلك إلا محمد بن مسعود كما وضحت لكم ذلك عنهما في حلقات سابقة.

وسأعود إلى الجد حرب بن سعد بن سعد بن خولان فيما بعد حتى لا أخرج عن تسلسل الملاحظات التي توهم محمد بن مسعود خطأي فيها.

ولكن قبل العودة لبقية الملاحظات التي انتقدتها فإنني أحب أن أنبهكم على أنه قد خرج عن القاعدة التي أقرّها في هذا البحث حين قال: (على الباحث أن يعود للقبيلة التي يود تسجيل أنسابها ويذكر أسماء الذين نقل عنهم من القبيلة نفسها فلا يُسأل عن النسب إلا أهلُه وعدا ذلك فهو العبث والفوضى). وذلك حين نسب قبيلة (حرب) من آل الصلت الفيفية) إلى (حرب بن سعد بن سعد بن خولان)، وهو بهذا النسب يناقض نفسه بنفسه، ويدخل تحت ما سماه (العبث والفوضى) فقد خالف أهل قبيلة حرب في النسب الشائع لديهم والذي ذكره الشيخ محمد بن زاهر الحربي الفيفي وسبق وأقرّه عليه خصوصاً وهو القائل: (فلا يُسأل عن النسب إلا أهلُه وعدا ذلك فهو العبث والفوضى).!!!!.

وعودة إلى انتقاد المنتقد محمد بن مسعود الذي ينكر فيه قولي بأن: (الأيتام وآل محمد) ما هما إلا قبيلتين متحالفتين مع قبيلة الحربي الفيفية، محاولاً نفي ذلك بكلام إنشائي منمق خال من الأدلة والإثباتات محاولاً أن يثبت فيه أن هاتين القبيلتين ما هما إلا فرعان من قبيلة حرب الخولانية الحجازية، وليته اقتصر على أنهما من صلب قبيلة حرب الفيفية، ولكنه تجاوز ذلك إلى قبيلة حرب الخولانية المعروفة التي

ليس بينها وبين قبيلة آل الحرب الفيفية أي رابط نسب، اللهم إلا من تشابه في الأسماء، وقد أكدت أكثر من مرة أن تشابه الأسماء لا يُعدّ قرينة يبنى عليها علم الأنساب.

وهنا قد أخطأ المنتقد وسأثبت لكم بالدليل القاطع وهمه في هذا الأمر، وسنتحاكم جميعاً لدى قاضي فيفا ومؤرخها ونسابتها فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيفي، وكذلك لدى كبار السن في جبال فيفا.

فانتظروني في الجزء الثاني والأخير من الحلقة السابعة بإذن الله . .

(الجزء الثاني من الحلقة السابعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل من الله وتوفيق الجزء الثاني والأخير من الحلقة السابعة:

قد رأيت في الحلقة السابقة أن المنتقد محمد بن مسعود يُنكر عليّ قولي بأن: (الأيتام وآل محمد) ما هما إلا قبيلتان متحالفتان مع قبيلة الحربي الفيفية محاولاً نفي ذلك بكلام إنشائي منمق خالٍ من الأدلة والإثباتات زاعماً فيه أن هاتين القبيلتين ما هما إلا فرعان من قبيلة حرب الخولانية الحجازية، وليته اقتصر على أنهما من صلب قبيلة حرب الفيفية، ولكنه تجاوز ذلك إلى قبيلة حرب الخولانية المعروفة التي ليس بينها وبين قبيلة آل الحرب الفيفية أي رابط نسب؛ اللهم إلا من تشابه في الأسماء، وقد أكدت أكثر من مرة أن تشابه الأسماء لا يُعدّ قرينة يبنى عليها علم الأنساب. فأقول وبالله التوفيق: يقول الشيخ علي بن قاسم في كتابه الموسوم (فيفاء بين الأمس واليوم) عند حديثه عن هذه القبائل (ص ٣٣٣): (آل الحرب والأيتام قبيلتان مندمجتان تحت شيخ واحد، وانضمت إليهم بقية (آل محمد) المتقلصة وأصبح يطلق على مجموعها آل الحرب والأيتام، وهما تمثالان الشطر الثاني من قبائل آل الصلت وقد كان لكل قبيلة منها رئاسة مستقلة).

ويؤكد الشيخ في الصفحة (٣٣٦) من نفس الكتاب أن آل محمد: (ما هم إلا بقايا قبيلة كبيرة عريقة توشك على الانقراض، وأن شيخ قبيلة آل الحرب السابق يؤكد أنهم كانوا زهاء ألف رجل وأن لهم أراض ومواطن واسعة.... إلى آخر ما ورد في كتابه عنهم).

ثم يؤكد أنه كان لقبيلة آل الحرب شيخ مستقل ولقبيلة الأيتام شيخ مستقل ثم توحدت على شيخ واحد في بداية الحكم السعودي وهو الشيخ:

(علي بن يحيى الحربي الفيفي) من عشيرة (آل رمحة) الذين يعودون حلفاً لقبيلة (آل الحرب) الفيفية، ويعودون نسباً إلى (قراد) من جبال منجد بهروب.

ومن المؤكد أن الشيخ علي بن قاسم - حفظه الله - قد أخذ هذه المعلومات الثابتة من أفواه المسنين في تلك الفترة الزمنية، والذين كانوا يتناقلونها كابراً عن كابر حتى وصلت إلينا، ولا زالت هذه المعلومة معروفة في وقتنا الحاضر.

وهنا تبرز بعض التساؤلات التي سأكتفي منها بالسؤال التالي:

- لماذا لم يتم نقد هذه المعلومة التي سبق وطرحها الشيخ علي بن قاسم الفيافي في كتابه الموسوم (فيفاء بين الأمس واليوم) الذي سبق ونزل إلى الأسواق قبل طرح كتابي هذا؛ حاملاً هذه المعلومات التي تهجم عليّ بسببها المنتقد وحاول إيهام القارئ بأنني قد أتيت بجديد غير معروف في فيفا فيما يخص تحالف قبائل (الأيتام وآل محمد وآل الحرب) وأني قد أخطأت في ذلك؟ فأين كنت أيها المنتقد عن بيان وتبيين ذلك وهي معلومة متداولة ومعروفة من عشرات السنين حيث سبق وطرح ذلك فضيلة الشيخ علي بن قاسم في مجلة المنهل ونحن لا زلنا أطفالاً لم نبلغ الحلم؟

ثم يتابع المنتقد كلامه بعد أن أقرني على العشائر المتحالفة مع قبيلة الحربي باستثناء آل محمد والأيتام كما بينت لكم في السابق قائلًا: (ولم يكلف نفسه تكهن تاريخ انضوائهم لآل الحرب على كلفه بالتكهن فلم يشر إلى أن جد آل رمحة الثاني عشر ولد بفيفا ويعني أن مدتهم بفيفا أكثر من ٣٠٠ سنة فهل نسوا جدهم كما يزعم الكاتب ومثلهم آل ذياب وآل امزغافي).

أقول وبالله التوفيق: قد نسي المنتقد أن يقفل السؤال بعلامة الاستفهام(؟). وهذا من باب التذكير له بحدوث مثل هكذا نسيان في حالات نادرة من الكاتب كقفل الأقواس وعلامات التنصيص وما شابه.

ولنعد لقوله الذي أشك في أنه يستطيع إثباته وهو أن جد (آل رمحة) المتحالفة مع آل الحرب الثاني عشر قد ولد بفيفا فأقول: إنَّ التكهن بتاريخ انضوائهم لآل الحرب ليس بذات أهمية، فقد سبق وأن تطرق له فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيافي في كتبه وكتابات ما يغني عن أن أكرر ما ذكره، حيث نسبهم إلى: (علي بن يحيى بن سالم بن محمد بن حسين بن حسن بن قاسم بن قراد) وهنا نلاحظ سقوط أجداد كثر بين قاسم وبين الجد قراد.

ولك الشكر أيها المنتقد إن تكرمت وزودتنا بالشخص الثاني عشر الذي ولد في فيفا ووثقت ذلك بعيداً عن التكهنات.

ثم يقول المنتقد: (وعلى هذا فليس صحيحاً أن شيخ قبيلة آل حرب ليس منها فـ (المحمدي) فرع ينتسب لقبيلة حرب الأم .. وليس فقط في فيفا بل وحيث وجدت حرب .. والأيتام ينتمون نسباً لقبيلة الحرب الأم .. فيكون الشيخ والرعية كلها ترجع من حرب وبموجب دواعي هذا النسب المتعارف عليه فقد توحدوا فحسب دونما حلف).

أقول وبالله التوفيق: فيما يخص معلومة أن القبيلة قد يترأسها شيخ من خارج أساس القبيلة كأن يكون من عشيرة متحالفة مع أصل القبيلة فلن أذهب بعيداً فقد أقر المنتقد بأن (آل رمحة) قد انضوا تحت قبيلة الحربي الفيفية وهم في الأساس من قبيلة (قراد) بجنال منجد بهروب، ولعلكم تعلمون أن هذه القبائل الثلاث (آل الحرب

والأيتام وآل محمد) قد ترأسها وشملها الشيخ (علي بن يحيى الفيفي) كشيخ شمل وهو ليس من أساس هذه القبائل الثلاث بل أنه يعود نسباً إلى قراد من جبال منجد بهروب، وهكذا قد يحدث وحدث مع بعض القبائل الفيفية الأخرى ولا غرابة في ذلك. ولكنني أكتفي بهذه المعلومة الواضحة فيما يخص هذه الملاحظة التي انتقدها المنتقد.

وأما ما يخص قبيلة (آل محمد الفيفية) فإن الناقد قد استعجل في أمرين:

• الأمر الأول: أنه نسب هذه القبيلة إلى كل قبائل (آل محمد) الذين يعودون إلى حرب الحجازية أينما وجدت، وهذا النسب الجديد لم يقل به أحد من العالمين إلا محمد بن مسعود في كلام إنشائي خالٍ من الأدلة، مغايراً للواقع ولا يمت له بصلة.

• الأمر الثاني: استعجاله في اتهامه وإيهام القارئ بأن هذه القبيلة (آل محمد) قد حصرتها على أنها حلف مع قبيلة آل الحرب، وقد استعجل ونسي رأيي الذي أميل إليه والذي بينته في مبحث قبيلة آل محمد (ص ٢٦٥) من كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) حيث ذكرت حرفياً بعد كلام طويل ما يلي:

(.....) وأما البقية فهم متواجدون في قبيلة الحربي الحالية، وأصبحوا لا يعرفون إلا بها كما أسهبنا في ذلك سابقاً، أي لا يعرفون إلا بالحربي مع العلم أنهم كانوا يعرفون بالمحمدي، ولا نعلم على وجه التحديد هل آل محمد فرع جديد من آل الصلت نشأ فيما بعد عام ١٠٣٥ هـ كما هو معروف من نشأة فروع جديدة في بعض القبائل العربية؟ أم أن هناك رابط صلة يقوم آخرون يدعون آل محمد؟ وإن كنت أميل للرأي الأول). انتهى ما أوردته في كتابي أنف الذكر.

إذاً وبالرغم من عدم نفي التام لرأي فضيلة الشيخ علي بن قاسم، وكلام كبار السن الذي أكدوا فيه على أن قبيلة آل محمد كانت قبيلة مستقلة انضوت بعد أن ضعفت وقل عدد أفرادها كما وضحت لكم سابقاً، إلا أنني أميل وبشكل كبير دون جزم أن آل محمد قد يكونون فرع جديد نشأ من قبيلة الحربي ونشوء الفروع الجديدة في القبائل أمر مشاهد ومعروف.

فليت أن المنتقد محمد بن مسعود ذكر أنني قد ذكرت أن آل محمد في الغالب ما هم في رأيي الذي أميل إليه وهو: (أنهم فرع جديد نشأ من قبيلة آل الحرب الفيفية) ولكنه استعجل في الانتقاد دون أن يطلع على كامل البحث الخاص بآل (محمد الفيفية) وحاول إيهام القارئ الذي يتابعه ولم يطلع على كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) على أنني لم أدلي بغير تلك المعلومة التي انتقدها وهي: (أن آل محمد مجرد حلف مع قبيلة آل الحرب الفيفية، وأنني قد توقفت على هذه المعلومة في الكتاب، ولم ينقل عني قولي الآخر الذي أرفقته لكم هنا) وهذه من استعجالاته أو عدم نقله لكل ما كتبه حول هذه المعلومة والاكتفاء منها بالجزء الذي يقوي رأيه

وانتقاده، وإلا فمن الإنصاف نقل كل ما كتبه بالحرف الواحد لتكون الصورة واضحة وكاملة للقارئ فلا يحصل الوهم واللبس على القارئ عند قراءته لانتقاد محمد بن مسعود ثم يصدقه خصوصاً من القارئ الذي لم يقرأ كتابي والذي قد يصدقه حين قال قاصداً إياي: (أنني قد طلعت فيما يسميه المنتقد بالتخليط).

ولنعد هنا إلى النسب الجديد الذي خرج به علينا محمد بن مسعود في هذه الحلقة لقبيلة (حرب من آل الصلت الفيفية) فقد رأينا سابقاً أنه قد نسبها في ضمن من نسب من بعض القبائل لأجداد متناقضين حيث نسبها إلى: (حرب بن سعد بن سعد بن خولان) جد قبيلة حرب الخولانية المشهورة في الحجاز وبعض الأمكنة الأخرى والتي لا تمت إلى قبيلة آل الحرب الفيفية بأي صلة نسب.

حيث يقول المنتقد عن قبائل آل الصلت الفيفية وهم: (آل الحرب – الأيتام – آل محمد): (فجميع القبائل الثلاث تعود نسباً في حرب الخولانية وليس فيها مذاحجة (يقصد المنتقد مذحجيون) إلا من قالوا نحن من مذحج ولم يؤثر عن قبيلة منهم أذاعت مذحجيتها لا في شعر ولا في نثر بحسب علمي).

ثم يتابع قائلاً:

ثانياً: قبيلة الأيتام بفيما هي أقدم (يقصد المنتقد أقدم) عهداً في هذا الجبل إذ أنهم في الحقيقة أيتام حرب الذين استقروا بعد هجرتها الكبرى التي انطلقت من ديار خولان وهي النقلة الثانية التي امتدت للحجاز ووادي القرى.

ثالثاً: تأتي قبيلة آل محمد (المحمدي) في الترتيب الثاني حيث يعود أصل هذه القبيلة ونسبها في حرب الأم .. وتوزع هذا الفخذ في كل أشتات حرب على امتداد مهجرها الذي استقرت به وقد نفرت من سهل صعدة في هجرة ثانية.

رابعاً: قبيلة حرب في فيفا تعد الأحداث استقراراً بفيفا حيث لحقت بأخواتها في الجبل مع الهجرة الأخيرة من سهل صعدة تزامناً مع فرق أخرى نزلت واحدة منها بقريتي البديع والقرفي من ضفاف وادي جازان الخصيب حوالي القرن الخامس.

أقول وبالله التوفيق: ما كنت آمل لمحمد بن مسعود أن ينزل في هذا المنزل في ظل عدم قناعته بما أوردته من شواهد وأدلة على أنساب بعض قبائل فيفا ومنها: (آل الصلت الفيفية) وليته لم يتفوه بمثل ما قرأتم من ألفاظ في هذه الحلقة وبعض الحلقات الأخرى، وكذلك في بعض الردود فهي ألفاظ لا تخدم النقد ولا المنتقد وهي ألفاظ ستخرج بالنقد عن مساره الذي أريد له.

ولن أتطرق هنا لما أجازه محمد بن مسعود لنفسه من رحيل حرب والأيتام وآل محمد من صعدة وإلى الحجاز واستقرارهم في فيفا دون دليل أو مرجع أو مستند يعتمد عليه، بل حاول إثبات ذلك من قراءات مخالفة للواقع، فكل من لديه ذرة علم يعلم أن هذا الكلام لا يمت للواقع بصلة.

وسأكتفي هنا برده على أحد المتداخلين عندما طلب منه الدليل أو مرجع أو مستند يعتمد عليه في حكايته الخيالية السابقة بخصوص هجرة بعض هذه القبائل الثلاث واستقرار بعضها بالحجاز ثم عودتها لجبال فيفا في فترات زمنية مختلفة؟ حيث رد على المتداخل قائلاً: (المستند التاريخي في هذا كله الاستقراء المبني على المنظور من الحوادث التاريخية ومجرياتها ومآلاتها وصيرورتها طالما لم يكتب تاريخ فيفا وقبائلها).

وهذا الجواب الذي ترونه ليس له في الميزان العلمي أي وجود ولا يمت للواقع بصلة وإنما كان من بنات أفكاره وخياله ولا أجد تعليقاً مناسباً على كلامه سوى أن أقول: والله ما هكذا تورّد الإبل يا محمد!!!

وأضع الأمر بين يدي القارئ المهتم!..

ولي الحق في أن أسأل كيف أجاز لنفسه ذلك؟ وكيف استصعب واستنكر عليّ رحيل جزء من آل الصلت من منطقة نجران إلى جبال فيفا؟ وعندي فيه مخطوط الشرفي الذي يؤكد أن آل الصلت قد أخبروا أحد قادة الحملة الغازية لجبال فيفا وما جاورها أنهم من يام بنجران، وكذلك وجود إقرار ضمني من فضيلة الشيخ علي بن قاسم نسابة فيفا ومؤرخها كما بينت لكم سابقاً عندما نقل مقولة الشرفي المخطوطة من أن آل الصلت بنجران، وكذلك فإن لدي في ذلك بعض أقوال أهل مدر أنفسهم من أن أحد أجدادهم يعود لمنطقة نجران ومن أخبرني بذلك لا زال على قيد الحياة أطال الله في عمره.

وعودة إلى كلامه الإنشائي في الفقرات الأربع الماضية وفي بعض الفقرات التي تعج بها بعض حلقاته الخالية من المضمون العلمي فضلاً عن افتقاره إلى الموضوعية والبعد عن التحيز وهما من أركان البحث العلمي، وكذلك نظرته القاصرة في علم الأنساب وضعفه الواضح فيه، فإنني كنت آمل منه التركيز على إيجاد الأدلة والشواهد العلمية النقلية والعقلية التي يؤيد بها رأيه المخالف لي، ولكن للأسف الشديد فقد لجأ في معظم حلقاته إلى استعراض عضلاته اللغوية والبلاغية التي لا مجال لها في منهج البحث التاريخي وهو أسلوب قد عرف عنه ليس معي فحسب بل ومع كُتّاب آخرين، وبهذا الأسلوب المتقن فقد تمكن من جذب البعض إليه ممن لم يقرأوا كتابي جيداً واكتفوا بمشاهدة وقراءة ما يكتبه المنتقد.

والحق أنني لم أجد في كتابات محمد بن مسعود أو الشيخ علي بن قاسم فيما يخص نسب قبيلة حرب الفيفية ولو دليلاً واحداً يكفي لإثبات أنها تعود نسباً (لحرب بن سعد بن سعد بن خولان) بل كل ما جاء به المنتقد حول نسب حرب كلام إنشائي خالٍ من المضمون العلمي كما بينت لكم سابقاً؛ غير مستند على مرجع موثق أو مستند أو مخطوط أو أثارة من علم.

واسمحوا لي بأن آخذكم في رحلة حول كلامه الإنشائي الذي ذكره في الفقرات الأربع السابقة، وهل له رابط بحرب فيفا والأيتام وآل محمد؟

الكلام الذي ذكره والرحلات وعودة جزء من قبيلة حرب الحجازية إلى ضواحي منطقتنا كلام لا غبار عليه، ولكن كيف له أن يثبت أن قبيلة حرب الفيفية كانت جزءاً من تلك الرحلات أو أن لديها أي رابط بتلك الأحداث من قريب أو بعيد؟ كل ما في الأمر أن هناك تشابه في الأسماء وتشابه الأسماء لا يعد قرينة يبنى عليها علم الأنساب.

فما أكثر مسمى حرب في المنطقة وما حولها من مناطق مجاورة وكذلك في اليمن، ومنها ما بينته في كتابي (ص ٢٥٧) والذين يعودون لأجداد غير الجد حرب بن سعد بن سعد بن خولان.

إذاً فعلينا أن ندرك أنه ليس كل من حمل مسمى حرب في جنوب المملكة وبالذات في منطقتنا والمناطق المجاورة لا بد أن يكون من قبيلة حرب الحجازية العائدة لحرب بن سعد بن سعد بن خولان، فهناك قبائل أخرى تحمل الاسم نفسه، كما بينت في كتابي ومنها حرب المذحجية وحرب الهمدانية وغيرهم.

ولقد ذكر الهمداني أنه تخلف بعض بني حرب ببلاد خولان عند هجرة غالبية القبيلة إلى الحجاز إلا أنه لم يشر من قريب أو بعيد بأن حرب فيفا هم من حرب بن سعد بن سعد بن خولان وأنهم قد تخلفوا في جبال فيفا أو عادوا لها بعد فترة زمنية. بل إن كل من تطرق لقبيلة حرب من المؤرخين والنسابة سواء من قال أنها تعود لسعد بن خولان أو قال بعدنانيته وفصل مواقعها وأصولها وفروعها في أنحاء المعمورة حتى في مصر لم يتطرق ولم يذكر أحدهم أن حرب فيفا تعود في النسب إلى حرب بن سعد بن سعد بن خولان حتى الهمداني نفسه قد أشار إلى وجود فروع حربية أخرى غير سلالة سعد بن خولان.

والقائلون بنسبة حرب لسعد بن سعد بن خولان عدا من نسبوها للعدنانية هم اثنا عشر عالماً في الأنساب والتاريخ والبلدان نجدهم بالترتيب الزمني كالتالي: (أبو زيد البلخي وهو أقدم كتابة من الهمداني وكان معاصراً له - الهمداني - الإصطخري - ابن حوقل - ياقوت الحموي - ابن سعيد الأندلسي - ابن رسول الغساني - النويري - ابن خلدون - القلقشندي - الجزيري - السويدي إضافة لبعض الباحثين المعاصرين).

وكل هؤلاء في أزمان مختلفة ولم يتطرقوا لحرب الفيفية لا من قريب ولا من بعيد. وكيف للإمام محمد بن نشوان الحميري المتوفى في الربع الأول من القرن السابع ألا ينسب قبائل فيفا إلى خولان وألا يعلم عن أنساب حرب الفيفية وأنها تعود إلى حرب بن سعد بن سعد بن خولان وهو العالم الأديب النسابة؛ والي مخلاف صعدة والمطلع على أنساب خولان والعالم بها عن قرب، وكذلك والده العلامة اللغوي النسابة العالم بأنساب خولان نشوان الحميري صاحب القصيدة المشهورة في ذكر نسب خولان وفخوذها والتي يقول في مطلعها:

بصعدة من أولاد خولان سبعة ... إلخ.

بل إنَّ كلَّ ما وقع تحت يدي من كتب لمؤرخين ونسابة من المعاصرين لنا لم يقل أحد منهم البتة بأن حرب فيفا تعود إلى حرب بن سعد بن سعد بن خولان المشهورة في أنحاء المعمورة حتى في مصر وغيرها والتي تطرق لها بعض المؤرخين والنسابة في أزمان مختلفة كما وضحت لكم سابقاً وفصلوها بالتفصيل الوافي الشافي ولم يذكروا حرب فيفاء من ضمنها مع أنهم فصلوا كل أخبار حرب بالتفصيل الممل. فهل جهل كل أولئك قبيلة حرب الفيفية ونسبها وحوادثها وأخبارها؟ وكيف لحرب فيفا أن تنفصل عن حرب الحجازية ذات الصولات والجولات والشهرة والمكانة والقوة والبطش ثم تعود إلى أماكن قريبة من تلك الأماكن التي تعرضوا فيها للغزو والهزيمة والرحيل؟

ولو فرضنا جدلاً أنهم حقاً قد عادوا من هناك كما ذكر بعض المؤرخين والنسابة من أن هناك جزء من حرب قد عاد إلى اليمن مع عدم تحديدهم أن حرب فيفا هي جزء من حرب الخولانية العائد جزء منها من الحجاز فالسؤال إلى أي بطن من بطون حرب الثلاثة المشهورة هم ينتسبون؟

وبطون حرب الشهيرة في الحجاز ثلاثة: بنو مسروح وبنو سالم وبنو عبيدالله ومنهم زبيد الحجاز وبنو عمرو.

حيث لم نجد في تسلسل نسب آل الحرب الفيفية ما يدل من قريب أو بعيد على أن لهم صلة بهذه الفروع الثلاثة التي اشتهرت بها قبيلة حرب بن سعد بن سعد بن خولان.

إنما نعرف بأن حرب الفيفية يعودون في نسبهم إلى آل الصلت فقط، والصلت ليس من فروع حرب الخولانية البتة.

والحق أنني طوال بحثي وما وقع تحت يدي من مراجع ومخطوطات لم أسمع بأحد نسب قبيلة آل الحرب الفيفية لحرب بن سعد بن سعد بن خولان إلا فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيفي وتبعه في ذلك محمد بن مسعود دون دليل أو اتصال نسب أو مرجع قديم أو حديث يعتمد عليه أو أدلة وقرائن تثبت هذا النسب الجديد.

غراً المنتقد في ذلك تشابه الأسماء وقرب المواقع قديماً وتشابه الأسماء لا يعد قرينة يبنى عليها علم الأنساب كما وضحت لكم سابقاً . . تلك كل الحكاية.

وفيما يخص قبيلة آل مشنية يقول المنتقد:

٢- قبيلة آل مشنية:

“ ومن المناسب هنا التذكير بالطريقة العجيبة التي تم بها تذحيج قبيلة آل مشنية (انظر حاشية ٢٤٦) يقول الباحث مخالفاً ما ذكره صاحب الاستقصاء: (ولكن الاحتمال الأكبر في حال ثبوت نسبهم إلى آل الصلت (ابن معاوية الخير الجنبى) كما يرى الباحث (يقصد الأخ حسن التويعي) أن أخيها(!!) مشني قد رحل معها إلى جبال فيفا). ”

أقول وبالله التوفيق: إن (فوبيا التذحيج) التي أرهبت المنتقد و(حمى الخولانية) التي لم يعد يرى سواها؛ قد جعلته يرى مذحج وراء كل حرف أو كلمة أو جملة كتبتها والأمر ليس كذلك، فكل قارئ مطلع وكل مهتم مختص لن يجد حرف واحد مما انتقده محمد بن مسعود في الجملة السابقة يُثبت أنني قد (مذحجت) هذه القبيلة أو غيرها من قبائل فيفا اللهم إلا من آل الصلت وآل البشري، وأنا براء مما اتهمني به، ولكنها (فوبيا مذحج) التي أصيب بها فأصبح على غير بصيرة ويرمي بالتهم جزافاً كيفما اتفق.

وكل عالم بالتاريخ والأنساب بل وكل من لديه أدنى معرفة في الاطلاع سيرى أن ثبوت نسب قبيلة آل (اممشنية) إلى آل الصلت المذحجية لم أتفوه به لا بالتلميح ولا بالتصريح، وإنما قلت على سبيل الاحتمال غير المجزوم به في حال ثبوت نسبهم كما يرى الباحث حسن الثويعي، ويتضح لكل ليبب من هذه الجملة بأن ما ذكره الباحث حسن بن جابر الثويعي ليس ثابت عندي ولا أقر به، فتأملوا وتفكروا فيما نسبه لي هذا المنتقد وأنا براء منه.

وأما بقية ما كتبه حول هذه القبيلة فأكتفي بردود أبناء القبيلة نفسها التي وردت في تعليقات هذه الحلقة، فليُنظر هناك.

والى لقاء قريب في الجزء الأول من الحلقة الثامنة بإذن الله تعالى . .

(الجزء الأول من الحلقة الثامنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

أتابع معكم بفضل من الله وتوفيق الجزء الأول من الحلقة الثامنة :
يقول المنتقد محمد بن مسعود:
٣- قبيلة "مدر":

انتبهوا جيداً فهناك ثقافة استجذت، تسعى إلى تفتيت الموروث الاجتماعي، مهما كان منسرباً تحت القيم والمثل الإسلامية، وذلك بخلق مفاهيم جديدة؛ تجاه الروابط الإنسانية والأواصر التي تسهم في انسجام المجتمعات، ومنها اللحمة القبلية، بحيث تذوب وتضمحل فتتخطاها النظرات وتتجاوزها الأعين حين تبدو قضية لا نفع لها. مع أن الأمر الإلهي (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) له نصيب هنا، وتحديد المتهم في هذه القضية المتشعبة شائك جداً، غير أن نتائجها خطيرة للغاية، إذا ما تصورنا جيلاً هائماً لا جذور له، يلعن ماضيه الذي اكشف - (يقصد المنتقد اكتشاف) - مدى سطحيته وهوانه على البحوث العلمية (كما يصورون له) فلا الأنساب محفوظة ولا الروابط تعني شيئاً، ويجد نفسه يتأرجح بين مذبح وخولان، مرة يكون خولاني ومرة يكون مذحجي، كل ذلك تحت طائلة البحث التاريخي والأنساب، أتحدث هنا عن أبناء فيفا من الجيل الجديد.

وفي هذا الصدد رأينا الباحث حسن بن جابر الثويعي سنة ١٤٣٢هـ ينسب فيفا كافة من حقرفة لحقرفة ينسبها لمذبح ويركب بذلك موجة التفتيت، عن طريق تغيير المفاهيم الثابتة لتصبح متحولة، وفي عام ١٤٣٥هـ سلك الباحث المؤرخ حسن بن جابر الحكمي نفس المسار، فحمل نفس المعول، وطفق هدماً وتكياً بالأنساب، وأصبح ما دونه في هوامش الطبعة الثانية قد انتقل إلى متن هذه الطبعة الثالثة، فيما يلاحظ القارئ مدى ضخامة حواشيها الأمر الذي يذكر بالطبوعات القديمة في بولاق فيأتي العنوان هكذا كتاب الإصابة لابن حجر وبهامشه كتاب الاستيعاب - (المنتقد يقصد الاستيعاب بدون همزة) لابن عبد البر!! .

أقول وبالله التوفيق: سألتهم العذر للمنتقد محمد بن مسعود في ديباجته السابقة لإصابته (بفوبيا مذبح) التي أرهبتها وحمى الخولانية التي أعمت بصره، فأصبح يلقي بالكلام جزافاً ولا يحسن التخاطب وكل ما في الأمر أنه ينمق الجمل ويجيد الأسلوب الإنشائي في محاولة منه لاستدراج عطف القارئ وجذبه إليه، وإلا فما الداعي لمثل هذه الديباجة التي بدأ بها نقده في هذه الحلقة بل وكل حلقاته السابقة واللاحقة؟ وهو يحسب أنه يحسن صنعاً بمثل هكذا ديباجات تحمل في طياتها بعض

الجميل وبعض الكلمات الخارجة عن مسار النقد الهادف البناء. فليته دخل في موضوع النقد مباشرة وناقش الفكرة بالفكرة وقارع الحجة بالحجة عوضاً عن أسلوبه السابق.

بالله عليكم ماذا استفدتم أو لنقل ما هي الفائدة من كل ما سبق ذكره؟

ولنعد لنقد وانتقاد محمد بن مسعود حيث يقول بعد تلك الديباجة:

دعونا نستعرض نماذج يسيرة من فواصل التفقيت:

قال المؤلف - (يقصد المنتقد قال المؤلف: نسي أن يضع نقطتين رأسيّتين بعد جملة قال المؤلف-) (وكما تلاحظون بأن الشرفي قال: ويقال إن آل الصلت من يام.. وبالتأكيد فقد استقى هذه المعلومات من أهالي فيفا حينها وبالذات من آل الصلت الذين كانوا أكثر منا حفظاً ومعرفة بأجدادهم وأصولهم). ص ٢٦٧.

قلت: ولا زال القول لمحمد بن مسعود: فهذا الشاهد عرضنا له نصاً في الحلقة السادسة وفحصناه فإذا به لا يصلح لشيء حيث ذكر قبيلة من آل الصلت تسمى (آل الجرب بالجيم) كذا نصاً!!.

ولأن المؤلف قد أدرك تهافت الشاهد الذي ساقه الشرفي وبعده عن الحقيقة ولذلك اجتهد في قراءة ما خلف السطور كما سنرى.

أقول وبالله التوفيق: يجدر بي هنا أن أعيد للقارئ المتابع لما ورد من توضيح في الحلقة السادسة عن (آل الجرب) للتذكير بعدم تهافت الشاهد وعدم بعده عن الحقيقة كما توهم المنتقد.

ولذلك أضع بين يديكم الرابط التي وضحت فيه كل ما وقع فيه المنتقد من التباس وتعجل نتج عنه هذا الانتقاد المحموم.

الرابط الجزء الثاني من الحلقة السادسة آل (الجرب)

<https://www.faifaonline.net/portal/2016/01/29/244056.html>

ولعل القارئ بعد عودته للرابط أعلاه قد أدرك وأيقن عدم تهافت الشاهد الذي أوردته كما زعم المنتقد .

ثم يقول الناقد محمد بن مسعود قاصداً إياي: وحين ينوي زعزعة الثابت من الأنساب فإنه يحشد دوماً ما يعتقده أدلة مقبولة لتزحيج قبائل آل الصلت مجتمعه (يقصد المنتقد مجتمعة بالتاء المربوطة) وأهمها قبيلة مدر تحديداً فيتساءل قائلاً: (وهل أي مشجرة تصبح دليلاً يستند عليه في صناعة التاريخ وتحديد الأنساب؟ فهذا الذي وقع تحت أيدينا، يدعمه مخطوط المؤرخ الشرفي إضافة إلى بعض اللقاءات الميدانية وكذلك المعاهدة أدناه لأدلة كافية على صدق ما ذهبنا إليه بخصوص أصول آل الصلت القديمة). ص ٢٦٩.

قلتُ: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود) فهذا هو يذكر ملخصاً بقائمة المستندات التي اعتمدها في إجراء عملية التذحيح لآل الصلت، دعوني أناقشها بحسب تسلسلها أعلاه:

المستند الأول: مشجرة في الأنساب منشورة على الصفحة (٢٦٨) لا يمكن تبين محتواها لصغرها الشديد ولكن تعليقه عليها كشف محتواها العام، فهي تذكر وجود بعض الأشراف في مدر من بلاد بني زمامة!!!!.... هذا كل شيء!! فهل في هذا دليل على أن قبيلة مدر لا تنتسب لحولان؟.

ولعله أورد صورة المشجرة لأجل التاريخ الذي تم فيه وضعها متزامناً مع ذكر قبيلة مدر استدلالاً على قدمها لكنه نسي ذلك في خضم التذحيح.

أقول وبالله التوفيق :

أصاب الناقد فيما يتعلق بهذه المشجرة، وإن قدر الله لي ويسر لي عمل طبعة قادمة من كتابي فسأبين كل ما يتعلق بهذه المشجرة بوضوح وما الهدف الرئيس من وضعها في ذلك المبحث، مع تحفظي على ما أسماه بـ(خضم التذحيح) ونفياً التام لما اتهمني به من زعزعة للأنساب الثابتة، اللهم إلا من يقيني وإيماني الثابت بمذحجية (آل الصلت وآل البشري) في فيفا.

يقول المنتقد محمد بن مسعود:

المستند الثاني: قصاصة من أسطر مستلة من مخطوط الشرفي اللآل المضيئة ويذكر فيه أن آل الصلت من نجران من يام. وهو شاهد آفته ورود أسماء منكراً مثل (آل الجرب) و(جبل حجر). فعرفنا أن من قال مثل هذا لم يسأل آل الصلت كما زعم المؤلف بل لم يحضر، ولم يقف كشاهد يمكن التعويل عليه .. فقد كان الشرفي حينها شيخاً في الستين من العمر وبالتأكيد لم يكن ضمن الحملة بحكم تقدمه في السن وإلا لما قال آل الجرب.

أقول وبالله التوفيق:

يحاول المنتقد محمد بن مسعود التشكيك في العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي وأنه لا يعرف مواقع جبل فيفا فضلاً عن قبائلها، فيستنكر وجود جبل بمسمى حجر من جبال فيفا وأنه (أي المنتقد) لا يعرف في جبال فيفا إلا جبال حجر فقط، وأن الشرفي غير صادق في قوله جبل حجر، وهذا أمر في غاية النكارة والاستغراب فلو أعمل فكره قليلاً لكان سهل عليه الأمر ولم ينكر على العلامة المؤرخ الشرفي رحمه الله قوله جبل حجر!!!.

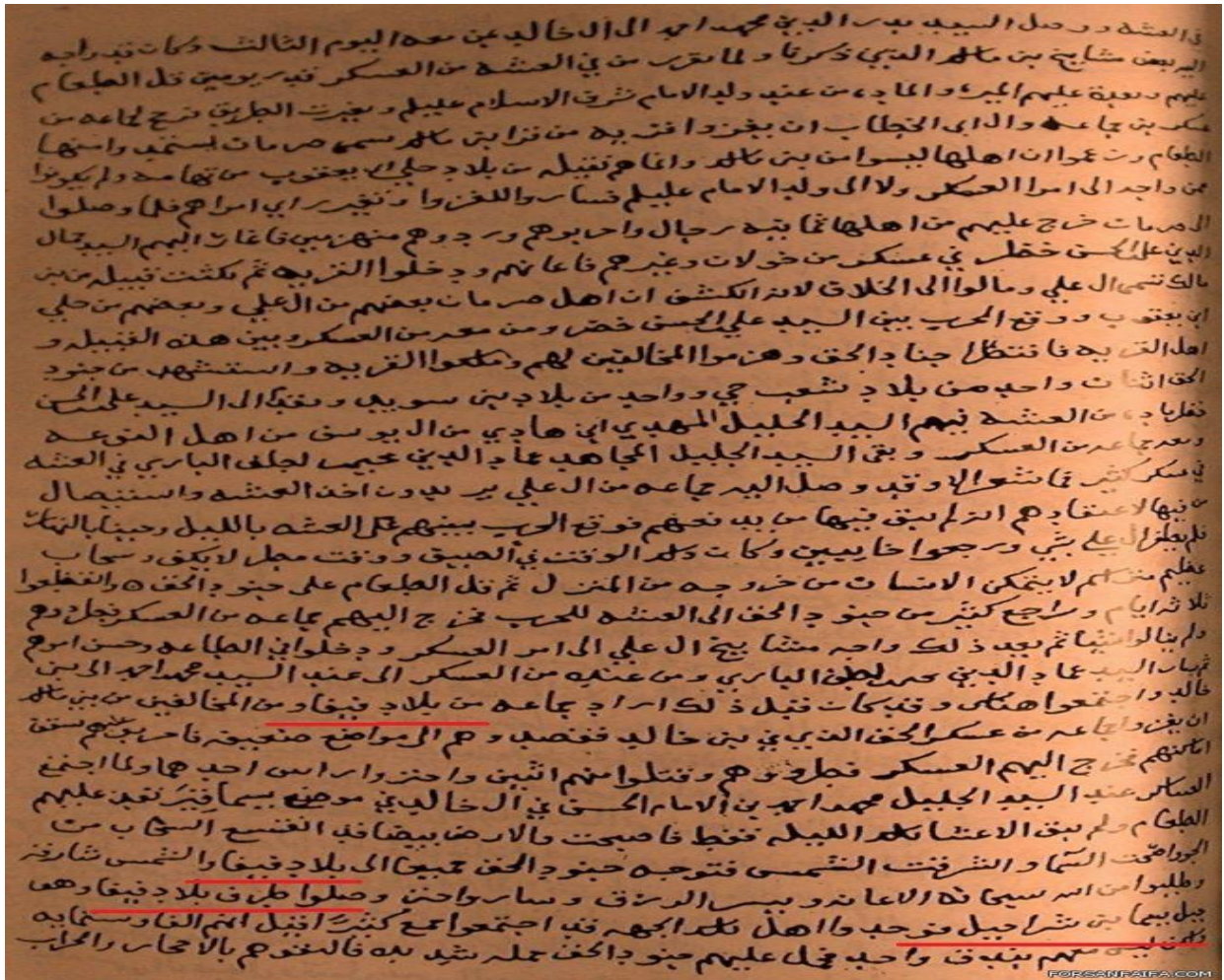
دعونا نناقش هذا القول (جبل حجر) الذي أنكره المنتقد بترواً وتؤدة بعيداً عن الاستعجال وعدم التركيز.

أليس لدينا القول الشائع (جبل فيفا) وكذلك القول (جبال فيفا) وكلا التسميتين جائزة ومأخوذ بها إلى لحظاتنا هذه؟

إذاً فما المانع أن يقول أحدهم جبل حجر أو جبال حجر؟

إن الأمر الذي هوله المنتقد من أن الشرفي لا يعلم مواقع فيفا وليس له معرفة بها واتخذ ذلك مدخلاً جديداً يضاف لبعض المداخل السابقة لينال من العلامة المؤرخ الشرفي كان سيجد إجابته ضمن المخطوط المسمى بالآلئ المضية للشرفي الذي أرفقت منه سبع ورقات في الجزء الأول من كتابي الموسوعة في باب التاريخ ابتداءً من (ص ٤٢١) حتى (ص ٤٢٥) والقارئ لها جيداً يجد أن الشرفي قد قسم جبل فيفا في تلك الحقبة الزمنية لأقسام عديدة لا تختلف عن الواقع المعاصر كثيراً.

ركزوا معي قليلاً في بعض من وثائق الشرفي التي أرفقتها في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء.



في الجملة التي وضعت تحتها خط أحمر يحدد العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي أول موقع من جبال فيفا حيث يقول: (حتى وصلوا طرف بلاد فيفا وهي جبل يسمى بني شراحيل فوجدوا أهالي تلك الجهة.
(.....إذاً الموقع الأول من جبال فيفا عند الشرفي هو: (جبل وديار آل شراحيل).

الوثيقة الثانية:

وكانوا يحسبون بالاجماع في المخلّيع والاوصاف كالبناء في ومنهم من انصرف ووقع التخليد
 اشد من ان يجتمع اليه الذين كانوا بينهم وفيه كانوا امنوا فغلط فيهم العسكر ثم سميت عسكر التي
 الجبل وقاتلت في بلاد فينقاجات وصلوا الى موضع المساء العيسريه وفيه قتلوا من اهل
 تلك البلاد جماعة وقتلوا راس جماعة وبقوا اهل تلك البلاد في الشعب وغنم جنود
 الحق غنائم كثيرة من الغنم والبق والجدي والابقاث وغير ذلك ثم كانت اول العصر في ذلك
 اليوم عاد المطر والسماء اعظم لمكان فينقاجات الا على ثم الاستدلال وبقى ذلك من هاجم
 عشيرته ثم رماهم واجهت تلك القبائل كلها واظهر الطاعة والافتقار لاسر الامام عليهم راس
 مشور شرق الاسلام وطلبوا ان يبين لهم ما يجب عليهم من المطالب الامامية فوعده بالامانة
 بذلك وطلبوا ان يفرق العسكر في بلادهم فقبض ما يطلب منهم وهي بلاد واسعة كثيرة
 اكثر من العسكر المودن هناك فساعدهم السيد محمد احمد الى ذلك فعد ابن اسفار اليه
 بعض اصحابه ان لا يفرق العسكر بل يجمع منهم جماعة واضر وجعلهم في موضع يسمى جبل محمد
 لان بعض اهلهم لم يراجه وهم الى الحكم في يد وورث على البلاد حتى يستوفوا المطالب
 هم جمعوا غير مئتي اوان يرسل في كل شيء من مشايخ القبائل اثني او ثلاثة من
 العسكر لخلاد المطالب وبق العسكر مجتمعين حتى يفرق طاعت القبائل وعددها
 فلم يساعده الى ذلك بل على بظواهر قول مشايخ القبائل ومساعدته في ما ارادوا فاسل
 السيد المجاهد عماد الدين محمد لطيف الباري والسيد الجليل مهدي بن هادي صاحب
 الدعوة والسيد جمال الدين عبد الرحمن بن محمد عمده المودعي وعين في كل واحد من هؤلاء
 الثلاثة زهاء مائتي رجلا وامرهم ان ينسروا كلهم الى جبل محمد وان يفرقوا بالبناء في من هناك
 ثم ينسروا الى القبائل من هناك فشاركوا في يوم الخميس تاسع وعشرين من شهر محمدي الاول
 سنة خمس وثلاثين والتمسوا ثم توجه السيد عماد الدين محمد لطيف الباري الى قبيلتين اصحاب
 سيما الايتام وهم من هاتين قبيلتين والآخرى سماها الالحق وهم من هاتين قبيلتين وتوجه اليه
 عبد الرحمن بن قتيبه سماه مديس وهؤلاء الثلاث القبائل لها اسم جمعها فقال لهم ان اعلنت
 يقال ان اهلهم الى الصلوات من تحسان من بام واسم اعلى وبق السيد في راس جبل محمد في موضع
 يسمى الجبل من قال السيد عماد الدين محمد لطيف الباري قلت لتوجه الايتام ان اصحابه لا يصلون
 الى عتيدي الا واجبا واحدا او اثنين اثني حتى يوفوا ما عليهم فكنت اخلق كل واحد على التزادة
 على رعيته وانفاره حتى يكملتهم وكانت تبلغ اليها اتم يريدون الغيرة بها فاحترقا منهم واستبقينا
 المشايخ عندها وشاولوا انا نبقنا في منازل صغيره ومكانات مخففة في شعب لا يدري ما فيه
 ولا يسمع صوته فلم يساعدهم الى ذلك لك اخترنا قرية مليحة بينها فصبات منيعه فجعلنا
 العسكر في القصبات وهي اربع فلما كانت اول وقت العشاء سمعنا الحرب في العبدس وهو الذي
 الذي فيه السيد مهدي بن هادي وكانت القبائل التي حولها جعل امرها اليه اربع قبائل
 قبيلة سمي ال عيبدل وقبيلة سمي ال مشمبيه وقبيلة سمي ال الثوبج والرابع ال ايتام

آمل التركيز على كل الجمل التي أوردت تحتها خطأ أحمر.

يقول العلامة المؤرخ الشرفي رحمه الله وغفر له: (.... حتى وصلوا إلى الموضع المسمى العبسية...) والعبسية تعتبر عند الشرفي من مواقع جبل فيفا وهي أحد مواقع ما نعرفه اليوم اصطلاحاً بالجبل الأعلى.

يقول الشرفي: (.... وجعلهم في موضع يسمى جبل حجر لأن بعض أهله لم يواجه وهم آل أبي الحكم...). وهذا الجبل هو ما يعرف الآن بجبال حجر أو جبل ولد عطا (الجبل الأسفل أو الجبال السفلى)، وقد وضع الشرفي القبائل التي تسكن في هذا الجبل وهم: - آل أبي الحكم وآل الثويح وآل عبدل وآل مشنية -، ولا زالوا فيه منذ ذلك الوقت بل وقبل ذلك الوقت وإلى أيامنا هذه وإلى أن يشاء الله.

ثم إنه كان دقيقاً في الوصف حيث ذكر أن أعلى قمة جبل حجر (فيما يعرف اليوم بجبال حجر كما وضحت لكم سابقاً بالشرح المفيد الواضح) حيث أخبرنا بأن أعلى موقع فيه هو الكدرة ولا زال الأمر كما هو.

فهل ترون أن العلامة المؤرخ الشرفي قد أتى بقول غير مطابق لما يتفق وعصرنا الحاضر بخصوص جبل حجر (جبال حجر)؟ كما زعم المنتقد!!

الوثيقة الثالثة:

التي ياتي بفارس من عبد السيد محمد احمد بن الحسن من العيسية لا تهم اقرب منا ووصلوا وقد
سكن الحب قال واما السيد عبد الرحمن بن عبد الله الذي توجه الى بلاد مصر فانه كان في قعدة
منبعه وقام مشايخ اهل جهاته فنعوا اصحابهم تلك الليلة من الحرب والفتنة وقاموا
منعه وكانوا اهل جده وطاعه عليه فلم يقع على السيد عبد الرحمن ومن معه كيد يرمع
ان قتلهم حادوا في المكة والحرب اشتد المحاوله ولحقته لم يكنه الفارس الى السيد مهدي
بن التتاليد بغير العلم بقى غار لولا ما بينهما ففارس البدر النقيب ناصر ابو جبر
فارس من العيسية بغير العلم بالبلاد الا انهم خرجوا من السيد عبد الرحمن وبن
فارس ففهم القبايل فعملوا عليهم هو واصحابه ففهمهم وقتلوا منهم اثني واكثر
سوسهم وعل ثلاثة وسبعين ثم رجع النقيب ناصر ابو جبر والسيد عبد الرحمن الى عدينا
والسيد مهدي ونقب اخذوا غنائم كثيرة من بقر وغنم وعيرها واحدا واربعا ابقوا قال
ثم رجعا عن السيد مهدي والسيد عبد الرحمن وناصر ابو جبر وجميع العسكر الى عدينا
السيد محمد احمد بن الامام الحسن عليه السلام كان بلغنا ان اكثر قبائل فيفا قد غابت
وقد تاملوا على الترتيب على العيسية وهجوم من فيها واكثر من قام في ذلك ال مقام وال
ظلمه وال شرا جيل وال عليهما وهم اهل الجبل فروي ان شيخ العيسية واسمه حسن بن
هو الذي منع محابه وعبرهم من ذلك وقال يا اصحابي اذا رعن منهم على الجيب والكتف فانابوا
الى امر سمجانه من ذلك وانا السيد العيسية بشرق القدي الحسين الامام ابن بيديه
يامرني به فحسني بجل مكرهم قال السيد عا د البي حقه لانه ولما عدينا الى العيسية يوم السبت
غرة شهر رجب من السنة المذكورة سرتنا سارا الاحد الى اول عديل من جبل حجر فاخذنا يوم
واحد قناها وغنمنا اموالهم واخذنا بها واخذت جنودا حق من بلادها طلقا كثيرا اوكد
استنادت كثير من قبائل فيفا اثم يغفون مع العسكر من اموال الماكثين فاذن لهم والزموا
ان يغيبوا عن العسكر بعلامات تهمسارت العسكر ايضا يوم الاثنين وفاشت في بلاد القبايل
الى ال اى الحكم وال مشيخه وال التوزيع فاحسبت وغنمت منها غنائم كثيرة ثم ساروا ايضا
يوم الاثنين وبوم الجمعة الى بلاد ال اى الحكم وال التوزيع وال مستقبه ثم طأست العسكر
انتهوا الى معتقته وهي موضع محاذ للمشغري بتهامه الوطن فمناطجهم الرعايا فمناطجهم
وبن بعض العسكر في راس جبل حجر مراكز الهم فعادوا وقب قتلوا تلاته جبال واحترقوا وسهم
واسد اثني عشر يوما انهم حاربوا بالبنادق وغنموا غنائم كثيرة ايضا ثم ساروا ايضا يوم الاحد
على تلك الحالة فما عدا وال الا بغنائم وروس احترقوا واما السيد العيسية فاحسبت
احمد المهدي بن المويدي حقه لانه ولما عدينا الى العيسية يوم السبت
بسماء حبيب سيلات في عسكر من جبل راسخ وكانت ولايت جيل راسخ وبني جماعه وبني منير الى السيد
احب المهدي وكانت باقيا فيها وطاعا عيسى سيلات الى جيل راسخ على ما ذكرنا فخرج للسيد احمد المهدي
ان يوزع بنفسه فساروا جميعا اسكنه حتى وصل الى معتقته وهي موضع منازل لبلاد فهدى من جهة
الشرق فنقب فيها من معه وغيرهم ثم فاشت عسكره الى بلاد وادعه فغنموا غنائم كثيرة روي
ان جملته البزر

وفي أعلى الورقة المخطوطة كما هو مبين تحت الجملة بالخط الأحمر نرى الموقع الرابع من التقسيمات التي يرى العلامة المؤرخ الشرفي أنها من مواقع جبال فيفا وهي: (بلاد مدر).

هكذا قسم العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي جبل فيفا (جبال فيفا) في حقبتها الزمنية تلك وذلك قبل أربعة قرون: (جبل شراحيل - العيسية - جبل حجر - بلاد مدر) كما سبق وحددت لكم بالخط الأحمر تحت كل مسمى ذكره الشرفي، وقد حددها حسب تمرکز مواقع قادة الحملة الذين استقر كل واحد منهم في موقع من تلك المواقع مع جنوده الغزاة.

فما المانع أن تلك المسميات هي التي كانت شائعة قبل (٤٠٠) عام وهي مسميات لا زالت موجودة حتى وقتنا الحاضر مع ظهور مسميات جديدة يقع بعض من تلك المسميات من ضمنها.

فنحن نقول حالياً الجبل الأعلى: أي بلاد قبائل آل عبيد الذي كان يشتهر بالعربية ومن حوله من قبائل حينها كآل المغامر وآل ظلمة وآل عمر كما يظهر من تقسيمات الشرفي لجبل فيفا، والعربية ما هي إلا أحد مواضع الجبل الأعلى. الجبل الأسفل: ويشمل حالياً قبائل ولد عطا بشرطيرها (آل الحجر وآل الصلت). ويعرف جزء منه حالياً بجبال آل حجر. والجزء الآخر مواطن آل الصلت ومنها بلاد مدر.

بلاد آل شراحيل: وهي حالياً ليست من مواطن الجبل الأعلى وليست من مواطن الجبل الأسفل اصطلاحاً، ولها مواطنها المعروفة. وانظروا إلى قول العلامة المؤرخ والأديب أحمد بن محمد الشرفي الذي يؤكد فيه أن أعلى موقع في جبل حجر هو (الكدرة).

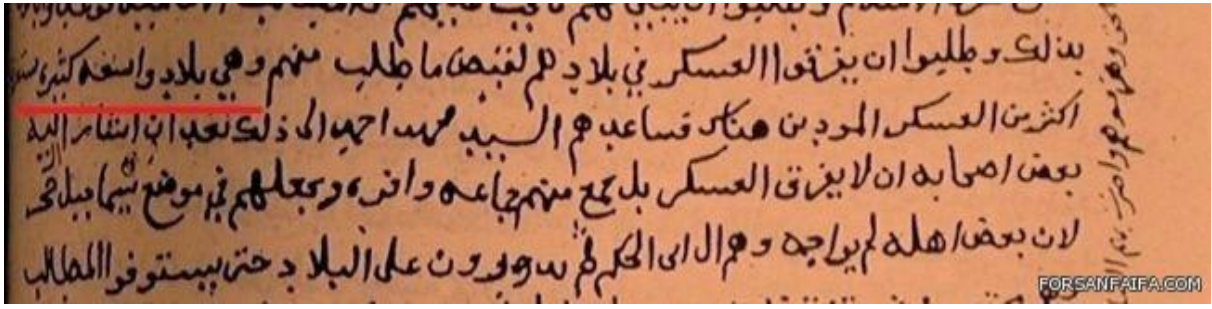
أليست الكدرة إلى وقتنا الحاضر هي أعلى قمة في جبال آل حجر (جبل حجر). أليست القبائل التي كانت تسكنه وذكرها الشرفي كما شاهدتم في الورقات المرفقة من مخطوطه اللألي المضيفة هي نفس القبائل الحالية؟ (آل بلحكم - آل عبدل - آل مشنية - آل التويج).

ثم انظروا إلى ما نقله فضيلة الشيخ المؤرخ والنسابة علي بن قاسم الفيفي في كتابه الموسوم (فيفاء بين الأمس واليوم) عن العلامة الشرفي وأقره عليه ولم ينكره وهو قوله: (جبل حجر). لأن الشيخ علي بن قاسم الفيفي - حفظه الله - يعلم أن المسمى صحيح وأن الشرفي يقصد به جبال حجر قياساً من الشيخ علي بن قاسم على المقولة الشائعة لدينا جبل فيفا أو جبال فيفا.

ففي الصفحة (٧٠) عنون الشيخ بالعنوان التالي مؤكداً لتسمية الشرفي لجبال حجر بجبل حجر ولم ينكر تعريفه لها بجبل حجر حيث كتب الشيخ علي بن قاسم: (التوجه لجبل آل حجر).

ثم أورد الشيخ علي بن قاسم كلام العلامة الشرفي دون استنكار أو تعليق لعلم الشيخ بأن العلامة المؤرخ الشرفي يعني فيه جبال حجر كما نقول جبل فيفا أو جبال فيفا. وهذا ما أوردته الشيخ علي الفيفي في الصفحة (٧٠) من كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) نقلاً عن الشرفي:

(لما طلبت قبائل آل حجر إيفاد من يقبض منهم الواجبات ويبينها لهم، ورأى السيد عماد الدين أن فيفا بلد واسع تستغرق أكثر الجند وبعد المشاورة مع القادة استقر رأيهم على عدم تفرق القوات فذهبوا سوياً إلى (جبل آل حجر) لأن بعضهم لم يكن قد واجه وهم آل بلحكم).



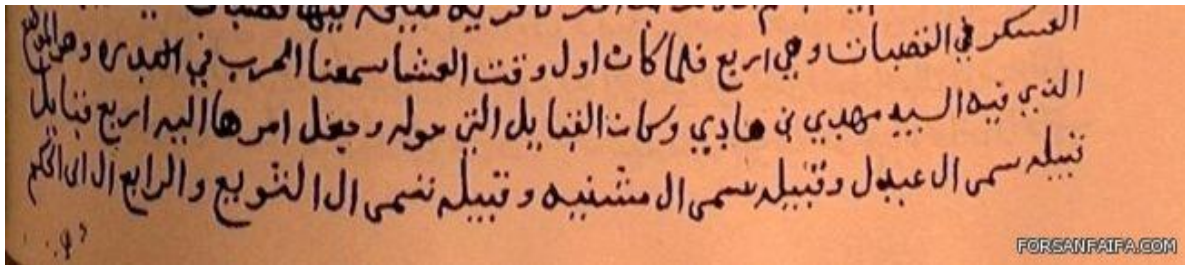
زودتكم بقصاصة مأخوذة من القصاصات التي وضعتها في بداية هذه الحلقة والمأخوذة من مخطوط الشرفي للتسهيل على القارئ من أن يقرأ القصاصات كاملة كي يجد هذه المعلومة التي سبق وأرفقت كامل تلك القصاصات في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) والتي أفرغ ما في تلك القصاصات الخاصة بالشرفي فضيلة الشيخ علي بن قاسم الفيافي ونقلها في كتابه وأقر الشرفي عليها ولم ينكرها عليه وهذا هو الصحيح والحق وليس كما أنكر المنتقد.

ثم ينقل الشيخ علي بن قاسم عن العلامة الشرفي في الصفحة (٧١) من كتابه مع بعض التصرف قوله: (واستقر بأربع قصبات حصينة في الكدرة بأعلى جبال آل حجر).

قلت: والقول هنا للشيخ علي بن قاسم الفيافي - حفظه الله: (وقبائل آل حجر هي آل عبدل وآل الثويج وآل مشنية وآل بالحكم، والحصن الذي أقام به "النوعة" في الكدرة خربة لم يبق منه اليوم سوى أساساته).

وكذلك أورد الشيخ علي بن قاسم الفيافي في الصفحة (٧٢) جملة نقلاً عن الشرفي من مخطوطه أنف الذكر عنون لها بالعنوان التالي: (الحرب في الكدرة).

قال السيد عماد الدين: (وفي أول وقت العشاء سمعنا الحرب في " الكدرة " مكان إقامة السيد مهدي النوعة، حيث اجتمعت القبائل المحيطة به من آل عبدل وآل الثويج وآل مشنية وآل بالحكم وهم زهاء ألف رجل).



وهنا أحب أن أزودكم أيضاً بجزء مقصوص من أحد القصاصات المأخوذة من مخطوط (اللائل المضية) للعلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي التي سبق وأن زودتكم في بداية هذه الحلقة ببعض القصاصات من ذلك المخطوط؛ وضعتها هنا لأسهل الاطلاع للقارئ .

أقول وبالله التوفيق: وبالفعل فالقبائل التي تسكن جبال حجر (جبل حجر) هي القبائل المذكورة أعلاه كما سبق وبينت لكم.

أليس هذا هو الواقع المعروف منذ ذلك الزمن وما قبله حتى إلى أيامنا هذه؟ ثم أليس لمعظم قبائل جبال فيفا الثمان عشرة جبل خاص تُعرَفُ به سواء أكبر ذلك الجبل أو صغر، ومنها قبائل آل الحجر التي لكل قبيلة من تلك القبائل الأربع جبل خاص بها: (كجبل العبدلي وجبل الحكمي وجبل المشنوي وجبل الثويعي)؟ مع ملاحظة أنه قد تشترك قبيلة أو قبيلتان في جبل واحد.

فما المشكلة إذا أطلق الشرفي على تلك الجبال (جبل حجر) ولم يقل (جبال حجر)؟ ولماذا كل هذا التهويل والتعليق والانكار لمسمى (جبل حجر) أيها المنتقد؟ وكأن الشرفي قد أتى بطامة لا تغتفر بقوله: (جبل حجر) الذي أنكر المنتقد معرفته أو أنه قد سمع به من قبل بسبب قوله: (جبل) وعدم قوله: (جبال). وأختم هذه الحلقة بهذا التساؤل:

أليس ثمة غرابة من أن محمد بن مسعود لم ينتقد ما أقره الشيخ علي بن قاسم الفيفي - حفظه الله - عن الشرفي وأثبتته في كتابه الذي سبق كتابي هذا بسنين عديدة وهو قوله: (جبل حجر)؟ وكذلك أليس غريباً أنه لم يعلق منذ ذلك الوقت على هذه التسمية التي أطلقها العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي على جبال آل حجر بقوله: (جبل حجر)؟؟ ولكنه عندما نقلتها في كتابي رأيت أنه ورأيتموه قد أقام الدنيا ولم يقعدوها!!!!. هذا كل ما يخص جبل حجر الذي أنكره المنتقد وأخبرنا أنه لا يعرفه ولم يسمع به من قبل واعتبر أنه من زلات الشرفي وضعفه وعدم إمامه بمواطن جبل فيفا.

نعود لنقد المنتقد محمد بن مسعود من أن الشرفي لم يقف على الأحداث التي جرت في فيفا عام ١٠٣٥ هجري كشاهد يمكن التعويل عليه، فلأمانة العلمية فإن قول الناقد محمد بن مسعود أقرب للصواب مني، ولكن من المؤكد الذي لا غبار عليه ولا شبهة فيه بأنه قد أخذ معلومات الحملة العسكرية من قادتتها مباشرة ومن ذلك قول الشرفي في مخطوطه الموسوم (بالآلئ المضية) : (قال: السيد عماد الدين يحيى لطف الباري قلت: لشيخ الأيتام إن أصحابه لا يصلون إلى عندي إلا واحداً واحداً واثنين اثنين حتى يوفوا ما عليهم، فكنت أحلف كل واحد على انفراده على رعيته وأنفاره حتى أكملتهم، وكان يبلغ إلينا أنهم يريدون الغدر بنا، فاحترزنا منهم، واستبقينا المشايخ عندنا، وحاولوا أن نبقي في منازل ضعيفة ومكان منخفض في شعب لا يدري ما فيه ولا يسمع صوته، فلم نساعدهم إلى ذلك، بل اخترنا قرية مليحة فيها قصبات منيعة، فجعلنا العسكر في القصبات وهي أربع).

أقول: والسيد عماد الدين يحيى بن لطف الباري أحد قادة الحملة على جبل فيفا.

وإلى اللقاء بإذن الله تعالى في الجزء الثاني من الحلقة الثامنة . .

(الجزء الثاني من الحلقة الثامنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بتوفيق الله وفضله ومنه وكرمه الجزء الثاني من الحلقة الثامنة:

يقول المنتقد:

(ويجب أن أستدرك هنا ذلك الخطأ الفادح الذي وقعت فيه حين اتهمت الجرموزي بأنه صاحب قصب السبق في كيل الشتائم لأهل فيفا والصواب هو أحمد بن صلاح الشرفي فالجرموزي لم يولد إلا بعد رحيل الشرفي بعشرين سنة وإن كان اقتفى أثره وتابعه دون تثبت).

أقول وبالله التوفيق:

سبق وأن قمت بتعريف المؤرخ العلامة المطهر الجرموزي في (الحلقة الثانية) والذي نقلت له بعض الأخبار في كتاب الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء، وكذلك قمت بتعريف مشابه للعلامة المؤرخ الأديب أحمد بن محمد الشرفي في الجزء الثالث من الحلقة الخامسة بما يغني عن الإعادة هنا.

الرابط الأول: الخاص بتعريف العلامة الجرموزي - رحمه الله -

<https://www.faifaonline.net/portal/2016/01/04/239342.html>

الرابط الثاني: الخاص بتعريف العلامة الشرفي - رحمه الله -

<https://www.faifaonline.net/portal/2016/03/25/254893.html>

وقد عالج المنتقد ما اعترف به من أنه خطأ فادح بخطأ آخر حين أكد أن الجرموزي لم يولد إلا بعد الشرفي بعشرين سنة، وهذا يؤكد أن المنتقد على غير معرفة تامة بالمؤرخ المطهر الجرموزي وأن الانتقاد قد أعماه عن معرفته فتوهم في جرموزي آخر لم يكتب عن جبال فيفا إطلاقاً، وهو غير الذي نقلت له في كتابي.

وهنا أذكر المنتقد بخصوص تاريخ وفاة الجرموزي (المتوفى في ٢ / ١٢ / ١٠٧٦ هـ وقيل ١٠٧٧ هـ) وكذلك تاريخ ميلاد ووفاته المؤرخ الشرفي (الذي ولد عام ٩٧٥ هـ وتوفي عام ١٠٥٥ هـ)، فإن المؤرخ الشرفي أقدم من الجرموزي ولادة ووفاته وتأليفاً ويقع مخطوطه (اللائئ المضية - المضية -) في ثلاثة مجلدات وكل مجلد يحمل المئات من الصفحات وقد وصف غزو فيفا في عام ١٠٣٥ هـ في العديد من

الصفحات وفصلها تفصيلاً شافياً وافياً على العكس من المؤرخ الجرموزي الذي لم يتطرق لأحداث تلك السنة إلا في صفحتين فقط وباختصار شديد. ومع أنني قد بينت ذلك بوضوح في كتاب (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) وكتبت عن سيرتهما باختصار في الباب الأول - الفصل الثاني - فيفاء عبر التاريخ في الصفحة (٤٢١) والصفحة (٤٣٨) ولكنه قد عمي عن ذلك فتوهم جرموزي آخر.

وقد عاصرا بعضهما البعض مع اختلاف في تواريخ الميلاد والوفاة؛ رحمهما الله وتجاوز عن زلاتهما، وليس كما التبس على المنتقد من أن الجرموزي لم يولد إلا بعد رحيل الشرفي بعشرين سنة!!!.

وقد حاول المنتقد أن يستدرك هذا الخطأ الثاني والذي عالج به الخطأ الأول في ثنايا ردود هذه الحلقات بعد أن نبهه بعض المتداخلين لما وقع فيه من خطأ.

ثم يقول المنتقد:

إنما دعوني أعيد على مسامعكم الكريمة ما قاله المؤلف: (وبالتأكيد فقد استقى هذه المعلومات من أهالي فيفاء حينها وبالذات من آل الصلت الذين كانوا أكثر منا حفظاً ومعرفة بأجدادهم وأصولهم). ص ٢٦٧.

قلت: (ولا زال القول للمنتقد محمد بن مسعود): فعجلة التفتيت والطحن تقتضي التشبث بكل شيء حتى الزلات والسقطات، كما سنرى ذلك في حكم الباحث الذي وجد معضلة حقيقة - (يقصد المنتقد حقيقة) - في النسب لقبيلة يام حيث يقتضي ذلك ظهور اسماء على غرار (حاشد) و (همدان) وهذه لاتغري كثرا - (يقصد المنتقد كثيراً) - ما لم يقفز مذبح قبل هذه التحويلة الطويلة فكان أن استدرك بالقول (والشرفي في تلك المخطوطة لم يؤكد صحة ذلك النسب بل قال يقال..... ثم قال والله أعلم أي أنه مجرد سماع ربما من شخص أو أشخاص لم يخبروه بمعلومة دقيقة ولذا كان فطنا عندما قال: يقال، وعندما قال والله أعلم). ص ٢٧٠.

فهذا المديح الذي منحه للشرفي من الفطنة والاحترار والاحتراس والدقة، ما هو إلا ذريعة واهية للطوفان حول هذا الشاهد والتشبث به لآخر مدى، وتأمله وهو يعلن: (وفي الحقيقة إنه بعد البحث والزيارات الميدانية، وتقصي الحقائق اتضح لنا أنه لا يوجد رابط نسب بين قبائل آل الصلت وفيفاء وقبائل يام) نفس الصفحة.

المستند الثالث: اللقاءات الميدانية يقوم الباحث برحلة إلى نجران ويلتقي بمسن يدعى ظافر بن علي، من بقية آل الصلت، ويخبره أن للصلت ولدان بقي الأول في وادي بطا من نجران (ورحل ابن الصلت الثاني إلى جهة تهامة منطقة جازان). ص ٢٧١.

قلت: ألم يخبرك باسم هذا الولد الذي انحدر لجازان؟ والقصة فيها مسكوت عنه... فالرجل عرف اسم الأب الأبعد وهو الصلت وتجاهل ذكر الولدين وهما أقرب ولنفترض أن الراوي تجاهل الفرع وذكر الأصل، ألا يفترض بالباحث أن يتحقق من الاسماء ولا يأتيها هكذا برقمين مجردين.. هل تتوقعون أنه لم يرد ذكر لابني

الصلت؟ لماذا لم يورد الباحث اسم ذلك الابن المهاجر لمنطقة جازان؟!!! منطقة جازان!!!.

لم يسلم البحث الميداني من التهافت لتعمد الباحث عدم ذكر أسماء أولاد الصلت، وبالتأكيد لن يأتي ليخبرنا السر، فهل سنعثر عليه لدن - (يقصد المنتقد من لدن)- متابع مجتهد؟.

أقول وبالله التوفيق:

لن أعلق على كل المقدمة التي استهل بها انتقاده ليصل إلى النقد الحقيقي وما صاحبها من بعض التهكمات وهو زيارتي الميدانية لمنطقة نجران ولقائي بأحد المسنين من آل الصلت.

أمل من القارئ العودة لكتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) من بداية (ص ٢٤٨) إلى نهاية (ص ٢٧٩) حتى يكون على إمام شامل بكل حرف كتبه بخصوص تلك الرحلة الميدانية وكل ما دار حول رأيي ورؤيتي التي لا زلت أصر عليها حتى أجد دليلاً قوياً يدحض تلك الرؤية التي هي بخصوص نسب (آل الصلت الفيفية) وأنها و(آل الصلت المذحجية) بسراة جنب قديماً وأحد ضواحي منطقة نجران حالياً بعضهم من بعض وأن (آل الصلت الفيفية) ما هم إلا حلف دخل مع بعض قبائل فيفا فأصبحوا لا يعرفون أنفسهم إلا على أنهم من ولد عطا بن أحمد ومن ثم اليهانية من خولان.

وقد شرحت كل ذلك بما يغني عن إعادة شرحه هنا.

المثير في الأمر أن المنتقد قد رأى تهافت هذا الشاهد بحجة ما أسماه (تعمدي) عدم سؤال هذا المسن عن أسماء ولدي الصلت، وبهذا سقط بحثي الميداني في نظره!! هناك إساءة ظن من المنتقد تجاهي وحقيقة الأمر أنني لم أتعمد ذلك كما توهم، بل لم يخطر على بالي حينها أنه سيظهر لي من يحاول إسقاط هذا الشاهد القوي على أن آل الصلت بفيفا وآل الصلت المذحجية بمنطقة نجران بعضهم من بعض بسبب عدم سؤالي عن أسماء ولدي الصلت، ولو كنت أعلم الغيب لسألت الرجل، ولكنني اكتفيت بأصل المعلومة الثابتة لدى بقايا آل الصلت المذحجية بمنطقة نجران حالياً.

وبالرغم من عدم سؤالي عن اسمي الولدين، فإنني لا أرى أن ذلك يغير من الحقيقة شيئاً، ولا ينقص من قوة الحقائق في هذه الرحلة الميدانية الموفقة، ولا يغير من قناعاتي الحقيقية بأن آل الصلت الفيفية وآل الصلت المذحجية بعضهم من بعض، إلا أنني أقول لعل هناك من يقوم برحلة ميدانية مستقبلية وبالذات من المهتمين بالباحثين ومن آل الصلت بفيفا، فقد يوفقه الله في معلومات أغزر مما أوردته في هذه الرحلة الميدانية.

يقول المنتقد محمد بن مسعود:

المستند الرابع: عبارة عن صورة من معاهدة مخطوطة قمت بقراءتها (يقصد المنتقد بقراءتها) ونشرها في الحلقة الخامسة يرد فيها اسم علم (محمد الحنبي) لكن الباحث قرأها (محمد الحنبي).

لنرى ماذا يقول معلقا على القصاصة الخطية:

(يظهر في هذا الجزء من المخطوط الخاص بمعاهدة الأشراف (يقصد المنتقد الأشراف) آل يحيى بن يحيى.... بأن آل الصلت في نهاية القرن التاسع قد أصبحوا من سكان جبل فيفا.... وأن شيخهم حينها كان يسمى محمد بن الحنبي نسبة إلى جنب (منبه) بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج). ص ٢٦٩.

قلت: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): لا يمكننا الخروج بمثل هذه المعلومات التي وردت في المُقتبس أعلاه حتى مع افتراضنا صحة الاسم أي أنه محمد الحنبي فعلا فكيف قال بأنه شيخ آل الصلت؟ وأن الحنبي نسبة إلى جنب (منبه)؟ إلى ما هنالك من سلسلة نسب تنتهي لمذحج؟ هذا يسمى تحميل النص ما لا يحتمل!!.

ورد في النص عدد من الكلمات تعجم حرف الجيم قبل كلمة الحنبي حصراً (الأجلاء) و(جبهان) و(جميل) و(جدده) و(المجد) و(جيرانهم).... هذه الكلمات يرد فيها الجيم منقوطة ولم يرد جيماً مهماً حتى يصل لهذه الكلمة (الحنبي) فأهمّلها أي لم ينقطها، ولهذا قرأتها حاء وليس جيماً، ولنفترض أنها (الحنبي) وإنما نسبة للجنب، أو الجنبه أسماء مواضع في جبال ولد عطا، وليس نسبة لـ (جنب) بلاد الأذاحجة؟ ثم أيضاً : لماذا لا تكون (الحنبي) نسبة للجنبه اسم لمواضع عدة في جبال ولد عطا هذا على سبيل الجدل؟ لماذا طلما (يقصد المنتقد طالما) والأمر في باب التخمين لا تقبل إلا مساراً واحداً؟... إنه التفتيت ولوازم التذحيج هو من استدعى مساراً واحداً لا يقبل غيره!!.

أقول وبالله التوفيق:

بالنسبة للشيخ محمد الحنبي أحد مشائخ آل الصلت في تلك الفترة الزمنية (٨٩٩هـ) الذي يرى محمد بن مسعود أنه محمد الحنبي وليس الحنبي فقد ورد في كل النسخ غير منقوط في جميع الحروف التي كُتِبَ الاسم بها وليس حرف الجيم فقط، ولا أدري علام سماه الحنبي؟

فلم لم يسمه الخبتي مثلاً؟ أو الحيني أو الحيني كما أسماء العلامة الهجري عندما نسخه من وثائق التهجير الجامع؛ رغم استغرابي لهذا الاحتمال الذي أورده الهجري عند نسخه للاسم لأن رسم الكلمة لا يحتمل ياءً أخرى، أو غير ذلك من الأسماء التي يحتملها رسم الكلمة بدون نقاط، لأن الاسم ورد غير منقوط كما قرأنا، فمثلاً عندما سمّيته الحنبي فإن تلك التسمية من وجهة نظري لم تأت من فراغ، فلدي بعض الشواهد والمبررات التي تقوي الاعتقاد بصحة الاسم (الحنبي) دون غيره من الأسماء المحتملة ومنها:

- ما ذكرته في كتابي من أن أساس آل الصلت الفيفية كان من سراة جنب.
 - وجود بعض النقائل لدينا من سراة جنب كآل البشري.
 - كذلك لما ذكره النعمي في كتابه (عسير في مذكرات سليمان الكمالي) من أنه كان هناك في فيفا قديماً بعض قبائل جنب.
 - وكذلك وجود أكثر من موقع في جبال حجر يحمل مسمى امجنبي أو اسم قريب من هذا الاسم ومنها بلاد وبيت وما حولهما باسم (امجنبي) في نهاية مواطن آل نعيمة من جبل آل أبي الحكم الذي يطل على جبل آل الثويج.
- ولهذا ترجح لدي أن الكلمة المصحفة هي محمد الجنبي.
- ونلاحظ هنا أن المنتقد قد هدأ قليلاً عما ورد في الحلقة الخامسة وبدأ يؤمن بل ويؤكد أن هناك بعض الفرضيات التي قد تقبلها هذه الكلمة ومنها الجنبي، وهذا حسن منه، ولذلك فقد افترضت أن الكلمة المصحفة هي الجنبي للأسباب التي أشرت إليها في الحلقة الخامسة والرد أعلاه.

هذا ما جددته المستأخ الا جلال النبلا الكافري في حرس
على جنب ماني المشرق بعد ما قرأوه والتمزوا بما فيه واختلفوا فيه الشيخ القطر
رجبهاف وعشبات والمفرج وجميل بن علي وخلقان هذا ما جددته المستأخ
الكلمة اصل المجد والسياسة والحب والرياسة الكافري في زنا ماني
لما جددته المصلح ان يحكي ويقتضيه جيرانهم بان امرهم وما يشق لهم
وظيفهم امن وما راح عليهم انه من راح ان كان عدل وان كان خطا فغير السابح
والقبلا على ما ذكر من الى الصلح محمدا بن كسي واسعد بن سليمان وحسان بن العسي
وعلى الزيلعي وحسن بن الجمل والكنش بن حسان بن اسعد بن السرف بن سليمان بن علي وودع
ومن الى حجر سليمان بن علي والريش وسلمان بن الشيخ وعلي بن الشفيع والكربري والريش
وعلى بن جند وعاصم بن احمد بن اليادي ومحمد بن الزفان وساهر بن عبد الحميد
احمد بن سليمان والكنش وعلي بن كزيب ومحمد بن علي وسلمان بن العسي بن علي
وسلمان بن محمد وعاصم بن صلاح وراحم ومحمد بن الجمل وعلي بن الحسن والحسين بن علي
ومن الى شراخيل بن علي بن زيد بن النيب وحسن بن هبطان وعلي بن الحسن بن الكعب
والجمل بن علي بن سليمان بن علي بن النيب وسلمان بن علي بن النيب ومن فشق هذا الشرط
والجمل بن علي بن سليمان بن علي بن النيب وسلمان بن علي بن النيب ومن فشق هذا الشرط
والجمل بن علي بن سليمان بن علي بن النيب وسلمان بن علي بن النيب ومن فشق هذا الشرط

صورة لقصاصة من مخطوط التهجير الجامع لأهل رغافة يظهر فيهما رسم كلمة (الجنبي) والتي عليها مدار الخلاف في هذه النقطة.

ثم يقول المنتقد موجهاً لي الجملة التالية:

(إنه التفنيت ولوازم التذحيج هو من استدعى مساراً واحداً لا يقبل غيره!!).
أقول وبالله التوفيق:

لا أعرف التفنيت الذي يذكره هنا، وأما قوله: (ولوازم التذحيج هو من استدعى مساراً واحداً لا يقبل غيره!!). فإن كان يحصر هذه الجملة فيما يخص آل الصلت وآل البشري من فيفا، فأقول نعم وبكل تأكيد وهذا رأيي وقناعتي وما ثبت لدي بالأدلة البعيدة عن الكلام الإنشائي الخالي من المضمون والبعيدة عن تنميق الجمل وأما إن كان يعممها علي في كامل قبائل فيفا، فهذا غير صحيح.

يقول المنتقد:

وبعد أن يستوفي الباحث أدلته يقول: (ونظراً لهذه القرائن وبعض المسوغات التي ذكرتها سابقاً فإنه لا يستبعد أن يكون آل الصلت في فيفا هم وبقايا آل الصلت بنجران بعضهم من بعض). ص ٢٧١.

قلت: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): هو لم يأتنا بمسوغات ولا قرائن، ولم يفعل شيئاً بل ساق سواف وخيالات لا يعول عليها، فلا تستغرب حين قال (لا يستبعد) هو احتمال فقط، والأمر شك وتخمين فجاءت كلمة (لا يستبعد!!) لتناسب المقام، أي أنه أمر ممكن الحدوث!! لكن الملفت أنه مع ذلك لا يتورع عن أن يبني عليه، ويقيمه أساساً ومعتماً لرؤية جديدة تخص أنساب أمة.

ليس هذا فحسب بل لا يتورع أن يقول: (والوثيقة تثبت بأن آل الصلت من جنب وهم كذلك قديماً ثم انتقلوا إلى أماكن قريبة من جنب في منطقة نجران، ومن ثم انتقل بعضهم إلى جبال فيفا).

قلت: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): من أين لك أن الوثيقة تثبت أن آل الصلت من جنب؟؟ هذا اقتحام وعنجهية.. فالوثيقة لا تشير بتاتاً ولو بطرف خفي عن علاقة آل الصلت بمذحج أو قبائل جنب.. أبداً أبداً، هل رأيتم من قبل مثل هذا الهليس والاستخفاف بالعقول؟؟.

أقول وبالله التوفيق:

الناقد محمد بن مسعود محق في بعض هذه الملاحظات التي سأطرق لها، مع أسفي الشديد على ما أبدى من ألفاظ لا تخدم النقد الهادف البناء، بل قد تسيء له قبل الإساءة المتعمدة لي.

ولنعد لمناقشة بعض الملاحظات التي أبداها:

أولاً: أقدم أسفي الشديد على ذكر لي لجملة (... لا يستبعد...) فهذا خطأ مني والصحيح والذي سوف أصححه في طبعات قادمة بإذن الله سيكون كالتالي: (فمن المؤكد). بدلاً من (لا يستبعد).

ثانياً: أشكر الناقد على تنبيهه أن وثيقة الشرفي التي استدلت بها لا تشير مباشرة إلى أن آل الصلت لهم أي ارتباط بجنب من مذحج، وأنه قد خانني التعبير فيها عما

أقصده، وسيتم أخذ هذه الملاحظة الطيبة بعين الاعتبار وتعديلها والتنويه عن ذلك في طبعات قادمة بإذن الله، ولكن ليت أن محمد بن مسعود تجنب الكلمات التالية التي لا تخدم البحث ولا النقد واستغنى عنها كوصفه لكلامي بـ: (الهليس)، ووصفه لكلامي بأنه (استخفاف بالعقول)!!، فقد كان في غنى عنها وعن شبيهاتها من الكلمات والجمل التي لا طائل من ورائها وقد توغر الصدور.

وإلى اللقاء في الجزء الثالث والأخير من الحلقة الثامنة بإذن الله . .

(الجزء الثالث من الحلقة الثامنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بتوفيق الله وفضله ومثله وكرمه الجزء الثالث والأخير من الحلقة الثامنة:

يقول المنتقد محمد بن مسعود (قاصداً إياي):

لكنه يورد حكاية سمعها من أهل الشأن تأمل قوله:

(فقد وجدت البعض من أهل مدر بفيها يذكر أنه كان يسمع من الأجداد القدامى أن قبيلة مدر تعود في نسبها إلى جدين أحدهما من يام والآخر سنتطرق له فيما بعد). ص ٢٧٢.

قلتُ: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): هكذا الأدلة وإلا فلا!! وحين تتوفر للباحث مثل هذه الأقوال من بعض المعنيين بالنسب في ذات القبيلة فلن يعد بحاجة إلى تلفيق الشواهد وسوقها حيناً عرجاء ومرةً عجفاء كالشواهد التي مرت بنا، لكن هؤلاء البعض الذين ذكروا نسبهم لقبيلة يام لم يكن لهم حظ من التدوين والتسجيل كحظ المسن (ظافر بن علي بن جرشب اليامي) الذي ذكر أن للصلت ولدين أحدهما هو الذي هاجر، أي الابن وليس الصلت نفسه.

والباحث بإخفائه أسماء - (يقصد المنتقد أسماء) - النسابة من أهل مدر يساهم في ضياع علم .. لكن مهلاً!! لم يذكر الجد الثاني الذي سمع بعض أهل مدر ينتسبون إليه ورمز له فقط رمزاً بالثاني مع وعد بالتطرق إليه... ولم العجلة والرجل قال: (والآخر سنتطرق له فيما بعد)!!.

والحقيقة المرة أن هذا التسويف والتأجيل لم يف به الباحث بل نقلت الصفحات تلو الصفحات ولا شيء من ذلك ونعود نفتش من جديد فلا نعثر على شيء سوى قوله: (وهم لا يعلمون من أين هم أصلاً، اللهم إلا من تناقلهم لخبر الجد اليامي والجد الآخر، فأصبحوا لا يعرفون حالياً إلا أنهم قبيلة خولانية). ص ٢٧٢.

قلتُ: يا خبر ابيض!... (يقصد المنتقد أبيض) ثاني مرة؟ الجد اليامي، والجد الآخر!! طيب قل! خلاص مزحنا وهزنا كفاية!!.

قل لنا من هو الجد الآخر!! خائف من ماذا؟ ولن أتكهن السبب، ولن أقترح حلاً لهذا اللغز.. بل سأدع ذلك للقارئ الكريم ليحرب حظه ويشارك الجميع هنا بما عثر عليه من حلول.. فالأمر في غاية الغرابة حيث استهل العبارة بقوله يقصد المنتقد بقوله:

(هم لا يعلمون من أين هم أصلاً) يقصد قبيلة مدر وهي عبارة تنتطوي على بعض الإجحاف لنقل.

أقول وبالله التوفيق :

والله إنه ليحزنني بعض الانتقاد من المنتقد محمد بن مسعود لما يصاحبه من جمل وعبارات لا تخدم النقد ولا تزيد ولا تقدم من البحث بل هي أقرب لإيغار الصدور، وهي والله تسيء له كثيراً فليته رباً بنفسه عنها وركز على ما يراه نقداً، بحيث ينقد المعلومة ويبتعد عما سوى ذلك كالشخصنة مثلاً، واستخدام الألفاظ العامية في نقده للمعلومات والآراء التاريخية والعلمية والذي يفترض منه أن يقدمه بألفاظ فصيحة ومهذبة ليست كالتى يوردها من خلال كتاباته النقدية بين حين وآخر مثل قوله:

(شواهد عجفاء - شواهد عرجاء - يا خبر ابيض - طيب قل! خلاص مزحنا وهزنا كفاية!! - خائف من ماذا).

فوالله وبالله وتالله أن مثل هذه الجمل لا تخدم الموضوع وأنها أبعد ما تكون عن النقد وأنها أشبه ما تكون بالعبث وإضاعة الوقت).

أعود فأقول:

إنني أواجه مشكلة حقيقية مع المنتقد محمد بن مسعود الذي لا يرى البتة أنني قد أوردت قرائن ومسوغات تثبت أن آل الصلت الفيفية وآل الصلت المذحجية بعضهم من بعض، مع وجود مخطوط يذكر أنهم من أهالي نجران قديماً (مخطوط الشرفي) ووجود شاهد آخر كنتيجة للرحلة الميدانية التي قمت بها لبقايا آل الصلت الذين يسكنون في وقتنا الحاضر في جزء من منطقة نجران تبعد عن مدينة نجران ما يقارب ١٣٠ كم وهذه المواقع التي يسكنون بها قريبة جداً من سراة جنب وربما كان هذا الموقع قديماً جزء لا يتجزأ من سراة جنب، وكذلك وجود شاهد من أهل مدر من آل الصلت على صدق نسبي هذا لهم وهو الأخ: سليمان بن أحمد بن جبران بن أحمد المدري الفيفي من (آل عذبة) الذي يلتقي في خط النسب مع الشيخ الحالي لقبيلة آل مدر ناصر بن فرحان المدري الفيفي.

فقد أخبرني بلسانه في جلسة جمعتنا في مدينة خميس مشيط بأنهم يسمعون من كبار السن القدامى في القبيلة أن جدهم من يام ووجود جد آخر من منطقة ما في ضواحي ما يعرف اليوم بدول الخليج العربي، وقد أشرت في كتابي أنني سأطرق لهذا الجد فيما بعد، فحصل اللبس لدى محمد بن مسعود وتوقع أنني سأذكر هذا الجد في نفس الكتاب، فقام بالبحث عنها فلم يجدني أشرت لذلك في هذه الطبعة، وأنا قسماً بمن رفع السماء وبسط الأرض أنني كنت أعني أنني سأطرق لها في طبعة قادمة بعد التأكد من هذه المعلومة وحصولي على معلومات بهذا الخصوص، ولم أتنبه إلى أنه قد يقع مثل هذا الالتباس، وإلا كنت سأبين بأنني سوف أدرجها بعد دراستها في طبعة قادمة، ولكن عتبي على المنتقد أنه عندما قام بنقد هذه النقطة استخدم بعض

الألفاظ التي يتضح من خلالها بعض التهكم والسخرية البعيدة كل البعد عن مسار النقد الهادف البناء كما سنرى حين الوصول إليها.
وهنا أبدي أسفي لما حصل مني دون قصد مما سبب لبسا للناقد، ولغيره من القراء الكرام، وبإذن الله في الطباعات قادمة سأنتبه لمثل هذه الملاحظة وأشباهها.
ولأن الشيء بالشيء يذكر فإنني أحب أن أعلق على قوله الذي يقصدني به حين قال عني: (هو لم يأتنا بمسوغات ولا قرائن، ولم يفعل شيئاً بل ساق سواف وخيالات لا يعول عليها).

أقول وبالله التوفيق:

إذا كان كل ما ذكرته سابقاً لا يعده المنتقد يدخل تحت باب القرائن والمسوغات، فهل ما سأذكره لكم عن المنتقد يدخل في باب القرائن والمسوغات؟
فقد ذكر في الحلقة السابعة بعض ما يعتقد أنها (قرائن محفزة) التي تدل دلالة أكيدة على تضعيع منهجه التاريخي وضعفه الواضح في علم الأنساب ومدى براعته في التعبير والأسلوب الإنشائي الجذاب الخالي من الحقائق وإجادته للسواف والخيال ومنها القرينة المحفزة الأولى التي ذكرها حين قال عن قبيلة أهل مدر:
(القرينة الأولى):

لغوية: فالعرب تقول: انتشر خبره في المدر والوبر يقصدون بالأولى القرية الحاضرة . . حاضرة الأقليم (يقصد المنتقد الإقليم) بينما الوبر يقصدون بها البادية خيام البادية إذن (يقصد المنتقد إذاً) الجملة عم خبره بين الحواضر والبوادي مسألة طباق.

وفي فيفا لديهم المدر والكدر فالأولى يقصدون به نوع من الطين يستخدم في المراج والكدر العتل من الطين المتكدر تبعاً لخصوبته الشديدة ... ومن المعروف أنه لا كدر من الرمل فإنه لا يتماسك أو يرتكس ليصير منه كدراً . . ومدر هي حاضرة فيفا لقرون طويلة أما الكدر فقد تحولت إلى مفرد مؤنث التي هي الكدرة أغبطها وأرقها في أملاك هذه القبيلة العريقة بحيث يقال مدر للحاضرة والكدرة للسلة التي تقيض غلالاً عليها فمدر قرية والكدرة بستانها).

أقول وبالله التوفيق:

لم أرَ طوال بحثي الجاد والشاق الذي يربو عن الخمسة وعشرين عاماً من كل الشخصيات والعلماء والباحثين الذين قرأت لهم أو استفدت منهم عبر تلك المراجع الكثيرة والمخطوطات مثل هذه الاستنتاجات التي أخبرنا بها المنتقد محمد بن مسعود في تلك الحلقة النقدية وأسماءها بقرائن محفزة، والتي يتجلى جزء منها في هذه القرينة (المدر والكدر) وهي لا تمت للواقع بصلة بل هي أقرب للخيال، ولا تدخل عقل، وهي تضاف لما زودنا به من أنساب متناقضة يناقض بعضها بعضاً ومن معلومات خاطئة في ثنايا حلقاته التي أسمائها (قراءات نقدية في الموسوعة الميساء).

وكننت قد استرسلت في التعليق على ما توهم أنها قرائن محفزة، وهي ليست كذلك، ولكنني عدت عن ذلك واكتفيت بما زودتكم به من تعليق هنا. وأترك التعليق على ما ذكر من قرائن يرى أنها محفزة لأولي العلم وأصحاب الاهتمام!!!!.

ثم يقول المنتقد:

ورسالة الباحث التفنيتية لا تتوقف عند نسب القبيلة مقابل تكتلات أوسع كنسب قبيلة أهل مدر ضمن قبائل الصلت ليس ذلك فحسب بل يتعداه إلى زعزعة العناصر المكونة للقبيلة ذاتها وهي العمائر (الفخوذ).. تأمله يقول: (ليس من الضرورة بمكان أن تعود كل العمائر العائدة حالياً لقبيلة المدري إلى مدر، كما رأينا من قبل هناك آل إسماعيل وكذلك آل عذبة الذين يعودون إلى جد غير فيفي). ص ٢٧٢.

قلت: (ولازال القول لمحمد بن مسعود): فإلى من يعودن؟ (يقصد المنتقد يعودون) الباحث نفى عنهم أي انتساب لجد فيفي!.

أنتم تعتقدون أنني أمزح؟!.

أبدأ .. لقد قال ليس من الضرورة بمكان .. وأما فائدة قوله (كما رأينا) فلتتويه القارئ، فيتصور بأن الباحث قد سبق له في الصفحات الماضية أن ساق كلاماً رصينا فيه حجة قوية حول هذه النقطة تحديداً لكنه لم ينتبه لها .. وحين يعود أدراجه للفتيش عن تلك الحجج كي يرى ما رآه الباحث، لكن هيهات!! إنه يعود صفراً، فلا يجد شيئاً سوى قوله (اسم إسماعيل غير منتشر في فيفا قديماً). ص ٢٦٨.

وبموجب ذلك وجد هاتين العمارتين غير ضروريتين للبقاء نسبا ضمن القبيلة فجزم بعدم انتمائهما لجدين فيفيين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أقول وبالله التوفيق:

هذا الأمر ليس في آل عذبة من أهل مدر بفيفا، بل يوجد مثل ذلك في بعض قبائل فيفا كآل (حردة) من أهل الدفرة الذين نسبوا إلى أمهم لأن أبيهم من بني حريص وقصتهم معروفة ومن سلالتها الشيخ الحالي لقبيلة أهل الدفرة الشيخ يحيى بن أسعد الدفري، وقد ذكرتها بالتفصيل في كتابي عند تحدثي عن قبيلة أهل الدفرة، وكذلك آل (الفيفية) الذين يعرفون في فيفا بأهمهم بسبب أنها فيفية مع أن زوجها من السادة الأشراف وكان حاكماً لفيفاء ومن سلالته الأديب الشاعر الشريف علي بن حسين الفيفي – حفظه الله - وهناك غيرهم كما بينت في كتابي فلينظر هناك.

وآل عذبة من أهل مدر قد اشتهرت نسبتهم إلى أمهم (عذبة) بسبب أنها فيفية وزوجها من بلاد آل جابر ويُعرف بـ (الجابري) وكانوا يُعرفون به إلى عهد قريب، وعليك أيها المنتقد أن تسأل كبار السن من أهل مدر عن ذلك، وسيخبرونك بصحة هذه المعلومة، ثم إنه ليس في ذلك ما يعيب وهذا يحدث في بعض قبائل فيفا والقبائل المجاورة، كما بينت في (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) وهو أمر معروف، وليس كما هوله المنتقد للقارئ المتابع وكأنني قد ارتكبت جرماً وأتيت بمعلومة

مشينة فحاول من خلالها الاصطياد في الماء العكر واستدرار عطف القارئ وربما تهيجه ضدي.

وانظروا إلى ما كتبه الشيخ الفاضل علي بن قاسم الفيافي في (مجلة المنهل) في نهاية الثمانينات الهجرية من القرن الماضي عندما تطرق لقبر رجل صالح كان يلقب بالجابري فذكر أن من عقبه الشيخ فرحان بن جبران المدري، وكان ذلك القبر بجبل الشلة عليه بناية مربعة هدمها الشيخ عبد الرحمن الطرباق قاضي فيفاء سابقاً حوالي عام ١٣٦٠هـ وكانوا يتبركون به، وذكر في كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) بأن الجابري كان رجلاً صالحاً.

مع أن الشيخ قد أعاد نسب الجابري في تلك المجلة إلى آل إسماعيل، ولكنه عاد في كتابه آنف الذكر ولم يذكر أن الجابري من آل إسماعيل.

وقد أسعفنا الشاعر القديم فرحان بن سلمان المشنوي الفيافي - رحمه الله - بأبيات من قصيدة تدل على أن نسب آل عذبة من أهل مدر يعود إلى هذا الرجل الصالح من بلاد الجابري القريبة من فيفاء، حيث قال في مناسبة هود قديمة - حفلة ختان - عند أهل مدر:

صَيْبُ آلِ عَذْبَةٍ نَاقِثٌ مَالُو وَصُوفٌ تَزْكِي مَذَارِيهِ إِمْبَكَارِهِ وَامْخُوفٌ

وَلَوْ نُسُولُنْ مِنْ بِلَادِ إِمْجَابِرِي

ومعنى الصيب في هذه الأبيات الشعرية (الأصل) وكذلك فإن كلمة نسولن الواردة في هذه الأبيات أو كلمة نسيلن أي: نسلهم (من نسل الجابري).

وكذلك ذكر الباحث حسن بن جابر الثويعي الفيافي في كتابه (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء) الجزء الخامس الصفحة (٢٦) أبيات شعرية تؤكد ذلك، حيث نقل تلك الأبيات عن الشاعر الذي ألقاها في مناسبة ختان لشباب من آل عذبة، ومن آل المعكوي من قبيلة أهل مدر:

يَا هَلْ عَتَائِقُ وَاحْذَرُوا نَقْدَ الصُّفُوفِ سَتَيْبُ آلِ (عذبه) مَزْرَعَنَ مَا لَوْ وَصُوفُ

وَلَوْ نَسِيلِنَ مِنْ نَسِيلِ إِمْجَابِرِي

وللأمانة العلمية فقد تواصلت معي أكثر من شخص من وجهاء وأعيان آل عذبة بعد طرحي لهذه الحلقة وأخبروني:

بأن ما تناقلوه عن الآباء والأجداد أن الجابري آنف الذكر ما هو إلا لقب لجدهم أحمد سليمان عذبة، الذي لقب بالجابري بناء على ما رآه أحد المنجمين أو العرافين الذين يدلون الآباء على تلقيب أبنائهم بالألقاب معينة لما في ذلك من رفعة شأنهم وحفظهم من الضرر والموت، ويقال أن الجابري اسم أحد عظماء الجن الذي يعتقد أن له شأن كبير ومن يلقب به سيكون له شأن في قبيلته.

وكذلك أكدوا أن ما استندت إليه مما ذكره الشيخ علي قاسم في مجلة المنهل قديماً من نسب للجابري وكذلك ما ورد من تلك الأشعار القديمة التي تطرقت لذلك والتي

أدليت بها هنا لا يقرونها جملة وتفصيلاً وأن نسبهم يعود إلى: (آل قاعشة ثم آل ثوبان وحاليا آل عذبة). انتهى ما ذكره لي ووثقته هنا.

وأما فيما يخص آل إسماعيل فقد سبق وذكر الباحث حسن بن جابر الثويحي ذلك الأمر في كتابه الاستقصاء الذي سبق ونقده وانتقده محمد بن مسعود، ولم ينتقد هذه المعلومة التي أوردتها هنا فيما يخص آل إسماعيل، فأين كنت عنها يا محمد منذ ذلك الحين؟

فقد ذكر الباحث: حسن بن جابر شريف الثويحي الفيفي في كتابه (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء) الجزء الخامس الصفحة رقم (٢٧) مايلي:

((البطن الخامس: آل سماعيل

ومنهم محمد بن فرحان بن يحيى المدري

ومن أبنائه: جابر بن محمد

ومن أحفاده: محمد بن جابر، وعبد الرحمن بن جابر.

ثم قال: (وقد جاء في كتاب (الأغصان)، ص ٦٦ أنه يوجد فرع من أبناء مجد الدين بن يحيى استوطنوا بين قبيلة (أهل مدر) بفيفاء، ومع مرور الزمن ذابوا بينهم وانتسبوا إليهم وربما أن من سلالتهم هذا البطن الذي يطلق عليهم (آل سماعيل)، والله أعلم.)).

ولم أرَ من احتج على ذلك النسب أو عارضه من آل إسماعيل أو من غيرهم منذ نزول كتاب الباحث عام ١٤٣٢ هـ حتى حال نزول كتابي ١٤٣٥ هـ، بل ولا اعتبارات قد أذكرها في الطبعة القادمة فإنني أرى أن آل إسماعيل من قبيلة المدري بفيفا لا يعودون إليهم نسباً، بل هم من بقايا الأشراف الذين ينتسبون إلى الأمير مجد الدين بن يحيى آنف الذكر.

ثم يقول المنتقد:

ولنختم بهذا المقتبس الذي يعتذر فيه نيابة عن قبيلة مدر فيقول (يقصد صاحب الموسوعة الميساء):

(وأما بالنسبة لمقولة أنهم يعودون لقبيلة يام نسباً، فقد أثبتنا بما لا يدع مجالاً للشك بأنهم لا يعودون (يقصد المنتقد يعودون) إلى تلك القبيلة العظيمة، حيث أنه التبس عليهم زواج معاوية من بنت المهلهل في نجران والتبس عليهم وجود مساكنهم القديمة بنجران... وتناقلوا ذلك دون تمحيص). ص ٢٧٢.

قلت: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): هكذا إذن (يقصد المنتقد إذاً)!! فالمسألة لا تعدُّ كونها التباس وقعت فيه قبيلة مدر بسبب زواج معاوية من بنت المهلهل في نجران!! هذا شيء.. والشيء الثاني أن مساكنهم كانت في نجران!! وتناقلوا ذلك دون تمحيص!! حقاً.. شر البلية ما يضحك!!.. استنتاج في منتهى السخرية والتهكم بالقارئ لدرجة لم أر في حياتي مايشابهها.

أقول وبالله التوفيق:

كم كنت أتمنى من المنتقد أن يصرف اهتمامه وأوقات فراغه إلى البحث عن الأدلة والشواهد التي تثبت ما ذهب إليه من رأي مخالف لي، هذا إن وجدت! وذلك عوضاً عن محاولة النيل من الآخرين وتسفيه آراءهم دون بينة وما يصف به مخالفه ومن نقل مخالفه عنهم من جمل وألفاظ لا تليق والتي لن أجاريه فيها وسأضرب عنها صفحاً!!!!.

وعودة إلى المعلومة السابقة التي انتقدها أقول نعم وبتوفيق من الله قد صححت تلك المقولة التي كتبها الشرفي نقلاً عن أحد قادة الحملة من أن جد آل الصلت من يام، بعد بحث شاق ورحلات ميدانية وتقصي للحقائق استمرت لسنوات ولم تأت في جلسة شاي واحدة، وقد أثبت حتى وإن لم يعجب المنتقد ذلك ولم يؤمن به بأن آل الصلت الفيفية وآل الصلت المذحجية بعضهم من بعض وأنهم يعودون نسباً إلى: الصلت بن الملك معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة بن خالد بن مالك (مذحج)، وأهمهم هي عبيدة ابنة الفارس العربي المعروف الزير سالم لا شك في ذلك ولا شبهة، وكل ذلك قد شرحته في ثنايا كتابي بما يغني عن إعادته هنا؛ فعلى المنتقد محمد بن مسعود البحث عن الأدلة والشواهد التي تثبت رأيه المخالف لي، هذا إن وجدت بدل التهمك والسخرية وتنميق الجمل والتباكي على نسب خولان المدعم بالاستعراضات اللغوية الخالية من المضامين شريطة ألا ينسبهم إلى الأجداد الذين سبق وذكرهم وليس لبعضهم وجود أصلاً كقوله:

- ١- آل الصلت بن زنامة بن هلال بن خولان.
- ٢- قوله الآخر المناقض للنسب الذي رمزنا له بالرقم (١):
(آل الصلت بن زنامة بن هلال بن هاني بن خولان).
- ٣- قوله مقراً المقولة الشائعة والمتعارف عليها في فيفا:
(آل الصلت بن عطا بن أحمد).
- ٤- قول المنتقد في حلقة سابقة: (آل الصلت بن حجر).
- ٥- قوله عن قبيلة آل الحرب من آل الصلت الفيفية:
(آل حرب بن سعد بن سعد بن خولان).
- ٦- ثم يختم النسب في هذه الحلقة بنسب جديد لهم غير الأنساب المتناقضة سابقاً، وذلك عندما نسب كل قبائل فيفا إلى جد يقال له: (زنامة بن أحمد).

ما هذا الزنامة الذي ليس له أب محدد لدى المنتقد محمد بن مسعود؟
فمرة يكون ابناً لهلال والذي بدوره أي (هلال) يكون مرة ابناً لخولان ومرة ثانية ابناً لهاني بن خولان، وعودة إلى زنامة فمرة ثانية يصبح ابناً لأحمد، ثم وبطريقة ملتوية من المنتقد يصبح ابناً لسعد بن سعد!!!!!!.

وهنا نلاحظ بدهشة واستغراب أن المنتقد لم يثبت على نسب واحد لآل الصلت أو
لقبائل فيفا جمعاء، وتخبطه خبط عشواء واضح في النسب، فقد ذكر لآل الصلت
أربعة أجداد مختلفين، ولم يرجح أحدهم بالأدلة والشواهد.
أناشد الله ثم أناشد كل منصف وأقول:
بالله ما هذا؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟
وتحت أي تصنيف يصنف؟؟؟؟

وإلى اللقاء بمشيئة الله وتوفيقه في الجزء الأول من الحلقة التاسعة . .

(الجزء الأول من الحلقة التاسعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بتوفيق من الله وفضل الجزء الأول من الحلقة التاسعة:

يقول المنتقد:

اعتذر (يقصد المنتقد أعتذر) لكافة القراء المتابعين عن تأجيل نشر (حلقة آل شراحيل) للأسبوع القادم، وذلك لما رأيته سيسهم في القاء (يقصد المنتقد إلقاء) مزيد من الضوء على منهج الباحث اعتدالاً وتطرفاً، ويكشف عن ميوله النفسية، التي تحكمت في مسارات البحث ونتائجه المتعلقة بأنساب قبائل فيفا. فإذا ما عرضنا لمشروع التذحيح الذي ينظر له - بشكل مكشوف - عبر الطبعة الثالثة للموسوعة الميساء، يكون القارئ قد كون فكرة كافية وملحاً عاماً عن دواعي التذحيح.

أقول وبالله التوفيق:

هذا الكلام غير صحيح وجانب المنتقد الصواب، وهو للأسف يحكم على الآخرين واتجاهاتهم الفكرية والنفسية كيفما شاء، واستعراضه اللغوي في مقدمة هذه الحلقة غير مقبول منه ومردود عليه فلا يعلم النفسيات والاتجاهات إلا الخالق، وأنا براء والله من كل تلك الافتراءات التي توهمها.

يقول المنتقد:

بعد ذلك الاستعراض اللغوي الإنشائي الذي لا نقره عليه: (ولأجل ذلك دعونا نخرج بداية على مقتطفات من حديثه عن الجدين خولان ومذحج، ثم ننتقل بعدها بين مقتطفات متفرقة ذات صلة بمنهجه العام .

ولنبداً بالجد مذحج الذي أفرد للحديث عنه وعن عقبه من الصفحة ١٣١ - ١٤٨ بينما اقتصر حديثه عن الجد خولان في حاشية بالصفحتين ٧٢ و ٧٣).

أقول وبالله التوفيق:

إن المنصف الذي اطلع على كتاب (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) سيرى أنني قد تطرقت لخولان وقبائله في صفحات أكثر بكثير مما تطرقت فيه إلى (مذحج) وقبائلها وليس كما زعم المنتقد في محاولة منه في إيهام من لم يطلعوا على كتابي بأنني قد قصرت حديثي عن (خولان) في حاشية الصفحة (٧٢) و (٧٣). على سبيل المثال لا الحصر:

تطرقت للجد خولان من الصفحة (٧٢) إلى الصفحة رقم (٨٤) ومن الصفحة (١٠٠) إلى الصفحة (١٠٧) هذا عدا ما ذكرته عن خولان في صفحات متفرقة من الكتاب حسب المقام المتطلب لذكر خولان وقبائله، ولا أعلم على وجه التحديد ما الذي دعا محمد بن مسعود لمثل هذا التقول وإنكاره لكل ما كتبه من صفحات كثيرة عن خولان سواء أكان ذلك في المتن أو في الحاشية؟ ولكن لعل من أهدافه في هذا التقول غير الصائب هو إقناع القارئ بما أسماه (مشروع التذحيح الذي يرى فيه أنني أنظر له - بشكل مكشوف -) وأنا براء من كل ذلك.

يقول المنتقد:

أولاً : مذحج.

قال المؤلف (يقصد المنتقد قال المؤلف:) (يقصد صاحب الموسوعة الميساء) (وذلك الجد العظيم مذحج الذي يوازي في عظمته الجد خولان والأزد وغيرهم من الأجداد العظماء الذين تفرعت عنهم قبائل العرب) ١٣٣. وقال (يقصد المنتقد وقال:) (وقد اشتهرت قبائل مذحج العريضة في إسداء الجميل إلى الجار، والحفظ، والمراعاة، وترك الظلم والعدوان، وألا يبدؤوا أحداً بظلم، وأن يغيثوا الملهوف، ويجيروا المستجير، واجتهادهم في عداوة من عاداهم، والصبر على ما يبتلون به، وإكرام الضيف). ص ١٣٣. وعن نار القرى وإكرام الضيف، ينقل الباحث: (وتقول العرب إذا رأت نارا عظيمة كأنها لأحد مذحجي). ص ١٣٣. ثم قال (نسي المنتقد أيضاً أن يضع نقطتين رأسييتين بعد كلمة قال:) (ومن قبائل مذحج الصحابة والقادة والمجاهدون والفرسان الشجعان الذين كان لهم دور كبير بانتشار الإسلام وخصوصاً في الفتوحات الإسلامية). ص ١٣٣. وأضاف (وهنا أذكر جزء من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (.....) وأكثر القبائل في الجنة مذحج ومأكول). ص ١٣٣.

وعلق في حاشية رقم ٥ (حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد والطبراني وابن أبي عاصم والحاكم والبخاري والهيثمي وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط). قلت: (والقول لا زال لمحمد بن مسعود): لعل هناك من الأسباب والدواعي الوجيهة ما حملت الباحث على بتر النص الحديثي فلم يورده كاملاً، وأرجو أن لا (يقصد المنتقد ألا) يكون السبب التعصب ضد خولان الحميريّة نسأل الله السلامة. فتشوا عن هذا الحديث في قول لتعجبوا من بتره!!.

أقول وبالله التوفيق:

الذي أحاول إيصاله بكل بساطة وصدق وأمانة من خلال تلك الصفحات التي كتبتها عن الجد (مذحج) هو: تنوير عقل القارئ عن كل ما يخص (مذحج) والقبائل التي تفرعت عنه وعظمتها لمن لا يعرفها، حيث واجهت الكثير من الأسئلة من بعض

أهالي فيفا وغيرهم عن مذحج؟ ثم لأري القارئ موقع آل الصلت وآل البشري من سلسلة تلك القبائل المذحجية.

وليس هناك أي تعصب البتة لا ضد خولان الحميرية ولا خولان الكهلانية ولا غيرهم، والله على ما أقول شهيد، أما بخصوص الحديث الذي تحدث حوله المنتقد وأحد المتداخلين الخاص بقبائل (مذحج) فقد أرفقت منه واجتزأت ما يخص (مذحج) فقط، وهو أطول مما أوردته في كتابي الموسوعة، وفي اعتقادي أنه ليس بعد تصحيح الألباني والأرنؤوط لهذا الحديث أي شبهة، وأكتفي بتصحيحهما لهذا الحديث.

يقول المنتقد:

وقال الباحث (يقصد المنتقد وقال الباحث:) (ولأننا التزمنا الاختصار في هذه النبذة التوضيحية فإننا نأمل من القارئ الرجوع إلى المراجع والمصادر المتوفرة التي تحدثت عن قبائل مذحج الكثيرة الواسعة الانتشار ... وسيرى عظمة قبائل مذحج وعظمة مشاهيرها، التي استقر جزء من تلك القبائل في جبال فيفا). ح ١٣٧. (يقصد المنتقد ص ١٣٧).

قلت: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): لا دليل على استقرار مذحج في فيفا، والباحث عمد لمط الخريطة وتوسيع رقعة جبل فيفا حتى ابتلع شطرا من ساق الغراب لتستوعب الخلطة العجيبة جيذاً، وقد ناقشنا أدلته في هذا الصدد، وعلمنا تهافتها حين عرضنا لبلاد فيفا الواسعة، في ددعته التي خرج علينا بها.

أقول وبالله التوفيق:

أتعجب من كلمة (ددعته) التي خرج بها علينا بها!!! وأتعجب كثيراً من مثل هذه الكلمات وبعض الجمل التي تعج بها الصفحات التي وجه فيها المنتقد نقده وانتقاده لي عبرها، ومثل هذه الجمل لا تخدم النقد ولا بحثي هذا وتعتبر من الحشو الزائد الذي لا طائل من ورائه، فليته جاء بالفصيح المرادف واجتنب كلمات اللهجة المحلية التي أعتز بها واحترمها ولكن ليس هذا مكانها!!!.

وأما قول المنتقد بأنه: (لا دليل على استقرار مذحج في فيفا)، فأقولها وأعلنها صراحة من على هذا المنبر الإعلامي أنني براء مما اتهمني به وأني عبر كل حرف كتبته وكل صفحة كتبتها في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) لم أقل أبداً باستقرار قبائل (مذحج) في فيفا وهي قبائل عديدة وكثيرة كما تعلمون، ولا أدري على ماذا بنى رأيه الواهم هذا؟

وكل الذي الذي كتبته في هذه الموسوعة أن هناك قبيلة (آل الصلت) الفيفة وعشيرة (آل البشري) الفيفية هم من يعودون نسباً للجد (مذحج) وأنهم هم من استقروا في جبال فيفا كجزء من قبائل (مذحج) العديدة، حتى ولو لم يستوعب المنتقد هذا الكلام حالياً بسبب إطاره الفكري المحدود الذي لا يريد الخروج منه.

فأل الصلت الفيفية وبقايا آل الصلت المذحجية في منطقة نجران بعضهم من بعض، وقد بينت للمتابع الكريم ما التبس على المنتقد من مخطوط الشرفي في حلقة سابقة، وقد فصلنا ذلك سابقاً وأنه الصلت بن معاوية الخير الذي كان يسكن بالقرب من نجران، فحصل الالتباس من بعضهم على أنه من يام.

وكذلك وجود عشيرة (آل البشري) بفيفا وهم بأنفسهم يفتخرون بانتسابهم القديم لآل البشري من قبيلة قحطان المعروفة والتي تعود معظم قبائلها إلى الجد مذحج، وكذلك يفتخرون بانتسابهم حالياً لقبائل فيفا ولا ينكرون ذلك. هذا كل ما يخص ما يحاول المنتقد من خلاله إيهام القارئ بأنني قد (مذحجت) قبائل فيفا.

ولا أدري علام كل هذا التقوّل عليّ من المنتقد ومحاولة إيصال فكرة للقارئ بأن لي أهداف بعيدة غير سوية تكمن في مجملها على مناصرتي لقبائل مذحج على حساب قبائل خولان؟

يقول المنتقد:

وأضاف: (يقصد صاحب الموسوعة) إذن (يقصد المؤلف إذاً) لو درسنا هذه القبيلة العظيمة بعين الانصاف (يقصد المنتقد الإنصاف) وتعمقنا في البحث لربما ثبت لدينا أنها كانت تسكن بلاد فيفا وبعض من مواقعها في جبال فيفا، وسيكفيها فخراً حال ثبوت ذلك أن منها الصحابة والتابعين ورواة وراويات الحديث). ص ١٤٧.

أقول وبالله التوفيق:

هنا لم يذكر المنتقد القبيلة التي قصدتها بالجملة السابقة وأوهم القارئ أننا نقصد مذحج، والحقيقة أن القبيلة ما هي إلا قبيلة واحدة من قبائل مذحج المتعددة وهذه القبيلة التي سكت عن ذكرها اسمها (رهاء) ولم ننسب أي قبيلة من قبائل فيفا إليها بل ذكرنا أنها كانت تسكن في زمن من الأزمان في جبال فيفا وبعض المواقع المجاورة ومن ثم رحلت إلى الشام في زمن الفتوحات الإسلامية ولا زالت هذه القبيلة القديمة تحتاج إلى دراسة عميقة ومكثفة، ولمزيد من المعرفة عن هذه القبيلة فليُنظر البحث الخاص بها في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) الصفحات (١٤٢-١٤٧).

ثم يقول المنتقد:

قلتُ: (والقول لمحمد بن مسعود) لقد أنصفهم رغم الاختصار، وإن إيرادي لهذه المقتبسات لم يكن القصد منها إلا إجراء موازنة فقط ... وإلا فقحطان قبيلة عربية تستحق الثناء، بل لا يستكثر عليها المديح، مهما بالغنا فيه.

أقول وبالله التوفيق:

هنا قد ارتكب المنتقد خطأ كبيراً عندما حصر القبائل العديدة والمتشعبة التي تعود للجد (مذحج) في قبيلة قحطان المعاصرة المعروفة - وهذا وهم منه - فغالبية فروع

قبيلة قحطان الحالية هم من يعودون إلى مذحج، وليس كما ذكره المنتقد، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ضعفه الواضح في علم الأنساب وتعجله في نقد المعلومة. يقول المنتقد:

٢- خولان:

ومن هنا يبدأ الباحث فيرثي مجدا يراه اندثر فقال:

(وبنو الحارث (مذحجية) قديماً كانت أحد بيوتات (جمرات) العرب الثلاث ويقصد بالجمرة: القبيلة التي لا تنظم إلى أحد (يقصد المؤلف تنضم) ولا تحالف غيرها. مع أنها انطفئت (يقصد المؤلف انطفأت) فيما بعد لتحالفها مع آخرين) ح ١٣٥. (يقصد المنتقد ص ١٣٥).

قلت: (والقول لا زال لمحمد بن مسعود) هنا تبدأ المشكلة فعلاً!! أتدرون لماذا لم يذكر من هم الآخرون الذين ساهموا في انطفائها نتيجة لتحالفها معهم؟! لا بأس. فلم تنطفئ وإنما ربك يداول الأيام بين الناس. ولكن الباحث قصد أن يلمز ذلك الحليف بأنه سبب الانطفاء لو هج بني الحارث، إذ كان على رأس حلفائها (قضاة) يعني بصريح العبارة: خولان! أقول وبالله التوفيق:

لا والله ما ذلك عنيت، وليس لي فيها مقصد لمز أو غمز، وليس هناك تصريح أو تلميح مني حول ما اتهمني به مما سوله له فكره، ولا أدري على ماذا استند في تهمة هذه؟ وإنما أتيت بمعلومة يعرفها النسابة وموثقة في المراجع المشهورة ونقلتها هنا بهدف إثراء القارئ وزيادة ثقافته حول الجد (مذحج) والقبائل العظيمة التي تفرعت منه ومنها هذه القبيلة العظيمة.

وقد ذكرت هذه القبيلة (بنو الحارث المذحجية) على سبيل المثال للاستدلال على قوة بعض القبائل المذحجية، ولم أذكر لها في كتابي أي رابط نسب بينها وبين أهالي فيفا البتة!!!

ويبدو لي أن المنتقد قد استعجل ولم يقرأ في كتابي ما يخص آل الصلت جيداً، ولم يدقق في سلسلة نسبهم التي ذكرتها وإلا لكان فرق بينهم وبين بني الحارث بن كعب المذحجية التي لا تربطهم أي صلة نسب قريبة مع آل الصلت الفيفية.

فقبيلة بالحارث أو بني الحارث التي اعتقد أنني أرثي أمجادها التي اندثرت كان بسبب تصوره الخاطئ من أن هناك رابط نسب بينهم وبين قبيلة آل الصلت في فيفا حيث خطر على باله أن الجد الحارث هو الجامع لكلا تلك القبيلتين، وهذا غير صحيح، فنسب قبيلة (بني الحارث) المذحجية التي كانت تسكن منطقة نجران يعود إلى الجد:

الحارث بن كعب بن عمرو بن غلة بن جلد بن مالك (مذحج) بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فهم من مذحج من كهلان بن سبأ بن قحطان.

أما آل الصلت بفيفا فيعودون إلى جد آخر وهو:
الصلت بن الملك معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة بن خالد بن مالك (مذحج) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ولعلنا نلتبس العذر للمنتقد محمد بن مسعود حين توهم أن آل الصلت بفيفا يعودون في نسبهم إلى قبيلة بني الحارث المذحجية بسبب تشابه الأسماء (الحارث) وتقارب الديار بينهم وبين بقايا آل الصلت في منطقة نجران، وكذلك استعجاله في قراءة البحث وعدم التركيز.

وهناك سؤال يطرح نفسه، فقد ذكر السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول في كتابه (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) في الصفحتين (١٢٠) و(١٢١) أن من ولد معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبى:

(آل عائذ، آل راشد، بنو قيس، آل السفر، آل الصلت، وأصحابهم يسمون الأبطن من ولد معاوية الجنبى وأهم عبدة بنت الفارس المعروف الزير سالم).

وهذه التقسيمات القديمة لبني عبدة لا زالت معروفة إلى وقتنا الحاضر مع اختفاء آل الصلت من هذه التقسيمة، فأين ذهب آل الصلت واختفوا مع أن بقية القبائل المتفرعة من إخوان الصلت الماضي ذكرهم لا زالوا معروفين؟

يقول المنتقد:

وقوله (يقصد المنتقد وقوله:) (وبما أننا نميل أن بلاد فيفا الواسعة بما فيها جبال فيفا وما جاورها كانت خليطاً من بعض القبائل المذحجية وبعض القبائل الخولانية والقليل من القبائل الأزدية والعدنانية يجمعهم حلف خولان بن عامر). ص ١٣٥.

قلت: (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): مسكين هذا الخولان ها هو يعجز عن الصمود أمام هذا الباحث فيتحول من جد إلى حلف!!... دعونا نتذكر ما قاله الباحث عن مذحج:

قال (يقصد المنتقد قال:) (وذلك الجد العظيم مذحج الذي يوازي في عظمته الجد خولان والأزد وغيرهم من الأجداد العظماء الذين تفرعت عنهم قبائل العرب). ص ١٣٣.

إنه يوازي الحشد من الجدود العرب مجتمعة !! أوليس هذا كلامه؟ بلى!!.

أقول وبالله التوفيق:

لا والله ما هذا عنيت ولا قصدت ما فهمه المنتقد بل قصدت أن كل جد من هؤلاء الأجداد عظيم لا فرق بين أحدهم سواء أكان الجد خولان أو مذحج أو أي جد من أولئك الأجداد الذين ذكرتهم هنا والله على ما أقول شهيد، ولكن لعله خانني التعبير فنتج عنه توهم المنتقد من أنني أقصد أن الجد مذحج لا يوازيه في عظمته إلا كل أولئك الأجداد مجتمعين، وسأتنبه لهذا اللبس في طبقات قادمة بإذن الله، وأبين فيها

أن قصدي أن الجد مذبح جد عظيم مثله مثل الجد خولان أو الجد الأزد وأنهم كانوا أجداداً عظماً لا فرق بينهم.

يقول المنتقد:

وما زال (يقصد صاحب الموسوعة) في جعبته الكثير ليقوله وينقله مما قيل عن خولان فقال:

(قال هشام: كان تبع تبان أسعد أبو كرب نزل في خولان، فولد له بها غلام فسماه ذا سحيم؛ قال: "خولوا له" أي اجعلوا له خولا فجمعوا له أخلاطا خولا، فهؤلاء الخول (خولان). حاشية ٧٢.

ويستطرد (قال ابن حبيب: كان تبع نزل في خولان فسبقوه، فقال "اطلبوا لي امرأة" فجاءوا بامرأة فوقع عليها فلما حبلى قال: "واجهلاه" ثم ولد له غلام آخر فسماه رداع... فإذا سألت الخولاني من أهل اليمن قال: "أنا من آل ذي سحيم") حاشية ٧٢.

قلت: (والقول لا زال المنتقد) هذا ملمح من المنازعات التي قضى عليها الإسلام، والنص المقتبس يرينا كيف أن الخولاني لا يجرؤ - في زعم من نسج القصة - أن يقول أنا من خولان هرباً من العار والشنار، وحين تقف عند هذه المقتبسات تفتش عن سبب إيرادها من قبل الباحث؟! فلا تخرج بشيء سوى أنها بعض لوازم التذحيح، فينقل ما يغض من خولان فحسب.

ولقد تهاجت العرب وتنازعت حيناً من الدهر، فانطفت تلك الشرارة حينما دخلوا في دين الله أفواجا وأصبحوا أمة واحدة .. ولا مجال لاجترارها أبداً .. أبداً .. حينما هذبهم الإسلام ونقل التفاضل إلى التقى والالتزام لنهج الدين القويم، فما بال صاحبنا ينقب عن فواصل هالكة؟ بار سوقها منذ البعثة النبوية ونزول الوحي.

أقول وبالله التوفيق:

أصارحكم القول بأنني قد تفاجأت في هذه المعلومة التي انتقدها المنتقد وفي غيرها من الانتقادات غير الصائبة والمتعجلة في النقد والانتقاد لبعض المعلومات التي أوردتها دون روية منه أو تبصر أو قراءة متمهلة، وستفاجؤون مثلي تماماً بعد مناقشة ما وقع فيه المنتقد من أخطاء واضحة وما سبق من وقوعه في أخطاء واضحة بينتها لكم في وقتها، فاسمحوا لي أن أوضح لكم ما عني عن بصيرة المنتقد فنتج عنه فهم خاطئ لهذه المعلومة التي أوردتها عن خولان ذي سحيم فطفق يفسرها كيفما شاء.

فقد تبادر إلى ذهن المنتقد أن القصة التي أوردتها عن خولان ذي سحيم أنني أعني بها (خولان عامة)، لأنه لم يستوعب أن هناك العديد من الأجداد الذين يحملون لقب أو مسمى خولان، والذي أوردت عنه القصة المستفيضة في بعض كتب الأنساب التي أتت بعد البعثة المحمدية بقرون هو خولان آخر لا يمت لخولان بن عامر أو غيره بصلة، ولا يربطه بهم رابط نسب اللهم إلا من تشابه لقبه مع مسمى خولان،

وقد أثبت في كتابي بما لا يدع مجالاً للشك أنه ليس هناك خولان واحد كما يتبادر إلى أذهان البعض بل هناك أكثر من خولان الذين لا تربطهم مع بعض أي صلة نسب أو قرابة اللهم إلا من تشابه الأسماء أو الألقاب وهذا ما لم يدركه المنتقد وإلا لكان أراحنا من كل هذا الانتقاد والعناء، فانظروا وركزوا في بحث خولان الذي ذكرته في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء). من الصفحة (٧٢) إلى الصفحة (٨٤) وغيرهن من الصفحات.

ومختصر ذلك أن هناك العديد من الأجداد الذين يحملون لقب أو مسمى خولان وبعضهم لا يمت إلى الآخر بصلة نسب أو قرابة بل مجرد تشابه في الأسماء ليس إلا، وهذا ما لم يستوعبه المنتقد، ومنهم :

١- خولان بن عمرو إلحاف قضاة الحميري (خولان صعدة). - على خلاف في كونهم هم خولان صعدة أم لا- .

٢- خولان بن عمرو الكهلاني. واسمه الحقيقي (فكل بن عمرو) (الأفكل)، كما هو مثبت في بعض كتب الأنساب المعروفة.

٣- خولان بن عمران بن إلحاف قضاة، واسمه (حلوان).

٤- خولان بن عمرو بن سعد العشيرة، واسمه (الفضل بن عمرو).

٥- خولان بن المقدم بن حضور بن عدي الحميري، (عم نبي اليمن شعيب عليه السلام).

٦- خولان سحيم.

٧- خولان رداع.

وحول خولان سحيم وخولان رداع سيكون حديثي فيما بعد. وكذلك فإن هناك بعض القبائل المتفرقة في اليمن والتي تحمل مسمى أو لقب خولان غير تلك القبائل التي ذكرتها بعاليه ومنها:

٨- خولان بني الخياط بالمحويت من بلاد الطويلة باليمن.

٩- خولان بلاد حجة.

١٠- خولان بجبل حبشي بالحجرية باليمن.

١١- خولان قبيلة من حمير بالعديين.

إذاً فالقبائل التي تحمل لقب أو مسمى خولان قبائل عديدة ومنها أيضاً:

١٢- خولان التي تقع غرب مأرب ومنهم بنو ظبيان.

وهناك بعض الدراسات حول جد يقال له: (خولان بن قحطان).

وكل ما اختصرته لكم هنا موثق ومثبت في كتب الأنساب وغيرها، وقد وثقت بعضها في كتابي تجدونها في الصفحات التي تطرقت إليها في بداية التعليق على هذه المعلومة المنتقدة من المنتقد، ولا داعي لنقلها هنا.

إذاً دعونا نتفق أن من يحمل مسمى خولان أو يحمل لقب خولان لا نعني به أنه لا يوجد إلا (خولان قضاة). وأنه بعد التوضيح السابق وما سيتبعه من توضيحات

سنرى أن استنتاج المنتقد القادم ليس صحيحاً حيث ذكر أنني (أرى أن هذه الكثرة للأعلام ممن لقبه خولان قد أسهمت جدياً في فقدان المسارات المؤدية للجدود، فلم يعد واضحاً إلى أي خولان يقصدون حين الانتساب إليه؟).

والحقيقة أنني على العكس من قول المنتقد السابق فقد وضحت في كتابي أنه لا يوجد خولان واحد كما يتبادر إلى أذهان بعض الباحثين أو القراء، ووضحت بجلاء أن هناك أكثر من خولان لا يجمعهم جد واحد وبعضهم لا يمتنون للبعض الآخر بصلة قرابة، فهم واضحون تماماً إلى أي خولان ينتسبون، وبهذا فإنهم لم يفقدوا جميعاً المسارات المؤدية للأجداد كما حاول المنتقد إيهام القارئ من أن هذه هي رؤيتي لهم.

وبعد كل هذا التوضيح عزيزي القارئ هل حقاً كنت كما التبس على المنتقد؟ ثم ما ذنبي إذا كان المنتقد محمد بن مسعود يستعجل ويتعجل في النقد ويحكم على الآخر بنظرته غير الصائبة، فيصيغها في قالب استعطاف واستجداء كي يوهم القارئ بأنه في تلك المعلومة التي انتقدها كان صائباً؟

ولنعد بعد الذي وضحته لكم سابقاً لما حاول المنتقد إثارته حين قال: وما زال (يقصد صاحب الموسوعة) في جعبته الكثير ليقوله وينقله مما قيل عن خولان فقال: (قال هشام: كان تبع تبار أسعد أبو كرب نزل في خولان، فولد له بها غلام فسماه ذا سحيم؛ قال: "خولوا له" أي اجعلوا له خولا فجمعوا له أخلاطا خولا، فهو لاء الخول خولان). حاشية ٧٢.

ويستطرد (قال ابن حبيب: كان تبع نزل في خولان فسبقوه، فقال "اطلبوا لي امرأة" فجاءوا بامرأة فوقع عليها فلما حبلت قال: "واجهلاه" ثم ولد له غلام آخر فسماه رداع... فإذا سألت الخولاني من أهل اليمن قال: "أنا من آل ذي سحيم") حاشية ٧٢.

قلت: (والقول لا زال المنتقد) هذا ملمح من المنازعات التي قضى عليها الإسلام، والنص المقتبس يرينا كيف أن الخولاني لا يجرؤ - في زعم من نسج القصة - أن يقول أنا من خولان هرباً من العار والشنار).

أقول وبالله التوفيق:

لم يوفق المنتقد في هذه المعلومة التي انتقدها وأثار حولها زوبعة، وسأعلق عليها وأوضح للقراء ما غاب عن ذهن المنتقد وما وقع فيه من خطأ حين توهم أن إيرادي للقصة أنفة الذكر كان بخصوص التنقص من خولان بن عامر (خولان صعدة) فأقول:

أولاً: ركزوا معي جيداً في قول المنتقد: (والنص المقتبس يرينا كيف أن الخولاني لا يجرؤ - في زعم من نسج القصة - أن يقول أنا من خولان هرباً من العار والشنار). هل ركزتم؟

تلاحظون في هذه الجملة أن المنتقد وبكل بوضوح يرى أن (ذا سحيم) الذي نسبت إليه القصة يعود نسباً إلى خولان بن عامر (خولان صعدة)، وهذا وهم منه، ودليل جديد يضاف إلى الأدلة التي تدل على عدم إمام المنتقد الكافي بأبجديات علم الأنساب، فكل من لديه أدنى علم في هذا المجال يدرك تماماً أنه ليس هناك أي رابط نسب بين (ذي سحيم) هذا، وخولان بن عامر (خولان صعدة) وأي تسلسل في علم الأنساب يؤكد عدم الالتقاء مطلقاً في جد واحد، ولذلك فإن أي يمني يقول أنا من (خولان ذي سحيم) فقد انتسب لنسبه الصحيح وليس له أدنى علاقة بالخوف والهرب من العار والشنار وأن من ينتسبون للجد الآخر خولان بن عامر (خولان صعدة) لا تمسهم تلك التسمية من قريب أو بعيد، ولذلك فانتساب آل ذي سحيم لجدهم خولان ذي سحيم لم يجانب الحقيقة فقد قالوا بالنسب الصحيح الذي لا غبار عليه ولا شبهة وهم يعلمون ذلك جيداً على العكس من المنتقد الذي يرى بانهم هم خولان بن عامر فأنكروا نسبهم له وتسموا بخولان ذي سحيم خوفاً من العار والشنار. ولإثبات كل حرف ذكرته بعاليه ركزوا معي جيداً مرة أخرى:

القصة تذكر أن هناك ملك اسمه تبع تبار أسعد أبو كرب وهو ملك معروف في اليمن تذكروا هذا جيداً، ثم تذكر القصة أنه نزل في بلاد خولان، وليت شعري في أي بلاد خولان نزل! فهل نزل في بلاد خولان صعدة أو خولان كهلان أو بلاد أي خولان من الأجداد السابقين الذين سبق وفصلتهم لكم في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) وكذلك في هذه الحلقة؟

ولكن دعونا نعطي مساحة من أن هذا الملك التابع قد نزل في بلاد خولان بن عامر (خولان صعدة) فلا بأس من ذلك لأنه ليس هناك ما يضير أو يعيب إذا كان قد نزل ببلاد خولان بن عامر بصعدة.

ركزوا معي جيداً للمرة الثالثة فيما أطلق عليه المنتقد (العار والشنار) بسبب أنه توارد إلى ذهنه أن في القصة زناً واضحاً، حيث روى البعض أن الملك تبع تبار أسعد كرب عندما نزل خولان طلب منهم أن يأتوا له بامرأة فوقع عليها، فولد له بها غلام فسماه ذا سحيم؛ فقال: "خولوا له" أي اجعلوا له خولاً فجمعوا له أخلاطاً خولاً، فهؤلاء الخول خولان).

ولأن الشيء بالشيء يذكر فدعوني أذكركم بما كتبت في حلقة ماضية عن المعنى الإيجابي الذي لا يحتمل معنى آخر لكلمتي خولان والأمر خولوا وهي كالتالي: خولان في اللغة:

خولان على وزن فَعْلان، اسم مشتق من (خول) وهو ما أعطى الله الإنسان من العبيد والأنعام والأتباع والحشم.

وكذلك تأتي كلمة الخول بمعنى التعهد وحسن التدبير، ولا أريد الاسترسال في تعدد المعاني الإيجابية لكلمة خول متعددة المعاني.

ولهذا فقد عُرف ذي سحيم (بخولان سحيم) نتيجة ما حصل من تخويل من قبل الملك التبع حينما قال: (خولوا له) فأصبح يحمل لقب خولان، وليس كما تبادر إلى ذهن المنتقد من أنه من خولان بن عامر نسباً.

وقد ذكر هذه القصة ابن حبيب ولكنه أضاف أن الملك تبع تبان قال: (واجهلاه) ولكن ابن حبيب قد أضاف ما يجعل هذه الكلمة لا تفسر بأن الملك التبع قد زنا مع هذه المرأة حيث قال ابن حبيب: (ثم ولد له غلام آخر فسماه رداع... فإذا سألت الخولاني من أهل اليمن قال: ("أنا من آل ذي سحيم") وكذلك ذكر البعض الآخر من أن ذرية رداع الولد الثاني للملك التبع أسعد تبان أبو كرب من كان يقول نحن من (خولان رداع).

فلماذا لم يسأل المنتقد نفسه إن كان الأمر كما تبادر إلى فهمه الخاطئ وهو وقوع الملك في جريمة الزنا، فكيف لهذا الملك أن يقول واجهلاه؟ ثم يكرر الفعلة مرات عديدة ليولد له منها ولد آخر اسمه رداع!!.

وكما تلاحظون فإن هذه القصة قصة قديمة جداً في العصور الجاهلية السابقة للإسلام والملوك في الغالب لا يحتاجون أن يزنون فهم بإشارة إصبع يستطيعون امتلاك ما يشاؤون من السراري اللائي يتسرون بهن، ويستطيعون امتلاك ما يرغبون من الجواري (ملك اليمن) وهذه العادة المتعارف عليها استمرت حتى فيما بعد ظهور الدين الإسلامي ولا داعي للاسترسال فيها والشرح فهي معروفة للصغير قبل الكبير، فما بالكم بملك عظيم كالملك تبع أسعد أبو كرب الحميري الذي كان أحد ملوك مملكة حمير اليمنية وأطولهم عمراً الذي تولى الحكم في (٣٧٨ ميلادية) حتى وفاته (٤٣٠ ميلادية) ونجح في تثبيت ملكه وهو أول من أطلق على نفسه لقب "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في المرتفعات والتهائم". فمثل هذا الملك العظيم في غنى عن أن يزنني فكل شيء يرغب في امتلاكه سهل وميسر له، ولا شك أن هذا الملك عندما نزل بأرض خولان التي سبق ووضحت لكم أنه من الصعوبة بمكان تحديد أرض من من الأجداد الذين يحملون لقب أو مسمى خولان وإن كان لا يستبعد أن يكون قد نزل ببلاد خولان صعدة قد طلب امرأة ليتسرى بها بعد أن تمت الشروط المعمول بها للحصول عليها أو أنه قد قام بشراء تلك المرأة كجارية تحت ما يعرف بملك اليمن، أو قد تكون من سبايا تلك الحروب التي خاضها في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية ومنها بلاد خولان هذه، فملك بمثل مكانته وقوته واتساع ملكه وكثرة غزواته وانتصاراته تجعله كما سبق وأن ذكرت في غنى عما تبادر إلى ذهن المنتقد محمد بن مسعود، وقوم كرام حل بأرضهم ليسوا من المذلة والسهولة أن يقدموا إحدى نسائهم ليزني بها هذا الملك، ولن يقدموا له تلك المرأة ما لم تكن عبر إحدى تلك الاحتمالات القوية التي ذكرتها، وهذا ما لم يتبادر إلى ذهن المنتقد ولم يفكر فيه إطلاقاً، فانطلق من خلال كلمة (واجهلاه) معتقداً هذا الأمر ومن ثم بنى اعتقاداً خاطئاً آخر وهو أن الخولاني من خولان صعدة قد تنصل

من خولانيته وأدعى النسب إلى جد آخر (خولان ذي سحيم) خوفاً من (العار والشنار) مع أن من يقولون بهذه المقولة هم فقط ذرية ذي سحيم الذين ينتسبون إلى أبيهم ذي سحيم الذي ينتسب بدوره إلى الملك التبع تبان أسعد أبو كرب أنف الذكر، الذي أمر قومه بالتخويل له فأصبح يلقب بخولان ذي سحيم، وليس إلى خولان بن عامر (خولان صعدة) كما التبس على المنتقد.

ولذلك عندما يقول بعض أهل اليمن أنا من (خولان ذي سحيم) فإنه يقصد أنه من ذرية الجد ذي سحيم بن الملك التبع تبان أسعد أبو كرب وهم يقولونها بكل فخر واعتزاز من أنهم من ذرية هذا الملك الجاهلي العظيم "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في المرتفعات والتهائم".

ومن المؤكد أنه زيادة على هذه المفخرة فإنهم يقولونها كذلك للتفرقة بينهم وبين أي قوم آخرين ينتسبون إلى أي جد يقال له خولان ومنهم خولان بن عامر (خولان صعدة)، والحال ينطبق تماماً على أخي ذي سحيم (رداع) وذريته الذين يقولون نحن من (خولان رداع).

إذاً وبعد كل ما ذكرته لكم فإنه يتضح أن الجد (خولان ذي سحيم) الذي نقلت قصته من المصادر الموثوقة التي نقلت هذه الرواية فيما بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بقرون ولو كانوا يرون أن نقل مثل القصة في كتبهم كانت ملمح من المنازات التي قضى عليها الإسلام كما تراءى للمنتقد أو أن فيها ما يعيب ويدخل تحت باب المنازات لربما انصرفوا عنها ولم يذكروها في كتبهم! أعود فأقول أن الجد (خولان ذي سحيم) ما هو إلا جد واحد من الأجداد العديدين الذين يحملون لقب خولان والذين سبق وأن فصلت لكم نسب بعضهم في هذا الرد وقبل ذلك في كتابي، وأنه ليس له رابط نسب مع الجد خولان بن عامر، وأنني لم أنسب هذه القصة لا تلميحاً ولا تصريحاً إلى الجد خولان بن عامر أو خولان كهلان بل نسبتها صراحة إلى خولان ذي سحيم.

فلماذا التعميم أيها المنتقد على خولان كافة؟ وهل حقاً أنك تفقه في علم الأنساب خصوصاً وأنت لا تفرق بين خولان ذي سحيم الذي يعود في نسبه لأبيه الملك التبع تبان أسعد أبو كرب، فتتكر ذلك علي وتجعله هو والقبائل التي تعود في نسبها للجد الآخر خولان بن عامر بعضهم من بعض؟.

وبعد أيها القارئ ألا تشاطرنني الرأي بأن هذه الرؤية الخاطئة من المنتقد والتي تمثلت في نظرتة للقصة وما استنتجه منها من خلط في الأنساب بين نسب خولان ذا سحيم الذي يعود نسباً للملك أنف الذكر والذي لا يربطه أي رابط نسب بخولان صعدة (قضاة) كما تبادر إلى ذهن المنتقد وكذلك ما ذكره من أن: (النص المقتبس يرينا كيف أن الخولاني لا يجرؤ - في زعم من نسج القصة - أن يقول أنا من خولان هربا من العار والشنار). ألا تشاطرنني الرأي بأنها نقطة ضده وأنها تضاف لبعض النقاط السابقة وما يتبعها من نقاط لاحقة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك عدم

إمامه الكافي بقواعد علم الأنساب وضعفه الواضح في هذا المجال، وتعجله في انتقاد ونقد الكثير من المعلومات التي لو أعمل الفكر فيها لكان أراح نفسه من هذا العناء وأراحنا.

ثم يقول المنتقد:

(وحيث تقف عند هذه المقتبسات تفتش عن سبب إيرادها من قبل الباحث؟! فلا تخرج بشيء سوى أنها بعض لوازم التذحيح، فينقل ما يغض من خولان فحسب).

أقول وبالله التوفيق:

هذا وأيم الله من سوء ظن المنتقد بالآخرين، وإلا فإنني في كامل كتابي لم آت بكلمة أو جملة أو ما شابه تغض من خولان! والعياذ بالله أن آتي بمثل ذلك لا ضد الجد خولان ولا ضد أي جد آخر.

وإلى اللقاء في الجزء الثاني من الحلقة التاسعة بإذن الله حيث سوف نرى كيف أوقع المنتقد نفسه في مأزق لن يخرج منه .

(الجزء الثاني من الحلقة التاسعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل من الله وتوفيق الجزء الثاني من الحلقة التاسعة :

يقول المنتقد:

قال المؤلف - (:) - (إذا فقد كان هناك بعض القبائل تحمل لقب خولان كخولان كهلان؛ وخولان سحيم، وخولان بن سعد العشيرة بن مذحج، وغيرهم.. وهناك من تحمل اسما كخولان بن عمرو (عامر) وعلى هذا فخولان ما هو في الغالب إلا لقباً أكثر منه اسماً). حاشية ٧٢.

قلتُ: (القول هنا لمحمد بن مسعود) لذلك فهو يرى - وإن لم يصرح - أنه لم يعد مجدياً الانتساب لجد اسمه خولان قضاة، وسنجد ذلك ضمناً في المقتبس التالي: قال - (قال:) - (يقصد صاحب الموسوعة) (فربما دفعهم تشابه الأسماء والألقاب واختلاط المواقع إلى انضمام جزء من بعض أولئك ودخل بعضهم مع بعض بالتحالف فيما بينهم، وهذه قاعدة معروفة لأن اتفاق مسميات القبائل أحياناً قد يدفع إلى التحالف واندماج بعضهم مع بعض، وهذا ربما قد حدث مع أكثر من خولان والله أعلم). حاشية ٧٢.

قلتُ: (القول هنا لمحمد بن مسعود): أبداً ليست قاعدة... وليست معروفة بل مجهولة تماماً ولم يُحضر شاهداً، ولن يحضره، حتى تبحر مرة أخرى سفينة نوح.. صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وكافة أنبياء الله وسلم.

ثم متى حدث ذلك؟ وأين حصل؟ ومن الذي دونه من علماء النسب؟.

أقول وبالله التوفيق:

أشكر المنتقد لأنه اعترف بأنني لم أصرح بذلك حيث قال عني: (لذلك فهو يرى - وإن لم يصرح - أنه لم يعد مجدياً الانتساب لجد اسمه خولان قضاة)، وقراءة ما تخفيه عقليات الآخرين غير ممكن والحكم على نياتهم لا يجوز ما لم يصرح بذلك صاحب الشأن أو يلمح إليه.

أما ما يخص خولان فهذه حقيقة فهناك من يحمل لقب خولان وهو ليس باسم له، وهناك من يحمل خولان كاسم وهناك أكثر من خولان وكل هؤلاء لا ينتسبون إلى جد واحد فلكل منتسب لخولان نسب يختلف عن أي قبيلة أخرى باسم خولان فالقبائل التي تحمل مسمى خولان عديدة لكنها تعود لأنساب مختلفة عن بعضها البعض وما خولان بن عامر (عمرو) إلا واحد من هؤلاء.

والباحث فيما يخص خولان في المراجع القديمة والحديثة يجد صدق كلامي، وقد بينت ذلك بالتفصيل الواضح الذي لا لبس فيه في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) في مبحث خولان بما يغني القارئ المهتم عن الغوص في المراجع الكثيرة التي تطرقت لهذه النقطة بوضوح، وكذلك تطرقت لها في بعض الحلقات الماضية.

وبالفعل فقد حدث اللبس من البعض حيث يرى بعض القراء والمهتمين وبعض المؤرخين مثلاً أن خولان العالية القريبة من صنعاء يعودون إلى قضاة بينما يرى البعض الآخر أن خولان هذه تعود إلى كهلان، وهنا قد حصل فقدان في المسارات المؤدية للحدود وهذه حقيقة واضحة ومعروفة سواء أقرّ بها المنتقد أو أنكرها، والمراجع وما وثقته في كتابي عن خولان هي الفيصل في ذلك.

تعمقوا كثيراً في كتب الأنساب وستجدون هذه الحقيقة واضحة جلية، بل إن خولان بن عامر العائد لقضاة قد اختلفوا في الجد قضاة اختلافاً كبيراً ما بين أنه من قحطان أم من عدنان أو جد آخر؟ وكل فريق يدلل بما يراه من وجهة نظره دليلاً صحيحاً.

ولقد أوقع المنتقد نفسه في مأزق كبير حين قال: (أبدا ليست قاعدة.. وليست معروفة بل مجهولة تماماً ولم يُحضر شاهداً، ولن يحضره، حتى تبجر مرة أخرى سفينة نوح.. صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وكافة أنبياء الله وسلم)، ثم متى حدث ذلك؟ وأين حصل؟ ومن الذي دونه من علماء النسب؟.

وذلك حين ذكرت في الموسوعة الميساء أن هناك قاعدة معروفة في علم الأنساب قلت عنها: (ربما دفعهم تشابه الاسماء والألقاب واختلاط المواقع إلى انضمام جزء من بعض أولئك إلى غيرهم ودخل بعضهم مع بعض بالتحالف فيما بينهم، وهذه قاعدة معروفة لأن اتفاق مسميات القبائل أحياناً قد يدفع إلى التحالف واندماج بعضهم مع بعض، وهذا ربما قد حدث مع أكثر من خولان والله أعلم). ص ٧٢.

فأقول وبالله التوفيق:

لا يا محمد، بل هي قاعدة معروفة وموثقة في كتب الأنساب وليست مجهولة كما توهمت وتهياً لك، فقد ذكر هذه القاعدة علامة اليمن ونسابتها الهمداني ومن بعده علامة الجزيرة العربية حمد الجاسر رحمهما الله، وكذلك ذكرها بعض المؤلفين المعاصرين وربما غيرهم ممن لم يقع تحت يدي؛ انظروا على سبيل المثال:

- كتاب صفة جزيرة العرب للسان اليمن العلامة الحسن بن احمد الهمداني الصفحة (١٧٥) الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ، صنعاء، مكتبة الإرشاد. حيث قال: (وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها فإنها تكاد أن تتحصل نحوها وتنسب إليها، رأينا ذلك كثيراً).

- عودوا لكتابات العلامة حمد الجاسر وسترون أن تلك القاعدة قد دونها واستدل بها، وهي معروفة لأولي العلم وذوي المعرفة الغزيرة، وليس كما توهم المنتقد من أنها حسب زعمه الخاطئ مجهولة تماماً.

وكذلك انظروا لما ورد في كتاب جُرَش دراسة في المكان والسكان الصفحات (٧٩ - ٨٠ - ٨١) وفيهن شرح وافي وواضح لهذه القاعدة التي جهلها المنتقد محمد بن مسعود:

حيث يقول المؤلف أحمد بن علي مطوان وفقه الله :
"من الأخطاء التي يقع فيها بعض الكتاب و النسابين هو تشابه الأسماء بين القبائل فقد تنسب قبيلة إلى قبيلة أخرى بسبب تشابه الأسماء، ويزداد الأمر تعقيداً إذا كانت تلك القبائل المتشابهة في الأسماء تسكن في مكان واحد، أو متقاربة المكان، وقد أشار العلامة الشيخ حمد الجاسر إلى هذا فقال: (مما تجب ملاحظته عند البحث في أصول القبائل العربية الاختلاط بين الأنساب، فما دام هذا الفرع ينتسب إلى قبيلة معروفة فقد يصبح في وقت من الأوقات معدوداً في قبيلة أخرى، إما بطريق المجاورة، أو بطريق الحلف، أو بطريق الالتجاء، وحتى بطريق تشابه الأسماء، إذ بالتشابه يقع الخلط بين الأنساب كما أوضح ذلك الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" حين ذكر جعدة من بطون قبيلة حمير فقال: وبنو جعدة هؤلاء يقولون أنهم من بني جعدة بن كعب ، ولا تعرف هذه البطون في بطون جعدة من كعب)، ثم ذكر بطون جعدة بن كعب، ثم قال: -(أي الهمداني)- وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها فإنها تكاد أن تتحصل نحوها وتنسب إليها، رأينا ذلك كثيراً.

ومن أمثلة ذلك في عصرنا (عبدة) _بفتح العين_ سكان وادي الريب -(والكلام هنا للمؤلف)-، فوادي الريب في القديم المعروف الآن باسم الرين كان من سكانه من بني قشير من عامر بن صعصعة من هوازن من مضر بن نزار من عدنان فرع يدعى (عبدة) بفتح العين.

وفي قبيلة (جنب) القحطانية التي تسكن الآن جنوب الجزيرة فرع يعرف باسم (عبدة) فاختلف الفرعان فانتسبا إلى قحطان، وسكنا في ذلك الوادي.

ومن أمثلة ذلك أيضاً (بنو خالد) فالمشهور بهذا الاسم قبيلة عدنانية تنتسب خطأ إلى خالد بن الوليد الصحابي الجليل الذي اتفق علماء النسب على انقطاع عقبه.

وقد انضوى تحت هذا الاسم فروع كثيرة ممن يسمى باسم (خالد) ومنها بنو خالد الذين كان لهم نفوذ وسيطرة في يوم ما في شرق الجزيرة _الأحساء وما حولها_ ونسبت إلى عقيل بن عامر، كما قال ابن مشرف: إلخ ما ورد من تعليق حول هذه النقطة من المؤلف."

وبعد أن رأيت أيها المتابع الكريم بيان ما ورد حول وهم المنتقد محمد بن مسعود ونفيه لهذه القاعدة المعروفة فلا أجدني إلا قائلاً: إن دل هذا على شيء فإنما يدل

دلالة واضحة على عدم إلمام المنتقد ببعض القواعد التي تخص علم الأنساب، وكذلك عدم غزارة اطلاعه العلمي لبعض المراجع التي تحدثت عن هذه القاعدة ووثقتها، وأن تسرعه وعدم التمعن في قراءة بعض المراجع التي ربما وقعت تحت يده والتي حدثت بهذه القاعدة وكذلك حبه للانتقاد واستعجاله فيه قد أعمى بصيرته عن هذه القاعدة المعروفة، وإلا لما كان أوقع نفسه في هذا الحرج.

يقول المنتقد:

ولن يستغرب المتابع من أهل فيفا (أبناء خولان بن عامر) وهو يقرأ ما قاله الباحث ساخرًا متهمًا بالجد أحمد الجامع لقبائل بني زنامة فقال:
(على كل حال لنا أن نتساءل:

أين ذلك الجد العظيم أحمد الذي ظهرت منه كل تلك القبائل الكبيرة؟ لقد بحث الكثيرون وأنا منهم في كافة المراجع من كتب التاريخ والأنساب والأدب... فلم يجدوا تلك الشخصية الأسطورية أحمد ولا أبناءه عبيد وعطا وجميع من ينتسب لأحمد هذا. فلم لا يكون أحمد ذلك عبارة عن حلف؟). ص ١٧٣.

قلتُ (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): لو كان منصفًا حقًا لأدرك بدهاة أن جبل فيفا أسبق وجوداً من الجد (أحمد) بملايين السنين ومع ذلك فلم يعثر له على ذكر لدى الجغرافيين العرب، ومع ذلك فعدم ذكره لا يعني أنه أسطورة تحمل على السخرية والتهمك.

ولنا أن نصوغ ذلك في سؤال ونسأله الباحث:

هل ذكر جبل فيفا لدى أي من الجغرافيين العرب مع أنه ولد قبل الجد أحمد بما يزيد (يقصد المنتقد بما يزيد عن أو على) ٥٠ مليون سنة؟
فإن كان جوابه: لا ... لم يذكر!

قلنا: (ولا زال القول للمنتقد): فعدم ذكره لا يعني أنه لم يكن موجوداً، حين دونوا كتبهم، وبحثك عنه وتفتيشك الدؤوب والذين معك فلم تثمر جهودكم عن العثور على اسم الجد أحمد، لا يعني أنه لا وجود له. -(-) وعلى هذا قس.

أقول وبالله التوفيق:

تلك مقارنة عجيبة غريبة تثير الدهشة، فجبل فيفا ليس كما توهم المنتقد بأنه لم يذكره أحد من الجغرافيين العرب، فقد ذكره البلدانيون والجغرافيون والمؤرخون القدامى مرات عديدة وفي مصادر مختلفة وفي فترات زمنية مختلفة، ولعل من أقدمها صراحة وليس تلميحاً قول الشاعر الجاهلي حازم الأزدي والذي تطرقت له في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) في الصفحة (٣٨٠) و (٣٨١):

والله لو كنتم بأعلى تلعة * * * من روس فيفا أو رؤوس صماد

لسمعت من ثم قرع سيوفنا * * * ضرباً بكل مهند جماد

والله لا يرعى قبيل بعدنا * * * خضر الرمادة أمنا برشاد

كذلك ورد ذكر جبال فيفا في فترات زمنية غير العصر الجاهلي ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- ما ذكره صلاح الدين بن الجلال المتوفى نحو عام ٨١٠ هجري في مخطوطه (مشجر الجلال) حيث ذكر جبل فيفا وبعض المواقع فيه كالدفرة ومدر وبعض قبائله.

- وورد ذكر جبل فيفا في عام ٩٤٢ هجري عندما غزاها الإمام شرف الدين.
- وورد ذكرها أيضاً في أحداث عام ١٠٣٥ هـ.
- وكذل ورد ذكر جبل فيفا في أكثر من مرجع ومخطوط غير ما ذكرته هنا، سواءً كان ذلك بالتصريح أو بذكر جزء منها، كما هو مثبت في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء).

أما بخصوص قول المنتقد أننا لم نجد ذكر للجد أحمد فهذا لا يعني أنه لا وجود له، أقول فهذا القول منه يدل على عدم معرفته ببعض قواعد الأنساب المهمة ومنها: (أن بعض الأحلاف التي تحمل أسماء أشخاص قد تتحول مع مرور الزمن إلى الاعتقاد بأنه جد وهو ليس كذلك، خصوصاً مع تقادم العهد وعدم التدوين وذهاب الحفظ وهناك أمثلة عديدة لهذه القاعدة ومنها:

(حلف فاطمة بنجران، الذي تحالفت فيه العديد من القبائل بنجران، وهي ليست جدة جامعة لهؤلاء القبائل المتحالفة بل هو مسمى للحلف فقط، (وسمي بفاطمة) لأنه فطم ما بين تلك القبائل من إحن وعداوات سابقة، وكذلك الحلف الشهير بني غسان الذي تحالفت تحت مسماه العديد من القبائل وهو ليس جد جامع لهم بل (مسمى بئر ماء) تحالفوا عنده فأصبحوا يعرفون ببني غسان (الغساسنة) ولأنه حلف شهير فقد تم تدوينه في كتب التاريخ والأنساب ولم ينسَ مع تقادم العهد ومرور الزمان بسبب شهرته وحفظه في أمهات الكتب المختصة) والمنتقد لم يستوعب هذه القاعدة حتى وقتنا هذا، وهذه مشكلة قد تعوقه كثيراً عن التقدم إن حاول الخوض في علم الأنساب، ونصيحتي له أن يتخلص من إطاره الفكري المحدود ويوسع أفق المعرفة لديه، ويبتعد عن التعصب والتقليد الأعمى، فربما يخرج بعد ذلك بعلم.

ولا زلت عند رأيي بأن الجد أحمد ما هو إلا حلف كبير جمع كل هذه القبائل كما وضحت بالتفصيل في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء)، وهذه هي الحقيقة التي لم يستطع المنتقد تصورها ولا تقبلها، ولكنني لن أكابر في حال لو استطاع المنتقد العثور على هذا الجد (أحمد)، ووثق ذلك من المراجع والمخطوطات أو أي وسيلة تؤكد وجوده وأن كل هذه القبائل الكثيرة التي ذكرتها قد خرجت من صلبه وسأكون مستعداً للاعتذار أمام الجميع والتراجع عن قلبي هذا، وأحب أن أذكر المنتقد هنا أنه يتوجب على كل ناقد يحاول نقض معلومة أن يأتي بالبديل الصحيح عنها، وبالثابت الذي لا تشوبه شبهة ولا شائبة؛ خصوصاً وقد أثار دهشتي في هذه الحلقة بنقضه لجميع الأنساب المتناقضة السابقة التي حاول تأكيدها عبر

الحلقات السابقة، فأتى هنا بنسب جديد ليس له وجود كالأنساب التي ذكرها سابقاً وهي قوله العجيب الغريب (الجد أحمد الجامع لقبائل زنامة).

وكل التناقضات التي قرأناها للمنتقد في حلقات سابقة وهذا التناقض الذي سوف نقرأه في هذه الحلقة وعدم استقراره على جد ثابت جامع لقبائل فيفا، إن دلت على شيء فإنما تدل على ضعفه في علم الأنساب، وامتلاكه لمنهج مختل بكل المقاييس، فانظروا إلى هذا النسب الجديد وقارنوه بالأنساب المتناقضة السابقة هنا في هذه الحلقة حيث يقول أن الجد أحمد: (هو الجد الجامع لقبائل بني زنامة) أي - زنامة بن أحمد -، ومن البديهي أن نسأله من هو أحمد هذا؟

وما اسم أبيه؟ وما هو تسلسل نسبه؟ وهلم جرّاً! لأنه للأسف لم يبين لنا لمن يرجع أحمد هذا الذي تنسب إليه قبائل بني زنامة التي يزعم أنها الجامعة لقبائل فيفا؟ إنما قال: (الجد أحمد الجامع لبني زنامة)!!!، ونشير هنا للأنساب المتعددة والمتناقضة التي ذكرها في عدة حلقات ومنها:

١- لعلنا نتذكر أحد الأنساب التي نسب إليها قبائل فيفا في حلقة سابقة وهي تناقض هذا النسب حيث قال: (زنامة بن هلال بن خولان) نلاحظ في هذا النسب أنه أسقط الجد أحمد من هذا التسلسل بحيث كان نسب قبائل بني زنامة إلى هلال بن خولان وليس كما أكد هنا إلى زنامة بن أحمد، وقد علقت على هذا النسب الخرافي الذي لا وجود له إلا في ذاكرة المنتقد في حلقة سابقة فلينظر هناك.

٢- لعلنا أيضاً نتذكر أنه قد نسبنا في حلقة سابقة إلى جد آخر اسمه: (زنامة بن هاني بن هلال بن خولان) ونلاحظ أيضاً سقوط الجد أحمد من هذه السلسلة، مع أنه قد أكد لنا في هذه الحلقة بأن أحمد هذا هو والد زنامة وذلك حين قال: (أحمد الجد الجامع لبني زنامة)، وبهذا فإن زنامة الذي زعم المنتقد بأنه الجامع لقبائل فيفا لم يعد ابناً لهاني بن خولا ولا لهلال بن خولان بل أصبح ابناً لأحمد هذا!!! تناقض عجيب.

٣- لعلنا نتذكر النسب الذي قال فيه المنتقد (آل الصلت بن زنامة) ثم عاد ونقضه ونسب قبيلة حرب الفيفية وهي إحدى قبائل آل الصلت إلى (حرب بن سعد بن سعد بن خولان) مع أنه قبلها بقليل قد قال عنها ناسباً (قبيلة الحربي بفيفا من آل الصلت من زنامة)!!!! ومع أن المنتقد قد توهم في نسبه قبائل فيفا إلى زنامة، إلا أنه قد ظهر لنا بجد جديد يناقض الأنساب السابقة وهو: (حرب بن سعد بن سعد بن خولان)، وليس ذلك فحسب فالبرغم من كل تلك الأنساب المتناقضة التي أدلى بها من قبل، فإنه يظهر لنا في هذه الحلقة بجد جديد اسمه زنامة بن أحمد!!! وكل هذه الأنساب المتناقضة ليس لديه فيها مرجع أو مخطوط أو مستند يعتمد عليه وإنما هي من بنات أفكاره، ولذلك لم أرَ في حياتي مثل هذا التساهل والتلاعب والتناقض في الأنساب، فكلما عنَّ للمنتقد

محمد بن مسعود أخطر في باله نسب فهو يكتبه ليستدل به على أمر ما ثم لا يلبث أن يعود في حلقة بعدها بنسب غير النسب الذي أكدته وناقح من أجله في حلقة سابقة وهكذا دواليك.

ولأن الشيء بالشيء يذكر فلم أرَ في حياتي مما وقع تحت يدي من مراجع ومصادر ومخطوطات كثيرة من ذكر أحمد هذا عدا ما ذكره الدكتور (محمد بن فرحان الخسافي الفيافي) في رسالة له حصل بها على درجة الماجستير عام ١٤٢٢ - ١٤٢٣ هـ من جامعة الملك سعود بعنوان (فيفاء خلال القرن الرابع عشر)، حيث رجح في الصفحة (٣١) أن جد قبائل فيفا وقبائل بني مالك وبني حريص وقيس هو: (أحمد بن شراحيل بن هلال بن هاني بن خولان بن عمرو)، وعزا هذا النسب إلى (محمد بن أحمد الأشعري) صاحب كتاب (التعريف في الأنساب والتتويه لذوي الأحساب)، وللأسف الشديد فإن النسابة الأشعري لم يورد ذلك في كتابه، ولم يتطرق لأحمد هذا ولم يذكر علم باسم (أحمد بن شراحيل بن هلال بن هاني بن خولان)، بل ولم يرد في أي كتاب آخر علم اسمه (أحمد بن شراحيل بن هلال بن هاني بن خولان)، وإنما أورد الأشعري (شراحيل بن هلال)، ولا أعلم تماماً هل الدكتور قد تنبه لهذا الخطأ غير المقبول، أم أنه سيراجع كتابه آنف الذكر بعد تنبيهي له على هذا الخطأ الذي وقع فيه وقد يتبعه فيه الكثيرون مستقبلاً ويتحمل وزره، هذا عدا بعض الملاحظات التي التبست عليه في كتابه آنف الذكر ومنها إصراره على أن قبيلة آل شراحيل ما هي إلا جزء من قبائل آل عبيد وأن عبيداً جدها، ورفضه للمقولة المعروفة والمثبتة من أن قبيلة آل شراحيل كيان مستقل عن آل عبيد لا يجمعهم إلا حلف (القيستين) وحسن الجوار، وربما أقوم في المستقبل القريب بإذن الله وتوفيقه بعمل قراءات نقدية لهذا الكتاب وبالذات فيما يخص بعض العادات والأعراف التي تطرق لها في كتابه.

يقول المنتقد:

وقال متهمكما ساخراً (يقصد المنتقد صاحب الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء): (لقد بلغ من تقديس قبائل المنطقة لأحمد هذا أنه ليس هناك فقط عطا بن أحمد وعبيد بن أحمد ومالك بن أحمد وخالد بن أحمد وقيس بن أحمد وو..... وو مع بقية القبائل، بل حتى ملك الموت قد أصبح من أحمد هذا، سواء كان أحمد هذا جدا أم حلفا كبيرا؟ فالقوم في جبال فيفا وما جاورها يطلقون على ملك الموت (عزران بن أحمد) فهل ملك الموت من أبناء أحمد هذا؟ أم من إخوة بعض القبائل كمالك بن أحمد أو عطا بن أحمد؟). ص ١٧٣.

قلتُ: (ولا زال القول للمنتقد): على رسلك.. فما علمناهم أشركوا في أحمد وما علمنا أنهم يقصدون الآباء والأجداد!!.

والذي حدث تماماً أن جهلك بهم قد أوقعك في مثل هذه الاستنتاجات، فطفقت تستخف وتسخر منهم للأسف. وعزان بن أحمد شخصية حقيقية حملت هذا اللقب وعاشت في

فيما حوالي أواخر القرن الحادي عشر الهجري، ومثله حسم شيطان شخصية حقيقية حملت هذا اللقب وعاشت زمن الأدارسة.

وليس لعزرائيل الملاك أب اسمه أحمد كما ليس للشيطان ابن اسمه حسن، والشيطان وعزرائيل ملكان، الفرق بينهما أن ابليس - (إبليس:) - عصى ربه فطرد وأصبح رجيمًا. هذا يعرفونه جيداً وإنما الجهل الواسع أوقعك في هذا الاستنتاج البعيد فاتهمم بالوقوع في الشرك. وبئسما رميت به قومك. وكان بالإمكان أن تسأل من لديه علم بالميثولوجيا في فيفا أو بعض المعمرين وسيخبرك الناس عن هذه الشخصية الفتاكة وكم سفك من الدماء حتى اكتسب هذا اللقب.

فإذن هو الجهل الشديد بفيفا وأهلها، والميثولوجيا المتناقلة بها، مع التحامل المنقطع على كل ما هو خولاني دفعه لتصور تلك التصورات من تقديس وشركيات، وضياح جدود، ودونية، واضمحلال، حتى ظن أنه بإمكانه عبر مباحث شديدة التهافت سخيفة المبنى والمعنى أن يدك أصولها ويمحو جذورها فزعم أن كل أعلامهما مجرد أحلاف لاجدود، فأحمد حلف، وآل الصلت حلف، وآل حجر حلف، وولد عطا حلف، وآل عبيد حلف، وآل شراحيل حلف، وأهل مدر حلف، وآل الحرب حلف، واليهنوي حلف، وخولان بن عامر حلف، كل هذه الجدود أحلاف عند الباحث.. وهذا منتهى الباطل.

أقول وبالله التوفيق:

أرأيتم كل ما ذكره بعاليه إنما يدخل تحت باب الاستعراض اللغوي والأسلوب الإنشائي الجذاب الخالي من أي مضمون أو دليل، والمنتقد ماهر في هذا المجال. وقد بينت فيما يخص الأحلاف في حلقات سابقة، فليُنظر هناك.

وأما فيما يخص حلف (أحمد) وكل ما أورده من لغط حوله، فلا أقول إلا اللهم إني أبرأ إليك مما اتهمني به، حيث قال عني: (وإنما الجهل الواسع أوقعك في هذا الاستنتاج البعيد فاتهمم بالوقوع في الشرك. وبئسما رميت به قومك). (على رسلك.. فما علمناهم أشركوا في أحمد وما علمنا أنهم يقدسون الآباء والأجداد!!).

أقول وبالله التوفيق:

لا والله ما عنيت ذلك ولم يخطر على بالي مثل ذلك، إنما عنيت أن الحلف حلف كبير في المنطقة ومبارك، ولذلك أصبح اسم أحمد مشهوراً ومعروفاً لديهم حتى أنهم لشهرة ذلك الحلف كانوا يسمون ملك الموت بـ (عزران بن أحمد).

سمعت ذلك من كبار السن وهو قول شائع في فيفا ومعروف ولا أعرف عزان بن أحمد الذي ذكرته وشرحت عنه ولم أسمع به من قبل وليس له رابط بكلامي عن عزران بن أحمد.

وأما الألفاظ التي وردت من المنتقد في هذا النقطة واصفاً إياي بـ (الجهل الواسع - الجهل الشديد بفيفا وأهلها - التحامل المنقطع على كل ما هو خولاني - تقديس

وشركيات، وضياح جدود، ودونية، واضمحلال - مباحث شديدة التهافت سخيصة (المبنى). فأتدفع عن الرد عليها لأنها لا تخدم النقد الهادف البناء. ولأن الشيء بالشيء يذكر فإنني أحب تذكيركم بمعلومة نقدها المنتقد في الحلقة الخامسة في محاولة منه لإيجاد أي عثرة أو زلة قد تقصد جمال تفوقي في حشد المصادر والمشجرات التي لم يسبقني إليها أحد حيث قال: (لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في الجانب التاريخي لقبائل فيفا مدعماً بالوثائق الخطية والمشجرات ليضع القارئ في مسار لم يعهده في كل المصنفات السابقة التي بحثت ذات الموضوع. فكان تفوقه جلياً في حشد المصادر وجلب المستندات.

بل هو أول مؤرخ في المنطقة يكشف النقاب عن هذا الكم الوفير من الوثائق الهامة في تاريخ جبل فيفا وقبائله. وقبل أن نلج إلى الوثائق دعوني أعرج على نقطة قد تهم الباحث بالدرجة الأولى. فبعد توزيع قبائل فيفا إلى أصولها الحالية وهي ولد عطا وآل عبيد وآل شراحيل ينقل المؤلف ٨٤ و ٨٥ عن كبار السن قولهم: بأن قبائل فيفا تعود إلى ثلاثة جدود إخوة وهم عطا بن أحمد وعبيد بن أحمد ومالك بن أحمد الذي استقر في جبال بني مالك.. والحقيقة إن كبار السن الذين نقل عنهم هذا القول خلطوا في الأمر وإنما هو خالد بن أحمد من بني مالك الذي قالوا بأنه الأخ الثالث لعبيد وعطا ولم يقل ممن يعول عليهم النقل الصحيح من الجانبين غير ذلك.. فليتنبه الباحث لهذه النقطة.

فكان ردي عليه كالآتي:

الحمد لله الذي ساعدني على هذا الجهد الكبير الذي لم يسبقني إليه أحد في كل المصنفات السابقة التي بحثت في ذات الموضوع، وأشكره عز وجل على هذا التوفيق والنجاح، ثم الشكر لمحمد بن مسعود الذي أقر لي وشهد بهذا التفرد، وهذا حسن منه.

وأما فيما يخص خالد بن أحمد فقد جانبه الصواب في هذه النقطة، وهذه إحدى استعجالاته في نقد المعلومة، فقد ذكرت في نفس الباب ص ١٧١ (خالد بن أحمد) ولم أغفل عن هذا الأمر، وكذلك سبق وأن ذكرته في الطبعة السابقة من (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء). ١٤٢٥ هـ السابقة لهذه الطبعة في صفحة (٥٤).

فليتنبه المنتقد لهذه النقطة التي عمي عنها أو حاول إيهام القارئ بعدم ذكرها لهذه المعلومة وأنه صاحب قصب السبق فيها، وستفاجؤون في هذه الحلقة - (الحلقة التاسعة للمنتقد) - بأنه قد ذكر لي أنني قد ذكرت خالد بن أحمد دون أن يشعر بذلك وذلك أثناء نقده لمعلومة ما.

وكما سترون فقد ذكر خالد بن أحمد نقلاً عني أيضاً من صفحة غير الصفحة رقم ١٧١ وهذه المعلومة التي نقلها كانت من الصفحة ١٧٣.

وإلى اللقاء في الجزء الثالث والأخير من الحلقة التاسعة حيث أوقع المنتقد نفسه في مأزق يصعب الخروج منه.

(الجزء الثالث من الحلقة التاسعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بمشيئة الله وتوفيقه الجزء الثالث من الحلقة التاسعة فأقول:

لقد وضع المنتقد نفسه في مأزق يصعب الخروج منه حين حاول إيهام القارئ بقوله لي: (على رسلك.. فما علمناهم أشركوا في أحمد ما علمنا أنهم يقدسون الآباء والأجداد)!!!.

لا أدري ماذا أسمى هذا القول؟ وهل يدخل في باب التدليس والاستخفاف بعقل القارئ؟ أدع كل هذه الأحكام للقارئ بعد أن يرى تقول محمد بن مسعود عليّ في هذه الجملة في محاولة منه اتهامي بأنني قد أتيت بما لم يأت به أحد غيري وأنني قد اتهمت أهالي فيفا بتقديس الآباء والأجداد وأتيت بأمر منبوذ غير مسبوق وهلم جرا، ولكن حتماً بعد قراءتكم لما سأذكره هنا سترون أنني بعيد كل البعد عما حاول تهويله وإصاقه بي وسأريكم أن إنكاره عدم معرفته بأن أهالي فيفا كانوا يقدسون الآباء والأجداد لم يصدق فيه.

سنحتكم أنا والمنتقد لدى فضيلة الشيخ العلامة القاضي علي بن قاسم الفيافي وكذلك أخيه الشيخ الفاضل الدكتور القاضي سليمان بن قاسم الفيافي، ثم نرى بعدها هل جملة المنتقد محمد بن مسعود صحيحة والتي يتباكى من خلالها ويحاول نفيها وإصاقتها بي وكأنني قد أتيت بأمر مهول لم يعرفه الأولون ولم يقل به أحد من العالمين؟.

يقول الشيخ علي بن قاسم -حفظه الله- في مجلة المنهل التي صدرت قبل ما يربو عن الأربعين عاماً ومن ثم تم تأكيد كلامه ذلك في كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) الذي طرحه للناس عام ١٤٣٢ هـ. فوضع الشيخ عنوان عريض في الحلقة الخامسة عشر مجلة المنهل عام ١٣٩٠ هـ، وكذلك كتابه آنف الذكر: (أماكن يقدسها العامة) أقول: (أي من أهالي فيفا).

وذكر الشيخ ما يفوق ٤٥ قبراً وموقعاً وأنصاب وأشجار كان يقدسها العامة من أهالي فيفا وكتبه وكتاباته هذه مشهورة ومتناقلة بين الناس ومن ضمنهم المنتقد محمد بن مسعود الذي ينفي أنه قد علم بمن يقدس الآباء والأجداد من أهالي فيفا؛ فيا لله العجب وغريبة منه هذه الجرأة غير المعهودة من قبل.

ويقول الشيخ علي بن قاسم الفيافي - حفظه الله - في كتابه آنف الذكر:

(الحالة الاجتماعية):

ذكر الشيخ علي في الصفحة (١٤٨) ما يلي:

(ظلت فيفاء وما جاورها من الجبال ردحا طويلا من الزمن، تعيش فترة انتكاسة في ظلام الجهل الحالكة، وغيابات الظلال الفاتكة، تعاني من الخرافات والأوهام، كما تعاني من ضروب الفاقة، والفتن والأسقام، فالحروب القبلية متلاحقة، والسلب والنهب والقتل مطبقة كغيرها من البلدان، وهل بعد الجهل من داء عضال، فتكاد في معظم فترات التاريخ تكون خالية تماما من أي مرشد أو مبصر، وحتى ممن يجيد القراءة والكتابة، وظل الحال كذلك إلى عهد قريب، ونقل الشيخ علي بن قاسم عن الشرفي ما نصه: (قد وصفهم السيد أحمد بن محمد الشرفي في كتابه " اللآلئ المضيئة" في حوادث عام ١٠٣٥هـ بقوله: وأهل فيفاء وبنو مالك ليس لهم مذهب ولا يعرفون ذلك بل هم كالأنعام فلا يصلون، ولا يزكون، ولا يصومون، ولا يحجون، ومع ذلك يزعمون أنهم مسلمون، وإنما لم يعلموا شرائع الدين لعدم المعرفة لهم انتهى).

وكذلك نقل الشيخ علي بن قاسم ما ذكره السيد محمد بن حيدر النعمي في قبائل ضمد ومنها قبائل فيفاء في مخطوطه " الجواهر اللطاف في سياق الكلام عن ضمد بقوله: قال في شرح الخمر طاشية على قوله: واهل لقوم غالهم صرف الردى والتحقوا بضمد أو بصدى، وهذا صادق عن النجود من شرق وادي ضمد فإن أهل تلك الجبال أغلبهم لا يتصف بالإسلام، وفيهم الجفاء، وعدم التقيد بالقوانين الشرعية المحمدية، ما لا يخفى على من يعرف أحوالهم، انتهى كلامه).

وقال الشيخ علي بن قاسم - حفظه الله - : (وإذا نزل به الضرر من مرض أو غيره استشفى بالكي أو الأعشاب أو بملحة يدسها في قبر أو بتربة ولي أو بريق عجوز ويلوذ بالعرافين والكهنة وبمن يعتقد لهم قسم عند الله وبيعض الأماكن بالقرابين، إلى غير ذلك من السخافات الممقوتة).

(ومن البيوتات التي اشتهرت ببعض هذه الممارسات إلى عهد قريب "أهل النصب" وقد أنقرض هذا البيت، آل المعكوي من أهل مدر، وآل عذابة من آل شراحيل، والمعالم من بني الغازي، وآل الزغافي من آل الحرب، وينسبون إلى بعض الأفراد حكايات خرافية يصدقها العامة، ويعتقدون فيهم الصلاح من أجلها نذكر بعض ذلك لبيان ما وصلوا إليه من البعد عن تعاليم الدين في تلك الحقبة). ص ١٥٠.

(بعض الأنصاب):

وقال الشيخ ص ١٥١: (ومن الأماكن التي كان يتعلق بها العامة، ويصرفون إليها أنواعاً من العبادات في فيفاء إلى ما قبل العهد السعودي):

١ - قبر حسن سيلة بحصن الرميح قرب العبسية تذبج عنده القرابين، وينضح فيه السمن، وتطلب عنده السقيا.

- ٢ - قبر المعلمي قرب علي العراعر وهو صوفي من المعالمة أوصى بأن يدفن هناك فاتخذ قبره مزاراً كالذي قبله، ويعتقدون وجود جنية في العلي تسمى شوقة تقدم لهم بعض الخدمات.
- ٣ - تالقة المجرم وهي شجرة ضخمة يزعمون أنها مأوى جن ويزعمون أن من قرب قرباناً ونام عندها يناول شراباً فإذا سقي عسلاً كان مستجاب الدعاء وإذا سقي لبناً كان شاعراً.
- ٤ - نيد الدارة كان به منصب يزعمون أنه كبير الجن فيه اسمه محقان.
- ٥ - نيد اللمة مكان المسجد الآن كان منصباً ويزعمون أن كبير الجن فيه اسمه شعثنان ويسمى المتاب.
- ٦ - المناشح بجهة الدفرة كان منصباً.
- ٧ - قبر السري في خربة في بقعة آل برقان.
- ٨ - باب المهيد صخرة في وادي ثربة بجهة آل شراحيل يرى فيها ما يشبه الباب ويزعمون أن بها جنا تقرب لها القرايين.
- ٩ - تالقة العدوين وهي شجرة ضخمة تقرب عندها القرايين وقد قطعها الشيخ عبد الرحمن الطرباق حوالي عام ١٣٦٠ هـ.
- ١٠ - قبر جمان فوق مربوعة.
- ١١ - ذا مجدار مقبرة في ذراع العدوين (كانت مزاراً).
- ١٥ - قبر المعان بجهة المثرارة.
- ١٩ - الغارس شجرة سدر في ذاري آل وشاح كانت منصباً.
- ٢٠ - غمان مقبرة بقمة جبل أهل الدفرة يسمى المتاب يذكر الشيخ جبران بن سعيدة أنه أدرك ذبح القرايين هناك للسقيا وصرف الجراد عن المزارع.
- ٢٣ - قبر محمد عقيصاه وهو من أهل النصب وقبره بمكان يسمى ريد المتاب.
- ٢٤ - قبر الجابري بجهة الشلة في مدر كان عليه بناية هدمها الشيخ عبدالرحمن الطرباق في حوالي عام ١٣٦٠ هـ.
- ٢٥ - قبر قاسم بن أحمد المعكوي في مفواق بجهة مدر كان عليه قبة فهدمها الطرباق أيضاً في حوالي عام ١٣٦٠ هـ.
- ٢٩ - قبر الزغافي بجهة آل حرب وكان عليه قبة.
- ٣٢ - المتاب وهو في رأس العتمة بجبل آل ثويح.
- وقد أكد الشيخ الفاضل علي بن قاسم الفيفي - قاضي فيفاء سابقاً - وأحد رجالات التعليم والتوجيه والإرشاد قائلاً: (أنه توجد أماكن كثيرة من هذا القبيل زين لهم الشيطان (أي أهالي فيفا) التعلق بها ولم نذكرها إلا لبيان ما وصل إليه الناس من الجهل والضلال والبعد عن مبادئ الإسلام).
- وقد نقلت لكم باختصار من كتابه (فيفاء بين الأمس واليوم) وما ورد عنه في مجلة المنهل عن بعض الأشخاص والأشجار والأنصاب والأحجار التي كان بعض من

أهالي فيفا يقدسونها ويقومون ببعض الشراكيات في بعضها، وبلا شك أن الشيخ علي قد أخذ تلك المعلومات ممن سبقوه من كبار السن وأدركوا ولو جزء من تلك الحقبة الزمنية التي كانت تنتشر فيها مثل تلك الشراكيات والتفديس لبعض الأشخاص والأماكن والأشجار، ولعله قد أدرك بعضها.

وقد أكد ذلك أيضاً فضيلة الشيخ الدكتور القاضي والمحامي حالياً الشيخ سليمان بن قاسم الفيافي في أحد كتبه المخطوطة (فيفاء وأطوارها) الذي فرغ من تأليفه ونشره على نطاق ضيق عام ١٤٠٩ هـ، حيث نقل عن الشيخ علي ما ذكره آنفاً وأقره عليه ولم يرَ غضاضة في ذلك وذلك في صفحات عديدة من مخطوطه آنف الذكر من الصفحة (٢٠ إلى الصفحة ٢٩).

وكذلك أكد الدكتور محمد بن فرحان الخسافي الفيافي في رسالة له حصل بها على درجة الماجستير عام ١٤٢٢ - ١٤٢٣ من جامعة الملك سعود بعنوان (فيفاء خلال القرن الرابع عشر) على ما نقله الشيخ علي بن قاسم من وجود بعض الشراكيات والخزعبلات والمعتقدات الخاطئة والتفديس لبعض الأشجار والأحجار والأنصاب والأشخاص في الصفحة ٢٠٥ - ٢٠٦.

وبعد كل ما قرأتم ما رأيكم في المنتقد، هل كان محقاً في قوله أنني اتهمت أهالي فيفا بالوقوع في الشرك؟ وهل كان مصيباً حين قال عني: وبئسما رميت به قومك وهل صدق في قوله: (على رسلك.. فما علمناهم أشركوا في أحمد ما علمنا أنهم يقدسون الآباء والأجداد)!!؟.

وما السبب في تجاهله لعلمين كبيرين من أعلام فيفا أكدا في كتبهما هذه الحقيقة؟ وما السبب في تجاهله أيضاً لبعض طلبة العلم كأمثال الدكتور محمد فرحان الخسافي الذي أكد تلك الحقيقة من تفديس بعض أهالي فيفا القدامى للأماكن والأشجار والأشخاص.

وأنا والله الحمد وله الفضل والمنة على العكس تماماً مما حاول المنتقد إيهام القارئ به، على سبيل المثال: انظروا لما وصف السيد محمد بن حيدر النعمي به أهالي الجبال في مخطوطه (الجواهر اللطاف) في سياق الكلام عن ضمد بقوله: (قال في شرح الخمر طاشية على قوله: واهما لقوم غالهم صرف الردى والتحقوا بضمد أو بصدى، وهذا صادق عن النجود من شرق وادي ضمد فإن أهل تلك الجبال أغلبهم لا يتصف بالإسلام، وفيهم الجفاء، وعدم التقيد بالقوانين الشرعية المحمدية، ما لا يخفى على من يعرف أحوالهم، انتهى كلامه).

وانظروا لتعليقي على هذه التهمة التي تناقلها البعض دون تدقيق أو تمحيص أقول معلقاً عليها في الصفحة (١٢١٧) باب الأودية والآبار في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفا ما يلي:

(قد رأيت فيما وقع تحت يدي من مراجع تتحدث عن وادي ضمد وأهله بأن غالبية من ذكره يقسمه إلى قسمين: القسم الأول: ضمد الأعلى والواقعة عليه الجبال التي

تقع في شرق منطقة جازان وبعض مدن تهامة، وهذا الجزء لم يهتموا به كثيراً ولم يكتبوا عنه كثيراً، ولا عن الجبال الواقعة عليه، وإنما كانت كتابات قليلة متفرقة هنا وهناك لا تفي بالغرض، بل إنني ومن واقع قراءاتي لما وقع تحت يدي من مراجع تذكر هذا الوادي قد رأيت من التهم وتناقل البعض لتلك التهم. أي أن كل من كتب يتبع من قبله في النقل، حيث يتناقلون دون تمحيص أو تحقيق فقد كتب الحسن بن عاكش الضمدي وهو ممن تكلموا وكتبوا عن وادي ضمد بإسهاب ما يلي: "فإن أهل تلك الجبال أغلبهم لا يتصف بالإسلام، وفيهم من الجفاء، وعدم التقيد بقوانين الشريعة المحمدية ما لا يخفى على من يعرف أحوالهم، وقد ورد: من بدا فقد جفا فمن كان بالجانب الشرقي منه المتاخم لنجوده، فالجفا فيهم ظاهر". وفي شرح الخمرطاشية ورد الشعر الآتي:

واهاً لقوم غالهم صرف الردى والتحقوا بضمد وبصدي

كما سبق وأن بينا ذلك.

ويبدو أن بقية المؤرخين والمؤلفين قد تبنا ذلك الاتهام الوارد في تلك المقولة دون دراسة أو تمحيص، وكل من أتى ينقل عن قبله دون تحقيق. ولنا تعليق على ذلك الاتهام لأولئك القوم دون دليل لأنه بلا شك ذنب عظيم وخطر جسيم ولم أر من ينصف أهالي الجبال الشرقية الواقعة على ضفاف وادي ضمد إلا مؤخراً ممن رزقهم الله بالعلم والبصيرة، وعدم التقليد واتباع من كتب قبلهم دون تمحيص وتحقيق لقوله، ومنهم سعادة الأستاذ الدكتور إسماعيل بن محمد البشري. مدير جامعة الشارقة سابقاً، ومحقق مخطوطة الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد بن عاكش الضمدي.

وقد أعجبني بعد نظره وإنصافه وعدم أخذ الأمور على عواهنها وتقليد من كان قبله، حيث يعلق الدكتور البشري على الكلام الوارد آنفاً قائلاً (النفي العام مزلق خطير لا يقدم عليه إلا من سبر الغور وعرف الحقائق، وليس أخذاً بمجرد القول والشائع من الكلام لكن قد يحكم الإنسان بانتشار المعصية وعدم التقيد بالأحكام الشرعية في ظاهر الحال، ولا يعني ذلك الحكم بالخروج من وصف الإسلام، لأن ذلك يعني الدخول في الوصف المعتاد وهو قول يحتاج إلى بينة وبرهان لا يملكها المؤلف كما هو ظاهر من كلامه (أي مؤلف كتاب الديباج الخسرواني الذي ذكر هذه المعلومة). ص ١٧٧.

وتعليقي السابق أيها القارئ المتابع وبعض التعليقات التي سأذكرها في ثانيا هذه الحلقات ما هي إلا ترجمة لسياستي واتجاهي في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) بينما يحاول المنتقد إيغار الصدور ضدي وتغيير تلك الصورة والسياسة التي اتخذتها في كتابي آنف الذكر، بصورة مغايرة للحقيقة.

ثم يقول المنتقد:

مثال آخر: فواد عطا أطلق عليهم الباحث مسمى آل عطا.. فهل يجهل اسمهم؟ أم لسبب ما قام بهذا التغيير؟ نعم... فلقد عثر على اسم آل عطا وهم: عشيرة صغيرة كانت معروفة قديماً من آل سلمة في بني مالك، وولد عطا المعروفة لكنه استخدم اتصالات الشرفي والجرموزي في مسخ مسميات القبائل، وحافظ على تكرار ذلك حتى سمي به ولد عطا.. فصار يطلق عليهم آل عطا!! وهذا أقل ما يمكن أن يوصف به هو التفريط.

أقول وبالله التوفيق:

بخصوص عطا البعض يطلق عليه ولد عطا والبعض يطلق عليه آل عطا وهذا معروف في قبائل فيفا ولا مشكلة في ذلك. وآل عطا كما تبين معاهدات التهجير الجامع آنفة الذكر كانت قبيلة كبيرة قبائل بني مالك الأبية فيما قبل الألف الهجري وليس كما ذكر الناقد من أنها عشيرة صغيرة من آل سلمة، ولنا أن نتساءل أين اختفت هذه القبيلة الكبيرة؟ بينما كل القبائل الموجودة في تلك المعاهدة لا زالت موجودة إلى وقتنا الحاضر وتتنسب إلى بني مالك.

وقد سألت العديد من آل سلمة من بني مالك هل كان لديهم قديماً أو حالياً عشيرة يعرفون بآل عطا فأكدوا لي أنهم لم يسمعوا بذلك أبداً، ولا أدري من أين أتى المنتقد بهذه المعلومة الجديدة؟ التي ليس لها أساس من الصحة.

وسأكتفي هنا بذكر ما ورد في الصفحة (٩٥) من كتاب (الحكم القبلي في فيفاء قبل العهد السعودي الزاهر) لفضيلة الشيخ العلامة قاضي فيفاء سابقاً الشيخ علي بن قاسم الفيافي الذي فرغ من تأليفه عام ١٤٢٣هـ، حيث ذكر في نفس الصفحة آل عطاء وذكر ولد عطاء أي أن التسمية جائزة سواء أكانت ولد عطاء أو آل عطاء وهو من هو في العلم واللغة والأنساب ومعاصرة كبار السن ولذلك فلا يوجد حجة لمحمد بن مسعود من أن لفظ ولد عطا هو الصحيح وأنه لا يجوز أن نطلق عليهم آل عطا.

ولمزيد من التفصيل حول هذه المعلومة المنتقدة آمل الدخول على الرابط التالي ففيه توضيحات مهمة ومفيدة أكثر مما أوردته هنا بكثير:

<http://www.faifaonline.net/portal/20...08/258376.html>

وأخيراً يقول المنتقد:

النتيجة:

(منهج مختل بكل الموازين.. وهذا يستدعي وقفة إنصاف، من قراءة محايدة، تتلمس معاذير الباحث، الممثلة في المناخ العلمي المحيط به، وسلوك مجتمعه بين الصدق، والمداهنة، والإخلاص والتزييف، وتبصيره بالواقع، والسعي للإيقاع به، وخداعه والتغريب به، إلى جانب سبر ثقافته وعلمه، مع قياس الحالة العامة للبحث والتصنيف

في عصره قوة وضعفاً، فدراسة ذلك كله ستكشف لنا مدى تأثيرها السلبي على الباحث وتحملها النصيب الأوفر من المسؤولية تجاه ظهور الموسوعة الميساء بهذه الصورة).

أقول وبالله التوفيق:

أي منهج يتحدث عنه؟ هل يقصد المنهج العلمي الصحيح في التحليل والربط والاستقراء والاستنتاج الذي اتبعته في كتابي وبرهنت عليه؟؟ إن كان يقصد ذلك فقد وصف ذلك المنهج الذي يسير عليه كل مؤرخ بالمنهج المخل بكل الموازين!! ولم يتكرم المنتقد بتبيين المنهج العلمي الصحيح الذي يراه ويدعو إليه!!!! لا سيما منهجه في النسب المتناقض كما رأينا في الحلقات السابقة، وهذا المنهج الذي يدعو إليه لا أعتقد أن باحثاً مبتدئاً سيقبل به وأترك الحكم على منهج المنتقد للقارئ المتخصص.

وسأترفع عن الرد على بقية هذا الانتقاد الذي حصرته بين قوسين مكتفياً بما علقت عليه في موضوع المنهج فهذا الاستعراض اللغوي لا داعي له ولا يخدم نقد المعلومة التي يخالفني فيها بل يتعدى ذلك إلى إظهار ما تخفيه نفسه تجاهي وقد يسئ له أمام الآخرين ولا يخدمه، فليته ترفع عن أمثال هذا الكلام الذي تعج به مقالاته الناقدة والمنتقدة ولو أنه ركز في نقد المعلومة التي يرى أنني قد جانبته فيها الصواب بما يخدم البحث والقراء بعيداً عن الشخصية لكان خيراً له وأجدي.

والى اللقاء قريباً في الجزء الأول من الحلقة العاشرة . .

(الجزء الأول من الحلقة العاشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم بفضل الله وتوفيقه الجزء الأول من الحلقة العاشرة حيث قال المنتقد:

- قبيلة "آل شراحيل":

قلتُ: لا شك في أن الطريق الذي سلكه الباحث لإيصال نسب آل شراحيل بمذحج لم يكن صعباً وشائكاً كالذي سلكه من أجل تذحيج آل الصلت، فعثر على ضالته عند بعض الباحثين من منطقة جازان!! لكن يبدو أن الحياء الشديد منعه أن يذكر اسمه أو يحيل لبحثه، لذلك لا وجود لأي إحالة تفسر الغموض وتجلي ما استتر وهي ظاهرة تتكرر في الميساء بشكل ملفت.

أقول وبالله التوفيق:

لقد تقول عليّ المنتقد بما لم أقل به، والقارئ لكتابي لن يجد إشارة من قريب أو بعيد تشير إلى أنني قد نسبت قبيلة آل شراحيل إلى مذحج، ولا أدري علام استند في تقوله هذا؟

أصارحكم القول أن هذا القول قد أصابني بالدهشة والاستغراب، ولا أجد تفسيراً لذلك إلا استعجاله في القراءة، وتعطشه للنقد والانتقاد، ولو أن المنتقد أكمل قراءة البحث الخاص بقبيلة آل شراحيل بتأني ودون عجلة لما أطلق عليّ هذه التهمة. أما فيما يخص الباحث الذي يتساءل عنه المنتقد، والذي اتهمني المنتقد بأن الحياء الشديد منعي من ذكر اسمه أو الإحالة على بحثه وكأن في الأمر فضيحة أو أمر مشين حتى أصاب بذلك الحياء المزعوم، فهو الأخ الفاضل - إبراهيم حكيم - وسيجد ما يرغب في معرفته عنه أو عن نسب قبيلة شراحيل الحرث إلى نافع بن شراحيل المذحجي الذي نسبها إليه في - منتديات الحكم بن سعد العشيرة - ولا داعي أن أذكر ذلك في كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) لأنني أصلاً لا أتفق مع الباحث إبراهيم حكيم في ربط نسب شراحيل الحرث إلى الجد نافع كما ستقرؤون بعد قليل.

• فائدة لغوية أهديها للمنتقد الكلمة الصحيحة (لافت) وليس ملفت .

ثم يقول الناقد:

فقال المؤلف: (قبيلة آل شراحيل ويطلق عليهم (الشراحيلي) ٨٦ وصحة العبارة أن تكون (قبيلة آل شراحيل، والنسبة إليها: الشراحيلي) فليس دقيقا هذا التعرف (يقصد المنتقد التعريف) الذي ساقه المؤلف أعلاه مهما تغاضينا، أو سلطنا أوسع المناهج تقریطاً وتساهلاً.
أقول وبالله التوفيق:
استحسننت هذه الملاحظة فهي أكثر دقة كما ذكر وذات جرس موسيقي وسيتم تعديلها في الطبعة القادمة بإذن الله (شكراً للناقد).

يقول المنتقد:

ثم يأتي معللا التسمية لما يعرف بالقيستين (يقصد صاحب الموسوعة الميساء) فقال: (ويقصد بالقيستين أي المتكافئتين في القوة وما شابه أو المتقايستين، ويظهر لي بأن ذلك المسمى ما هو إلا حلف كبير تم بين قبائل آل عبيد وقبيلة آل شراحيل) ح٨٦. قلت: مهما اقترب في التعريف فإن الدلالة الأدق لهذه التسمية تعني أنهما وحدة واحدة.. لكن الباحث اعتاد أن يمر (مطهلاً) هكذا فيعبر المنعطفات الحادة والوعرة، ويقفز الحواجز العالية محلقاً لا يأبه للتفاصيل، ثم يعتقد مطمئناً أنه أبلى بلاء حسناً.. وأنه ليس في الإمكان أفضل - (خطأ إملائي يقصد به المنتقد أفضل) - مما كان. ولو تمهل قليلاً وتأمل اللفظ وقرأه في بيئته اللسانية ثم حكم عليه بعد الفحص والتأمل لوافق الصواب.

دعوني أجري اختباراً للكلمة ثم نرى هل (يقصد بالقيستين أي المتكافئتين في القوة وما شابه أو المتقايستان)؟؟ بحسب تعريفه لننظر:

إذن - (يقصد المنتقد إذاً) - فالقيستان: اسم يطلق على قبيلتي آل عبيد وآل شراحيل معاً، بصيغة التنثية، وتاء التانيث للقبيلة، ولم يسمع في حالة الأفراد؛ إطلاقه على أي من هاتين القبيلتين.. مع أن صيغة المفرد ستأتي على وزن (فعلة) (قيسة) فهل الاسم جاء عن الجذر (قَيس)؟ الذي منه قاس، يقيس، مقيساً، وقياساً، ومقايسة، أم يعود للجذر (قَوَسَ) الذي منه القوس والقسي؟ لنرى!!.

فإذن - (يقصد المنتقد إذاً) - برجوعنا للسان العرب، يسعنا بالمعنى الذي يطابق اللفظ تماماً وهو (القيس) بمعنى الشديد، وإذا أطلقناه صفة لقبيلتين، نعتاهما بـ (القيستين) أي الشديديتين. ونخلص إلى أن التسميتين بينهما فارق دقيق يجب التنبيه له، وطالما وجدناه بخلاف المضاهاة والمقايسة والمفاضلة، تيقنا أنه عبارة عن تسمية لوحدة واحدة غير مجزأة.

أقول وبالله التوفيق:

هذا الكلام من الناقد أي قوله: (لكن الباحث اعتاد أن يمر (مطهلاً) هكذا فيعبر المنعطفات الحادة والوعرة، ويقفز الحواجز العالية محلقاً لا يأبه للتفاصيل، ثم يعتقد

مطمئناً أنه أبلى بلاء حسناً.. وأنه ليس في الإمكان افضل –(يقصد المنتقد أفضل)-
مما كان).

يقصد المنتقد بكلمة مطهلاً أي (منزلقاً وبسرعة أو يمر بسرعة جنونية دون التفات
أو مبالاة بالأخطار المتوقع وجودها في الطريق) وهي كلمة فيفية سيتم إضافتها
لكتابي في قاموس المفردات الفيفية ونشكر المنتقد على تزويدنا بها.
وعودة للموضوع فأقول هذا كلام لا يخدم البحث والنقد العلمي الرصين وكان
يفترض أن يترفع المنتقد عن مثل هذه الجمل وأشباهها وأن يركز على موضوع
النقد الذي يرى أنني قد جانببت الصواب فيه والدخول في صلب الموضوع مباشرة،
وقد تتم مثل هذه الجمل غير المنضبطة بطريقة أو بأخرى عن بعض مكنوناته
النفسية.

وأما بالنسبة لتعريقي للقيستين بأنها تعني:(المتكافئتان في القوة وما شابه أو
المتقايستان) الذي عليه مدار هذا النقد فلم أت به من عندي، وإنما نقلته عن بعض
أهالي قبيلة آل شراحيل، وهذا التعريف معروف لديهم ولا يعدو الأمر هنا كوني
ناقل لما أخبروني به عندما سألتهم عن معنى التسمية، ولعلم المنتقد فإنني أبحث في
التاريخ وعلم الأنساب وأستقي بعض الأقوال والمعلومات من أفواه أهل الشأن ذاته
لعلمهم به أكثر من علمي، وليس بحثي في اللغة العربية وتتبع بعض المفردات
وجذورها اللغوية رغم إقرارني بأهميتها إلا أنها ليست بذات أولوية عندما يتعلق
الأمر بالبحث في النسب، وبالرغم من ذلك فلا بأس بعد دراسة ما زودنا به المنتقد
هنا من استنتاج وتحليل للجزر اللغوي لكلمة (القيستين) وعرضه على المختصين
من أهل اللغة في أن أضيف في الطبعة القادمة كلمة الشديديتين التي اجتهد الناقد
محمد بن مسعود في تقصي معناها اللغوي كزيادة على التعريف السابق الذي سبق
وذكرته في الطبعة الثالثة.

مع أنني أتساءل وقد يتساءل البعض منكم لم لا تكون هذه الكلمة مأخوذة من المقايسة
بمعنى المماثلة؟

يقول المنتقد:

وقال المؤلف:

(وبما أن شراحيل فيفا لهم رابط كبير مع شراحيل الحرث فإن بعض الباحثين من
منطقة جازان ينسبون شراحيل الحرث إلى شخص يقال له نافع بن شراحيل بن
كعب بن عيس بن الخمخ بن عوف بن سفيان بن سلهم بن الحكم بن سعد العشيرة)
وعلق في الحاشية رقم ٣: (أي أن شراحيل فيفا يعودون إلى الحكم بن سعد العشيرة
بن مذحج). ٢٠٣.

أقول وبالله التوفيق:

ركزوا معي على قول المنتقد الذي يستدل به بل ويراه دليلاً قوياً على أنني قد مذحجت قبيلة آل شراحيل حيث يقول عني: وعلق في الحاشية رقم ٣ (أي أن شراحيل فيفا يعودون إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج). ٢٠٣. فلا أجدني قائلاً إلا: يا أسفاه على المنتقد الذي قد بتر الكلام الذي في الحاشية وأخذ منه ما يقوي موقفه مما يسميه المنتقد بـ (حمى التذحيج) وجعلها دليلاً على أنني قد مذحجت آل شراحيل، فذكرني ببترة لكلامي في الحاشية رقم (٣) بمن يستدل بالآية الكريمة (ولا تقربوا الصلاة). ثم لا يكمل الآية، ولو نقل المنتقد كامل الحاشية بكل صدق وأمانة لوجدها تشير صراحة إلى عكس ما حاول إلصاقه بي، وسأنقل لكم هنا وبالحرف الواحد دون زيادة أو نقصان ما ذكرته تماماً في الحاشية رقم (٣) في الصفحة ٢٠٣ من كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) لترون هول ما أقدم عليه المنتقد من بتر واضح، فالجزء الذي سترونه باللون الأحمر هو الذي استشهد به المنتقد ولم يكمله للآخر، والجزء المكتوب باللون الأسود هو تكملة الحاشية التي بترها المنتقد حيث كتبت ما يلي:

(وشراحيل الحرث كما رأينا فرع من شراحيل فيفاء، إذاً فلا بد من دراسة قول أولئك الباحثين لإثبات صحته، أو نفيه، أي أن آل شراحيل بفيفا يعودون إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج، لأن منطقنا وما جاورها تعج قديماً بأكثر من شراحيل الذين يتوجب علينا دراستهم ولكن لوجود آل شراحيل في منطقة حرص اليمنية قديماً وإلى عصرنا هذا الذين يعودون إلى نافع بن شراحيل أنف الذكر، فهذا يثبت أنه لا يوجد رابط لشراحيل فيفا وشراحيل الحرث بنافع هذا).

إذاً كما رأيت وقرأت أيها القارئ المتابع فإنني قد نفيت وبكل وضوح مذحجية قبيلة آل شراحيل وبالذات فيما ذكرته صريحاً في نهاية الحاشية رقم (٣) قائلاً: (فهذا يثبت إنه لا يوجد رابط لشراحيل فيفا وشراحيل الحرث بنافع هذا). وبعد كل هذا التوضيح الجلي لا أجدني قائلاً إلا: (سبحانك ربي هذا بهتان عظيم). فما قولك في ذلك أيها القارئ المتابع؟

يقول المنتقد:

قلتُ (ولا زال القول لمحمد بن مسعود): نعم فالرابط وجود مجموعة مهاجرة من آل امجغمي ربما تجاوز عددهم الآن خمسين شخصاً بحسب رواية الأخ أحمد بن حسن الشراحيلى الفيفي وهم في عداد قبيلة آل شراحيل التابعة لمجموعة قبائل الحرث.

أقول وبالله التوفيق:

في قوله السابق تجاوز للأمانة العلمية وإن حاولنا التماس العذر له فسأقول أنه ربما لم يقرأ البحث الخاص بآل شراحيل جيداً وإلا لو عاد للصفحة (٢٠٩) لوجد أنني ذكرت هذه المعلومة كاملة وسبقته إليها حيث قلت ما يلي:

(آل امجمي، ومنهم جزء في شراحيل الحرث أيضا).
لذلك لا داعي لقوله: " نعم فالرابط وجود مجموعة مهاجرة من آل امجمي ربما تجاوز عددهم الآن خمسين شخصاً بحسب رواية الأخ أحمد بن حسن الشراحيلى الفيفي وهم في عداد قبيلة آل شراحيل التابعة لمجموعة قبائل الحرث".
فهو بهذا القول يوهم القارئ أنه من أدلى بهذه المعلومة وأنه قد أتى بهذه المعلومة الجديدة نقلاً عن الأخ أحمد بن حسن الشراحيلى فيغلب على ظن القارئ لهذه الحلقة الذي لم يطلع على كتابي (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) أنني لم أتطرق لهذه المعلومة ولم أوثقها بينما هي موجودة وموثقة فيه قبل أن ينقلها المنتقد في هذه الحلقة زاعماً أنه من أتى بها وأنا لست على علم بها.
كما أتوقع أنه يقصد الأخ الفاضل (أحمد بن جبران) ولد شيخ القبيلة السابق (جبران بن مفرح الشراحيلى الفيفي) وليس أحمد بن حسن، فالمنتقد ينسى أسماء بعض الأشخاص الذين تناقش معهم أو زودوه ببعض المعلومات رغم قرب عهده بهم، لأن الأخ أحمد بن جبران قد اتصل بي وأخبرني بأنه قد زود المنتقد محمد بن مسعود بهذه المعلومة بعد مكالمة هاتفية مطولة بينه وبين المنتقد محمد بن مسعود.

يقول المنتقد:

أن - (يقصد المنتقد إن) - قبيلة آل شراحيل لا يعرفون إلا أنهم من خولان يهانية ولم يسمعو - (خطأ نحوي يقصد المنتقد لم يسمعو) - ببني مذحج بسلامتهم الذين ذكرهم الباحث.

ولهذا فإن نسبتهم لمذحج بناء على هذا الرابط - (يقصد بالرابط ذلك الكلام المبتور الذي سبق وبينته للقارئ والذي حاول المنتقد من خلاله إيهام القارئ بأنه دليل قوي على أنني قد نسبت هذه القبيلة الأبية إلى مذحج) - ليس منهجياً وإنما المنهجي هو الأخذ بما يرويه أهل الشأن من القبيلة نفسها فما أدلوا به فهو الصواب.

أقول وبالله التوفيق:

ذكرت في الجزء الأول من (كتاب الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) الصفحة (١٢٢) ما يلي:

(آل شراحيل بفيفا) من قبائل فيفا القديمة والرئيسة، والمتعارف عليه في فيفا أنها من خولان بن عامر.

ثم يقول المنتقد:

وقال الباحث: (فلا زال لدينا في قبيلة آل شراحيل جبل مهجور يطلق عليه جبل امردم ويطلق على ساكنيه أهل امردم فهذا المسمى وبشكل كبير ما هو إلا نسبة إلى موقعة الردم (الرزم) الشهيرة). ص ١٣٧.

قلت: (ولا زال القول للمنتقد): سيتساءل القارئ عن هذه العلاقة التي ظهرت للباحث وما مدى اتساقها مع الحوادث، والتاريخ، والجغرافيا؟ لكن قبل ذلك لنقترب أكثر من

عبارته هذه حيث سنعثر لديه على تناقض غريب عجيب.. فالجبل كما قرر الباحث: مهجور أي قفرة، ومع ذلك يؤكد أن التسمية التي تطلق على ساكنية - (يقصد المنتقد ساكنيه) - هي (أهل امردم).... فكيف يمكننا الجمع بين الضدين؟.. يأتي هذا مع أسلوب - (يقصد المنتقد أسلوب) - المعالجة الضعيفة التي قد تحمل القارئ إلى اتهام المؤلف بتعمد المغالطات لوصفه نقاط جغرافية واضحة بخلاف ما هي عليه، كإطلاقه مسمى جبل على تلة صغيرة أو نتوء جغرافي واهن، لا يكاد يُرى على الخارطة، ومن لديه أدنى فكرة عن جغرافية المكان سيتعجب من مجازفة الباحث التي قد تنال من دقته وحياده وهو يسوق استنتاجات تتعارض مع حقيقة المكان. والباحث يتكلف بشكل غريب إيجاد العلاقات بين المسميات والحوادث، وهذا من حقه طبعاً.. وإنما وفق منهج بحثي متسق، يُظهر فيه الصرامة والشدّة والحياد.. وهو ما لم نره في منهج الباحث الذي يقش ما صادفه أمامه من لغة ومسميات.. ولولا الأمانة العلمية لما وقفت لدى هذه المباحث التي تقصر تماماً عن طفولة التصنيف والتأليف المبكرة في حياة الأمم وقبل تطور الفكر البشري.. فلولا هذه الأمانة التي تقتضي مثل هذا النفس الطويل والصبر على البلاء لما تصدّيت لها.

أقول وبالله التوفيق:

أشكر الناقد على توضيح ما التبس علي حيث أكد وهو أحد ساكني جبال فيفاء وأعرف بتلك المواقع بأن ما أطلقت عليه جبلي الردم والرزم ما هما إلا تلتان أو نتوءان بارزان، ومع أنني قد ذكرت بأنهما موقعان أيضاً، وكذلك على تصحيحه لي قولي: أن جبل الردم مهجور وأن المسمى الذي يطلق على ساكنيه هي: (أهل الردم) فأعذر للقارئ الكريم وسيتم تصحيح هذه المعلومة وتوضيحها في طبعة قادمة بإذن الله على أنهما موقعين معروفين في ديار آل شراحيل وليس بجبلين وأن أهل الردم الحاليين لم يعودوا يسكنون ذلك الموقع مع احتفاظهم بهذا المسمى (أهل امردم).

يقول المنتقد:

ويقول أيضاً (أي صاحب الموسوعة الميساء):
(وكذلك يوجد موقع استراتيجي في ديار آل شراحيل يقال له الرزم.... كان سوقاً قديماً وبه طريق قديم جداً للقوافل.... وهو نفس مسمى تلك المعركة (يوم الرزم) وهذه نقطة جديرة بالاهتمام، وما الغريب في أن يكون لأهل الردم والرزم بعض التواجد في جبال فيفاء). ص ١٣٧.

قلتُ (ولا زال القول للمنتقد): المعركة دارت رحاها في وسط الربع الخالي، على بعد مئات الأميال من فيفاء، وهذا أمر مفروغ منه، فلا يوجد أدنى علاقة بين التسميتين، ولا بين النقطتين الجغرافيتين، - (يقصد المنتقد الجغرافيتين) - ولو اقترب المؤلف من دلالاتي المفردتين في بيئتين لسانيتين مختلفتين - (يقصد المنتقد مختلفتين) - لعيثر (يقصد المنتقد لعثر) بينهما على فروق دقيقة، رغم أن اللغة

مشاعة بين العرب أجمع، وهذا لا يجعلنا نخلط في الحوادث، ونتصرف في الجغرافيا، لمجرد عثورنا على أسماء -(يقصد المنتقد أسماء)- متطابقة. ويتطلب الجمع بين هذه القرائن التي اجتهد فيها المؤلف جهداً جباراً وتكلفاً شديداً دون أن نتقنا لشيء، أو تقضي بنا لعلم.

أقول وبالله التوفيق:

ذكر المنتقد بأن معركة (الرزم) قد دارت رحاها في وسط الربع الخالي، على بعد مئات الأميال من فيفا، وهذا أمر مفروغ منه".

أقول: لقد استعجل المنتقد كثيراً في هذه النقطة وهو بذلك يوهم القارئ أنني بطريقة ما قد ذكرت أن هذه المعركة قد دارت رحاها في فيفا، وأنه هنا قد صحح لي هذه المعلومة، ولو ركز قليلاً فيما ذكرته في كتابي صفحة (١٣٧) لوجد أنني ذكرت بكل وضوح أن هذه المعركة المعروفة (بالردم) أو (الرزم) قد دارت رحاها في مدينة (الجوف اليمنية) بين قبيلة مراد وقبيلة همدان ولم يقع في جبال فيفا أي معركة بينهما، إنما كان هناك رحيل لجزء منهم إلى فيفا بناءً على تلك الهزيمة التي تعرضت لها قبيلة (مراد) المذحجية في بداية الدعوة الإسلامية، حيث رحلوا وتفرقوا إلى أقطار عديدة من الجزيرة العربية وخارجها ومنها موقعي (الردم و الرزم) بفيفا، وبناء عليه فقد نقلوا معهما بعض المسميات القديمة في بلادهم الأصل - الجوف اليمنية - وأطلقوا هذين المسميين على موقعي (الردم والرزم) بفيفا كما هو عند كثير من القبائل العربية حين تنتقل من ديارها الأصلية إلى ديار أخرى فتقوم بتخليد أسماء مواقعها السابقة عبر إطلاقها على بعض مواقعها الجديدة، وهذا ما توصلت إليه بعد بحث شاق وطويل، ولكن في حال استطاع المنتقد أن يبين لنا دون تخمين ما السبب في تسمية موقع الرزم وموقع الردم في فيفا بهذين الاسمين فحينئذ قد يكون لنا تراجع بل واعتذار عن هذه المعلومة!!.

وإلى اللقاء بإذن الله في الجزء الثاني من الحلقة العاشرة . .

(الجزء الثاني من الحلقة العاشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

أتابع معكم الجزء الثاني والأخير من الحلقة العاشرة (الحلقة الأخيرة):

يقول المنتقد:

وفي مناسبة مختلفة لها صلة بما نحن في صدد، وجدنا - (يقصد المنتقد وجدناه) - يقول صفحة ١٦٣ ما نصه:

(فنحن نقول في فيفا نيد أي نجد ونقلب الكاف شيئا في بعض حروف الكاف). قلتُ: لا اعتراض يهم على قضية قلب الكاف شيئا في آخر العبارة المقتبسة أعلاه رغم مجانبتها للصواب عند التحري للدقة والتحقيق، لكن ما ترونيه داخل القوس الأول عجيب فعلا ومجازفة غير محسوبة العواقب.. فلقد وهم الباحث فيما أورده هنا وهو قلب صوت الجيم ياء في هذه البيئة اللسانية، فالنيد لا يتطابق مع النجد، ولا هذا يعني ذلك، ولو وقف متأملا تعريف النيد لوجده مختلفا عن النجد ولاستطاع الخلوص بأن النجد نقطة جغرافية لا شأن لها بالنيد.. ولاستطاع عندها تلمس الفارق، ثم لجاء حكمه مختلفا.. ولكنها العجلة التي لا تتناسب عملية التصنيف والتأليف.

وهنا دعونا نتلمس الفارق بين التعريفين، ثم نعقد بينهما مقارنة جغرافية علنا نكتشف أن النجد مختلف عن النيد، بينما الباحث اعتبرهما شيئا واحدا لمفردة واحدة هي (النجد .. النيد) لنرى هل كان موفقا في حكمه؟ أم أنها العجلة والقلق؟.

أولاً: النيد / تعريفه: المنخفض بين قمتين، في ذروة الجبل، وملتقى الريح (النود) في ثلم من ذروة الجبل الحادة ويطل على جهتين مختلفتين، ومفرده نيد، ويجمع سماعيا على أنياد ونيود. ومنها في فيفا نيد الضالع، ونيد آبار، ونيد الدارة، وغيرها الكثير.

ثانياً: النجد / ننقل تعريفه باقتضاب:

هو أرض مرتفعة متسعة المساحة، ذات سطح مستوى ومنحدرة من الجانبين، وفي اللغة هو المكان المرتفع ويقابله لدى الجغرافيين مصطلح "الغور" وهو المنخفض. وقد أطلق الجغرافيون المسلمون على عدة مواقع في الجزيرة العربية مسمى "نجد" مثل نجد اليمن، وهو الهضبة الواقعة شرق سراة اليمن جنوباً عن صحراء الربع

الخالي، سمي بذلك لارتفاعه عن تهامة اليمن، وهي السهل الساحلي المحاذي للبحر الأحمر. أما النجد المعني به هذا فهو نجد الحجاز. ولو تأملنا التعاريف في أولاً، وثانياً، من أجل المقارنة، لوجدنا بينهما اختلافاً كبيراً، وبوناً شاسعاً، فلا هذا يطابق ذاك مهما تجاهلنا ضوابط التعريف والدقة اللغوية، والباحث يضع في ذهنه هدفاً ثم يهرول باتجاهه محطماً كل القيود المنهجية والاعتبارات العلمية المرعية، فيخرج باستنباطات شديدة التهافت، والغرابة، بحيث تنال من قوة بحثه نتيجة ومؤدى، ولهذا أوصيه بإعادة النظر حول منهجه هذا، مهما كان عمل الإنسان يؤطره النقص، فذلك قمين أن يخرج لأمتة علماً ينتفع به من بعده. أقول وبالله التوفيق:

فيما يخص قوله: (لا اعتراض يهم على قضية قلب الكاف شيئا في آخر العبارة المقتبسة أعلاه رغم مجانبتها للصواب عند التحري للدقة والتحقيق). أقول وبالله التوفيق:

إذا كان الأمر ما فهمته وتبادر إلى ذهني بخصوص تعليق المنتقد على قبل الكاف شيئاً فكل أهالي فيفا قاطبة من أكبر متعلم إلى الشخص العامي يعلم أن هناك بعض الكلمات الحاملة لحرف الكاف نقوم بقلبها إلى حرف الشين أو لفظ قريب منه كقولنا: (شلبن) أي كلب وقولنا: (شهله) أي كهله وقولنا: (شعابن) أي كعاب ونحو ذلك، مع اختلاف في كتابة الحرف فهناك من يرى أن كتابة هذا الحرف تكون بالجيم: (جلبن - جهله - جعابن) وهكذا وكذلك هناك من يرى أن تكون كتابته بالشين. وقد ذكرت في كتابي الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء تحت العنوان التالي: (بعض الحروف المنطوقة غير المقروءة) ما يلي:

كذلك استخدام أهالي فيفاء لما هو قريب من الشنشنة المعروفة: وهي جعل الكاف أقرب ما يكون إلى حرف الشين نحو قولهم: (شلبن - جلبن) أي كلب. وهكذا كما سنرى في الأمثلة القادمة، والجدير بالذكر أن اليمن هي صاحبة الشنشنة، وما تزال بعض أنحاء اليمن تعرف هذا النطق حتى الآن؛ كما أن الثعالبي قد تطرق أيضاً في كتابه أنف الذكر إلى الكشفشة، حيث ذكر أنها تعرض في لغة تميم كقولهم في خطاب المؤنث: ما الذي جاء بش، يريدون بك، وذكر أن بعضهم قرأ (قد جعل ربش تحتش سرياً) لقوله تعالى: (قد جعل ربك تحتك سرياً).

وفي فيفا ينطقون كاف الخطاب وبعض الكافات الأخرى ما بين السين المهملة والشين المعجمة، بل إنها للشين المعجمة أقرب، ولكنها لا تنطق شيئاً خالصاً كما هو معروف كقولهم:

(شلبن - عليشم - لشم) أي (كلب - عليكم - لكم) وهكذا. ولكن مع مراعاة أن هذا الحرف منطوق لا مقروء، ونطق هذا الحرف بين قبائل فيفاء، بل وكتابته قد تختلف من قبيلة إلى أخرى، فنجد مثلاً: أن نطق الكاف أقرب

إلى (الشين) لدي بعض القبائل كقبيلة الحكمي، بينما يكون نطقه أقرب إلى (السين) في بعض قبائل الجبل الأعلى، بينما ينطقه البعض قريباً من (الجيم أو الزاي)- أي: أن حرف الكاف ينطق به ما بين الشنشنة والكسكة -.

وهناك خلاف في كتابة هذا الحرف، فقد يُكتب لدى البعض من أبناء فيفا بحرف الشين، وهذا أقرب إلى نفسي، والبعض الآخر يكتبه بالجيم كقولنا: رَاشِنْ أي أعلى فالبعض يكتبها رَاشِنْ والبعض الآخر يكتبها رَاجِنْ مع ملاحظة النطق المتعدد له أنف الذكر.

وهذا الاختلاف بين بعض قبائل فيفا ليس في كتابة ونطق الكاف وحده، بل إن لهجتهم ليست على وتيرة واحدة في الغالب، فهناك بلا شك فروقات واضحة بين بعض القبائل، إلى أن أقول:

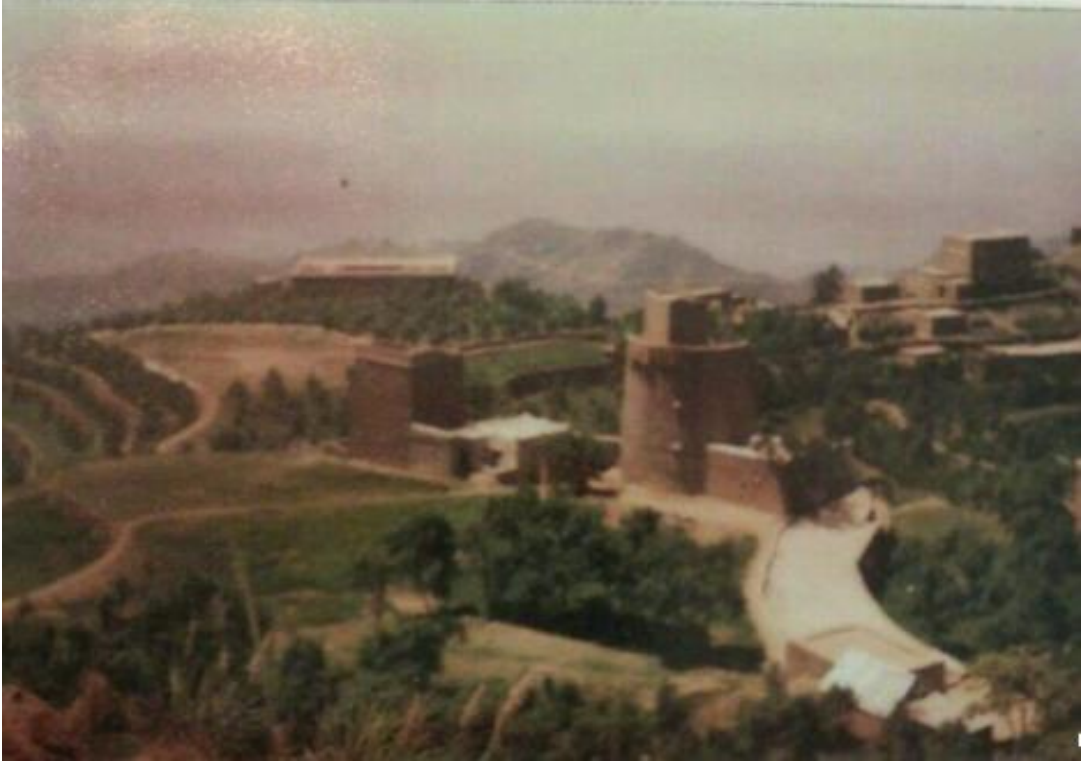
بل إنني تيقنت أن كل قبيلة من قبائل فيفا لها خصوصية في لهجتها، خاصة أنه يوجد لدى بعض القبائل مفردات تكون مختلفة تماماً عن المفردات التي في القبائل الأخرى، حتى أنه من خلال لهجتك أثناء مخاطبتهم يستطيع الآخر تحديد القبيلة التي أنت منها، وذلك من خلال مخارج الحروف واللكنة ونطق بعض الحروف وبعض الكلمات المختلفة.

إلى أن أقول: على كل حال ليس كل الكافات في فيفا تحول إلى شين، فكل كلمة كابة أي باب وكلمة الكعبة وكلمة كتاب وكلمة كورة تنطق بالكاف كما هي، وهذا ينطبق على العديد من الكلمات الأخرى وبالذات بعض مفردات الإعلام ليس هنا مجال لحصرها).

وانظروا إلى قول علامة فيفا وقاضيه علي بن قاسم الفيافي في كتابه (باقية من تراث فيفا الشعبي) الصفحة التاسعة من باب (أصول اللهجة الداريجة في فيفاء): ((ينطقون كافات الخطاب وبعض الكافات الأخرى بين السين المهملة والشين المعجمة بل إنها إلى الشين المعجمة أقرب، فيقولون في نحو أبوك وأخوك، (أخوش وأبوش) وفي نحو كلب وكل، (شلب وشل)، وكُرُوم (شُرُوم)، وكُرْمة (شُرْمة)). فكيف يقول المنتقد: رغم مجانبتهما للصواب عند التحري للدقة والتحقيق؟

وأما فيما يخص كلمة نيد فهنا استعراض لغوي كبير من قبل المنتقد مع أن الموضوع أسهل من ذلك بكثير، فأنا لم أخترع هذا التعريف من عقلي بل هذا ما سمعته من بعض أهالي فيفا على أن نيد يقصد به نجد فنقلته في كتابي، ولست متخصصاً في هذا المجال، وقد تكون كلمة نجد تفسير خاطئ لكلمة نيد في لهجة أهالي فيفاء، وربما أن الكلمة تحتمل تفسيرات أخرى غير الذي ذكرته هنا وغير التفسير الذي أدلى به المنتقد، فلم لا يكون النيد هو ما يسمى في الحجاز بالثنية لأن الجبل يكون منثنياً أي منعطفاً، وربما سمي في فيفا نيداً لأن حركة الناس والتنقل من بقعة إلى بقعة يكون عبره فهو مأخوذ من النود أي الحركة (مكان تحرك الناس).

إذاً فكلمة نيد لها العديد من الاحتمالات، ولكن ستكون هذه الملاحظة من المنتقد مكان اهتمام مني في الطبقات القادمة بإذن الله، بعد دراسة ما زودنا به المنتقد من جذر لغوي لكلمة نيد، مع أسفي الشديد لما أبداه من ألفاظ وتهكمات لا تفيد البحث، وكان بإمكانه أن ينقد المعلومة ويبين وجهة نظره حول كلمة نيد دون أن يضيف كل تلك الجمل التهكمية كقوله: (والباحث يضع في ذهنه هدفا ثم يهرول باتجاهه محطما كل القيود المنهجية والاعتبارات العلمية المرعية، فيخرج باستنباطات شديدة التهافت، والغرابة، بحيث تنال من قوة بحثه نتيجة ومؤدى،.....).



الصورة أعلاه صورة قديمة لنيد الدارة قبل أن ينتشر فيها العمران الحديث فيغطي مساحتها الواسعة وهكذا مع بقية النiod ولو دققنا النظر فيها وفي الصورة الثانية أدناه المليئة بالمنحدرات التي تم كسرها بالمدرجات لاتضح لنا بأن نيد الدارة وغيرها من النiod تعتبر نجد صغير بالنسبة لمساحة جبل فيفا، وهي الواقعة بين قمتين وتعتبر أرض مرتفعة متسعة المساحة بالنسبة لما يجاورها من أرض ذات مدرجات ضيقة، وكذلك فهي ذات سطح شبه مستوي ومنحدرة من الجانبين.



فمعظم مواقع جبال فيفا تتكون من كتلة جبلية صعبة التضاريس تتميز بشدة انحدارها في جميع الاتجاهات بحيث تم كسر هذه الانحدارات بإنشاء المدرجات الزراعية التي تعد أحد السمات الرئيسية للمنطقة. والملاحظ أن النبود تختلف في شكلها ومساحتها عن غالبية الأماكن ذات الانحدار الشديد في جبال فيفا.

يقول المنتقد:

وقبل أن أسدل الستار على هذه المقاربة لا أنسى تلك اللوحة التي نشرها على الصفحة ٤٠٧ معلقاً بالقول:

(وفي الأسفل بعض النقوش الأثرية والإشارات التي توجد على صخرة في أنافية). ص ٤٠٧.

قلت: سبق لي أن تطرقت لهذه اللوحة عند نشرها من قبل الأخوة برئاسة الأستاذ موسى الحكمي، وذلك عبر مقال نشرته في هذه الصحيفة في حينه، وأشارت إلى أنها كتابات معاصرة تمت بواسطة الدهانات الملونة الحديثة، بفعل المجهولين الاثيوبيين، وفي الفترة الوجيزة الماضية التي لا تتجاوز عشر سنوات، وقد تحدثت عنها بإسهاب وعللت كونها حديثة ولا تنتمي للكتابات الأثرية ولا ما يحزنون.

واستيعاب نشرها في مادة صحفية أمر قد نتجاوزه ونغض عنه الطرف، إنما نشرها في كتاب تاريخي يعد مرجعاً، فغير مقبول، ولا يمكن السكوت عنه بأي حال، ويجب على الباحث غربلة المعلومات الهشة من موسوعته ليخرجها للناس مرجعاً

خلواً من الترهات والأباطيل الخاطئة، على غرار هذه اللوحة المصنفة تعسفاً في علم الآثار وهي منه براء.

وأخيراً من المفترض أننا نسعى جميعاً (المؤلف والناقد) لتحقيق أدنى سقف من المعايير والمتطلبات التي يجب مراعاتها في المصنفات العلمية، على حد سواء، ومنها (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) التي تناولتها على امتداد عشر حلقات مضت، تطرقنا فيها لنماذج عدة سعياً للتذكير بالمعايير والضوابط الصارمة المتعلقة بالبحث والانتاج، والتصنيف العلمي، وما يستدعيه من التجرد التام عن أي ميل أو نزعات نفسية قد تؤثر على وجه الحقيقة الناصع، سواء جاء من قبل المؤلف أو من تلقاء الناقد نفسه.

أقول وبالله التوفيق:

هذه اللوحة تم تزويدي بها من قبل الأستاذين الفاضلين أحمد بن مسعود الحكمي وعلي بن أحمد العبدلي بعد أن دلهم عليها الأستاذ موسى محمد الحكمي الفيافي وهم عندي ثقة، ولكن ومن باب الإنصاف فلم أقف عليها بنفسني وستكون محل اهتمامي في المستقبل القريب بإذن الله لإثبات ذلك من عدمه.

وقد ناقشت ملاحظة المنتقد مع الفريق آنف الذكر فكان جوابهم:

(هذه الرسومات لا يملك محمد مسعود أي إثبات على كونها حديثة ولا على كونها قديمة ونحن قلنا أنها مثيرة جداً للاهتمام فهي كانت مغطاة بنبته البلس لعقود مضت ولم تتعرض تلك الرسوم للزيادة رغم قرب الصخرة لمحبي الكتابة فمن هذا المنطلق لدينا اعتقاد بأهميتها ولا نجزم بقدمها ولا بحداثتها ولكننا نجزم بأنها شبيهة إلى حد ما بما وجدناه من رسوم في (الجانبية) بجبل الحشر وقرية (الولجة) بآل يحيى ودورنا اقتصر على إظهارها إعلامياً ودعوتنا للمختصين لفحص تلك الرسوم لإثبات أثريتها أو نفي الأثرية ولكن هي رسوم تستحق الفحص دون غيرها مما وجدناه وغضضنا عنه النظر).

واختم المنتقد حلقاته العشر التي أسماها بقراءات نقدية في الموسوعة الميساء قائلاً:

(وفي الختام . . باسمكم جميعاً أيها الأخوة القراء أتوجه بخالص الشكر الجزيل ومنتهى العرفان والتقدير لسعادة الأستاذ المؤرخ القدير حسن بن جابر الحكمي الفيافي . . الذي أتاح لي هذه الفرصة الجميلة، فرحب بفكرة هذه الحلقات ودعمها منذ انطلاقتها الأولى، وأبدى تعاوناً منقطعاً أثناء المقاربات النقدية، رغم تمتعه بالإجازة السنوية، فبقي على تواصل معي متجاهلاً تلك القسوة التي تند عن النقد في المعتاد، فله منا جميعاً منتهى التقدير والعرفات (يقصد المنتقد العرفان) على ما أبداه من روح رياضية عالية مع مرونة وتفهم كبيرين حتى اكتمال هذه الحلقات، ولعل بعضكم لا يعلم أنه قد شرع في مراجعة لبعض معلومات الموسوعة الميساء وذلك قبل أن نبدأ في نشر هذه الحلقات، فلا يظن القارئ أن التغيير قد جاء نزولاً عند

رغبات هذه السلسلة النقدية، فلا والله . . بل الحقيقة على نقيض ذلك، فله منا كل التقدير على سعة صدره وتسامحه الذي يعرفه عنه الجميع، ومهما كنا ندرك سلفاً قيمة النقد إلا أنه يجيء متسلطاً مكفهاً ثقيلاً، ولهذا فالمؤلف مدركاً لهذا الواقع ومتهيئاً لمواجهته وتقبله.

مرة أخرى باسمكم جميعاً أوجه له منتهى الشكر والعرفان، على ما قدمه لفيفاء وأجيالها المتعاقبة في المقام الأول، ثم لقاء تفهمه وتواصله الدائم، وتزويدي بالمعلومات التي أطلبها منه وهذا لا يستغرب من الكبار أمثال هذا الرجل الوفي لفيفا وأهلها، فله منا جميعاً خالص الثناء ومنتهى التقدير).

أقول وبالله التوفيق:

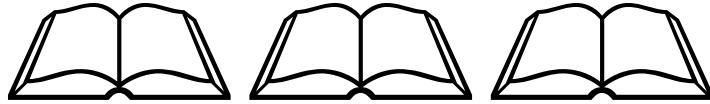
أسأل الله الكريم العظيم المطلع على النوايا أن يجازي المنتقد والناقد محمد بن مسعود ويجازيني على قدر نيائنا وعلى قدر إخلاصنا بالعمل فهو المطلع على ما ظهر منا وما خفي، وأن يرزقنا ويوفقنا إلى ما فيه رضاه ثم رضا الناس. وأسأل الله أن يجد المنتقد والناقد محمد بن مسعود العبدلي الفيافي بعض الفوائد مما كتبه في هذه الحلقات، وأن أكون قد ساعدت ولو قليلاً في إجلاء وتوضيح بعض ما غمض عليه وغمض على بعض القراء، ويظل الكمال لله عز وجل وليس هناك كتاب كامل إلا كتاب الله عز وجل.

فالذي توفقت فيه فبفضل من الله وما لم أوفق إليه فمن نفسي. وصل اللهم على سيدنا ونبيينا محمد وآله وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

أخوكم حسن بن جابر الحكمي الفيافي (أبو سامر).

وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مَشَقَات



انتهيت من جمع وترتيب هذه اكلات

في يوم الخميس

٧ رجب ١٤٣٧ هـ

Eisa850@hotmail.com

تويتر : Eisa850

جميع الحقوق محفوظة

